موسوعة الطب النبوي

الجزء الاول : الكتب التراثية في الطب النبوي

د. محمد علي البار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " (اخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه) . وقال عليه الصلاة والسلام : " اسألوا الله العفو والعافية ، فإنه ما أوتي أحد بعد يقين خيرا من معافاة " (اخرجه النسائي) . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (ما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أحب إليه من العافية). (رواه الترمذي) . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا " (اخرجه الترمذي) .

فلا غرو إذن أن يهتم نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم بتنبيه المؤمنين على نعمة الصحة واتخاذ جميع التدابير للمحافظة عليها والتمتع بها على الوجه الاكمل الذي أراده الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين . قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " (اخرجه مسلم وأحمد في مسنده وابن ماجه في سننه) .

وتعاليم الاسلام كلها تدعو الى المحافظة على الصحة النفسية والروحية والبدنية وتنميها وترقيها الى اقصى ما يمكن ان تصل اليه في هذه الحياة الدنيا ، ثم لتصل بها مداها الاقصى في الحياة الاخرى . { وإن الدار لدار الآخرة لهي الحيوان } .

وتعاليم الاسلام ، وإن بدت بعيدة عن الطب في ظاهرها ، إلا أن لها مردوداً حسنا على الصحة النفسية والروحية والبدنية . فعلى سبيل المثال نجد الصلاة وما يتقدمها من الطهارة والاستنجاء والوضوء واستخدام السواك ، لها أعظم الأثر على صحة الانسان وسمو روحه وطهارة بدنه وتجنبه الامراض والاسقام النفسية والبدنية . . ويكفي ان نعرف أن أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعدم التبول والتغويط في الماء الراكد وتحت ظل الشجرة وفي قارعة الطريق يستطيع ان ينقذ مئات الملايين من البشر من أمراض وبيلة فتاكة يعاني منها بصورة خاصة المسلمون وسكان العالم الثالث . . وذلك لاهمالهم التقيد بتعاليم نبيهم فهناك خمسمائة مليون مصابون بالبلهارسيا التي يمكن الوقاية منها بتنفيذ هذا الحديث الشريف والالتزام به . وهناك قرابة ألف مليون شخص مصابون بالاسكارس (ثعبان البطن : الصفريات) والانكلستوما وهؤلاء جميعا يمكن ان ينقذوا من هذه الامراض لو نفذ البشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل دقة .

وهناك مئات الملايين من المصابين بالزحار الأميبي والزحار الباسيلي والجيارديا ،واليرقان الدموي والتهاب الكبر الفيروسي من نوع (A) وغيرها من الامراض الخطيرة ، واليسيرة التي تنتقل عبر التبول والتبرز . . وجميعها يمكن الوقاية منها بالالتزام بحديث واحد من أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر بالتداوي من الأمراض إذا اصيب الانسان بها . قال : " عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد . قالوا : ما هو ؟ قال : الهرم " (اخرجه الامام احمد في مسنده والبخاري في الادب المفرد والترمذي في سننه وابن ماجه في سننه ، وقال الترمذي حسن صحيح)

وفي الصحيحين البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء " وفي لفظ : إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله " .

والأحاديث بعد ذلك كثيرة في هذا الباب . . وقد أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ابن خالته سعد بن ابي وقاص عندما مرض أن يطلب الحارث بن كلدة الثقفي الذي اشتهر بالطب في زمنه ، وأخبره أنه مفؤود

، وأن عليه أن يستعمل الدواء الذي وصفه له .
لهذا كله جمع علماء الحديث وجهابذته ما ورد عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث متعلقة بالطب وبوبوا لها في كتبهم . وقد اهتم هؤلاء العلماء الاجلاء بالاحاديث المتعلقة بفروع الطب العلاجي . . وهو جزء يسير جدا مما ورد في باب الطب والصحة . . ولذا فإن أحاديث الرسول المتعلقة بالصحة والطب موجودة في باب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والجهاد والقدر . . . الخ . ولا يكاد يوجد باب من أبواب كتب الحديث إلا وفيه أحاديث هامة متعلقة بالصحة . . ولذا ننبه إلى أن ما هو موجود في أمهات كتب الحديث تحت باب الطب ، او ما هو موجود في كتب الطب النبوي العديدة لا تمثل إلا النزر اليسير مما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في موضوع الصحة والطب .

ورغم ذلك فإن الأحاديث التي جمعها العلماء الأجلاء في كتبهم تحت باب الطب ليست بالقليلة . فقد أفرد الإمام البخاري كتابا ضمن صحيحه سماه كتاب الطب بلغت أحاديثه مائة وثمانية عشر حديثاً منها مائة حديث موصول وثمانية عشر حديثا معلقا بالاضافة الى ستة عشر أثر عن الصحابة رضي الله عنهم . وجمع الإمام مسلم كذلك أحاديث الطب وأفرد لها كتابا في صحيحه . وقد وافق البخاري في ثمانية منها . وجمعت كتب السنن الاربعة (سنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه) أحاديث كثيرة تحت باب الطب ، كما جمعت المسانيد مثل مسند الامام أحمد والمعاجم مثل معجم الطبراني ومصنفات الحديث مثل مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن ابي شيبة أحاديث كثيرة في باب الطب .
وقد أفرد بعض العلماء ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب كتابا مستقلا أسماه الطب النبوي كما تناول بعضهم موضوعا واحدا من مواضيع الطب النبوي مثل الطاعون وأفرد له مؤلفا خاصا .

وأول من أملى رسالة في الطب (النبوي) هو الامام جعفر الصادق أملاها على المفضل بن عمر الضبي ضمن أماليه . وقد خصصت لها الفصل الثاني من هذا الكتاب وفيه استعراض للمعلومات الطبية المنسوبة الى الامام جعفر .

وثاني من أفرد رسالة في حفظ الصحة هو الامام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط شهيد كربلاء وريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين . وهي رسالة وضعها الامام الرضا بناء على طلب المأمون العباسي سنة 200هـ وقد وضعت كتابا بعنوان الامام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي (الرسالة الذهبية) .

وثالث من وضع كتابا في الطب النبوي هو الفقيه الحجة الاديب اللغوي عبد الملك بن حبيب الاندلسي الألبيري ، السُلمي (مولاهم) ، المالكي المتوفى سنة 238هـ . وكان كثير ممن كتب في الطب النبوي من الباحثين من أمثال الدكتور ناظم نسيمي في كتابه " الطب النبوي والعلم الحديث " والدكتور حسن مقبولي الأهدل في تحقيقه لكتاب الامام السيوطي " المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي " (رسالة ماجستير في السنّة من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة) والشيخ أحمد ابن محمد زبيلة في رسالته العالية (رسالة ماجستير في السنّة من كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى بمكة المكرمة) : " تخريج ودراسة أحاديث الطب النبوي في الامهات الست " ، قد قالوا إن هاتين الرسالتين مفقودتان .

والواقع أنهما موجودتان في مكتبات كثيرة وخاصة الرسالة الذهبية للامام علي الرضا . وقد احصيت أربع نسخ في مكتبات تركيا ونسختين مترجمتين الى اللغة الفارسية . وتوجد من المخطوط نسختان في دار الكتب المصرية ، وعدة نسخ في العراق وايران . ثم طبع الكتاب في العراق أربع طبعات وفي ايران عثرت على

طبعتين . وهناك شروح كثيرة قديمة وحديثة للرسالة الذهبية بلغت ، حسب علمي ستة عشر شرحا .

وقد قمت بشرح كتاب " مختصر في الطب " الذي قام الاستاذ محمد العربي الخطابي بنشره في كتابه "الطب والاطباء" في الاندلس الاسلامية . وهو مختصر لكتابه " طب العرب " الذي قام بنشره وتحقيقه بدر العمراني الطنجي ، والذي نشرته دار ابن حزم ، بيروت سنة 2007 وتكرم عليّ الاستاذ الدكتور لطف الله قارئ باهدائي نسخة منه . كما تكرم باهدائي نسخة من الكتاب الذي حققه الاستاذان كاميلودي موراليس ، وفرناندو خيرون ايرويسط من اسبانيا ونشر عام 1992 بواسطة المجلس الاعلى للابحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي بعنوان مختصر في الطب لعبد الملك بن حبيب . وقد قدما له بتقدمة وافية باللغة الاسبانية ثم قاما بترجمته وتحقيقه ووضع فهارس متعددة له وابقيا صلب الكتاب باللغة العربية .

ثم ظهر احمد بن ابي عاصم الضحاك الشيباني (206-287هـ)كأحد علماء الحديث ، له مصنفات كثيرة منها المسند الكبير ، به نحو خمسين ألف حديث، وكتاب السنّة وهو أشهر مؤلفاته وله كتاب الطب النبوي ويبدو انه ضمن كتاب السنّة المشهور.

ثم ظهر ابو بكر ابن السني (المتوفي سنة 364هـ) وأصدر كتابا في الطب النبوي وهو لا يزال مخطوطا ولكن المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بالكويت قامت بطبع المخطوط مصورا مع مقدمة من الدكتور عبد الرحمن العوضي ومقدمة اخرى من الدكتور احمد رحائي الجندي ونشر سنة 2004 وهو في الواقع اساس كتاب ابي نعيم المشهور في الطب النبوي الذي حققه الدكتور مصطفى خضر دونمز ونشرته دار ابن حزم ، بيروت ، سنة 2006 . ثم ظهر كتاب المستغفري (وفاته سنة 432هـ) في الطب النبوي. ثم ظهرت مجموعة كبيرة من كتب الطب النبوي أشهرها كتاب الامام ابن القيم وهو في الاصل فصل من كتابه العظيم " زاد المعاد في هدي خير المعاد " ، وكتاب الامام الذهبي . وذكرت قائمة طويلة بالكتب التي تخصصت في موضوع الوباء والطاعون وذلك في مقدمة كتابي " ما رواه الواعون في اخبار الطاعون للامام السيوطي " وهي قائمة تضم اكثر من سبعين كتابا في موضوع الطاعون والامراض الوبائية فقط . وسأستعرض في هذا الكتاب كل ما عثرت عليه من كتب الطب النبوي منذ عهد الامام جعفر الصادق المتوفي سنة148 هـ الى راشد بن عمير الازدي (ابن هاشم) العماني المتوفي بعد الألف هجرية .

واذا تركنا جانبا هذه المكتبة الثرية في مصنفات علماء المسلمين فيما يسمى الطب النبوي ، سنجد ان اكثر اهتمام هؤلاء القدماء كان منصبّا على الجانب العلاجي . وهو في ظني جانب صغير مما يمكن ان يطلق عليه الطب النبوي، لانه معتمد على آيه وحديث . ويمكن ان نقسمها الى الاقسام التالية لتيسير دراستها وتبويبها :

1) **الطبّ النبوي المتعلق بحفظ الصحة والارتقاء بها وتنميتها :**

وهو أوسع ابواب الطب النبوي ، ولم أجد أحدا اهتم به من القدماء إلا النزر اليسير (اثناء وضعهم كتب الطب النبوي العلاجية) . واهتم بعض المحدثين من الاطباء بهذا الجانب الشديد الاهمية ومن افضلهم في هذا الباب الدكتور محمد ناظم نسيمي والدكتور نجيب الكيلاني رحمهما الله . ولكاتب هذه السطور اسهامات في هذا الباب (مثل سلسلة كتب سنن الفطرة : الختان والسواك) ، وكذلك فعل الاخ الدكتور حسان شمسي باشار واصدر بعض الكتب الطبية في هذا الباب. وكذلك الدكتور محمود الحاج قاسم من الموصل في العراق .

2) **الطبّ النبوي العلاجي :**

وتشمل مواضيع كثيرة مثل العسل والحبة السوداء والحناء والصبر والثفاء والسنامكي . . . الخ ، والحجامة والكي وفيها العديد من الكتب . وإذا تحدث الناس عن الطب النبوي تبادر الى اذهانهم هذه الاحاديث المتعلقة بالعلاجات المختلفة . ولم يوسعوا الدائرة بل قصروها على هذه الاحاديث فقط .

3) **الطبّ النبوي النفسي والروحي :**
وهو يتداخل مع موضوعات هامة مثل الصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن وقوة الايمان ، والحياة الزوجية السليمة ، والحياة الاجتماعية السليمة (والبعد عن الربا وتأثيراته المدمرة على المجتمعات) . وموضوع الرقية ، ومعالجة الامراض النفسية . ويدخل في ذلك الممارسات الخاطئة في مجال الرقية واخراج الجن والعفاريت ومعالجة السحر والحسد والعين . . . وما يحدث من مآسي باعتبار معظم الامراض ناتجة عن جن وسحر وحسد وعين . . .الخ .

4) **الطبّ النبوي المتعلق بأحاديث العدوى وجوانبها الايمانية والطبية .**

5) **الطبّ النبوي المتعلق بموضوعات متعلقة بالعلوم الطبية :**
التشريح ، علم الأجنة ، علم وظائف الاعضاء . . . الخ

6) **مخطوطات وكتب الطبّ النبوي :**
ودراسة هذه الكتب المخطوطة والمطبوعة والمحققة وغير المحققة . . الخ . ولكاتب هذه السطور اسهامات كتابية (مجموعة من الكتب والمقالات في كل هذه الانواع) . وهذا الكتاب هو جهد حديث للكتابة عن كل ما ظهر ووصل الى علمي من مخطوط ومطبوع في كتب الطب النبوي وهي مجموعة من الكتب تزداد كل يوم . وبعضها لا يزال مفقودا رغم انها مذكورة ضمن مؤلفات هؤلاء العلماء الأجلاء .

7) **أخلاقيات وقوانين مهنة الطبّ :**
وبابها واسع في الطب النبوي ، وهي تشمل المواضيع الطبية الفقهية ، والتي اهتمت بها المجامع الفقهية اهتماما بالغا في العقود الثلاثة الماضية . وقد قمت مع اخي الدكتور حسان شمسي باشا بنشر العديد من الكتب في هذا المجال وآخرها موسوعة الأخلاق الطبية الذي نشره كرسي أخلاقيات الطب ، بجامعة الملك عبد العزيز باشراف ومشاركة الاخ الاستاذ الدكتور عدنان بن أحمد البار .

الموقف الفقهي من الطب النبوي

ويشمل مفهومنا للطب النبوي ابوابا كثيرة كما ذكرنا ومن اهمها الفوائد الصحية للوضوء والاستنجاء والصلاة والصيام . . .الخ . وهذه كلها تندرج في ابواب أخرى من كتب الاحاديث أو الفقه ، وبالتالي لا تدخل عند من كتب من الفقهاء والمحدّثين والاطبّاء في موضوع الطبّ النبوي . وهي لاشك من اساسيات الدين الاسلامي ، وفيها فروض ومندوبات ، كما ان هناك مباحات ومحرمات ومكروهات . .وكلها تندرج تحت باب من أبواب الفقه الواسع . ولكن اغلب العلماء والفقهاء والمحدثين عندما تحدثوا عن الطب النبوي اقتصروا على الطب النبوي العلاجي فقط . وانقسموا الى فريقين :

(الاول) : يرى ان كل ما صح عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو وحي يوحى
وانه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى . ويرون انه صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ ، فإن حصل منه خطأ صححه الوحي . وممن ذهب الى ذلك الامام ابن القيم في كتابه الطب النبوي ، والامام الذهبي كذلك في كتابه الطب النبوي ، ومنهم السبكي والمحلي والبناني وغيرهم .

(الثاني) : يرى أن أمر النبوة والعصمة مقصورة على امور الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم

يبعث ليعلمنا تفاصيل امور الدنيا ، ويذكرون في ذلك حديث تأبير النخل ، عندما اشار صلى الله عليه وسلم بعدم تأبيره فأثمر شيصا (ثمرا رديئاً) فقال لهم : انتم اعلم بأمور دنياكم ، وهو حديث صحيح . وبالتالي فلا يحمل اي شيء من الطبّ على الوحي ، وما جاء عنه إنما يعبر عن معلوماته الشخصية ومعلومات عصره ، وقد يخطئ في ذلك . وليس هو بمعصوم في الباب وقد يعرف غيره في الطبّ اكثر مما يعرف هو ، فهو ليس بطبيب ، ولم يبعث لمداواة الاجسام بل لاقامة الدين والعقيدة والشريعة .

وفي حديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إنما أنا بشر وانكم لتختصمون الي ، ولعلّ بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحقّ أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما اقطع له قطعة من نار " . (اخرجه البخاري في صحيحه) . وفي حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم : " انما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حقّ ، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما انا بشر أخطيء وأصيب " . (الشفاء للقاضي عياض ج201/2)

ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق في سياق غزوة بدر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا انزلكه الله ، ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغوّر ما وراءه من القلب . ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأي (سيرة ابن هشام ج200/2).

وممن قال بهذا القول القاضي عبد الجبار ، وابن خلدون ، والقاضي عياض وولى الله الدهلوي ، ومن المعاصرين الشيخ محمد ابو زهره في كتاب " تاريخ المذاهب الاسلامية " ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، والشيخ علي الطنطاوي ، والشيخ عبد الجليل عيسى . . .الخ .

وقد قام الشيخ الدكتور محمد سليمان الاشقر باستعراض مختلف الاقوال في بحثه القيم " مدى الاحتجاج بالاحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية "المقدم لمؤتمر الطب الاسلامي الرابع المنعقد في اسلام آباد في باكستان واصدار المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بالكويت (ربيع الاول 1407هـ الموافق نوفمبر 1986م) (ج132/4) وانتهى الباحث الى تقسيم الاحاديث الواردة في الطب الى الاقسام التالية :

1- **الاحاديث الواردة في حكم أصل العمل بالطب والمعالجات وتناول الادوية** (وما يتبعها من مسؤوليات وديات . . الخ) فهذه واجبة الاتباع لانها تشريع ، وفيها احكام التداوي وموضوع التوكل . . زالخ .
2- **الاحاديث المتعلقة بمن يقوم باجراء التداوي** وجواز تطبيب النساء للرجال والعكس والمسلم للكافر والعكس ، واحاديث عيادة المرضى ومنع التداوي بالخمر والمحرمات . . والنهي عن بعض انواع العلاجات وكلها واجبة الاتباع بصورة عامة.
3- **أحاديث متعلقة بأنواع من العلاجات والممارسات التي كانت سائدة في عصره** صلى الله عليه وسلم وهذه تتغير بتغير الزمان . ويمكن تجربتها والبحث عن فوائدها واضرارها . . الخ كما يبحث اي مادة اخرى .
4- **احاديث مرتبطة بشعائر وعبادات :** مثل (السواك والختان . . الخ)، فهي واجبة الاتباع .
5- **احاديث توافقها نصوص قرآنية مثل شفاء العسل فهذه مدعومة بالقرآن ولا مجال لانكارها .**
6- **معالجات ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر ان جبريل أخبره بها وأن الله يحبها فهذه كذلك تدخل في باب الوحي .** فإذا صحت الرواية والسند فتدخل في باب الوحي ، وإلا كانت مثل الاحاديث الاخرى التي لم تصح أو التي كانت درجتها ضعيفة فتأخذ حكمها . وهناك احاديث كثيرة في كتب

الطب النبوي إما انها ضعيفة او متروكة او موضوعة . وهذه لا حجة فيها قط .

7- **أحاديث متعلقة بالعدوى والطاعون والجذام وهي متعلقة الى حد كبير بجانب الاعتقاد ولهذا تأخذ اهمية خاصة ويتم قبولها اذا صحت سندا** ،وكثير منها صحيح بل في اعلى مراتب الصحة .

ويرى الشيخ الفاضل الدكتور محمد سليمان الاشقر ان الاحاديث المتعلقة بأنواع العلاجات والممارسات التي كانت في عصره وأقرّها الرسول صلى الله عليه وسلم لا تترك ، بل تبحث ، فإن ثبتت جدواها اعتمدت ، وان ثبتت عدم جدواها وعدم فاعليتها تترك ، ولا حرج في ذلك .

وأقول ان ما تم بحثه من هذه المواد يدل على عظيم نفعها . ولكن لا بد من اجراء الابحاث العلمية حولها .

وأما ما نراه من ممارسات خاطئة فأغلبها الى الشعوذة اقرب ، وخاصة الممارسات المتعلّقة باخراج الجن وأنواع الرقى ومعالجة السحر والعين . . . وحتى الممارسات المتعلقة بالاعشاب أو الحجامة أو الكي فعلى اهميتها الا انها ينبغي أن تدرس دراسة واضحة ولا تترك لمن هبَّ ودبّ ، ولا بدّ لها من تقنين وتنظيم ، وايجاد دراسة لهذا الفن من الممارسات الطبية ويكون مدعوما بالابحاث العلمية التي توضح مدى فاعليته .

الفصل الأول :

المدخل الى فهم كتب الطب القديم وكتب الطب النبوي

لا بد لفهم أي كتاب قديم في الطب أن نفهم النظرية والأسس التي بني عليها ذلك الطب . ولذا فإن قراءة أي كتاب من كتب التراث الطبي أو حتى الكتب المسماة باسم الطب النبوي مثل : كتاب ابن القيم ، وكتاب الذهبي ، وكتاب الموفق البغدادي ، وكتاب ابن طرخان ، وكتاب السيوطي ، والرسالة الذهبية للامام علي الرضا ، لا يمكن ان تفهم على وجهها ما لم تفهم النظرية الفلسفية التي تكمن خلف التقسيمات والألفاظ المتكررة مثل الطبائع الأربعة والأمزجة الأربعة والعناصر الأربعة .

ورغم ان الاحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالطب بعيدة كل البعد عن هذه النظرية اليونانية إلا أن كل من كتب من القدماء في الطب النبوي تأثر بمعلومات عصره واستخدم هذه النظرية المبنيّة على وجود عناصر أربعة وطبائع أربع وأمزجة أربعة . وليس بدعا إذن أن يستخدم الامام علي الرضا مفهوم العناصر الاربعة والطبائع الاربع والامزجة الاربعة في كتابه " الرسالة الذهبية " . والغريب حقا أن يكون الامام الرضا قد هضم هذه النظرية هضما جيدا في وقت مبكر جدا (في حدود سنة 200 هـ) وذلك قبل ان تظهر ترجمات واضحة لهذه الفلسفات الاغريقية .

صحيح ان عصر الترجمة بلغ أشده في عصر المأمون وهو العصر الذي عاش فيه الرضا ، لكن مع ذلك لم تأخذ هذه النظريات الطابع المعروف لدى المثقفين في ذلك الوقت إلا بعد ان قام الرازي (250-0313 هـ) والفارابي (المتوفى 339هـ) بكتابة هذه النظريات وشرحها للمثقفين في عصرهما .

وذلك يعني ببساطة ان الامام الرضا كان على اطلاع واسع منذ وقت مبكر جدا بما يتم من ترجمات لفلسفة الاغريق وطبهم .

كتاب المدخل الصغير الى علم الطب للرازي :

وقد كتب ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، أحد اشهر أطباء المسلمين وأعلاهم قدرا ، كتابا صغيرا سماه " المدخل الصغير الى علم الطب "[1] وهو كتاب لا بد لمن يريد ان يتعلم الطب في تلك الازمنة من قراءته وفهمه وتدبره .

وقد لخصّ فيه الرازي تلخيصا جيدا النظريات الفلسفية الاغريقية في خلق العالم واتبع في ذلك فلسفة ارسطو وأفلاطون واهتم بصفة خاصة بنظرية الفيض التي جاء بها افلوطين.

خلاصة النظرية اليونانية في خلق العالم وتكوين العناصر بعد تعديلها لتوائم التفكير الاسلامي :

وخلاصة هذه النظرية ان الله سبحانه وتعالى خلق الاشياء على مراحل متعددة "فأول ما ابدع الباري

---

[1] أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : المدخل الصغير الى علم الطب ، تقديم وتحقيق د.عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1397هـ/1977 م .

عز وجل الانوار المضيئة ، وهي الجواهر البسيطة ، والانوار الروحانية التي هي اول الحركات وعنصر الكائنات " .

والنور ينقسم الى قسمين : بسيط لا تدركه الحواس ، مخصوص بأعلى العالم . ومركب وهو محسوس وموجود في اسفل العالم .

ومن النور البسيط الذي لا تدركه الحواس خلق الله العقل ، ومن العقل خلق النفس الناطقة ، ومن النفس الناطقة خلق النفس الحيوانية ، ومن الحيوانية خلق النفس الطبيعية الخامدة ، وصارت جسما !!

ومن النفس الطبيعية الخامدة خلق المولى تبارك وتعالى الطبائع البسيطة الاربع وهي : الحرارة والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . وهي اصل تكوين كل الاشياء الجسمانية . وأبدع المولى من هذه الطبائع البسيطة الاربع ، والعناصر الاربعة وهي مركبة هكذا .

1- إزدوج البرد مع الرطوبة فصار ماء . ولذا كان الماء أول المخلوقات الجسمانية والعناصر الارضية .
2- ازدوجت الحرارة مع اليبوسة فصارت نارا .
3- وارتفعت النار لخفتها ورسب الماء لثقله سفلا فصار بينهما تضاد وتباعد ونتج عن هذا التضاد والتباعد الهواء .
4- وحرك الباري الهواء بقدرته فصار ريحا . وحرك الريح الماء حتى تلاطمت امواجه وأرغى زبده . وصار الزبد طبقات بعضها فوق بعض ، فجمد بالقدرة وصار ترابا وأرضا .

فهذه العناصر الاربعة : الماء والنار والهواء والتراب . ولكل منها صفات : فالماء بارد رطب ثقيل سيال ، والنار حارة يابسة خفيفة ، والهواء حار رطب لطيف والتراب (الارض) بارد يابس ثقيل .

الأمزجة الأربعة في جسم الانسان:

وفي جسم الانسان تمثيل لهذه الطبائع والعناصر الاربعة ، وهي الامزجة الاربعة : الدم والبلغم والمِرَّة الصفراء والمِرَّة السوداء . ولكل واحد منها صفات ومكان ينبع منه ولها تأثير على مزاج الانسان وحركته وسكونه .

ونفصل ذلك فيما يلي :

1- الدم : وهو سكن الرطوبة والحرارة وينبوعه الكبد . ومكانه العروق (الأوعية الدموية) وسلطانه في سطح البدن ومقدم الرأس . والذي يلحق النفس من اعراضه : قوة الشهوة للنساء مع غزارة الجماع وغزارة الشعر ونعومته ، وكثرة الدم . وخاصية طبعه في المعدة سرعة الهضم وسهولته ونفوذ الغذاء وتغييره وإجادته وإحالته إلى جوهر الدم واللحم .

وصاحب الطبع الدموي Sanguineous Temperament قويّ الشكيمة ، كثير الحركة ، سريع الغضب . وخلق الله عز وجل كما يقول الرازي اللحم والدم والعصب والعروق والقلب والصدر والكلى والانثيين (الخصيتين) والعضلات واللسان واللوزتين واللهاة من جوهر الدم . وكذلك ما كان رطبا

من الجلد.

2- البلغم Phlegm : وهو سكن البرودة والرطوبة . وخلق الله (كما يقول الرازي) الدماغ والرئة ، وكل مافي البدن من الاعضاء الباردة والرطبة من البلغم . . فجميع ما نتعارف اليوم عليه بأنه الجهاز العصبي مخلوق حسب هذه النظرية من البلغم وكذلك الجهاز التنفسي لان من القصبات الهوائية والانف يخرج البلغم (النفث والبصاق) . والبلغم قسمان : قسم من الدماغ وهو ينصب كما ينصب الندى من الجو ، وسلطانه في مؤخر الصدر ، وتجتمع أثقاله في مغارة الصلب والظهر ، كما يقول الرازي . وقسم من الرئة ويطفو من الرئة الى أعلى حتى يخرج من الحلق والانف .

ويلحق النفس من اعراضه (المزاج البلغمي) Phlegmatic Temperament وعلاماته : العجز والكسل والفتور والنسيان وإبطاء الجواب والسكون وقلة الحركة والحلم واللين . ويلحق الجسم من أعراضه : السعال وقلة الشهوة للنساء والسلاسة ، والارتعاش والفالج (الشلل) وخاصية طبعه في المعدة : تزيد الوهج الكائن عند مرارة الاغذية والاشربة والادوية وسائر المواد الواردة على البدن . وذلك ان المعدة تتقوى به اذا هو شكلها كما يتقوى النظر بالنظر والجنس بالجنس .

ومسكن البلغم في الرئة . ويتصل برده بنسيم الآناف (جمع انف) الداخل من الحلق على انابيب الرئة ثم توصله الى القلب ، إذ هي متصلة به فيستريح بذلك القلب ويندفع عنه حدوث الحرارة الدخانية (النابعة من جوهر الدم) ، وتنتبه بذلك قوى النفس والحرارة الغريزية .

3- المِرَّة الصفراء Yellow Bile المِرَّة الصفراء حارة يابسة نارية وتفرز من الحويصلة المرارية Gall Bladder وهي لاصقة بالكبد لتعين على طبخ الطعام.

وجعل الله سلطان المِرَّة الصفراء في اليافوخ Fontanelle ، لخفتها ولطافتها وارتفاعها . والأذنان من قسمتها وطبعها .

ولها من البدن ما هو حار ويابس وهي تجري مع الدم لازدواجها ومشاكلتها له كالدهن للسراج . ومن خاصية طبعها في المعدة هضم الطعام وطبخه ، وكذلك حكمها في الكبد .

ويلحق النفس من اعراضها المزاج الصفراوي Bilious Temperament وعلاماته : الحِدَّةُ والطيش والضجر واللطافة والذكاء والنباهة والشجاعة والإقدام وشهوة النساء والحيطة وسرعة الجواب وكثرة الكلام والحركة . وتطلق لفظ Bilious في اللغة الانجليزية على الشخص الضجر السئم المتشائم . وكذلك تطلق على من يشعر بالغثيان[2].

ويلحق الجسم من اعراضها كل ما ظهر من دلائل الحار واليابس . ولها في المعدة والكبد والامعاء خاصية العون على نضج الطعام وهضمه.

4- المِرَّة السوداء (Melancholy (Black Bile : مكونة من الارض ومسكنها الطحال وسلطانها في

---

[2] قاموس وبستر وقاموس المورد لمنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ببيروت

البصر من الجانب الايسر من البدن . وبها يكون الصمت والتفكير والحزن والثقل والابطاء والتثبت والنظرفي العواقب ولها من المعدة خاصية الدفع وإمساك الطعام وانتباه الشهوة .

ومنها المزاج السوداوي Melancholic Temperament والمقصود به الكئيب الحزين المتشائم المنقبض المسبب للكآبة . ومنه كلمة الملانخوليا Melancholia وهي حالة سوداوية قد تعتري الانسان وتسبب له كآبة شديدة ويكون ذلك مصحوبا ببعض الهلوسات السمعية والبصرية والاعتقادات الزائفة مع آلام متوهمة في الجسم ، ولا يزال هذا الاسم يستخدم في الطب النفسي الى اليوم وفي لغة البشر . ويسميها العامة المناخوليا ويقصدون بها الجنون . . وفي كلامهم بعض الصحة . والمقصود به نوع من الذهان المصحوب بكآبة شديدة مع نوع من لجنون Manic-depressive Psychosis او بعض حالات الشيزوفرينا .

باختصار هناك طبائع اربعة وهي :

- الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

وهناك عناصر أربعة صدرت عن تفاعلها وهي :

- الماء والنار والهواء والتراب .

ولهذه الطبائع والعناصر تمثيل في جسم الانسان وهو ما يعبر عن بالامزجة الاربعة (Four Humors) or Temperaments وهي :

- المِرَّة الصفراء (حارة ويابسة) .
- المِرَّة السوداء (باردة ويابسة) .
- البلغم (بارد ورطب)
- الدم (حار ورطب) .

خصائص الامزجة ومراحل العمر :

ولكل واحد من هذه الاربعة خصائص . . وهي جميعا موجودة في جسم الانسان ، فإذا اعتدلت هذه الطبائع أو الأمزجة الاربعة كانت الصحة وإذا انحرفت بزيادة او نقصان أو تغلب أحدها على الآخر كان المرض .

وتكون وظيفة الطبيب هي تعديل هذه الطبائع أو الأمزجة حتى تعود لسابق عهدها .

وتنقسم مراحل عمر الانسان الى اربعة مراحل وفي كل مرحلة من هذه المراحل تكون الغلبة لاحد هذه الامزجة كالآتي:

- ففي سن الشباب والطفولة تكون الغلبة للدم حيث تتكون الاعضاء الدموية ويكثر النشاط ويعمل الكبد (مركز الدم) بهمة ونشاط ، ويكون الاندفاع وعدم التروّي.
- وفي سن الرجولة (15-35) تظهر الغلبة للمرة الصفراء وفيها حدة الفهم والذكاء والشجاعة والحيطة .

- وفي سن الكهولة (35-55) تظهر الغلبة للمرة السوداء : وفيها الصمت والتفكير والتثبت والنظر في العواقب .
- وفي سن الشيخوخة (ما بعد الخامسة والخمسين الى ارذل العمر) تكون الغلبة للبلغم وعلاماته العجز والفتور والثقل والنسيان والسكون والحلم واللين .

وتحتوي الاطعمة والاشربة على هذه العناصر ايضا فبعضها يغلب عليه الحرارة ويسمى حاراً ، وبعضها يغلب عليه البرودة ويسمى بارداً ، وهكذا ولهذا وجب تعديل الطعام بحيث يكسر الحار البارد والعكس . . وبحيث يناسب كل سن وكل فصل من فصول السنة لان فصول السنة ايضا تتبع العناصر الاربعة والطبائع الاربع ، والطبيب الماهر هو الذي يعطي لكل حالة لبوسها فطعام المريض غير طعام الناقة ، وطعام الصحيح غير طعام السقيم ، وطعام الرضيع غير طعام الفطيم وهكذا . . وطعام الانسان في السفر غير طعامه في الحضر . . وطعامه اثناء فصل الربيع ينبغي ان يختلف عن طعامه اثناء فصل الخريف . . وطعامه في الصيف لا بد ان يختلف عن طعامه في الشتاء .

ولهذا عقد الامام علي الرضا فصلا لموضوع الغذاء في رسالته وقال للمأمون : " واعلم يا امير المؤمنين ان كل واحد من هذه الطبائع يحبُّ ما يشاكلها فاعتذِ ما يشاكل جسدك ".

" ومن أخذ من الطعام زيادة لم يفده ، ومن اخذ بقدر لا زيادة عليه ولا نقص نفعه . . وأعلم يا امير المؤمنين : كل البارد في الصيف والحار في الشتاءوالمعتدل في الفصلين (اي الربيع والخريف لاعتدالهما) على قدر قوتك وشهوتك . . وابدأ بأول الطعام بأخف الاغذية التي يتغذى بها بدنك . . " .

ثم ذكر بعد ذلك فصول السنة وأشهرها شهرا شهرا بالتقويم الشمسي وابتدأ بشهر آذار (مارس)لأنه أول الربيع وذكر فيه ما ينبغي ان يؤكل فيه وما يجتنب من الطعام والدواء . ثم نيسان (ابريل) وهكذا حتى انتهى الى شباط (فبراير) وما يناسب كل شهر من غذاء وما لا يناسبه . . وما يناسب كل شهر من أنواع النشاط الجسماني ودخول الحمام والجماع والرياضة وما لا يناسبه . . وكذلك الحجامة والفصد وانواع الادوية .

كلمة أخيرة : إن الطب الحديث والعلم الحديث قد ألغى فكرة العناصر الاربعة والطبائع الاربع والامزجة الاربعة . واستبدالها بأمور اكثر تعقيدا بكثير مما كان يظن . والعناصر الاربعة لم تعد عناصر بل هي مركبات وحالات فالماء مركب والهواء مركب ، والتراب مركب ، والنار تعتري المواد كلها وهي حالة الاحتراق بواسطة الاوكسجين .

وعدد العناصر قد تجاوز المائة عنصر . . والطبائع الاربعة الحرارة ، والبرودة والرطوبة ، واليبوسة لم تعد اساسية وإنما هي تعبر عن درجة الحرارة (الحر والبرودة) التي يمكن ان تقاس بمختلف الاجهزة المعقدة والبسيطة (ميزان الحرارة الترمومتر) . والرطوبة واليبوسة عبارة عن درجة وجود الماء في الاشياء فإذا زادت نسبة الماء زادت الرطوبة وإذا قلّت النسبة كانت اليبوسة .

وما يسمى الأمزجة في جسم الانسان قد تغير مفهومه كثيرا . والدم سائل من سوائل الجسم . . صحيح

انه يتكون في الكبد في اثناء نمو الجنين ولكن هذه مرحلة فقط من المراحل ثم يتكون في نقي لعظام .

وأما الطحال فلا تفرز المِرّه السوداء كما يقولون بل تحطم خلايا الدم الحمراء التي انتهى أجلها .

وتفسيرات الدم والبلغم والمِرَّة السوداء والصفراء مضحكة بالنسبة للطب الحديث . . واغلب ما ذكر في ذلك اثبت العلم خطأه وخطله . وقد يبقى منه فتات او شذرات تصحّ منه الاشارات .

وتبدّلت الحال وظهرت الهرمونات والمواد الكيماوية المعقدة وظهر تأثيرها على جسم الانسان وعلى سلوكه كذلك . ومع هذا بقيت تعبيرات المزاج الصفراوي والمزاج السوداوي والمزاج الدموي والمزاج البلغمي في جميع اللغات الحية إلى اليوم .

ولهذا كله لا ينبغي حين نتعرض لكتب الطب القديم ان نفهمها انها كتبت لعصرنا ، فعصرنا يختلف في مفهوماته ومعلوماته وطبّه عن عصور الاقدمين . وهذا كله لا يمنعنا ان ننظر الى اعمالهم ونزنها بميزان عصرها لا بميزان عصرنا .

ولا ننكر أننا يمكن ان نستفيد من لفتة بارعة او منهج تفكير نجده لدى القدماء واهمله المحدثون . فليس كل قديم لا نفع فيه ، ولا كل جديد فيه الخير كله . . بل قد يكون في الجديد ما يحتاج الى معاودة النظر في قيمته ، ولعله من الغثاء الذي ينبغي طرحه . . ولعل في القديم من الجواهر والدرر ما ينبغي الكشف عنه . ومعاودة استخدامه وان كان بأسلوب وطريقة مناسبة للعصر الذي نعيش فيه .

ورسالة الامام علي الرضا تفتح لنا كثيرا من هذه الآفاق . . وقيمتها ليست فحسب في كونها اول رسالة في حفظ الصحة باللغة العربية ، وانما تكمن قيمتها ايضا في منهج مؤلفها الذي جمع ما ورثه من طب النبوة عن آبائه وما تعلمه من طب اليونان ومزج ذلك كله مزجا فذا غريبا ، وصاغه بلغة أدبية رائعة ، واستطاع ان يوجز تلك المعلومات الكثيرة والمتباينة في 14 صفحة مطبوعة من الحجم الصغير .

إن هذه الرسالة الموجزة الصغيرة تحمل في طيّاتها علما كثيرا ، استطاع الامام علي الرضا ان يوجزه في صفحات قليلة تميزت بالدقة وسلاسة العبارة ووضوح المعنى .

وهو امر عسير وشاق دون ريب ، إذ ان الايجاز الشديد يقتضي في كثير من الاحيان غموض المعنى وصعوبة العبارة . ولا كذلك رسالة الرضا .

الفصل الثاني :

الامام جعفر بن محمد الصادق

(80 – 148 هـ)

والطب النبوي

مصادر هذا البحث كثيرة أهمها كتاب الشيخ محمد أبو زهرة الامام جعفر الصادق وطب الامام الصادق لمحمد الخليلي وطب الامام الصادق للسيد محمد كاظم القزويني وكتاب توحيد المفضل املاه الامام جعفر الصادق .

هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن شهيد كربلاء الحسين السبط بن علي بن ابي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وام الامام جعفر هي ام فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق . ولذا كان الامام جعفر يقول ولدني علي بن ابي طالب مرة (أي من جهة الآباء) وولدني ابو بكر مرتين (اي من جهة الامهات) وكان يترضى عنه ويثني عليه الثناء كله . ولكن للأسف كذب عليه الشيعة وقالوا انه كان يسبّ أبا بكر في مجالسه الخاصة . وهو كذب وافتراء عليه ..ولد يوم 17 ربيع الأول 80 هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها في مساء 25 شوال من سنة 148 هـ... وهو إمام من أئمة المسلمين وعالم جليل وعابد فاضل وله مكانة جليلة عظيمة لدى جميع المسلمين.

لُقِبَ بالصادق لأنه لم يُعرف عنه الكذب قط، ويعتبر الإمام السادس لدى الشيعة الإمامية (الإثنا عشرية والخامس عند الإسماعيلية)، وينسب إليه انتشار مدرستهم الفقهية والكلامية. ولذلك تُسمّى الشيعة الإمامية بالجعفرية أيضاً، بينما يرى أهل السنة والجماعة أن علم الإمام جعفر ومدرسته أساسٌ لكل طوائف المسلمين دون القول بإمامته بنصبٍ من الله، وروى عنه كثير من كتّاب الحديث السنة والشيعة على حدٍ سواء، وقد استطاع أن يؤسس في عصره مدرسة فقهية، فتتلمذ على يده العديد من العلماء. ومن الجدير بالذِكر أن جعفر الصادق يُعتبر واحداً من أكثر الشخصيات تبجيلاً عند أهل السنةعموما وعند أتباع الطريقة النقشبندية خصوصا .

يقال أنه من أوائل الرواد في علم الكيمياء حيث تتلمذ على يديه أبو الكيمياء جابر بن حيان.. ولا شك ان جابر بن حيان أول وأشهر كيميائي العرب كان أحد تلاميذه . كذلك فقد كان عالم فلك، ومتكلماً، وأديباً، وفيلسوفاً، وطبيباً، وفيزيائياً. ومع ذلك فهو امام في الفقه والدين .

ونشأته وشيوخه

رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة، وروى عن أبيه الامام محمد الباقر (الذي بقر العلم وبشر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) ، وروى عن عروة بن الزبير وعطاءٍ ونافع والزهري وابن المنكدر، وله أيضاً عن عبيد بن أبي رافع. وقد وُصف الصادق بأنه مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض الوجه، أزهر، له لمعان كأنه السراج، أسود الشعر،جعده أشمَّ الأنف قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً، وعلى خده خال أسود .

آلت الإمامة - بالمعنى الشيعي- إلى جعفر الصادق عندما بلغ ربيعه الرابع والثلاثين (34 سنة)، وذلك بعد أن توفي والده مسموماً (وفق بعض المصادر)، مثل كتاب الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وكان ذلك في ملك هشام بن عبد الملك، وتشير تلك المصادر إلى أن الأخير كان وراء سمّ الباقر. وتنصّ مصادر أخرى على أنَّ جعفر الصادق قال: «قال لي أبي ذات يوم في مرضه: "يا بني أدخل أناساً من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم"، فأدخلت عليه أناساً منهم فقال: "يا جعفر إذا أنا متّ فغسلني وكفني، وارفع قبري أربع أصابع، ورشّه بالماء"، فلما خرجوا قلت له: "يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته ولم ترد أن أُدخل عليك قوماً تشهدهم"، فقال: "يا

بني أردت أن لا تُنازَع، وكرهت أن يُقال أنه لم يوصِ إليه، فأردت أن تكون لك الحُجة"». ووفق المعتقد الشيعي فإن الإمام الباقر رغب من وراء هذا أن يُعلم الناس بإمامة الصادق من بعده. وفعلاً فقد قام الإمام الصادق بتغسيل والده وتكفينه على ما أوصاه، ودفنه في جنَّة البقيع إلى جانب الصحابة الذين توفوا قبله.

حياته خلال العهد الأموي

رفض الامام جعفر الثورة على هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي المتجبر الطاغية ، لانه يعرف ان اهل العراق الذين راسلوه مرارا ليقوم بالثورة سيخذلونه عند اول لقاء كما فعلوا مع جده الحسين شهيد كربلاء ومع جده الامام علي بن ابي طالب ومع الحسن رضي الله عنهم جميعا . ولما كاتب أهل العراق الامام زيد بن علي زين العابدين ليثور على هشام بن عبد الملك حذرّه الامام جعفر مرارا من خيانتهم وقال له : " يا عم قد خبرتهم فانهم سراب وسيتركونك كما تركوا جدك الامام الحسين والامام حسن والامام علي فلا تسمع لهم قولا . وقد حاولو معي قبلك فلم اجبهم " .

حياته خلال العهد العبَّاسي

ورفض الامام جعفر الثورة على ابي جعفر المنصور العباسي ونصح الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بعدم الثورة ، ولكن الامام محمد بن الحسن بايعه أهل المدينة وناصره الامام مالك وانتهت المعارك بتغلب المنصور العباسي . ولذا تفرغَّ الامام جعفر للعلم ونشره ولتهذيب النفوس ولم يكن الوقت قد حان للثورة . وفي واقع الأمر فإنَّ جعفر الصادق كان مُدركاً لعاقبة تعاطيه السياسة ، وتفرَّغ لعمله الأهم الذي يعتمد عليه قيام الدين الإسلامي في مواجهة الأفكار الدخيلة والمذاهب الفكريَّة المنحرفة عن الطريق الذي يدعو إليه الإسلام. وقد استغل الإمام جعفر انشغال أبي العبَّاس السفَّاح في بداية العهد العبَّاسي في القضاء على الفتن الصغيرة وتوطيد دعائم الدولة الجديدة، فعمل على نشر العلم والدين والمعرفة، وحضر مجالسه علماء كبار وتناقشوا في أمور الدين والدنيا، ومنهم الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس، وقد أدَّت هذه المناظرات إلى تشكيل المذاهب الإسلاميَّة الكبرى الباقية حتى العصر الحالي.

مكانته العلمية

عُرف عن الإمام الصادق اطّلاعه الواسع وعلمه الغزير، حيث شهد له بذلك الأكابر من العلماء، منهم الإمام أبو حنيفة حيث نوّه بعلم الإمام جعفر الصادق ومقدار فضله حينما سُئل: "من أفقه من رأيت؟" فأجاب قائلاً: "جعفر بن محمد، لمَّا أقدمه المنصور بعث إليَّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد، فهيّء له مسائلك الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليَّ أبو جعفر (المنصور) وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر(الصادق) جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر [الصادق]ما لم يدخلني لأبي جعفر [المنصور]، فسلمت عليه فأومأ إليّ فجلست، ثم التفتَ إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، فقال: نعم أعرفه. ثم التفتَ إليَّ فقال: ألقِ على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقي عليه ويجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخلّ منها بشيء!" ثم قال أبو حنيفة: "أليس قد روينا: أعلم الناس، أعلمهم باختلاف الناس؟!". وتتلمذ على الامام جعفر اعداد غفيرة من طلبة العلم في كل فن وعلم . وقال عنه الشيخ العلامة محمد أبو زهرة في كتابه الامام الصادق : " إن للإمام الصادق فضل السبق، وله على الأكابر فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة فحسبه ذلك فضلاً. وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيّد أهل

المدينة في عصره فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثير من التابعين، وهو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو ممن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف الإضافي بكريم النسب، والقرابة الهاشمية، والعترة المحمدية "
ويدخل في هذا السياق مناظراته العلمية والدينية التي دلّت على علمٍ جمٍ وفضلٍ غزير، فقد كان للإمام جعفر الصادق كثير من المناظرات مع العلماء وغيرهم في الدين والعلوم الإنسانية المختلفة ومنها :

- مناظرة الامام جعفر الصادق مع الملحدين ومناظرة أبي حنيفة في القياس ومناظرته مع رؤساء المعتزلة ومع طبيب هندي ، ومع الزنادقة ، ومع ابي العوجاء المتفلسف .

مذهبه ومنهجه الاجتهادي

يتشابه منهج الإمام جعفر ومنهج علماء أهل السنَّة في أمور أساسيَّة؛ فهو يعتمد على القرآن والسنَّة النبوية والإجماع ثم الاجتهاد لكن الشيعة يضيفون من عند انفسهم . الاعتقاد بالإمامة وما يترتب عليه من تقييم للصحابة وفتاواهم وأحاديثهم واجتهاداتهم بحسب مواقفهم من آل البيت. ويترتب على المفهوم الشيعي للإمامة القول بعصمة الإمام. فكانت اجتهادات الإمام غير قابلة للطعن، لأنه معصوم عن الخطأ والنسيان والمعصية؛ بل إنَّ أقواله واجتهاداته تدخل حكماً في إطار السنَّة. ولا يمكن لكل فرد أن يُدرك معاني القرآن الباطنة؛ بل هذا أمرٌ خاص بالأئمة فقط، لأن اجتهاداتهم أكثر مطابقة من غيرها لمقاصد الشريعة؛ وذلك أنَّ نوراً إلهيّاً حلَّ في النبي محمد وفي الأئمة من بعده، فاجتمع عندهم علم الشريعة بظاهرها وباطنها، هكذا يزعمون .

تلامذته

كان جعفر الصادق أحد أبرز العلماء في عصره، فإلى جانب علومه الدينيَّة، كان عالماً فذّاً في ميادين علوم دنيويَّة عديدة، مثل: الرياضيَّات، والفلسفة، وعلم الفلك، والخيمياء(alchemy) والكيمياء، وغيرها. وقد حضر مجالسه العديد من أبرز علماء عصره وتتلمذوا على يده، ومن هؤلاء أشهر كيميائي عند المسلمين أبو موسى جابر بن حيَّان المُلقب بأبي الكيمياء. كما حضر مجالسه وتلقّى من علومه اثنان من كبار الأئمة الأربعة هما الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس، وقد نقل الأخير 12 حديثاً عن جعفر الصادق في مؤلفه الشهير "الموطأ"، بالإضافة إلى واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة .

وفاته

توفي جعفر الصادق سنة 148 هـ، الموافقة لسنة 765م ، وكان آخر ما أوصى به الإمام الصادق هو الصلاة.. قال عند موته لبنيه وأهل بيته : "إن شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة".

أقوال علماء السنَّة فيه

- قال الامام مالك بن أنس إمام المالكية: «وما رأتْ عَينٌ، ولا سمعت أذنٌ، ولا خَطَر على قلب بشرٍ، أفضل من الامام جعفر بن محمّد الصادق، علماً، وعِبادة، وَوَرَعاً، ويقول في كلمة أخرى: " ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمّد فضلاً وعلماً وورعاً، وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: "إمّا صائماً، وإمّا قائماً، وإمّا ذاكراً، وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهّاد الذين يخشون ربّهم، وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد."
- قال ابن الصبّاغ المالكي: " كان جعفر الصادق ـ من بين أخوته ـ خليفةَ أبيه، ووصيَّه، والقائمَ بالإمامة بعده، برز على جماعة بالفضل؛ وكان أنبهَهُم ذِكراً، وأجلَّهُم قدراً...".
- قال حسن بن زياد: «سمعت أبا حنيفة و[قد]سُئل من أفقه من رأيت؟ فقال: " ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد " .

- قال الذهبي في معرض حديثه عن الإمام الصادق: " جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين الهاشمي أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام برّ صادق كبير الشأن وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه، وكان من جلَّة علماء المدينة، وحدَّث عنه جماعة من الأئمة، منهم أبو حنيفة ومالك وغيرهما."
- وقال النووي: «روى عنه محمّد بن إسحق، ويحيى الأنصاري، ومالك، والسفيانيان، وابن جريح، وشعبة، ويحيى القطّان، وآخرون، واتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته، قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أنه من سلالة النبيّين."
- وقال محمد الصبان: " وأمّا جعفر الصادق فكان إماماً نبيلاً. وقال: وكان مُجاب الدعوة إذا سأل الله شيئاً لا يتمّ قوله إلا وهو بين يديه" .
- قال الشيخ محمَّد بن طلحة الشافعي (ت 652 هـ): " هو من عُظماء أهل البيت، ذو علوم جَمَّة، وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيِّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه..." .

كان الامام جعفرالصادق بن محمد الباقر ، من أوسع الناس علماً، وأكثرهم اطلاعاً، حيث قال فيه الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل): "انه ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الوحدة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات. "

فهذا جابر بن حيّان الطرطوسي من أشهر تلامذة الامام (ع) في الكيمياء حيث يسجل تقريرات الامام (ع) في خمسمائة رسالة وفي ألف ورقة (الفهرست 450 - 498)؛ وهذا اسماعيل بن مهران بن أبي نصر السكوني؛ وهذا أبو جعفر أحمد بن خالد البرقي؛ وهذا أحمد بن الحسين بن أبي الحسن الفلكي الطوسي، وهذا أبو النضر محمد بن مسعود العياشي التميمي؛ وهذا أبو على الحسن بن فضال وغيرهم من أصحاب الامام جعفر الصادق (عليه السلام)، لكل منهم تأليفات وتدوينات عديدة في الحديث والطب والفلك والكيمياء والفيزياء والجغرافيا.

وقد جمع بعض علماء الشيعة شيئاً كثيراً من آراء الأئمة عليهم السلام في الطب وسموه (طب الأئمة). ويروي العلامة المجلسي الكثير عن هذا الكتاب في كتابه (بحار الأنوار)، وكذلك الشيخ الحرّ العاملي في (وسائل الشيعة) .

وقد خصص الإمام الصادق (عليه السلام) في ما القاه على المفضّل بن عمر الجعفي فصلاً تحدّث فيه عن الطبائع وفوائد الأدوية وتشريح الجسم ومعرفة وظائف الأعضاء .

كما أن الامام الصادق كان على علم بخواص الأشياء منفردة ومركّبة، وأنه درّس علم الكيمياء في مدرسته قبل اثني عشر قرناً ونصف قرن من وصول المنظرين اليه . واشهر اصحابه وتلامذته في هذا العلم جابر بن حيان وهشام بن الحكم المتوفي حوالي سنة (199 للهجرة) . . . وله نظرية في جسمية الأعراض كاللون والطعم والرائحة . . . . وقد أخذ ابراهيم بن سيّار النظّام المعتزلي هذه النظرية لمّا تتلمذ على يد هشام (ابن خلكان في أحوال الصادق 1: 150) .

ووقف الامام الصادق قبل غيره بل وأكثر منهم في علم الفلك والنجوم، وله آراء ونظريات في دوران الكرة الأرضية وحركتها، وفي مقدار اشعة النجوم، وحركة الضوء.

وكان من تأثير توجيهاته (ع) وارشاداته في علوم الهيئة والفلك أن اهتم تلامذته بهذه العلوم، واشتغلوا بالأرصاد والأزياج والتقاويم والتنجيم والاختبارات وغير ذلك من فروع علم الفلك من أقدم الأزمنة.

فكان ابو اسحاق ابراهيم حبيب الفزاري المتوفى عام (161 هـ - 777م)، وهو من أصحاب الإمامين الصادق وموسى بن جعفر ، أول من عمل الاصطرلاب (مرآة النجوم) في الاسلام. وأول من ألف فيه؛ وله في ذلك كتابي "العمل بالاصطرلابات ذوات الحلق"، و"العمل بالاصطرلاب السطح"(الإمام الصادق ملهم الكيمياء: 156 محمد يحيى الهاشمي) .

وسبق الامام جعفر بن محمد (ع) عصر العلم والاكتشافات الحديثة ، بذهابه الى أن الهواء مركّب من عناصر مختلفة؛ والواقع أن أبرز العلماء والفلاسفة منذ أيام "أرسطو" والى القرن الثامن عشر للميلاد الذي يعدّ قرن التقدّم والازدهار في ميادين العلوم، لم يكتشفوا أن الهواء ليس من العناصر البسيطة، ولم يقل أحد بهذا الــرأي حتى جاء العـــالم الفرنسي "لافوازيــيه"(أبو الكيمياء الحديثة الذي اعدم عام 1794 بالمقصلة في الثورة الفرنسية) فحلل الهواء، وأستخرج منه الأوكسجين، وبرهن على أثره الحيوي الفعّال في التنفس وفي حياة الإنسان وفي عمليات الاحتراق؛ فأقبل جمهور العلماء والباحثين على رأي "لافوازييه" باهتمام، وسلّموا بأن الهواء مركب من عناصر مختلفة.

وكان الامام جعفر بن محمد (ع) أول من فنَّد القول بأن هناك عناصر أربعة (أصل الكون)، وهي: التراب، والماء، والهواء، والنار، فقوض(ع) نظرية علماء ومفكري اليونان والتي أستمرت لألفي عام؛ فأبدى الامام الصادق (ع) استغرابه لأن أرسطو لم ينتبه إلى أن العناصر الأربعة ومنها التراب ليست عناصر بسيطة غير قابلة للتجزئة، وقال: إن التراب مركب من أجزاء وعناصر كثيرة، منها الحديد وهو بدوره مركب من أجزاء كل جزء منها يعتبر عنصراً مستقلاً.
كما قال (ع) أن الهواء بدوره ليس عنصراً بسيطاً، بل هو مركب من أجزاء وعناصر شتى ، وذلك خلافاً لما كان يعتقده أرسطو ايضاً.

طب الصادق

لم يكن الإمام الصادق طبيباً ولكنه نصح بعض المرضى من تلاميذه بالادوية الروحية والمادية فشفاهم الله باتباع نصائحه . وكان يتخذ من العلوم الكونية سبباً للرد بها على الطبيعيين والدهريين، وينتزع منها الحجج والبراهين ويقيم الأدلة على قدرة الخالق وعلى إثبات واجب الوجود . وقد وجد في الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، وفي الكائنات الحية من نبات وحيوان ميداناً واسعاً وحقلاً خصباً في مناظرة الملحدين من الحكماء والفلاسفة والمتطببين ، فكان يناظرهم ويباحثهم ويلقي عليهم محاضرات علمية يعجزون عن تفنيدها أو دحضها أو مناقشتها وينسحبون من بين يديه وهم يجرّون أذيال الخيبة والفشل.

قال في مقدمة أماليه على المفضل بن عمر:

((أن الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة ، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب فيما ذرأ الباري جلّ قدسه وبرأ من صنوف خلقه ، في البر والبحر والسهل والوعر ، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود ، وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود . حتى أنكروا خلق الأشياء ، وادعوا أن تكوّنها بالإهمال ، لا صنعة فيها ولا تقدير، ولا حكمة من مدبّر ولا صانع ، تعالى الله عما يصفون وقاتلهم الله أنى يؤفكون . . . . فإنهم لما غربت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء ، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته . وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه والأرب فيه ، فيسرع إلى ذمه ، ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المانوية الكفرة ، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضلال المعلّلين أنفسهم بالمحال ، فيحقَّ على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها أن يكثِر حمد الله مولاه على ذلك ، ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فانه جلّ اسمه يقول: (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ))).

وكتب المفضل بن عمر الجعفي إلى أبي عبد الله يعلمه أن أقواماً ظهروا من أهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ، ويسأله أن يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم .

فكتب أبو عبد الله الصادق :

((بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد وفقنا الله وإياك لطاعته وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته ، وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبية قد كثرت عدّتهم واشتدّت خصومتهم وتسأل أن أصنع للردّ عليهم والنقض لما في أيديهم كتاباً على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف. . . ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة فكان من نعمه العظام وآلاءه الجسام التي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيته ، وأخذه ميثاقهم بمعرفته ، وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور. ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة إلى من سواه واستغنى عنهم ، وكان الله غنياً حميداً . ولعمري ما أتى الجهال من قبل ربهم وأنهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البيّنات في خلقهم وما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض ، والصنع العجب المتيّقن الدال على الصانع ، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي وسهلوا لها سبيل الشهوات ، فغلبت الأهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم ، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين . والعجب من مخلوق يزعم إن الله يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله وتأليف يبطل حجته . ولعمري لو تفكروا في هذه الأمور العظام لعاينوا من أمر التركيب البيّن ولطف التدبير الظاهر ووجود الأشياء مخلوقة بعد إذ لم تكن ثم تحولها من طبيعة إلى طبيعة وصنيعة بعد صنيعة ما يدّلهم ذلك على الصانع فإنه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أن له خالقاً مدبراً وتأليف بتدبير يهدي واحد حكيم)).

ومضات من طب الأمام الصادق في العلم الحديث

الابتعاد عن كثرة الطعام

وهو أمر قد ذكرته الاحاديث النبوية وأجمع عليه الاطباء في كل زمان ومكان .

وقال (ع) : " لو استقام الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم " .

يالها من حكمة علمية بليغة ونصيحة طبية غاية في الاهمية فقد أثبتت الدراسات الطبية العلمية إن الافراط في الطعام (التخمة) ظاهرة خطيرة جداً على الصحة العامة وتتجلى أثارها السلبية بصورتين محتملتين الاولى منهما من الممكن حدوثها أثناء او بعد الأنتهاء من الاكل مباشرة وتتمثل بصعوبة التنفس وضيق بالنفس وتتأتى نتيجة إمتلاء البطن بالطعام الكثير المصحوب بأرتفاع الحجاب الحاجز والذي بدوره يحدد ويعيق حرية وإنسيابية عملية التنفس(الشهيق والزفير) , كما وإن صعود الحجاب الحاجز ولو بنسبة قليلة يؤدي إلى تغيير محور القلب والذي بدوره يؤدي إلى تغيير كهربائيةالقلب والذي ينتج عنه إضطراب تنظيم ضربات القلب وما يتبعه من خفقان وألام في الصدر . أما الصورة المحتملة الثانية فهي أثار سلبية على المدى البعيد والمتمثلة بما يتبع الأفراط في الأكل من زيادة في الوزن(البدانة) وما ينجم عنها من أمراض خطيرة كأمراض القلب والشرايين وأرتفاع الضغط الدموي ومضاعفاته والأصابة بداء السكري وألام المفاصل والتأثيرات النفسية والكثير غيرها .

ومن أقوال الأمام الصادق (ع) :

- الوضوء قبل الطعام سنة . (والمقصود بالوضوء غسل اليدين وقد ورد في ذلك حديث نبوي وفيه الوضوء قبل الطعام وبعده)
- غسل الأناء وكسح الفناء مجلبة للرزق . (وقد وردت أحاديث نبوية" نظفوا أفنائكم ولا تشبهوا بيهود ")
- من سعادة المرء حسن مجلسه وسعة فنائه ونظافة متوضاه.

من الحكم أعلاه يتضح بجلاء تأكيد الأمام على النظافة العامة والخاصة للفرد أي بمعنى اوضح نظافة بدنه وملبسه ومسكنه ومأكله . ومعلوم لدى الجميع مدى أهمية ذلك إذ إن الألتزام بالشروط والأرشادات الصحية المتعلقة بالنظافة يقينا الكثير من الأصابة بالأمراض الأنتقالية المعدية كالتفوئيد والدزنتريا وحالات التسمم الغذائي الشائعة وبتاكيده على سعة الفناء أي بمعنى المساحة الواسعة والكافية لمكان المعيشة يذكرنا بأهم الوسائل الوقائية لتفادي الأصابة بالأمراض النفسية وفي مقدمتها الأكتئاب .

قال(ع) : " إن أحب الأصباغ إلى رسول الله الخل والزيت " والمقصود بالصبغ الادام وقد ورد في التنزيل عن الزيتون وزيته (وصبغ للآكلين) . ووردت احاديث نبوية كثيرة في الزيتون وزيته . كما وردت أحاديث نبوية في الخل وفوائده (نعم الادام الخل) .

أثبتت البحوث الطبية ما للخل وخصوصاً خل التفاح من تأثيرات فعالة لأذابة الدهون الثقيلة . وله خاصية هامة ألا وهي كونه مطهرا ومعقما قاتلا للجراثيم والفطريات . أما الزيت ففوائده متعددة وإنه لا ضرر فيه مقارنة مع باقي الشحوم .

وقال(ع) : " من أكل لقمة من شحم (يقصد زيت الزيتون) أنزلت مثلها من الداء " . وفوائد الزيتون لا حصر لها وفيها مؤلفات عديدة .

سأل أحدهم الأمام (ع) ما هو الماء ؟ فأجاب هوطعم الحياة .

إنه لجواب بليغ شمل بين طياته كل المعاني إذ إن الماء يدخل في تركيب أكثر من 70%من أجسام الكائنات الحية وبالذات الأنسان الذي يبدا حياته مع الماء ولاغنى له عنه حتى موته .

وقال(ع) : " لو جعل الله في شئ شفاء أكثر من الشعير لما جعله غذاء الأنبياء " .
وقد وردت أحاديث كثيرة عن التلبينة وفوائدها من الشعير والحليب .
إن للشعير فوائد جمة لا يسع المجال لسردها بالتفصيل ولكن أهمها لا للحصر إن الشعير قليل السعرات الحرارية فهو بذلك نافع لمرضى داء السكري وللمصابين بالبدانة , كما إن إحتوائه على نسبة عالية من مجموعة فيتامين (ب) والمفيدة لسلامة الاعصاب المحيطية يجعله العلاج الفعال للوقاية من الكثير من تلك الأمراض . إن الشعير الغني بالنخالة والألياف غذاء فعال ومفيد ومساعد على تليين الفضلات الغذائية وبالتالي الوقاية من الأصابة بالأمساك الذي يعد من اهم أسباب الأصابة بالبواسير .

وأخيراً قوله(ع) :

- **السواك** من سنن الأنبياء . وقد جمع العلماء أكثر من مائة حديث نبوي في السواك وفوائده وفضله .

- تخللوا على أثر الطعام فإنه مصحة للفم والنواجذ

والسواك هو قطع صغيرة من أغصان شجر الأورك ذات الطعم والنكهة الزكية وقد أثبت العلم الحديث لما للسواك من أهمية في تطييب رائحة الفم وتبييض الأسنان وتنظيف اللثة وتقويتها كما إنه يسكن ألام الأسنان ويطهر تجويف الفم من الميكروبات والسواك أيضاً مجلاة للبصر ومقوي للذاكرة . وهناك كتب عدة في فوائد السواك . منها كتاب"السواك" للدكتور محمد علي البار .

وتأمل قوله حيث يقول:
فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن ومافيه من التدبير ، فان الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينهما قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء . فينكأها وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم أن الكبد تقبله فيستحيل فيها بلطف التدبير دما فينفذ في البدن كله في مجار مهيأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء حتى يطرد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مغايض أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، وما كان من جنس البلة والرطوبة جرى إلى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها واعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول ، لئلا تنشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير (إنتهى) .

وفي هذا الكلام معلومات فسيولوجية بها كثير من الاخطاء الطبية ، وهي لا شك مرتبطة بمعلومات الاطباء زمن الامام جعفر (ع) ، مثل قوله (وما كان من حبس البلة والرطوبة جرى الى المثانة)وقصده ان ذلك من الكبد وهو غير صحيح بل هناك اوعية دموية خاصة بالكلى ومنها يرشح البول ثم ينزل الى المثانة ولا تثريب على الامام جعفر في هذه المعلومات الطبية الخاطئة ، فهي معلومات عصره ولا بد ان يكون فيها أخطاء فهو لا يعلم الغيب وليس بمعصوم .

[[كيفية السماع والأبصار]] في طب الامام الصادق(ع)

لقد ثبت في علم كيفية السماع : ان بين منبع الصوت والاذن السامعة توجد على الدوام مسافة ، ولأجل أن يدرك الصوت يحتاج إلى أن يكون بينهما وسط ذو مرونة وهذا الوسط المرن هو الهواء بوجه عام ، فاذا لم يكن هذا الوسط المرن بين السمع والمسموع لم يدرك الصوت ، ولذلك فلا يسمع صوت في الخلاء (أي الموضع الخالي من الهواء) البتة.

كما أجمعوا أيضا : على أن المرئيات مطلقا لا ترى مالم يشع عليها ضوء خارج عنها كضوء الشمس أو نور المصباح أو نور النجوم وأشباهها ، فان هذه الأشعة المنعكسة من أي مرئى كانت تدخل في العين من القرنية الشفافة وتمر بالحدقة بالبؤبؤ ثم تسقط على الشبكية وترسم عليها صورة المرئى.

إذن فلا سماع إلا بالهواء ولا رؤية إلا بالضياء حسب العلم الحديث ، وهذا القول الناتج بعد البحث والتنقيب جاء مطابقا لقول الامام الصادق «ع» وذلك حيث يقول:
أنظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرف بها على غيره (إلى أن يقول) فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات. فخلق البصر ليدرك الألوان ، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة ، وخلق السمع ليدرك الأصوات ، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أرب ، وكذلك ساير الحواس ، ثم هذا يرجع متكافئاً فلو كان بصر ولم تكن ألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع ، فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضاً فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ، ولكل محسوس حاسة تدركه ، ومع ذلك فقد جعلت

أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لايتم الحس إلا بها ، كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت الخ.

العدوى

قال الامام جعفر بن محمد الصادق «ع»: لا يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع وفي لفظ آخر قدر رمح. وهذا مبني على الاحاديث النبوية الصحيحة في العدوى " لا يورد ممرض على مصح " وحديث " فر من المجزوم فرارك من الاسد " .

وقد اثبتت الاحاديث النبوية العدوى بقدر الله سبحانه وتعالى وفي نفس الوقت نفت ما يزعمه أهل الجاهلية القديمة والحديثة من حدوث العدوى بذاتها وقد شرحت ذلك شرحا مفصلا في كتابي العدوى بين الطب وحديث المصطفى . كما شرحت ما جاء في الطاعون عند الحديث عن الكتب الواردة في الطاعون (لابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهما في آخر هذا الكتاب) .

وقد جاء في كتاب طب الامام الصادق (ع) بقلم محمد الخليلي عن الاعتدال في الطعام والمحافظة على الصحة ما يلي :

ذكر الكتاب المجيد كل أسس الطب ودعائم الصحة في آيه واحدة ترجع إليها خلاصة أفكار الفلاسفة والحكماء طيلة قرون عدة ، وتقف عندها تجارب العلماء والأطباء حتى هذا العصر عصر العلم والإختراع وهي قوله عز وجل : { يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لايحب المسرفين} [الاعراف 29] .

فان كافة الأطباء قد أجمعوا بعد التحقيق العلمي المستمر والتجارب المتعاقبة على أن مدار صحة الأجسام ودعامة سلامتها هو الاعتدال في الطعام ، وإن هذا الاعتدال إذا ما تعدى إلى الافراط أو الاسراف أصبح وبالأ على البدن وفتح بابا واسعاً للفتك بالأجسام والنفوس ، وما هذا النتاج العلمي الذي يفخر به الطب في تقدمه إلا مؤدى هذه الكلمات الثلاث ـ كلوا ـ واشربوا ـ ولاتسرفوا حيث جمعت في طيها جميع أسس حفظ الصحة وخلاصة نواميسه .

أما النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله فقد وردت عنه من التعاليم والارشادات الصحية ما تنوف حد الحصر ، وكلها أصول ترتكز عليها قواعد هذا العلم وتدعم بها أركانه مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم مشيراً إلى أعظم نقطة يتطلبها علماء هذا الفن في أبحاثهم وهي ـ النظافة والرياضة العقلية والبدنية حيث يقول : بئس العبد القاذورة . وقوله :" نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود " وقوله : كل لهو باطل إلا ثلاث : تأديبه الفرس ، ورميه عن قوسه ، وملاعبته إمرأته فانه حق .
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
" روحوا القلوب ساعة بعد ساعة " .

كما كان صلى الله عليه وآله يقول وهو حديث مشهور : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ماعود .

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم : تداووا فما أنزل الله داء إلا أنزل معه الدواء إلا السام فانه لا دواء له .
وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم .
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : في الحمى : اطفئوا حماكم بالماء .
وكان صلى الله عليه وآله وسلم : إذا وعك دعا بماء فأدخل فيه يده .

أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فينم عن إعتنائه البالغ بهذا الشأن قوله المشهور : العلم علمان : علم الابدان وعلم الاديان . (وهو قول مروي عن الامام الشافعي أيضا) .

وقوله : العلم ثلاثة ، الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان . وله عليه السلام كلمات قيمة في جوامع علم الأبدان كقوله : اكسروا حرارة الحمى بالبنفسج والماء البارد وقوله (ع) : لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء .

وقوله لابنه الحسن عليهما السلام : يا بني ألا أعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب ، فقال «ع» : بلى ، قال لاتجلس على الطعام إلا وأنت جائع ، ولا تقم عن الطعام إلا وأنت تشتهيه ، وجود المضغ ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء ، فاذا استعملت هذه إستغنيت عن الطب.

مناظرة الإمام جعفرمع الطبيب الهندي

قالوا :حضر أبوعبد الله (ع) مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ عليه كتب الطب ، فجعل أبوعبد الله »ع« ينصت لقراءته ، فلما فرغ الهندي قال له : يا أبا عبدالله ، أتريد مما معي شيئاً ؟ قال : لا فان معي خير مما معك ، قال وما هو ؟ قال (ع) أدواي الحار بالبارد والبارد بالحار والرطب باليابس واليابس بالرطب (هذا هو الطب اليوناني وهو ما يعرف بالتداوي بالضد (Allopathy) وأضاف اليه الامام الصادق أمرا اخر وهو التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى حيث قال : " وأردّ الأمر كله إلى الله عز وجل وأستعمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " وأعلم أن المعدة بيت الداء وأن الحمية رأس كل دواء واعط البدن ما اعتاده ، فقال الهندي : وهل الطب إلا هذا ؟ فقال الصادق (ع) أتراني من كتب الطب أخذت ؟ قال نعم ، قال »ع« : لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه (أي من القرآن) ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (أي من السنة) فاخبرني : أنا أعلم بالطب أم أنت ؟ قال الهندي بل أنا ، قال الصادق (ع) فأسألك شيئاً ، قال سل ، قال الصادق عليه السلام أخبرني يا هندي :

لم كان في الرأس شؤون (المقصود بذلك الدروز التي في عظام الجمجمة Sutures) ؟ قال لا أعلم .

فلم جعل الشعر عليه من فوق ؟ قال لا أعلم .

فلم خلت الجبهة من الشعر ؟ قال لا أعلم .

قال عليه السلام :

فلم كان لها تخطيط وأسارير ؟ قال لا أعلم .

فلم كان الحاجبان فوق العينين ؟ قال لا أعلم .

فلم جعلت العينان كاللوزتين ؟ قال لا أعلم .

فلم جعل الأنف فيما بينهما ؟ قال لا أعلم .

فلم ثقب الأنف من اسفله ؟ قال لا أعلم

فلم جعلت الشفة والشارب فوق الفم ؟ قال لا أعلم .

فلم أحدَّ السن وعرَّض الضرس وأطال الناب ؟ قال لا أعلم .

فلم جعلت اللحية للرجال ؟ قال لا أعلم .

فلم خلت الكفان من الشعر ؟ قال لا أعلم .

فلم خلا الظفر والشعر من الحياة ؟ قال لا أعلم .

فلم كان القلب كحب الصنوبر ؟ قال لا أعلم .

فلم كانت الرئه قطعتان وجعلت حركتهما في موضعهما ؟ قال لا أعلم .

فلم كانت الكبد حدباء ؟ قال لا أعلم .

فلم كانت الكلية كحب اللوبياء ؟ قال لا أعلم .

فلم جعل طي الركبة إلى الخلف ؟ قال لا أعلم .

فلم تخصّرت القدم ؟ قال لا أعلم .

قال الصادق(ع) : لكني أعلم . قال الهندي : فأجب .
قال الصادق(ع) : كان في الرأس شؤون(أي دروز sutures بين عظام الجمجمة) لأن المجوف إذا كان بلا فصل اسرع إليه الصداع فاذا جعل ذا فصول [شؤون] كان الصداع منه أبعد .
وجعل الشعر من فوقه ليوصل الأدهان إلى الدماغ ويخرج بأطرافه البخار منه ، ويرد الحر والبرد عنه .
وخلت الجبهة من الشعر لأنها مصب النور إلى العينين .
وجعل فيهما التخطيط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس إلى العين قدر ما يحيطه الانسان عن نفسه كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه .
وجعل الحاجبان من فوق العينين ليردا عليهما من النور قدر الكفاية ، ألا ترى يا هندي أن من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليهما قدر الكفاية منه .
وجعل الأنف بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء .
وكانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء ، ولو كانت مربعة أو مدورة ما جرى فيها الميل ولا وصل اليها دواء ولا خرج منها داء .
وجعل ثقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ وتصعد فيه الروائح إلى المشام ، ولو كان في أعلاه لما نزل منه داء ولا وجد رائحة .
وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لأن لا يتعفن على الانسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه .
وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الأنثى .
وجعل السن حاداً لأن به يقع العض .
وجعل الضرس عريضاً لأن به يقع الطحن والمضغ .
وكان الناب طويلاً ليسند الأضراس والأسنان كالاسطوانة في البناء .
وخلا الكفان من الشعر لان بهما يقع اللمس فلو كان فيهما شعر مادرى الانسان مايقابله ويلمسه .
وخلا الشعر والظفر من الحياة لأن طولهما سمج يقبح وقصهما حسن فلو كان فيهما حياةلألم الانسان قصهما.
وكان القلب كحب الصنوبر لأنه منكس فجعل رأسه دقيقاً ليدخل في الرئة فيتروح عنه ببردها ولئلا يشيط الدماغ بحره .
وجعلت الرئة قطعتين ليدخل القلب بين مضاغطها فيتروح بحركتها .
وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة وتقع جميعها عليها فتعصرها ليخرج ما فيها من بخار .
وجعلت الكلية كحب اللوبياء لأن عليها مصب المنى نقطة بعد نقطة فلو كانت مربعة أو مدورة لأحتسبت النقطة الأولى إلى الثانية فلا يلتذ بخروجها إذا المنى ينزل من فقار الظهر إلى الكلية وهي تنقبض وتنبسط وترميه أولاً فأولاً إلى المثانية كالبندقة من القوس .
وجعل طي الركبة إلى خلف لأن الانسان يمشي إلى مابين يديه فتعتدل الحركات ولولا ذلك لسقط في المشي .
وجعلت القدم متخصرة لأن المشي إذا وقع على الأرض جميعه ثقل ثقل حجر الرحى .
فقال الهندي : من أين لك هذا العلم ؟ قال عليه السلام : أخذته عن آبائي عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل (ع) عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد والأرواح .
فقال الهندي : صدقت وأنا أشهد أن لا إله ألا الله وأن محمداً رسول الله وعبده وأنك اعلم اهل زمانك (إنتهى).
وهذا الكلام فيه أخطاء طبية مثل قوله وجعلت الكلية كحب اللوبياء لان عليها مصب المني نقطة بعد نقطة ... الخ وقوله عن القلب انه يتروح بالرئتين ولئلا يشيط الدماغ بحرّة .. فهذه الاقوال غير صحيحة رغم أنها وردت في الطب اليوناني في زمنه .

سؤال النصراني منه عن تعداد عظام الانسان

في المناقب لابن شهراشوب : عن سالم بن الضرير أن نصرانياً سأل الصادق «ع «عن أسرار الطب ، ثم سأله عن تفصيل الجسم فقال «ع» : ان الله خلق الانسان على إثنى عشر وصلاً ، وعلى مائتين وثمانية وأربعين

عظماً وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً فالعروق هي التي تسقي الجسد كله ، والعظام تمسكه واللحم يمسك العظام ، والعصب يمسك اللحم ، وجعل في يديه إثنين وثمانين عظماً في كل يد واحد وأربعين عظما منها في كفه خمسة وثلاثون عظما وفي ساعده إثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة فذلك واحد وأربعون وكذلك في الأخرى ، وفي رجله ثلاثة وأربعون عظماً منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه إثنان وفي ركبته ثلاثة وفي فخذه واحد وفي وركه إثنان (في كل ورك ثلاثة عظام متصلة) وكذلك في الأخرى (ذكر الامام أن في العنق ثمان فقرات وهو صواب وفي الصلب 18 والواقع أنها اكثر من ذلك فهناك 12 فقرة في الظهر و5 في القطن و 5 متصلة في العجز وظنها الامام واحدة و3-5 متصلة في العصعص وهي لم ينتبه لها الامام) . وفي صلبه ثماني عشر فقارة وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع (والواقع أنها اثنا عشر ضلعا من كل جانب) . وهذه الاخطاء ناتجة عن أقوال أطباء اليونان مثل بقراط وجالينوس وغيرهما . ولا تثريب على الامام جعفر في عدم علمه الكامل بالتشريح ، فهو أولا لم يدرس الطب ، ثم ان هذه هي معلومات عصره . وفي وقصته (عنقه) ثمانية ، وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً ، وفي فمه ثماني وعشرون أو إثنان وثلاثون عظماً (سنا) .

قال الخليلي : المراد بالوصل هو الأعضاء العظمية المتصلة ببعضها وهي إثنا عشر . الرأس والعنق والعضدان والساعدان والفخذان والساقان وأضلاع اليمين وأضلاع اليسار.

بعض وصفاته الطبية

الصداع

عن سالم بن إبراهيم عن الديلمي عن داود الرقي قال : حضرت أبا عبدالله الصادق عليه السلام وقد جاء خراساني حاج ، فدخل عليه وسلم وسأله عن شيء من أمر الدين ، فجعل الصادق (ع) يفسره له ، ثم قال له : يا بن رسول الله مازلت شاكياً منذ خرجت من منزلي من وجع الرأس . فقال له (ع): قم من ساعتك هذه فادخل الحمام ولا تبتدأن بشيء حتى تصب على رأسك سبعة أكف ماء حار وسم الله تعالى في كل مرة فانك لا تشتكي بعد ذلك منه أبداً ففعل ذلك وبريء من ساعته .

الزكام

شكا إليه بعض أصحابه الزكام ، فقال(ع): صنع من صنع الله ، وجند من جنوده بعثه إلى علتك ليقلعها ، فاذا أردت قلعه فعليك بوزن دانق شونيز(حبة سوداء) ونصف دانق كندس (الكندس والكندر هو اللبان) يدق وينفخ في الانف ، فانه يذهب بالزكام ، وإذا أمكنك أن لا تعالجه بشيء فافعل فان فيه منافع كثيرة . ومن منافع الزكام أنه يمنع الجذام كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أن ميكروب الجذام يدخل عن طريق الانف فإذا سال الانف منع دخوله وبقائه .

مداواة ضعف البصر

شكا بعض أصحابه فتاة له ضعف بصرها ، فقال له (ع): اكحلها بالمر والصبر والكافور أجزاء سواء قال ! فكحلتها فانتفعت به .

قال الخليلي : " أقول : إن ضعف البصر في مثل عمر الفتاة لم يحصل عن ضعف الاعصاب أو قلة النور وإنما يحدث غالباً عن كثرة أمراض العين من رمد أو إلتهابات أو تراخوما أو أشباه ذلك وهذه العوارض ترتفع غالباً بالصبر والمر إذا كان الضعف عن كثرة النزلات والرمد وبالكافور إذا كانت إلتهابات فاذا اجتمعت كحلاً تنفع من الجميع ".

بياض العين (المقصود ها هنا الظفرة Ptyrigium)

في طب الأئمة : شكا إلى أبي عبدالله (ع) رجل بياضاً في عينيه فأمره أن يأخذ فلفلاً أبيض ودار فلفل من كل واحد درهمين ونشادر صافي جيد وزن درهم ، فيسحقها كلها ثم ينخلها ويكتحل بها في كل عين ثلاث مراود وإن يصبر عليها ساعة فانه يقطع البياض وينقي لحم العين ، ويسكن الوجع باذن الله تعالى ثم يغسل عينيه بالماء ثم يتبعه بالأثمد إكتحالا .

قال الخليل في كتابه " طب الامام الصادق :

وجع البطن وإسهالها

وجاءه رجل فقال له : يابن رسول الله : إن إبنتي ذبلت ، وبها البطن ، فقال له (ع) : وما يمنعك من الأرز مع الشحم ، ثم علمه طريقة طبخه ففعل ذلك كما أمره فشفيت إبنته به .
قال الخليلي : معلوم طباً أن الأرز يقبض المعدة يطبخ دون تصفية ويخلط معه الشحم دون تذويب فان السمن مطلقاً وخاصة سمن اللحوم يزيد في الأسهال ولا كذلك الشحم غير المذاب .

الاسهال

عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : مرضت بالمدينة واطلق بطني ، فقال لي أبوعبدالله (ع) وأمرني أن أخذ سويق الجاورس(هو الذرة وطحينها مع العسل) واشربه بماء الكمون ففعلت فامسك بطني .

قراقر البطن مع الألم

شكا ذريح قراقر في بطنه إليه (ع) فقال له : أتوجعك ؟ قال : نعم فقال له ما يمنعك من الحبة السوداء والعسل ، فاستعمله فنفعه .
قال الخليلي : ويكون الاستعمال الحبة مع العسل هو أن تدق الحبة دقاً ناعماً ثم تمزج مع العسل جيداً ، ثم تستعمل يوميا ثلاث مرات صبحا وعصراً وليلاً قدر البندقة .

الرياح الموجعة

كتب جابر بن حسان إلى أبي عبد الله «ع» فقال : يابن رسول الله ، منعتني ريح شابكة شبكت بين قرني إلى قدمي ، فادع الله لي . فدعا له وكتب إليه : عليك بسعوط العنبر والزئبق ، تعافى إن شاء الله . ففعل ذلك فعوفي .
قال الخليلي : ليس المراد من الرياح الموجعة هي الرياح الهوائية التي إذا دخلت البدن اماتت (كما زعم بعضهم) ولكنها الغازات المتجمعة داخل البدن فهي إذا اشتدت وكثرت ولم تجد مخرجاً أوجعت بضغطها وقد توجب الورم باجتماعها ثم أقلقت بالحريق والحكة . فأمره الامام (ع) باستعمال هذا السعوط ليسبب في البدن ولاسيما في الأعصاب الدماغية هزة وارتجاجاً فتنفتح المسام وتتحرك الغازات فتخرج إلى الخارج فيستريح المريض ـ وهكذا فعل فشفي .

ضعف البدن

قال له رجل : اني أجد الضعف في بدني . فقال له(ع) : عليك باللبن (الحليب) فانه ينبت اللحم ويشد العظم ، فقال له آخر: أني أكلت لبناً فضرني . فقال له (ع) ما ضرك اللبن ولكنك أكلته مع غيره فضرك الذي أكلته معه فظننت أن ذلك من اللبن .
قال الخليلي: المراد من اللبن هنا في قول الامام هو الحليب ، وإن الحليب غذاء كامل حاو لجميع الفيتامينات التي يحتاجها البدن ، لذلك فهو يوافق اكثر الأمزجة . ومن منافع المداومة عليه هي أن يسمن البدن ويقوي القلب والدماغ والنخاع ويفيد الباه مضافاً إلى إصلاحه الصدر وتسكينه للسعال فهو غذاء ودواء لضعف البدن لاسيما إذا كان الضعف من الحرارة أو من أثر السمومات الغذائية وعلى الأخص في دور نقاهة المرضى عموماً .

حمى الربع

عن عبدالله بن بسطام عن كامل عن محمد بن إبراهيم الجعفي عن أبيه ، قال : " دخلت على أبي عبد الله الصادق (ع) فقال لي : مالي أراك شاحب الوجه ؟ قلت إن بي حمى الربع يا سيدي ، فقال عليه السلام : أين أنت عن المبارك الطيب إسحق السكر ، ثم خذه بالماء واشربه على الريق عند الحاجة إلى الماء ، قال : ففعلت ذلك ، فما عادت الحمى بعد .
قال الخليلي : حمى الربع هي حمى الملاريا وهي على الأغلب تحدث الشحوب والضعف العام ، وقد وصف له الإمام شرب السكر مع الماء على الريق ومراده السكر الطبيعي لا الصناعي الخالي من كل فيتامين يفيد البدن مثل سكر القصب والسكر الأحمر ومثل العسل الذي جعل الله تعالى فيه الشفاء من كثير من الأدواء كما صرح في القرآن الحكيم ، أما السكر الطبيعي فهو موجود في أكثر الفواكه كالعنب والتمر وأمثالهما مما هي معروفة بايجاد النشاط والقوة والدم الصافي ، فاذا قوى البدن قاوم الحمى حتى ترتفع ، وهكذا فعل المستوصف وشفى .

المبطون من الألم (المبطون من أصابه داء البطن ويقصدون به في الغالب الاسهال والمغص مثلما يحدث في الزحار)

عن خالد بن بخيج قال : شكوت إلى أبي عبد الله (ع) وجع بطني ، فقال لي : خذ الارز فاغسله ثم رضه وخذ منه قدر راحة (راحة اليد) في كل غذاء ثم قال : أطعموا المبطون خبز الارز ، فما دخل جوف مبطون شيء أنفع منه ، أما أنه يدبغ المعدة ويسل الداء سلاً .

الوضح والبهق (Vitiligo) وهو بقع بيضاء في الجلد غير معدية

شكا رجل ذلك إلى أبي عبد الله (ع) فقال له : إدخل الحمام وخذ معك الحنا بالنورة وأطلِ بهما ، فانك لا تعاني بعد ذلك شيئاً ، قال فوالله ما فعلت ذلك غير مرة واحدة ، حتى عافاني الله تعالى .

البلغم الكثير

قال (ع) : خذ جزء من علك الرومي وجزء من الكندر وجزء من الصعتر وجزء من النانخواه وجزء من الشونيز ، ودق كل واحد على حدة دقاً ناعماً ثم ينخل ويعجن بالعسل ، ويؤخذ منه كل ليلة قدر البندقة ، فانه نافع إنشاء الله .

شدة البول

عن الفضل قال : شكوت إلى أبي عبد الله ، إني ألقي من البول شدة ، فقال «ع» : خذ من الشونيز آخر الليل فأخذت منه مراراً فعوفيت .

قلة الولد

شكا عمر بن حسنة الجمال إليه قلة الولد ، فقال له (ع) إستغفر الله وكل البيض والبصل . وعنه من عدم الولد فليأكل البيض وليكثر من الاستغفار .

وقد وردت أدوية لكثير من الامراض عن الامام جعفر ومنها أدوية للامراض التالية :

السعال و السل و وجع الحلق و الزكام والارياح ووجع المثانة والحصاة وأوجاع المفاصل وسلس البول والاسهال وعرق النسا والجروح والقروح الجدري وجع البطن والبواسير وطغيان البلغم واليبوسة ووجع الظهر وكثرة العطش والسموم والوباء .

ومن تلك الادوية التي وصفها الامام جعفر ومنها :

الحبة السوداء والسنا والبنفسج و الكمأة و الفلفل الابيض و دار الفلفل والنشادر والصبر والكافور والمر والارز والسماق والقرع والزنجبيل والعنبر واللبان .

أضف إلى ذلك كله ما ورد عنه في الفواكه والحبوب والألبان والأدهان والأشربة والاستشفاء بها .
وكان أبو عبد الله (ع) لم ير باساً من العمل الجراحي وإذا إحتاج المرضى إليه.

وكذلك يرى الاستشفاء بالسموم أيضاً .

قال إسماعيل بن الحسن المتطبب : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني رجل من العرب ولي بصر بالطب ، وطبي طب عربي ، فأنا نبطّ الجرح ونكوي بالنار ، قال عليه السلام : لا بأس قال : وقلت : ونسقي السموم قال

«ع» : لا بأس ، قلت ربما مات ، قال : وإن مات... قلتُ : ولكن ينبغي للطبيب ان يعرف الجرعة الدوائية والجرعة السميّة لكي لا يؤدي الى ذلك الى الوفاة العليل فيكون الطبيب ضامنا .
أقواله (ع) في خواص بعض النباتات ، بعض اقوال الامام جعفر :

الثوم

قال الامام (ع) : تداووا بالثوم ولكن لا تخرجوا إلى المسجد. وذلك لان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نهى من أكل الثوم والبصل من الذهاب الى المسجد لرائحتها .

وقال «ع» : قال النبي (ص) : " كلوا الثوم فانه شفاء من سبعين داء " . وقد عرف الطب الحديث الكثير من فوائد الثوم وكتبت فيه الكتب ومنها كتاب الثوم لاخينا الدكتور حسان شمسي باشا ، فقد جمع الكثير من الابحاث المنشورة في فوائد الثوم فأجاد وأحسن .

البصل

قال أبو عبد الله (ع) : كل البصل فان له ثلاث خصال يطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد في الماء والجماع.

وقال أيضاً: البصل يذهب بالنصب ويشد العصب ويزيد في الماء ويذهب الحمى . ولكن ورد في الحديث الشريف النهي عن الذهاب الى المسجد لمن أكل الثوم أو البصل بسبب رائحتها . والابحاث الطبية الحديثة تؤكد منافع البصل الصحية .

الفجل

قالت الاطباء في خواص هذا النبات : إنه مفرز للبول ، منبه للمعدة على الطعام ومقولها ومنشط لعصارتها ، ومسهل للهضم ، يعالج به الروماتيزم ، وهو ملطف ومحلل للأرياح (الغازات) وقد يولدها فيصلحها الملح والكمون ، ومطهر للصدر ، ومشهي للطعام وشاف من السعال مسلوقاً ، ومفتت للحصى ولاسيما حصى الكبد ، ومخرج للبلغم ومسكن للبواسير .

وقد قال الإمام جعفر : كل الفجل فان فيه ثلاث خصال ، ورقه يطرد الرياح ولبه يسهل البول ويهضم وأصوله تقطع البلغم وله فيه أقوال كثيرة بهذا المضمون.

الجزر

الجزر أمان من القولنج ومفيد للبواسير ومعين على الجماع .

الباذ نجان

قال الأطباء في منافعه وخواصه : الباذنجان غذاء ملائم لأكثر الامراض فهو مقو للمعدة ، وملين للصلابات ، ومع الخل مدر للبول ، ومطبوخه ينفع الطحال والمرة السوداء .

وقال الإمام (ع) :

كلوا الباذنجان فانه جيد للمرة السوداء ولايضر الصفراء .

كلوا الباذنجان فانه يذهب الداء ولا داء فيه .

القرع (الدبا)

قال الاطباء فيه : الدبا أو القرع وهو اليقطين ، مبرد ومرطب للدماغ ومفتح للسدود ومدر للبول وملين للمعدة لاسيما معدة المحرورين ، كما يفيد اليرقان والحميات الحادة ، ويستعمل كثيراً لذوي الأرق الشديد . أما الذين تعدوا منتصف العمر وانحطت قواهم وعقولهم ، فعليهم أن يكثروا من أكل القرع فان فيه مزايا خاصة لتجديد القوة والانسجة .

وقال الامام عليه السلام : الدبا يزيد في العقل والدماغ وهو جيد لوجع القولنج . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الدباء .

أقواله (ع) في بعض الفواكه والخضر

قال الخليلي : يؤكد العلم أن للفواكه والخضروات تأثيراً خاصا في سير بعض الأمراض بل أكثرها لذلك ترى أكثر الاطباء ينصح بالأكثار من أكلها خصوصاً المصابين بالرئة والنقرس وأشباههما ، ومما لاشك فيه ان تأثير

الثمار في الجسم البشري كسواها من أنواع الغذاء ، أعني أن ذلك تابع لتركيبها الكيمياوي ونسبة المواد الحمضية والسكرية والازوتية الموجودة فيها ، لذلك ترى أن البعض منها هاضماً والبعض الآخر مليناً وقسماً مدراً ورابعاً مقوياً إلى غير ذلك من الخواص والتأثيرات في الابدان .

ثم ليعلم أن أهم ما يلحظه علم حفظ الصحة فيها ويأمر الاطباء من أجله مرضاهم في إرشاداتهم الصحية قبل ملاحظة خواصها ومنافعها ، هو تنظيفها وغسلها مما لصق بها من الخارج كالغبار والتراب ، وما علق بايدي الفلاحين والباعة من كل مايحمل الجراثيم الخارجية ، فانها إذا أكلها الانسان غير مطهرة بالماء دخلت البدن وهي حاملة لتلك الجراثيم واستوطنت المعدة ، وعند ذلك يحدث ما كان يحذر منه من فتك الميكروب في الجسم ، ولأجل ذلك ترى الاطباء والمعالجين لازالوا ينصحون مرضاهم ومن استشارهم بغسل كل فاكهة قبل أكلها ويحذروهم من أكلها قبل الغسل .

وقد أمر الإمام الصادق (ع) بذلك قبل ان يدرك الطب ذلك ، وقبل ان يلتفت اليه كل معالج او طبيب ، حيث يقول :

إن لكل ثمرة سماً فاذا أتيتم بها فامسوها بالماء ، واغمسوها فيه .

أقول : وبديهي أنه عليه السلام لم يقصد بالسم إلا الجراثيم العالقة بها وقد شبهها بالسم لضررها .

وإليك بعض تلك الفوا كه والخضر على سبيل المثال ، إذ لم يمكن بيان كلما ورد عنه (ع) في مثل هذا الكتيب الصغير بمستطاع ، وهي :

العنب

قال الامام (ع) : العنب [الزبيب الطائفي خ ل] يشد العصب ويذهب النصب ويطيب النفس.

وقال (ع) : شكا نبي من الانبياء إلى الله تعالى الغم ، فأمره بأكل العنب ، وفي لفظ أن نوحاً شكا إلى الله الغم فأوحى إليه أن كل العنب .

وقال الاطباء : إن للعنب فعلاً ثلاثياً ، فهو مسهل المعدة ، ومنق للدم ومغذ للبدن ، وعصيره مجدد للقوى ومنبه للدورة الدموية ومفيد للتخمرات المعدية ، ونافع في مداواة الكبد والكليتين ، ويشفي من داء الحميات ، وإن المداواة به تفيد في الدسيبيسيا (سوء الهاضمة) والنقرس وأمراض القلب والصفراء والريح والبواسير ، ويخفف من وطأة السل والسرطان.

التفاح

قال الإمام عليه السلام : كل التفاح فانه يطفي الحرارة ويبرد الجوف ويذهب الحمى .

وقال (ع) : لو علم الناس ما في التفاح ما داووا مرضاهم إلا به إلا أنه أسرع شيء منفعة للفؤاد خاصة ، فانه يفرحه .

وقال (ع) : أطعموا محموميكم التفاح ، فما شيء أنفع من التفاح .

هذا ماذكره الامام عنه في كلماته القصار الجامعة لكل ما عرفه وذكر الاطباء

قال الأطباء فيه : التفاح مفرح ومقو للقلب والدماغ والكبد اكلاً وشماً وهو مفيد للخفقان والربو ، ومصلح لضعف فم المعدة ، ومنبه لشهوة الطعام ومطبوخه مصلح للسعال ، وهو مخفف لأمراض الجلد وجالب للنعاس . ويؤكد الطب الحديث على فوائد التفاح ومنافعه الكثيرة .

الرمان

قال الإمام «ع» : اطعموا صبيانكم الرمان فانه أسرع لشبابهم .

وقال «ع» : كلوا الرمان بشحمه فانه يدبغ المعدة ويزيد في الذهن .

وقال الأطباء : الرمان مصف للدم ، ومولد للخلط الصالح ، ومنعظ المحرورين ومفتح للسدد ، وملين للبطن ، ومدر للبول ، ومقو للكبد ، ومفيد لليرقان والطحال وخفقان القلب والسعال الحاد ، ومصف للصوت ، ومحسن لرونق الوجه ، ويروي به البدن وينفع من الديدان. وقد اهتم الطب الحديث بفوائد الرمان الصحية .

السفرجل

قال فيه الإمام الصادق (ع) : السفرجل يحسن ماء الوجه ، ويجم الفؤاد ٠
وقال (ع) : من أكل سفرجلة على الريق طاب ماؤه وحسن ولده .
وقال (ع) : أكل السفرجل قوة للقلب وذكاء للفؤاد .
قال الاطباء : السفرجل يحسن الوجه ، وهو مفرح ومقو للقلب والدماغ والمعدة ، ومسرر للروح الحيواني والنفساني ، ومنعش لكثير من الاعضاء على عملها كالكلية والمثانة لذلك يدر البول ويلين المعدة ويخفف من آلامها.

التين

قال أبو عبدالله الامام جعفر (ع) : إن التين يذهب بالبخر ، ويشد العظم ، ويثبت الشعر ويذهب الداء ، ولا يحتاج إلى دواء .
قال الاطباء : إن التين هو الثمر المحتوي على العناصر المغذية والمادة السكرية التي تفيد الجسم فائدة جلى ، فهو يحسن الهضم وينظم الافراز ويقوي الجسم وينضر الوجه وينشط العضلات ، وإذا أخذ ليلاً نظم حركات الامعاء وأكسب الجسم صحة ونشاطاً ، وبالجملة فهو لذة وغذاء وصحة ، وقيل أنه يفيد في علاج الكبد وفساد الدم .

التمر

الاحاديث النبوية في التمر وخاصة العجوة والبرني كثيرة وفيها مؤلفات كثيرة . قال الإمام (ع) وقد وضع بين يديه طبق فيه تمر: ماهذا ؟ قيل له : البرني فقال : ان فيه شفاء .
وقال (ع) : ان فيه شفاء من السم ، وانه لاداء فيه ولاغائلة ، وان من أكل سبع تمرات عجوة عند منامه قتلت الديدان في بطنه .

الخس

قال أبو عبد الله (ع) : عليكم بالخس فانه يصفي الدم .
وقال الاطباء : إن الخس لغني بأنواع الفيتامينات ، وفيه كمية كبيرة من الاملاح المعدنية بشرط أن يؤكل منه ماكان عرضة للشمس أكثر، لاما أختبأ داخله
وقال الكيمياوي (نيومان) : الخس بوفرة غناه بالحديد يزيد كريات الدم الحمراء وبهذا تزداد حمرة الخدود والشفاه من آكليه ، وهو يهديء الأعصاب ويجلب النعاس ويولي العينين بريقاً ويزيد في لون الشعر. أقول : وكل هذا من تصفية الدم ونقائه فتأمل هذه الكلمة الجامعة من الامام عليه السلام . وذكروا أنه يحتوي على فيتامين (أي ـ بي ـ سي) كما يوجد فيه اليود والكلسيوم والفسفور ومواد سكرية وأخرى دهنية . وإذا مضغ جيداً أعان على الهضم .

الهندباء

عن أبي عبدالله (ع) : نعم البقلة الهندبا .
وعنه أيضاً : عليك بالهندباء فانها تزيد في الماء وتحسن الولد .
وعنه أيضاً : من بات وفي جوفه سبع طاقات من الهندباء أمن من القولنج ليلته .
قال الاطباء : ان الهندباء تفيد في ضعف الاعصاب ، وضعف البصر ، وفساد الدم ، وانها ترد قوى الاجسام بعد الضعف والهزال ، وتنشيط القلب والكبد والكليتين ، وتنفع الرحم في تعديل مزاجه وتنقيته ، وتقضي على الحميات.

من كلماته الخالدة فى الطب

قال الإمام عليه السلام : كان الطبيب يسمى المعالج ، فقال موسى بن عمران عليه السلام : يارب ممن الداء ؟ قال : مني ، فقال موسى : وممن الدواء قال : مني ، قال موسى : فما يصنع الناس بالمعالج ؟ قال تعالى : يطيب بذلك أنفسهم ، فسمي المعالج لذلك طبيباً .
وقال ((ع)) إجتنب الدواء ما احتمل بدنك الداء . وهي قاعدة طبية معروفة منذ ايام ابقراط وجالينوس .
وقال (ع) : غسل الاناء وكسح الفناء مجلبة للرزق

الظاهر من هذا الحديث هو الامر بالنظافة والحث على الاهتمام بها فانها من أركان الصحة والراحة وهما من النعم والرزق الذي تجلبه هذه النظافة إذ ليس الرزق هو تحصيل المال فقط كما نتصوره ، والكسح هو الكنس والفناء ساحة الدار.

وقال (ع) لعنوان البصري : إياك وأن تأكل مالا تشتهيه ، فانه يورث الحماقة والبله ، ولاتأكل إلاعند الجوع . وإذا أكلت فكل حلالاً وسم بالله واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، فاذا كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .

وقال (ع) : إن المشي للمريض نكس .

أقول : وفي هذا الحديث حث وتأكيد على الراحة المطلوبة لكل مريض لاسيما الناقه وعلى هذا جرى جل أطباء هذا العصر بل كلهم .

وقال (ع) : لو إقتصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم .

قال الخليلي : المراد من الاقتصاد هنا هو الاعتدال في الأكل وعدم الاسراف فيه لا تقليل الأكل إلى حد يقل عن الواجب للتغذية.. نعم إن الشره والتنوع في الطعام يجمع المتناقضات والتضادات في أكلة واحدة أوكثرة الأكل إلى حد التخمة التي هي أم الامراض بل باب الموت المحتم ، فان كل ذلك خلاف الاقتصاد ، ليس للبدن معها إستقامة أو سلامة .

وقال عليه السلام : النوم راحة الجسد والنطق راحة الروح والسكوت راحة العقل.

وقال (ع) : ليس فيما أصلح البدن إسراف ، إنما الإسراف فيما أتلف المال وأضر البدن .

وقال (ع) : الدواء اربعة : الحجامة والطلاء والقي والحقنة . (وهو ما كان معروفا في زمنه) .

وقال (ع) : لاتدخل الحمام إلا وفي جوفك شيء يطفيء عنك وهج المعدة وهو أقوى للبدن ، ولا تدخل وأنت ممتليء من الطعام .

وقال (ع) : إن للدم وهيجانه ثلاث علامات : البثرة في الجسد والحكة في الجلد ودبيب الدواب (وما يتخيله الانسان كدبيب النمل في بدنه.) .

وقال (ع) : الحمى تخرج في ثلاث : في العرق ، والبطن ، والقيء.

وقال (ع) : خير ما تداويتم به الحجامة والطلي والحمام والحقنة .

وقال عليه السلام : إغسلوا أيديكم قبل الطعام وبعده فانه ينفي الفقر ويزيد في العمر .

الامام جعفر والطب الروحي :

قال الاستاذ محمد الخليلي في كتابه " طب الامام الصادق " :

" كما أن الأجسام تمرض فتفقد صحتها إلى العلاج بما يعدل إنحرافها ويعيد إليها الصحة المفقودة . كذلك الأرواح والنفوس ، فإنها تمرض بانحرافها إلى الرذائل والصفات الذميمة ،فتحتاج عند ذلك إلى العلاج بما يقوم أودها ليرجعها سيرتها الاولى من صحة الاتصاف بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة

وبعبارة أوضح أن الأرواح والنفوس إذا تغلبت عليها الرذائل من الصفات وتسيطر عليها الشهوات الحيوانية والعواطف الدنيئة إنحرفت صحتها وفقدت رونقها الروحي وميزتها النفسية التي بها إمتازت عن الجسمية الكثيفة ، وعدمت شفافيتها ولطافتها التي كانت عليها حال صحتها يوم كانت سليمة .

ولقد عالج الفلاسفة تلك الأدواء النفسية والاسقام الروحية بأنواع العلاجات منذ العصور الغابرة حتى اليوم ، ووضع علماء النفس وأساتذة التربية أحكم القوانين وأتقن النظم والقواعد لاصلاحها فلم يفلحوا ، إذ لم يجدوا لها علاجاً حاسماً ولم يعثروا على دواء ناجع سوى الدين السماوي الذي هبط على الانبياء والرسل ليرفع هذه الأنسانية من حضيض الرذائل والجهل الى مرتفع الفضائل والعرفان والذي جاء لاسعاد هذا الخلق كيما يعيشوا بسلام وهناء ، ولينبلج في الأرض صبح الرشاد ، فتزهو مخضرة الجوانب برياض النعيم مادام الناس يعملون بقوانينه ويتبعون سبل تعاليمه وإرشاداته . فما من طبيب أدرى بأدواء النفوس من باريء النفوس ولا حكيم أخبر بأسقام الأرواح كالدين المرسل من الحكيم ، ولا عالم أعرف بطرق علاجها وأسباب شفائها كالشارع المقدس .

وقد جاء الدين الاسلامي الحنيف بالأخلاق الفاضلة حفظاً لصحة النفوس البشرية وأمر متبعيه بالعمل عليها

وقاية لأرواحهم من شرورها . كما أن النبوة الكبرى قد تكلفت بصلاح البشر وإصلاحه من ناحيتي الروح والجسد فكانت فيها حياته وسعادته وتقدمه ورقيه في عالمي الدنيا والآخرة .

قال تعالى : إستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ليحييكم .

وقال جل جلاله : من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة .

وقال تعالى : قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور .

وقال تعالى : وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .

هذا وقد بعث النبي الأمين صلى الله عليه وآله وهو ينادي : إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق . فعاش طيلة حياته صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة وهو يبذر تعاليمه الحكيمة ويغرس مكارم الاخلاق الاسلامية الفاضلة في نفوس الأمة ، وينير لها الطريق إلى الحياة السعيدة روحاً وجسماً حتى رفعه الله تعالى إليه ، فلم يهمل هذة الناس سدى بل خلف فيهم الثقلين : كتاب الله وعترته .

ولما كان عصر الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عصراً مليئاً بالأهواء المتعاكسة والآراء المختلفة والأخلاق المتفاوتة والمذاهب المتشعبة عصراً تفسخت فيه الأخلاق الاسلامية وتسممت فيه النفوس وانحرفت صحة الأرواح . كان الامام (ع) يرى نفسه بطبيعة الحال هو الطبيب المسؤول أمام الدين عن صحتها الروحية والمتكفل بعلاجها .

وإليك نموذجاً من طبه الروحي ومعالجته النفسية التي أراد بها شفاء النفوس :

الغضب

الغضب حالة في النفس تثيرها أمور منتظرة أوغير منتظرة فتخرج العقل عن إستقامته وتصد الغضوب عن رشده وصوابه ، وتفقده سلطانه على فكره وإدراكه فيختل مزاج الذهن ، وتتهيأ الأعضاء فيها للفتك والانتقام ، ذلك لأن الدم يثور فيها فيسرع إلى القلب ثم ينتشر منه في العروق ويرتفع الى أعالي الرأس فيحمر الوجه وتنتفخ الودجان ثم يجيش في الصدر فيعبس الوجه وتنكمش الشفتان عن الأسنان وهناك تتأهب الأعضاء بسبب هذا الثوران في الدم للفتك والانتقام.

أما الأسباب المهيئة له فكثيرة ، منها المزاج العصبي والتسممات الحادثة من المآكل الحادة والمشروبات الروحية (الخمور)، كما أن للمحيط والبيئة والتربية الأثر البليغ في أحداث الغضب وشدة وطأته .

قال بعضهم : إن الأسباب المهيجة للغضب الزهو والعجب والمزاح والهزء والممارات والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي باجمعها أخلاق رديئة مذمومة . ولاخلاص منه مع بقاء هذه الاسباب إلا بازالتها إلى أضدادها

وللغضب عواقب كثيرة من الأمراض التي لا يستهان بها واسوء الهضم وإلتهاب الأعصاب والنزيف الدموية بأنواعه . ويرتفع ضغط الدم وتكثر الجلطات ، كما تقل المقاومة للامراض .

فالغضب داء روحي ومرض خطير يضر بصاحبه أولاً وكثيراً ما يتعداه إلى غيره ويوقع صاحبه في إرتكاب الجرائم من غير وعي أو إدراك .

وكم عالج الحكماء والفلاسفة والاطباء والعلماء هذا الداء بأنواع العلاجات رجاء شفائه فلم يفلحوا ولكن الدين الإسلامي الحكيم قد عالجه باخف العلاجات وأنجعها وصده صداً بمختلف الواقيات كما في الحديث الشريف قولهصلى الله عليه وآله وسلم : " إذا وجد أحدكم من ذلك (الغضب) شيئاً فان كان قائماً فليجلس أو جالساً فليقم ، فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفيها إلا الماء" .

وقال الإمام الصادق «ع» : الغضب مفتاح كل شر .

وقال (ع) : الغضب ممحقة لقلب الحكيم .

وقال (ع) : من لم يملك غضبه لم يملك عقله .

وقال (ع) : إذا لم تكن حليماً فتحلّم . وفي حديث آخر : كفى بالحلم ناصراً .

وقال (ع) : من ظهر غضبه ظهر كيده ، ومن قوي هواه ضعف حزمه .

الكذب

الكذب إنحراف النفس عن صحة الصدق والتواء الروح عن أداء وأجبها الانساني وهو مرض فردي وأجتماعي خطير إذ يحدث في صاحبه الكثير من أعراض الرذائل كالغش والنفاق والمداهنة والغدر والخيانة والرياء وخلف الوعد ونقض العهد مما كان الصدق واقياً منها وحافظاً للنفس من الوقوع فيها . على أن الكذب هو نفسه لا يليق بالانسان أن يتصف به فيكون عضوا فاسداً في مجتمعه ، يهلك نفسه ويعدي الآخرين فيمرض بمرضه .

وقد قال الامام (ع) فيه : لاداء أدوى من الكذب .

وقال (ع) : من كثر كذبه ذهب بهاؤه .

وقال (ع) : من صدق لسانه زكا عمله .

وقال (ع) : إن الله خلق للشر أقفالاً ومفاتيح تلك الاقفال الشراب (أي المحرّم) والكذب شر من الشراب .

وقال (ع) : إياك وصحبة الكذاب ، فان الكذاب يريد أن ينفعك فيضرك ويقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب .

الحسد

الحسد كراهة نعمة الآخرين وحب زوالها ، وإن الحاسد لم يزل يتطلع إلى نعم الله جل جلاله على عباده فلا يهنأ له حال . وهو داء في النفس أشد من داء البخل ، لأن البخيل يضن بماله على غيره أما الحسود فانه يضن بمال الله ونعمه على عباده ، ويتألم من وصولها إلى غيره فهو العدو بلا سبب وطالب زوال النعمة عن غيره وإن لم تصل إليه ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لنعم الله أعداء ، قيل له ومن هم يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : " الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. "

وهذا الداء النفساني لم يحدث إلا عن خبث في الروح وإنطواء النفس على الشر فاذا ما تمكن من إمريء أفسد أخلاقه ، وساقه إلى القبائح والجرائم ، وأوقع صاحبه في أشد الآلام النفسية والاسقام البدنية .

فاذا حصل في أمة أوقعها في الشقاق والنفاق ثم الدمار ، وإذا أستولى على أحد أرجع عذابه على صحابه ، لأن الحسود دائم العذاب مستمر الألم ، ولذا قال (ع) : لا يطمع لحسود في راحة القلب .

وقال (ع) : ليس الحسود غنى .

وقال (ع) : الحسود ذو نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم ، وإنه لكثير الحسرات متضاعف السيئات ، دائم الغم وإن كان صحيح البدن . وقال (ع) : إن الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب .

الكبر

الكبر في الانسان حالة تعتري النفس تدعو إلى مجاوزة الحد في إعظامها واحتقار غيرها ، وبعبارة أوضح : هو إستعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهو داء ابليس اللعين استكبر أن يسجد لآدم فقلب لرب العالمين (خلقتني من نار وخلقته من طين) .

وهو داء عضال في النفوس الواطئة يحدث عن ضيق دائرة نظر المتكبر إلى نفسه ، عندما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره ، دون أن ينظر إلى نقصه وكمال غيره وإن لهذا الداء من العوارض المرضية النفسية ما يوقع صاحبه في كثير من الرذال المستقبحة ، كاغتراره بالظلم وعدم إحتفائه بحقوق الناس والحقد والحسد وعدم الانقياد للحق ، وعدم قبول النصيحة وإعراضه عن الارشاد ، وغير ذلك مما يلجي تكبر المتكبر إلى إرتكابها والابتعاد عن مكارم الأخلاق

وقال (ع) : لايطمع ذو كبر في الثناء الحسن .

وقال (ع) : لاجهل أضر من العجب .

وقال (ع) :رأس الحزم التواضع .

وقال (ع) : ثلاثة مكسبة البغضاء : العجب والنفاق والظلم .

خلف الوعد

خلف النفس حالة تتصف بها النفس الخسيسة ، وتستسيغها الروح الواطئة وهو داء نفساني إذا إبتلى به المرء حرم ثقة الناس به ، وجر إلى نفسه في مجتمعه ومحيطه الويل وفقد في أصحابه وإخوانه التعرف وللحبة ، هذا

ضرره في صاحبه أما إذا ما فشا ـ خلف الوعد ـ في المجتمع كان داءاً إجتماعياً خطيراً يقف سداً دون سعادة ذلك المجتمع وإنتظام معاملاته وحصول الثقة بين أفراده.

قال الامام جعفر (ع) : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف بالوعد. "

وقال (ع) : ثلاثة من كن فيه فهو منافق وإن صام وإن صلى : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان إلى غير ذلك . وكلا القولين أحاديث نبوية مشهورة .

الحرص

قيل : الغنى هو غنى النفس والقناعة كنز لايفنى .

وعلى هذا قال الامام »ع«: أغنى غني من لم يكن للحرص أسيراً .

وقال (ع) : من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس .

وقال (ع) : الحرص مفتاح التعب ومطية النصب ، وداع إلى التقحّم في الذنوب ، والشره جامع للعيوب .

وقال (ع) : حرم الحريص خصلتين . ولزمته خصلتان . حرم القناعة فأفتقد الراحة ، وحرم الرضا فافتقد اليقين .

المراء والجدل

المراء والجدل داءان مذمومان مهلكان ، وشهوتان باطنيتان يعتريان النفس مفادهما الاعتراض على الآخرين باظهار الخلل في قوله أو فعله من باب الطعن والاستحقار له طلباً للتفوق عليه بابراز الكياسة والمعرفة .

وهما داءن خطران أقل ما يحدث منهما في النفس ، حصول التباغض والعداء والنفرة بين المتحابين ، وهذا ما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه .

ولقد عالجهما الامام الصادق (ع) بارشاداته القيمة ونصائحه الدينية إذ قال (ع) المؤمن يداري ولا يماري .وقال «ع» : الجهل في ثلاث : شدة المراء ، والكبر ، والجهل بالله .

الفصل الثالث :

الامـــــام عــلي الـــرضـــا
153 - 203 هـ
770 - 818 مـ

نسبه ومولده :

هو الامام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الامام الحسين السبط ابن امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت خير البرية المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولد الامام علي الرضا في المدينة المنورة سنة 153هـ وقيل سنة 148 هـ وبها نشأ وترعرع . أمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها أروى وقيل بل شقراء . وهي نوبية سوداء وقيل بل حبشية وكان لون الامام علي الرضا آدم يضرب إلى السواد ، وراثة من أمه . . وكان معتدل القامة بهي الطلعة ذو وقار يهابه من رآه ويحبه من عرفه . وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والعلم حتى اتفق على انه كان اعلم أهل زمانه واورعهم وازهدهم .

قصة المأمون مع الامام علي الرضا :

لقد كان الخليفة عبد الله المأمون العباسي عالما ورعا محبا للعلويين وقد تشرَّبَ حُبَّهم من أمه الفارسية . . وكان المأمون يقول : " إني عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع (يعني أخاه الأمين) أخرجت الخلافة الى أفضل آل أبي طالب ، وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل (يعني علي الرضا) على وجه الارض " .

وأراد المأمون ان يخلع نفسه ويولي الرضا بدلا منه ولكن الرضا أبى ذلك عليه . ثم عزم على الرضا أن يكون خليفته ووليا للعهد فرفض ولكن المأمون أصر على ذلك حتى قبل الرضا .

كتاب العهد الذي كتبه المأمون لعلي الرضا :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه ابن هارون الرشيد لعلي بن موسى ابن جعفر ولي عهده : أما بعد . فإن الله عز وجل اصطفى الاسلام دينا واختار له من عباده رسلا دالين عليه وهادين اليه ، يبشِّرُ أولهم آخرهم ، ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم عل فترة من الرسل ودروس من العلم ، وانقطاع من الوحي ، واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين وجعله شاهداً عليهم ومهيمناً . وأنزل عليه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، نُزُلٌ من حكيم حميد . فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله الرسالة ، جعل قوام ونظام أمر المرسلين في الخلافة ونظامها ، والقيام بشرايعها وأحكامها .

" ولم يزل أمير المؤمنين منذ انقضت اليه الخلافة وحمل مشاقها واختبر مرارة طعمها ومذاقها مُسهد

العينين ، مضنياً لبدنه ، مطيلا لفكره ، فيما فيه من عز الدين وقمع المشركين وصلاح الامة وجمع الكلمة ونشر العدل واقامة الكتاب والسنة . وَمَنَعُهُ ذلك من الخفض والدعة ومُهنأ العيش ، محبة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحا له في دينه وعباده ، ومختارا لولاية عهده ورعاية الامة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه ، وورعه ، وعلمه ، وأرجاهم للقيام بأمر الله تعالى وحقّه ، مناجيّا لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسئلته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره ، معملا فكره ونظره فيما طلبه والتماسه من اهل بيته من ولد عبد الله بن عباس وعلي بن ابي طالب ، مقتصرا ممن حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغا في المسألة ممن خفي عليه أمره جهده وطاقته ، رضاه وطاعته حتى استقصى أمورهم معرفة ، وابتلى أخبارهم مشاهدة ، واستبرأ أحوالهم معاينة ، وكشف ما عندهم مسألة وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى ، واجتهاده في نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعا ، علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الذايع ، وورعه الظاهر الشايع ، وزهده الخالص النافع ، وتخليه من الدنيا ، وتفرده عن الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه مطبقة ، والألسن عليه متفقة ، والكلمة فيه جامعة ، والاخبار واسعة ، ولما لم نزل نعرفه به من الفضل يافعا وناشئا ، وحدثاً وكهلاً ، فلذلك عقد بالعهد والخلافة من بعده ، واثقا بخيرة الله تعالى في ذلك ، إذا علم الله تعالى أنه فعله إيثارا له وللدين ونظرا للاسلام ، وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين . ودعا امير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه ، فبايعه الكل مطيعين ومسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعته على الهوى في ولده ، وغيره ، ممن هو أشبك رحماً واقرب قرابة . وسماه الرضا إذ كان رضيا عند الله تعالى وعند الناس . وقد آثر طاعة الله والنظر لنفسه وللمسلمين . والحمد لله رب العالمين . كتب بيده من يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين " .

ما كتبه الامام علي الرضا بخطه على عهد المأمون :

" بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الفعّال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الاعين، وما تخفي الصدور . وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين.

" أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاما قُطعت ، وأمَّنَ نفوسا فزعت ، بل أحياها بعد أن أمن الحياة أُنسيت ، فأغناها بعد فقرها ، وعرّفها بعد نُكرها ، مبتغيا بذلك رضا رب العالمين ، لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين " .

من كلامه ومروياته وصفاته :

قال ابراهيم بن العباس : سمعت العباس يقول :ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه ولا رُأي أعلم منه بما كان في الزمان الى وقت عصره . وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي . وكان قليل النوم ، كثير الصوم ، كثير المعروف والصدقة سِراً وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على

مسح .

سأله رجل ذات يوم : أيكلفُ الله العباد مالا يطيقون ؟ فقال : هو أعدل من ذلك . قال : فيقدرون على فعل كل ما يريدون . قال : هم أعجز من ذلك .

وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون قائلا : " يا أبا الحسن : الخلق مجبرون ؟ قال : إن الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب . قال فمطلقون ؟ قال : الله تعالى أحكم من ان يمهل عبده ويكله الى نفسه " .

وقد روى الامام علي الرضا أحاديث كثيرة عن ابيه عن جده يرفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله صلى الله عليه وسلم : " من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي . ثم قال : إنما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي فأما المحسنون فما عليهم سبيل " .

- " ما كان ولا يكون الى يوم القيامة من مؤمن إلا وله جار يؤذيه " .
- " الشيب في مقدم الرأس عز ، وفي العارضين سخاء وفي الذوائب شجاعة وفي القفا شؤم "
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أسري بي الى السماء رأيت رحما معلقة بالعرش تشكو رحما إلى ربها أنها قاطعة لها . قلت كم بينك وبينها من أب ؟ قالت : نلتقي من اربعين أبا .

وذكر الجويني ان عليا الرضا قال : لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال : سنة من ربِّه ، وسنة من نبيِّه ، وسنة من وليِّه .

فأما السنّة من ربه فكتمان سره . قال الله تعالى : { **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** } (الجن :26-27)

وأما السنّة من نبيّه فمداراة الناس ، فإن الله عز وجل أمر نبيَّه بمداراة الناس فقال :
{ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** }(الاعراف : 199) .

واما السنّة من وليَّه فالصبر على البأساء والضراء . فقال الله تعالى :
{ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ** } (البقرة : 177) .

وعنه أنه قال : إن الله عز وجل أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة : أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يزكَّ لم تقبل منه صلاته . وأمر بالشكر له وللوالدين ، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله عز وجل . وأمر باتَّقاء الله عز وجل وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله تعالى .

وعنه قال : الصلاة قربان كل تقي .

وقال : صديق كل امريء عقله وعدوه جهله .

وعنه قال : السخي يأكل من طعام الناس ليأكلو طعامه .

وقال : أقرب ما يكون العبد من الله سبحانه وتعالى وهو ساجد ، وذلك قوله عز اسمه
{ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** } (سورة العلق :19) .

- وعنه قال : أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن : يوم يولد المولود ويخرج من بطن امه فيرى

الدنيا . ويوم يموت فيعاين الآخرة واهلها. ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا . وقد سلم الله على يحيى في هذه المواطن وأمن روعته فقال : {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} (سورة مريم : 15) . وقد سلم عيسى ابن مريم على نفسه في هذه المواطن أيضا وقال : { وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (سورة مريم :33).

- وعنه قال : أن موسى بن عمران لما ناجى ربه قال : يا رب أبعيد أنت مني فأناديك أم قريب فأناجيك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : " يا موسى أنا جليس من ذكرني " . قال موسى : يا رب إني أكون في حالة أجُلَّك ان أذكرك فيها . فقال : يا موسى اذكرني على كل حال .

من هو الجواد :

بينما كان علي الرضا في الطواف سأله رجل عن الجواد فقال الرضا : " إن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه . والبخيل من بخل بما افترض الله عليه . وان كنت تعني الخالق فهو الجواد ان اعطى وهو الجواد إن منع". . وكان علي الرضا يدعو هذا الدعاء :

" اللهم سترت عليَّ ما اعلم فاغفر لي ما تعلم ، وكما وسعني حلمك فليسعني عفوك ، وكما ابتدأتني بالاحسان فأتم نعمتك بالغفران ، وكما أكرمتني بمعرفتك فأشفعها بمغفرتك ، وكما عرَّفتني وحدانيتك فألزمني طاعتك . وكما عصمتني مما لم أكن اعتصم منه إلا بعصمتك ، فاغفر لي ما لو شئت عصمتني منه ، يا جواد يا كريم ، يا ذا الجلال والاكرام " .

مصنفات الامام علي الرضا

للامام علي الرضا مصنفات كثيرة بعضها مفقود وبعضها موجود ، ومنها مطبوع ومنها مخطوط . . وقد جاء في نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ، وفهرس مخطوطات الطب الاسلامي وذخائر التراث العربي الاسلامي ودليل ببلوغرافي للمخطوطات العربية تحت مادة الرضا المصنفات التالية :

1- صحيفة الرضى : وهي احاديث رواها الامام علي الرضا عن ابيه موسى الكاظم عن جده جعفر الصادق عن محمد الباقر عن علي زين العابدين عن سيد شباب الجنة الحسين السبط عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عن رسول اللع صلى الله عليه وآله وسلم . وقد جمعها الفصل بن الطبرسي . وطبع الكتاب لاول مرة في لكنو بالهند طبع حجر سنة 1883م ، ثم طبع مرة أخرى في طهران سنة 1958/1377م ، نشره حسين علي محفوظ . واعيد طبع الكتاب في النجف بالعراق سنة 1391هـ/1971م .

وطبع الكتاب في دمشق مرتين احدهما سنة 1334هـ /1916م والثانية 1395هـ/1975م . وتوجد مخطوطة في مكتبات تركيا باسم احاديث مروية عن الامام علي الرضا بسنده عن ابيه عن جده برواية ابي القاسم عبد الله بن احمد بن عامر الطائي . مخطوط رقم 1083 ومكتبة فيض الله أفندي رقم 166. وقد كتبت المخطوطة سنة 926هـ .

2- مسند الامام علي الرضا وقد طبع مع مسند الامام زيد في القاهرة .
3- فقه الرضا : مطبوع في طهران 1374هـ/1954م تقديم محمد مهدي بحر العلوم.
4- رسالة في التوحيد .
5- طب الامام الرضا المسمى الرسالة الذهبية (الرسالة المذهبة) وهذه هي الرسالة التي سنقوم بإعادة نشرها مع التعليق عليها بإذن الله تعالى وسنوضح سبب تأليفها وقيمتها التاريخية والعلمية ، وسبب تسميتها .

مخطوطات الرسالة الذهبية :

وتوجد هذه الرسالة مخطوطة ومطبوعة في مكتبات مختلفة ، ويوجد من المخطوط النسخ التالية في تركيا :

a) برواية محمد جمهور القمي تلميذ الامام علي الرضا . في مكتبة رئيس الكتاب برقم 15/1661 بخط نسخ ، كتبه أبو عبد الله محمد بن احمد المصري الدمياطي الشافعي الانصاري سنة 789هـ بدمشق .
b) نسخة في مكتبة بغداد لي وهبي برقم 1/1485 ، كتبت المخطوطات سنة 1227 هـ .
c) نسخة بمكتبة علي أميري ، بالقسم العربي برقم 2/2843 بخط نسخ كتبت في القرن الحادي عشر الهجري .
d) نسخة بمكتبة شيخ الاسلام أسعد أفندي برقم 2/184 بخط نسخ برواية الشيخ محمد ابراهيم بن مساعد الانصاري المعروف بابن الكنفاني وقد كتب المخطوط في القرن التاسع الهجري .

وتوجد في مكتبات تركيا ايضا نسختان من ترجمة الرسالة الذهبية (الرسالة المذهبة) الى اللغة الفارسية وقد ترجمها أبو علي الحسن بن ابراهيم بن أبي بكر السلماسي الوراق المتوفي في حدود سنة 624هـ/1226م . وهي موجودة في مكتبة الفاتح باستنبول برقم 4/5297 بخط يد المترجم وهي نسخة نفيسة جدا . وقد كتبت سنة 624هـ . وتوجد نسخة أخرى في مكتبة بغداد لي وهبي برقم 9/1488 وقد كتبت المخطوط سنة 1058.

وتوجد من المخطوطة نسخ عديدة في مكتبات العراق وخاصة في النجف ومكتبات طهران ، ودار الكتب المصرية . وقد طبع طبعات عديدة . . ومع هذا فإن الدكتور حسن محمد مقبولي الاهدل في تحقيقه لكتاب المنهج السوري والمنهل الروي في الطب النبوي والذي نال به درجة الماجستير من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ذكر أن كتاب الامام علي الرضا في الطب ، الرسالة الذهبية ، مفقود . وكذلك ذكر الدكتور ناظم نسيمي في كتابه الطب النبوي والعلم الحديث ، ان هذا الكتاب مفقود . وكلاهما وضعه ضمن الكتب المفقودة في الطب النبوي والتي لا توجد منها اي نسخة مخطوطة فضلا عن مطبوعة .

والامر على غير ذلك فالنسخ المخطوطة كثيرة جدا في تركيا والعراق وايران وفي غيرها من مكتبات العالم ، اما المطبوع فما بلغنا عنه هو الآتي :

مطبوعات الرسالة الذهبية :

1- منشورات ملتقى العصرين ، بغداد ، مطبعة المعارف 1953م في 170 صفحة ونشره د. صاحب زيني مع تعليقات على ضوء الطب الحديث .
2- نشره مرتضى العسكري في بغداد سنة 1954م.
3- المطبعة الحيدرية النجف 1386هـ/1967م وقدم لها محمد مهدي السيد حسن الخرسان في48 صفحة.
4- المطبعة الحيدرية ، النجف سنة 1965م في 144 صفحة .
5- طبع مؤخرا في طهران (1987م).
6- مطبوعة ضمن كتاب : رمز الصحة في طب النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السلام للسيد محمود الموسوي ألده سرخي الأصفهاني ، دار الارشاد الاسلامي ، الطبعة الثانية 1403هـ / 1983 م من ص 95 الى ص 129.
7- الامام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي : الرسالة الذهبية تأليف د. محمد علي البار ، وقد طبعت مرات عديدة نشرتها الدار السعودية بجدة ودار المناهل ببيروت .

سبب تأليف هذه الرسالة وتسميتها بالرسالة الذهبية:

كان المأمون ذات يوم في مجلسه في نيسابور ، وفي المجلس أبو الحسن علي الرضا وجماعة من المتطببين والفلاسفة مثل يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وصالح بن بهلة الهندي ، وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر ، فجرى ذكر الطب ومافيه صلاح الاجسام وقوامها فأغرق المأمون ومن بحضرته في الكلام وتغلغلوا في علم ذلك ، وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد وجميع ما فيه من هذه الاشياء المتضادة من الطبائع الاربع ، ومضار الاغذية ومنافعها وما يلحق الاجسام من مضارها من العلل . قال القمي : وأبو الحسن ساكت لا يتكلم في شيء من ذلك . فقال له المأمون : " ما تقول يا أبا الحسن في هذا الامر الذي نحن فيه اليوم ، والذي لا بد منه من معرفة هذه الاشياء ، والاغذية النافع منها والضار ، وتدبير الجسد ؟"

فقال ابو الحسن (الرضا): " عندي من ذلك ما جرّبته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الايام مع ما وقفني عليه من مضي من السلف مما لا يسع الانسان جهله ولا يعذر في تركه ، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج الى معرفته ".

قال محمد بن جمهور القمي : " وعاجل المأمون الخروج الى بلخ وتخلف عنه أبو الحسن (علي الرضا) عليه السلام . وكتب المأمون إليه كتابا ينجزه ما كان ذكره مما يحتاج الى معرفته على ما سمعه منه وجربه من الاطعمة والاشربة ، وأخذ الادوية والفصد والحجامة والسواك والحمام والنورة والتدبير في ذلك ، فكتب الرضا اليه تلك الرسالة المسماة بـ(طب الرضا) فلما وصلت الى المأمون قرأها وسُرَّ بها كثيرا وأمر بكتابتها بالذهب وأن تحفظ في خزانة الحكمة وسماها الرسالة الذهبية أو الرسالة المذهبة وكتب بخط يده جوابا للامام علي الرضا يقرض فيه تلك الرسالة ويشكره عليها.

رسالة المأمون الى الامام علي الرضا وتقريضه للرسالة الذهبية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد لله ووليه ، وله آخره وبدؤه ، ذي النعم والافضال والاحسان والاجمال . أحمده على نعمه المتظاهرة ، وفواضله وأياديه المتكاثرة والمتواترة وأشكره على منحه ومواهبه ، شكرا يوجب زيادته ويقرب زلفى ، واشهد ان لا اله إلا الله شهادة مخلص له الايمان ، غير جامد ولا منكر له بربوبيته ووحدانيته ، بل شهادة تصدق نسبته لنفسه ، وأنه كما قال عز وجل : **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4) }** . وكذلك ربنا عز وجل . وصلى الله على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله خاتم النبيين .

" أما بعد ، فإني نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الاديب ، والفاضل الحبيب ، والمنطقي الطبيب ، في اصلاح الاجسام وتدبير الحمام ، وتعديل الطعام ، فرأيتها في أحسن التمام ، ووجدتها في أفضل الانعام ، ودرستها متدبرا ، ورددت نظري فيها متفكرا ، فكلما أعدت قراءتها والنظر فيها ظهرت لي حكمتها ، ولاحت لي فائدتها ، وتمكنت من قلبي منفعتها ، فوعيتها حفظا ، وتدبرتها فهما ، إذ رأيتها من أنفس العلائق ، وأعظم الذخائر ، وأنفع الفوائد ، فأمرت ان تكتب بالذهب لنفاستها ، وحسن موقعها ، وعظم نفعها وكثرة بركتها . وسميتها المذهبة ، وخزانتها في خزانة الحكمة ، وذلك بعد ان نسختها آل هاشم فتيان الدولة ، لان بتدبير الاغذية تصلح الابدان ، وبصحة الابدان تدفع الامراض ، وبدفع الامراض تكون الحياة ، وبالحياة تنال الحكمة ، وبالحكمة تنال الجنة ".

" وكانت أهلا للصيانة والادخار وموضعا للتأهيل والاعتبار ، وحكيما يعول عليه ، ومشيرا يرجع إليه ، ومن معادن العلم آمرا وناهيا ينقاد له ولأنها خرجت من بيوت الذين يوردون حكم الرسول المصطفى وبلاغات الانبياء ، ودلائل الاوصياء وآداب العلماء ، وشفاء الصدور والمرضى من اهل الجهل والعمى ، رضوان الله عليهم ورحمته وبركاته أولهم وآخرهم وصغيرهم وكبيرهم " .

" فعرضتها على خاصتي ، وصفوتي من اهل الحكمة والطب وأصحاب التأليف والكتب المعدودين في أهل الدراية ، والمذكورين بالحكمة . . وكل مدحها وأعلاها ، ورفع قدرها وأطراها ، إنصافا لمصنفها ، وإذعانا لمؤلفها ، وتصديقا له في ما حكاه فيها . فمن وقعت له هذه الرسالة من بعدنا من ابنائنا وأبناء دولتنا ورعايانا وسائر الناس على طبقاتهم ، فليعرف قدرها ، والموهبة لها ، وتمام النعمة عليه ، وليأخذها بشكر ، فإنها أنفس من العقيان ، وأعظم خطرا من الدّر والمرجان ، وليستعمل حفظها وعرضها على همته وفكره ليلا فإنها عائدة إليه بالنفع والسلامة من جميع الامراض والاعراض إن شاء الله تعالى ، وصلى الله على رسوله محمد وأولاده الطيبين الطاهرين أجمعين ، حسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين " .

قيمة الرسالة العلمية والتاريخية

تتضح قيمة هذه الرسالة في الطب في مجموعة من الحقائق نوجزها كالآتي :

1- أنها ظهرت في عصر المأمون الذي يعتبر العصر الذهبي لما يسمى بعلوم الحكمة والفلسفة وحيث بلغت حركة الترجمة أوج نشاطها . وفي تلك الفترة أسس المأمون بيت الحكمة واشتغل مجموعة كبيرة من السريان وبعض العرب بترجمة الكتب العلمية المتعلقة بالطب والنبات والحيوان والفلك والجغرافيا والحساب والرياضيات . . إلخ من اليونانية والسريانية وفي بعض الاحيان اللغة الهندية والفارسية الى اللغة العربية . وكان يرأس فريق المترجمين حنين بن اسحاق . . . وتولى يوحنا بن ماسويه رئاسة بيت الحكمة . . . كما اشتهرت عائلة بختيشوع وكلمة بخت تعني العبد ويشوع المقصود بها عيسى عليه السلام . . وهذه العائلة من نصارى السريان في جنديسابور وقد ظهر منها عدد كبير من الاطباء الذين خدموا الخلفاء العباسيين ونالوا لديهم الحظوة . وأولهم كان جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع الذي عمل طبيبا خاصا للخليفة المنصور العباسي وخلفه ولده بختيشوع بن جورجيوس وعمل لدى الرشيد حتى توفى سنة 182هـ/798م ثم تلاه جبرائيل بن يختيشوع الذي التحق بخدمة الرشيد ثم الامين ثم المأمون . وتوفي سنة 213هـ . وله بعض المؤلفات متل كتاب الباءة ورسالة في الطعام وكناش في الطب . وكان مقربا لدى الخلفاء العباسيين . . وكتبه عبارة عن ترجمة من الكتب اليونانية والسريانية . . وكان معاصرا للامام الرضا . .

واشتهر في هذا العصر ايضا صالح بن بهلة الهندي الطبيب الحاذق ولكن لم يذكر له مؤلفات .

وكان المأمون واسع الاطلاع عالما بمختلف فنون المعرفة في عصره وخاصة ما يسمى بعلوم الحكمة مثل الطب والفلك والرياضيات . . وله مقدرة على المشاركة في مجالس العلماء والحكماء والفلاسفة الذين كانت تزدان بهم مجالسه .

وقد أوضحت رسالة المأمون وتقريضه لرسالة الرضا في الطب وكافة العلماء من اهل الدراية في الطب والحكمة والفلسفة الذين كان يعج بهم قصره ومجلسه ، واعترافهم بفضل كاتبها ، وأمره بكتابتها بالذهب وتسميتها بالرسالة المذهبة ، الدليل على تلك المكانة العظيمة التي تبوأتها رسالة الامام علي الرضا في الطب في ذلك العصر .

2- تتميز هذه الرسالة بأنها أول رسالة في الطب يكتبها عربي مسلم . . ولم تكتب قبلها سوى رسائل مترجمة من اليونانية والسريانية وكلها قام بها نصارى من السريان مثل اسرة يختيشوع وعائلة ماسويه أو من نصارى العرب مثل حنين بن اسحاق وابنه إسحاق بن حنين العبادي ومثل ثابت بن قرة الحرآني (وحرآن في سوريا وقد خرج منها ابن تيمية فيما بعد) . وإن كان ثابت بن قرة قد ظهر في القرآن الثالث الهجري (توفي سنة 288هـ) وابنه سنان الذي عاش الى القرن الرابع الهجري .

وإذا علمنا ان الرضا توفي سنة 203هـ وأنه كتب هذه الرسالة عندما استقدمه المأمون من المدينة إلى خراسان (أي انها كتبت في حدود سنة 200هـ) وقد كتبها بطلب المأمون عندما تذاكروا في الاغذية والادوية والأبدان في أحد مجالس المأمون في نيسابور . . وكان المجلس يضم كبار

الاطباء في ذلك العصر وهم : جبريل بن بختيشوع ، ويوحنا بن ماسويه ، وصالح بن بهلة الهندي . . وغيرهم من اهل الفلسفة والحكمة والطب . . وقد اعترفوا جميعاً للرضا بتقدمه وفضله . وبأهمية هذه الرسالة وقرَّضوها جميعا كما ذكر المأمون في رسالته التي نقلت نصها .

ولا تعتبر هذه أول رسالة في الطب يكتبها مسلم فحسب ، بل تعتبر أول رسالة في الطب تؤلف في التاريخ الاسلامي . . حيث أن ما كتب قبلها لا يعدو ترجمات من كتب اليونان والسريان الطبية .

وهذه الرسالة تختلف عن كل ما كتب أنها ضمَّت معلومات الامام الرضا الطبية التي استفادت بدون شك من الطب اليوناني ، ولكنها أضافت إليها ما أخذه الامام عن ابيه عن جده ،وما استفاده من كلام جده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله. كما أنها تضم أيضا ما استفاده الامام الرضا من علوم آبائه موسى الكاظم ، وجعفر الصادق ومحمد الباقر وعلي زين العابدين والامام السبط الحسين والامام علي بن ابي طالب .

ولم يكتف الامام الرضا بذلك كله ولكنه أضاف إليها تجاربه الشخصية ومعارفه الذاتية .

واستطاع بعد ذلك كله أن يوجز هذه المعلومات إيجازا بليغا في 14 صفحة فقط (من المطبوع من القطع الصغير) . . ومع هذا فقد شرحها العلماء والحكماء في مئات الصفحات ومثال ذلك شرح محمد بن محمد صالح الشيرازي المسمى عافية البرية الذي بلغ 415 ورقة ، وكل ورقة صفحتين (أي 830صفحة) .

3- تتميز هذه الرسالة بأنها كتبت في موضوع واحد محدد هو حفظ الصحة وكيفية تدبير الغذاء والحمام في مختلف فصول السنة وما يناسب الانسان من الاطعمة ومقدارها والرياضة والنكاح وكيفية الاعتدال في ذلك كله . . وذكر أهمية السواك وتحدث عن أهمية استخدام الادوية حين الحاجة إليها وخاصة الحجامة والفصد وأوقاتهما . وتحدث عن مراحل عمر الانسان وما يصلح لكل مرحلة . ومقدار النوم الذي يحتاجه في كل مرحلة من هذه المراحل . . وفي أثناء ذلك كله يبث معلوماته بايجاز شديد وبيان واضح جلي عن التشريح وعلم وظائف الاعضاء ويستدل بالاحاديث النبوية دون ان يذكر سندها . وفي الغالب يشير الى معنى من معانيها دون ان يذكر متنها . . وينبّه المأمون الى ما ينبغي ان يفعله في الحضر والسفر وفي اختلاف فصول السنة ويذكر ذلك فصلا فصلا وشهرا شهرا بالتقويم الشمسي مبتديا بشهر آذار (مارس) ومنتهيا بشهر شباط (فبراير) . . وينهي الامام الرضا رسالته بذكر مراحل العمر ويقسمها الى اربع مراحل :

- مرحلة البناء وبداية الشباب الى سن خمس عشرة سنة . وفيها غلبة الدم وهيجانه .
- ومرحلة القوة وغلبة المرة الصفراء من 15 الى سن 35 سنة .
- ومرحلة الحكمة والمعرفة وصحة النظر وفيها غلبة المرة السوداء وتبدأ من سن 35 سنة .
- ثم تبدأ المرحلة الرابعة التي يتحول فيها الى الهرم والنقص ونكد العيش وذبول الجسم حتى ينام عند القوم ويسهر عند النوم . . وفيها غلبة المادة البلغمية .

الفصل الرابع :

عبـد الـمــلك بن حــبيب الانــدلسي
180- 238 هـ / 796- 853 م

اسمه ونسبه ومولده :

هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة ابن عباس بن مرداس السلمي ، من بني سليم أو من مواليهم . ولد في البيرة (وهي منطقة في الاندلس) في قرية قورت وقيل بحصن واط . وسكن قرطبة . ولذا فهو يعرف بالالبيري وبالقرطبي وبالاندلسي . وكان مالكي المذهب فكان يقال عبد الملك بن حبيب المالكي .

نشأته وطلبه العلم :

نشأ كسائر الفتيان الاذكياء في زمنه فقرأ القرآن الكريم وحفظه ، ودرس اللغة وسمع الحديث ، ورواه عن صعصعة بن سلام والغازي بن قيس وزيادة ابن عبد الرحمن ، وزيادة بن شطبون . ثم رحل الى المشرق لطلب العلم والحج ، وكانت رحلته سنة 207 او 208 هـ . فحلّ بمصر ، والحرمين الشريفين ، وبقي فترة في المدينة المنورة . وأخذ عن عدد من اصحاب مالك بن انس إمام دار الهجرة ، وقيل انه أدرك الامام مالك في أخريات حياته . وأخذ العلم عن عبد الملك بن الماجشون وأسد السنة وإصبغ بن الفرج ، وعبد الرحمن بن رافع الزبيدي واسماعيل ابن ابي أويس وعبد الله بن عبد الحكم والامام عبد الله بن المبارك وأسد بن موسى وغيرهم من علماء الاسلام وجهابذته في عصره .

ظهور علمه وفضله :

ورجع الى الاندلس ، كما يقول الذهبي في تذكرة الحفاظ ، بعلم جمّ ، واشتهر وعلى صيته . وكانت عودته الى الاندلس عام 210 هـ ، فحلّ بوطنه البيرة ، ولكن ما إن ذاعت شهرته حتى طلبه الامير عبد الرحمن بن الحكم فانتقل الى قرطبة ، حاضرة الدولة الاموية في الاندلس . وتبوأ بها المكانة العلمية الرفيعة ، وصار استاذاً للامراء وأبنائهم ، وله دروس عامة كثيرة ، وتولى منصب الفتيا . ولم يكن ينافسه في تلك المكانة سوى يحيى بن يحيى المصمودي الليثي صاحب الامام مالك والقائم على مذهبه في الاندلس آنذاك . وأدى ذلك الى حدوث احتكاك بينهما فلما مات يحيى ، كان عبد الملك عالم الاندلس الأوحد ومرجعها الأول .

تلامــذته :

تتلمذ عليه جمّ غفير من أهل الاندلس . وممن روى عنه وتتلمذ عليه بقيّ ابن مخلد ، ومحمد بن وضاح ويوسف المغامي ، ومطرَّف بن قيس وآخرون . وكان أكثر من يختلف اليه الملوك وأبناؤهم وأهل الادب .

أقوال العلماء فيه :

قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ " الفقيه الكبير ، عالم الاندلس ، أبو مروان السلمي ثم المرداسي الاندلسي القرطبي . . . وكان رأسا في مذهب مالك ، وله تصانيف مشهورة ، ولم يكن بالمتقن للحديث ، ويقنع بالمناولة . قال ابن الفرضي : كان فقيها نحويا شاعرا أخباريا نسّابة ، طويل اللسان ، متصرّفا في فنون العلم . قال ابن بشكوال قيل لسحنون فقيه المغرب : مات ابن حبيب . قال : مات عالم الأندلس ، بل والله عالم الدنيا .
" قال العوفي في تاريخه : كان ابن حبيب كثير الجمع معتمدا على الاخذ بالحديث ، ولم يكن يميّزه ، ولا يدري بالرجال ".

وقد كانت معارفه المتنوعة من اسباب خلافه في الرأي مع بعض علماء عصره وخاصة يحيى بن يحيى ، مع اعترافهم له بالتبحّر في الفقه المالكي . وانتقادهم له في روايته للحديث النبوي ، مع انه كان اول من ادخل

علم الحديث ونشره في الاندلس . وقد نقل القاضي عياض ان الفقهاء كانو يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها .

وكما يقول محمد العربي الخطابي في كتابه القيم الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية : " وربما كان من اسباب التحامل عليه ايضا قربه من الامراء وذوي السلطان ، واختلاف أبنائهم الى مجالسه العلمية ، مع انه كان من أهل الورع والدين ، منتصرا لقول مالك ذابّا عنه ، فأتهم لذلك بطول اللسان " .

مؤلفاته

ذكر محمد العربي الخطابي في كتابه " الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية "[3] ما يلي :

" ويظهر أن عبد الملك بن حبيب ألَّفَ كتبا كثيرة العدد قيل أنها تجاوزت الألف، وتناولت علوما مختلفة كالفقه والحديث ، والسِّير والشمائل والتراجم والتاريخ والطب . ومن أشهر مؤلفاته في السنن والفقه كتاب " الواضحة " الذي كثيرا ما قيل عنه انه لم يؤلف مثله ، ولم يبق من هذا الكتاب سوى قطعة محفوظة بخزانة جامع القرويين بفاس.

" ومن مؤلفاته الباقية : " تلخيص في علم الفرائض" يوجد محفوظا في برلين ، ومجلد من كتاب " الورع " محفوظ بالمكتبة الوطنية في مدريد ، ونسخة مخطوطة من كتاب " التاريخ " محفوظة باكسفورد "

" ومن مؤلفاته الأخرى التي وصلت إلينا " مختصر في الطب " محفوظ بالخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط (فهرس المخطوطات العربية ، الرباط 1958، الجزء الثاني ص 322، رقم 2640) "

وقد ذكر الزركلي في الاعلام أن كتاب " وصف الفردوس " محفوظ في المكتبة الازهرية وأن كتاب " مختصر في الطب " ايضا موجود في الرباط . وأن كتاب " الغاية والنهاية " موجود مخطوط في الرباط وأوله : " باب ما جاء في فضل المرأة الصالحة " . وأن مختصرا من كتابه الكبير في التاريخ موجود في المكتبة البودليانية في اكسفورد بانجلترا . وأن جزءا من كتاب نظم الجمان قد طبع في تطوان . وأن كتاب استفتاح الاندلس ايضا مطبوع .

الكتب الطبية التي ألفها عبد الملك بن حبيب :

1- **" مختصر في الطب " :** (الطب النبوي) وهو الكتاب الموجود في خزانة الرباط برقم 2640، والذي قام الاستاذ محمد العربي الخطابي بنشره في كتابه : " الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية " (110-90/1) وهذا الكتاب يعتبر ثاني كتاب يؤلفه مسلم في الطب ولم يسبقه في ذلك إلا الامام علي الرضا الذي وضع رسالته في حفظ الصحة المعروفة باسم الرسالة الذهبية سنة 200هـ . .

وكلاهما اعتمد ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الطب ، إلا أن الامام علي الرضا لم يذكر الاحاديث النبوية ، بل كان يشير إليها ضمنا ، بينما كان عبد الملك بن حبيب يورد الاحاديث ، بدون سند في الغالب ، وهو قد سبق بذلك ابن السني وابن أبي عاصم وأبا نعيم الاصبهاني . .

ولا شك ان عبد الملك بن حبيب كان أول من وضع كتابا في الطب والطب النبوي في الاندلس الاسلامية .

والمخطوطة التي نشرها الاستاذ محمد الخطابي مقسمة الى قسمين :

1- القسم الاول : يعرض فيه المؤلف الأحاديث النبوية الواردة في الطب مبتدئا بالامر بالتداوي والعلاج ، ثم ما جاء في حمية المريض ، وما جاء في الحجامة ، وما جاء في علاج الحمى ، وما جاء في علاج الخاصرة ، وما ورد في الإثمد ، وما ورد في علاج الصداع ، وما ورد في علاج الفؤاد ، وعلاج الدماميل ، والعذرة ، والجذام ، وما جاء في الكي والبط وقطع العروق ، ومعالجة امرأة يموت ولدها في بطنها ، وما جاء في ضمان الطبيب ، وما جاء في مداواة الجراح ، وما جاء في المعالجة والمداواة

---

[3] - محمد العربي الخطابي : الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية ، دار الغرب الاسلامي 1988، 1/ 86،87

بالسعوط واللدود والوجور ، وما جاء في المعالجة بالحقن (الشرجية) ، والمعالجة بالمشي (الملينات والمسهلات) ، وكراهية التداوي بالدواء الخبيث . وكراهية التعرض للشمس وتناول الماء الحميم . وما ورد بالمعالجة بألبان الاتن ، والمعالجة بالترياق ، ودهن البنفسج ، وعلاج البلغم والنسيان وعلاج الصدر والحلق والفم ، وما يستشفى به للنفساء .

ثم ذكر عددا من الاطعمة والنباتات وفوائدها وخواصها مثل العسل ، وألبان البقر، والزيت ،والكندر (اللبان) ، والحرمل ، والحبة السوداء ، والقسط ، والحناء ، والحرف ، والشبَّة ، والحلبة ، والرجلة والكرفس ، والتلبين . وذكر ما جاء في الوباء .

وجعل القسم الثاني من الكتاب عن نظرية جالينوس وابقراط في الطب : الأمزجة الاربعة ، والاخلاط الاربعة ، وحدّ الصحة وحدّ المرض . وانه " ينبغي للانسان ألا يصيب من الاطعمة والأشربة إلا ما وافق منها طبائع جسده وعدّلها حتى يكون مزاجها معتدلا ، وأنه إن بغى عليه شيء من طبائعه ، ان يلزم الطعام والشراب بضده حتى يكسر به ما بغى عليه من طبائعه ، فإن طبائع الجسد ، التي هي قوامه أربعة : الدم والبلغم والمرَّة الحمراء (المقصود الصفراء) والمرَّة السوداء ، وهي إنما ركبت من الاخلاط الاربعة : من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، فالدم حار رطب حلو ، والبلغم بارد رطب مالح ، والمِرَّة الحمراء (الصفراء) حارة يابسة مُرَّة ، والمِرَّة السوداء يابسة حامضة ، فإذا بغى عليه الدم ، وهو حار رطب حلو ، لزم من الطعام والشراب كل بارد يابس حامض ، وإذا بغى عليه البلغم ، وهو رطب مالح ، لزم من الطعام والشراب كل حار يابس ، وإذا بغت عليه المِرَّة الحمراء (يقصد الصفراء) ، وهي حارة يابسة مُرَّة ، لزم من الطعام والشراب كل رطب بارد ومالح ، وإذا بغت عليه المِرَّة السوداء ، وهي باردة يابسة حامضة ، لزم من الطعام والشراب كل رطب وحار . . ومن اعتدل مزاجه لزمته الصحة وجانبه السقم بإذن الله .

" والطعام والشراب كله على اربعة أوجه : حلو ومُر وحامض ومالح ، وفيه أربعة أمزجة : الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، فالحلو كله حار رطب ، والمر كله حار يابس ، والحامض كله بارد ويابس ، والمالح كله بارد رطب " .

ثم ينتقل بعد ذلك على نفس النسق الذي وضعه الامام علي الرضا في رسالته للمأمون وتقسيم اعمار الانسان الى مراحل . وفي كل مرحلة من المراحل تكون الغلبة لأحد هذه الأخلاط والأمزجة . فمزاج الغلام (الى سن 17 ، وقد جعله الرضا الى سن 15) . الدم ، وهو حار ذو ابتلال . ومزاج الشباب المِرَّة الصفراء (17-34) ومزاجه حار يابس ، وأخوف السنة عليه الصيف لان فيه سلطان مزاجه ، ومزاج الكهل (35-52) المِرَّة السوداء ، ومزاجه بارد يابس وأخوف السنة عليه الخريف لان فيه سلطان مزاجه . ومزاج الشيخ (بعد 52الى آخر العمر) البلغم ومزاجها بارد رطب وأخوف السنة عليه الشتاء لان فيه سلطان مزاجه . .

ثم يتحدث أن منزل الدم الكبد ومنزل المِرَّة الصفراء المرارة ومنزل المِرَّة السوداء الطحال ومنزل البلغم الرئة . .

وكما هو معتاد استخدام ما ورد عن وهب بن منبه ليطابق هذه النظرية . . واغلب الكلام الوارد فيه هو عن وهب بن منبه الحبر اليهودي الذي اسلم في زمن عمر ، والذي روى كثيراً من الاسرائيليات ، ومن ضمنها نظريات جالينوس مع إضافات وزيادات . وهذا يوضح أن المسلمين عرفوا نظريات الطب اليونانية قبل ان يترجمها اسحاق بن حنين وأسرة آل يختيشوع في عهد المأمون العباسي . .

ويمتاز كتاب عبد الملك بن حبيب (مختصر في الطب) بالميزات التالية :

1- أنه أول كتاب في الطب يؤلف في الاندلس الاسلامية .
2- أنه ثاني كتاب في الطب والطب النبوي يؤلفه مسلم . ولم يسبقه إلى ذلك سوى رسالة الامام علي الرضا المعروفة باسم " الرسالة الذهبية " . وهي رسالة موجزة في حفظ الصحة ، لم يذكر فيها الامام

علي الرضا الأحاديث النبوية ، وإنما أشار إليها إشارة خفيَّة يدركها الباحث ، وضمنها كلامه تضمينا .

3- يمتاز كتاب عبد الملك بن حبيب بتبويبه في مواضيع محددة ويستدل على كل موضوع من مواضيعه بحديث أو أثر أو عدة أحاديث وآثار .

وقد قسم كتابه الفذ الى قسمين :

القسم الأول : في مواضيع علاجية ومواضيع فقهية طبية لا يزال الطبيب يحتاج إليها إلى يومنا هذا مثل موضوع ضمان الطبيب ومداواة امرأة يموت ولدها في بطنها ، والمداواة بالدواء الخبيث والترياق ، وفحص البول (القارورة) ، والتداوي بالحقنة الشرجية ، وغيرها من أنواع العلاجات المكروهة إلا لضرورة أو حاجة .

القسم الثاني : لخص فيه النظرية الطبية اليونانية تلخيصا جيدا رائعا يدل على اطلاع واسع ، رغم أن تلك النظرية لم تتم ترجمتها ونشرها على نطاق واسع إلا في عصر الفيلسوف الطبيب الكيميائي أبي بكر الرازي وأبي النصر محمد بن طرخان الفارابي .

وهو أمر يدل على ان العلماء الفقهاء من المسلمين كانوا على اطلاع منذ وقت مبكر بالنظرية الطبية اليونانية قبل ان تشتهر ترجمات يختيشوع وحنين بن اسحاق ويوحنا بن ماسوية وأضرابهم من السريان ونصارى العرب والصائبة .

ولعل ذلك كان عن طريق وهب بن منبه وكعب الاحبار ، وهما من كبار احبار اليهود اللذين اسلموا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونقلا فيما نقلا الى المسلمين النظرية الطبية اليونانية .

ومن المعلوم ان التوراة قد تمت ترجمتها الى اليونانية في عهد بطليموس في الاسكندرية . وقد عرفت تلك الترجمة باسم الترجمة السبعينية ، وتأثر اليهود تأثرا كبيرا بالثقافة اليونانية في مصر وفلسطين وسوريا . وبقي خلفاء الاسكندر المقدوني يحكمون هذه المناطق عدة قرون . . واعتبرت التوراة اليونانية هي التوراة الرسمية!! ولا شك ان أحبار يهود كانوا على اطلاع على أعمال جالينوس وأبقراط . ولذا فقد قاموا بنقل هذه الاراء الى علماء المسلمين . وقد صرح بذلك عبد الملك ابن حبيب في القسم الثاني من كتابه ونقل عن وهب بن منبه بالذات .

4- يمتاز كتاب عبد الملك بن حبيب بمناقشة بعض القضايا التي لم يتطرق إليها من كتب بعده في الطب النبوي من أمثال الموفق عبد اللطيف البغدادي والكحال ابن طرخان الحموي ، وابن القيم ، والذهبي ، والسيوطي ، والبعلي ، والمستغفري ، والتيفاشي ، وابو نعيم ، وابن السني .

وهذه القضايا هي :

- ما جاء في جواز عرض البول على الطبيب .
- قدح الماء من العين (عملية الماء الابيض) Cataract
- معالجة امرأة يموت ولدها ومداواة النفساء .
- التداوي بالحقن الشرجية .
- التداوي بألبان الأتان ومرارة السبع .

وتوسع في موضوع التداوي بالترياق والدواء الخبيث . رغم أن منهج عبد الملك بن حبيب أن يأتي بالحيدث دون سنده ، والأثر وخاصة عن الامام مالك، إمامه وشيخه ، أو أحدٍ من التابعين إن لم يجد شيئا في فعل الصحابة رضوان الله عليهم .

5- يعتبر كتاب عبد الملك وثيقة هامة توضح مدى اطلاع الفقهاء منذ وقت مبكر على العلوم الطبية ، وربطهم تلك العلوم بالأحاديث النبوية والقضايا الفقهية .

وهو اهتمام نابع من تعاليم الاسلام ذاتها . ولا شك أن الفقيه أو المحدث أو المفسر يطلع على كثير من القضايا الطبية ، والقضايا الطبية الفقهية أثناء دراسته للفقه والحديث والتفسير ، لان القرآن الكريم والسنة المطهرة

تشير إلى كثير من هذه القضايا الطبية .

6- مما يؤخذ على عبد الملك بن حبيب عدم معرفته لعلم الحديث معرفة عميقة ، رغم أنه أول من أدخل علم الحديث إلى الأندلس .

2- **الحسبة في الامراض :** ذكره الاستاذ محمد العربي الخطابي في كتاب " الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية " وقال إنه قد ذكره مؤلفو التراجم ولكنهم لم يذكروا شيئا عن مواضيعه وفصوله . ولم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ولا البغدادي في ايضاح المكنون . كذلك لم يذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ولم يذكره الذيل على التذكرة ، ولم يذكره الزركلي في الأعلام ولا رضا كحالة في معجم المؤلفين .

وإذا صحت هذه النسبة فهو أول كتاب يتحدث عن " الحسبة في الامراض ".

والحسبة يقصد بها إرشاد مزاولي خطة الحسبة بخصوص الأحكام الشرعية المتعلقة بمهنة الطب . وقد كان هناك المحتسب المسؤول عن المعاملات المالية وعن الأوزان وعن الصنائع . . .الخ . وعن ممارسة الطب . والمعروف ان الرقابة على الطب والأطباء وإعطائهم التراخيص لم تتم إلا في عهد المقتدر العباسي في القرن الرابع الهجري . ولكن هذا الكتاب يدل على الاهتمام بالحسبة في فترة مبكرة (القرن الثاني – الثالث الهجري) وتطبيقها على الممارسات الطبية مما لم يكن معروفا .

وربما كان يقصد الاحتساب والاجر في الامراض وما ورد فيها من احاديث نبوية تحث على الصبر وتبشر المريض بالاجر الوافر من الله سبحانه وتعالى ، وتكفير الذنوب ورفع الدرجات . ولكن بما ان الكتاب غير موجود فلا يمكن معرفة قصد الكتاب ومنهجه في الكتاب .

3- **كتاب طب العرب :** وقد ذكره الطبيب النباتي ابو القاسم الغساني في كتاب " حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار" الذي نشره أيضا بعد تحقيقه الاستاذ محمد العربي الخطابي والذي يقول عنه أن ما ورد فيه من معلومات يطابق ما جاء في مختصر الطب ولذا جعله اسما أخر لكتاب " مختصر الطب" بعد حذف الاسانيد في الكتاب الاصلي ، وان تسمية الكتاب بطب العرب ، يناسب موضوعه لانه يذكر طب العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة التابعين .

وفـــاته :

لقد اختلف في وفاة عبد الملك بن حبيب كما اختلف في سنة مولده . فقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ ما يلي : " قيل مات آخر سنة 239. وقال سعيد ابن مخلون : مات في رابع رمضان سنة 238" .

واختار الزركلي في الاعلام ورضا كحالة في معجم المؤلفين سنة 238هـ على انها سنة وفاته : " وجاء في "جذوة المقتبس " : ومات يوم السبت 12 ذي الحجة سنة 239" (ص263) ثم قال في ص 315: " ووفاة عبد الملك بن حبيب سنة 8 أو 239 على اختلاف فيه "

ولا شك ان عبد الملك بن حبيب علم من اعلام الامة ، كان رأسا في الفقه المالكي ، مؤرخا وأديبا وشاعرا ، عالما بالانساب ، واللغة ، والعروض ، والنحو ، مشاركا في غيرها من العلوم ، بما في ذلك علم الطب وعلم الحديث ، وان انتقده معاصروه في عمله للحديث . وقالوا ليس له معرفة بالرجال (اي رجال الحديث) ، ولا يميّز سقيمه من صحيحه . وهو أمر نلمحه أثناء دراستنا لهذا الكتاب القيم ، والذي يعتبر بحق أول كتاب في الطب النبوي، إذا استثنينا رسالة الامام علي الرضا للمأمون المعروفة بالرسالة الذهبية ، وهي رسالة مختصرة في حفظ الصحة وليست في الطب بأكمله كما هو موجود في كتاب عبد الملك بن حبيب " مختصر في الطب " .

وقد نشر كتاب عبد الملك بن حبيب الاندلسي الالبيري الدكتور محمد العربي الخطابي ضمن كتابه " الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية " ويقول الدكتور لطف الله قاري في مقالة له بعنوان حول كتب الطب النبوي نشرتها مجلة عالم الكتب (مجلد 25/العدد الخامس والسادس – مايو اغسطس 2004م صفحة 553-557) ان ما نشره محمد العربي الخطابي لا يمثل سوى 60 بالمئة من النص الكامل ، الذي طبع سنة 1992 بتحقيق الدكتور دي مورالس de Morales وخيرون Jeron ونشره المجلس الأعلى الاسباني للابحاث الطبية

ومعهد التعاون مع العالم العربي بمدريد في 153 صفحة باللغة الاسبانية ، كما ذكره الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه الطب النبوي بين المشرق والمغرب . وكنت قد شرحت كتاب عبد الملك بن حبيب شرحا موسعا معتمدا على ما نشره محمد العربي الخطابي . ونشرته دار القلم والدار الشامية بيروت 1993 . ولم أكن اعرف بما فعله الاسبان الذين نشروا الكتاب كاملا مع ترجمته الى الاسبانية ووضع فهارس عديدة له باللغتين العربية والاسبانية كما يقول الدكتور التازي.

وقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه الطب النبوي بين المشرق والمغرب (بحث قُدِّم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الدورة 65 ، مارس 1999 ونشر منفصلا سنة 2000م) هذا الكتاب باسم طب العرب لعبد الملك بن حبيب وقال انه ظهر مطبوعا بمدريد عام 1992 بتقديم وتحقيق وترجمة الى الاسبانية من طرف الاستاذين كاميلو الباريث دي موراليس (Camilo Alvarez de Morales) وفرناندو خيرون ايرويست (Fernando Giron Irueste) . اصدار المجلس الاعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي في اسبانيا . وقد قدما له مقدمة باللغة الاسبانية ووضعا له العديد من الفهارس الهامة. وقد تكرم الدكتور لطف الله قاري بارسال نسخة مصورة من كتاب " المستشرقين الاسبان " فجازاه الله عني كل خير .

وعلى خلاف كتاب (مختصر في الطب) الذي لم يذكر فيه الأسانيد ، فإن كتاب طب العرب حريص على ذكر الاسانيد . ويبدو من مقارنة الكتابين ان كتاب " مختصر في الطب " الذي نشره محمد العربي الخطابي ضمن كتابه " الطب والاطبار في الاندلس الاسلامية " هو مختصر لكتاب طب العرب .

ثم تكرّم علي الاخ العزيز البحاثه الدكتور لطف الله قاري (وهو أحد اعلام الباحثين في التراث العلمي والطبي الاسلامي) بارسال كتاب " طب العرب " لعبد الملك بن حبيب والذي قام بتحقيقه الاستاذ بدر العمراني الطنجي ، ونشرته دار ابن حزم ، بيروت سنة 2007م . وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة مصورة من مكتبة شيخه العلامة محمد بو خبزه الحسني . وهي مصورة عن الاصل المحفوظ بخزانة الشيخ احمد اللواجري التطواني ، وعدد لوحاتها (صفحاتها) 54 ، وفي كل صفحة 17 سطرا . وبالنسخة أخطاء في النسخ . وقد قام المحقق بنسخ المخطوط وفق الرسم المتعارف عليه الان ، وصحح النص وخرّج الاحاديث ورقم الايات وقدّم للرسالة وذكر فيها انواع التأليف في الطب العربي والتعريف بالكتاب وترجمة لعبد الملك بن حبيب والتعريف بالنسخة المعتمدة للتحقيق .. . وقد ذكر الاخ الدكتور لطف الله قاري ان الكتاب طبع في بيروت ايضا باسم " مختصر في الطب " منسوبا الى عبد الملك بن حبيب الالبيري الاندلسي بتحقيق محمد أمين الصُناوي والناشر دار الكتب العلمية بيروت ، سنة 1998 . ولا شك ان هذا الكتاب هو الذي نشره محمد العربي الخطابي في كتابه " الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية " والذي اعدت نشره مع شرح موسع وتعليقات كثيرة ونشرته دار القلم (دمشق) والدار الشامية (بيروت) سنة 1993 وقد شرحت كل حديث أورده مع ذكر الاحاديث المماثلة ومن أخرجها وما قاله العلماء القدماء في الموضوع من الناحية الحديثية ومن الناحية الطبية ثم شرح الموضوع من الناحية الطبية المعاصرة .

وقد وجدت أن كتاب طب العرب هو نفسه كتاب مختصر في الطب وفي المختصر حذف الاسانيد وللاحاديث الاخرى المماثلة التي اوردها عبد الملك بن حبيب في الموضوع في الكتاب الموسع (كتاب طب العرب) . كما ان فيه احاديث ضعيفة مثل قوله صلى لله عليه وآله وسلم :" أيما طبيب داوى مسلما يريد وجه الله ، لم يأخذ عليه أجرا ، فصلح على يده ، كتب له مثل أجره الى يوم القيامة ، ومن اخذ عليه أجرا فهو حظّه منه في الدنيا والاخرة .

وفي كثير من الابواب يكتفي عبد الملك بن حبيب في كتابه " مختصر في الطب " بحديث أو حديثين بدون سند ، بينما يذكر الاسانيد وأحاديث أخرى كثيرة في كتابه طب العرب ، وان كان كثير منها ضعيف ، وبعضها موضوع .

وهكذا نرى باب ما جاء في الامر بالتداوي والعلاج ، وباب ما جاء في حمية المريض وباب ما جاء في الحجامة ومواضعها وزمانها ومتى تستحب ومتى تكره ، وكراهتها للشيخ وللأطفال . ويستحب دفن دم الحجامة وغيره . وما جاء في علاج الحمى بالماء (وبالماء البارد) .. وعلاج الخاصرة (المغص الكلوي) ، وما جاء

في الاثمد وعلاج البصر . وما جاء في علاج الصداع .. وعلاج العذره والسلفاغ (التهابات الحلق) . وما جاء في الجذام والبرص واجتناب ما يجرّ اليهما . وما جاء في الكي ، والبطّ (أي فتح الخراجات والدمامل الكبيرة) وقطع العروق ..وما جاء في المرأة يموت ولدها في بطنها أو يكون بها الجراح في موضع العورة فتحتاج الى علاج الطبيب ، واباحة ذلك .. وما جاء في ضمان الطبيب وما جاء في مداواةالجراح ، وما جاء في التعالج بالسعوط واللدود والوجور والغمز ، والتمريخ ، والكماد ، والتلذيع .

وما جاء في التعالج بالحقن (الشرجية) . وما جاء في التعالج بالمشي (اي اسهال البطن) بالسنا والشبرم ، وما أشبههما من العقاقير .. وأهمية السنا في ذلك ... وما جاء فيما يكره التعالج به من الدواء الخبيث المكروه أو المحرّم ... وما يكره من التعالج بالماء المرّ والحميم وماء الشمس ... وألبان الاتان (انثى الحمار) ومرارة السَبُع .. والتعالج بالترياق (من نحو لحم حيّة) ثم انتقل الى علاج البلغم وعلاج النسيان وما يورث الحفظ ... وعلاج الصدر والحلق والفم ... وما يستشفى به للنفساء عند نفاسها ... ثم جعل فصلا لفوائد التمر ، ثم العسل ، ثم السمن ، ثم اللبن ، ثم الزيت (المقصود زيت الزيتون) .. وهكذا ذكر اللبان والحرمل والحبة السوداء والقسط (الكست) والحناء والحرُف (الثّفاء ، حب الرشاد) والشبث ، والحلبة والرجلة والكرفس وأنواع الفواكة مثل الأترج ، والخوخ والرمان والسفرجل والبطيخ والموز واللوز والصنوبر والفستق و البلوط والسماق ..ثم انتقل الى مزاج الاشربة الحلال وبدأها بالعسل ونبيذ الزبيب والرب والتين (وهو قبل ان يتخمر) .. فاما الخمر فهي حرام ولا يجوز التداوي بها .

ثم تحدث عن الكرنب والسلق ، والسرمق (القطف) ، والقرع والبقل والرجلة ، والهليون (الاسفراج) ، واللفت ، والجزر ، والملوخية ، والباذنجان والبصل والثوم والكراث والفجل ، والخسّ والهندباء والجرجير والحرف (حب الرشاد وهو الثّفّاء) والخردل ، والسذاب الاخضر وفائدة كل واحد من هؤلاء .

ثم تحدث عن مزاج الرياحين وما شابهها وفوائدها ابتداء بالآس (الريحان) ثم الورد والياسمين والسوسن والنرجس .. الخ وفوائدها واستعمالاتها الطبية.

ثم تحدث عن الكسبرة وحب الكزبر والكمون والشونيز والشبت والكراويا والقرفة والفلفل والخل والصعتر (الزعتر) والملح وفوائدها الطبيّة .

ثم تحدث عن أمزجة الجسد والنظرية اليونانية ومزاج الانسان واستخدام احاديث ضعيفة ومتروكة . وقد أسلفنا القول في هذه النظرية اليونانية فلا حاجة للاعادة .

ثم انتقل الى امراض المثانة والكلى والمجاري البولية ومداواتها وجعل ابن حبيب الجزء الثاني من كتابه (طب العرب) في ما ورد من أحاديث في السحر وعلاجه وحديث سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... ثم ذكر ما جاء في العين من أحاديث والنشرة من العين وغيرها .

ثم تحدث عن انواع الرقية ابتداء من رقية العين ثم رقية القرحة والنملة والمقصود بها هربس زوستر وهو ما كان يسمى النار الفارسية وسماها المعجم الطبي الموحد : حلأ منطقي ، وسماها غيرهم القوباء المنطقية ... وهي بثور تظهر في مجرى الاعصاب وتسبقها آلام قد تكون مبرّحة . ثم تحدث عن رقية لدغة العقرب ، ورقية الرعاف ، ووجع الضرس ، وعرق النسا ، ورقية الفرس اذا اعتّل واستصعب ... وما جاء في تعويذة المعتوه ... وأنهى هذا الفصل والكتاب بجامع الرقى والسنّة فيه .

الفصل الخامس :

احمد بن ابي عاصم الضحاك الشيباني
(206-287هـ)

اسمُه ونسبُه:

هو الإمام ابن أبي عاصم؛ أحمد بن عمرو بن الضحاكِ – أبي عاصم النبيلِ - بن مخلد ؛ أبو بكر؛ الشيبانيُّ؛ البصريّ؛ ثم الأصفهاني؛ الحَافظُ الكَبِيْرُ؛ الإِمَامُ؛ البارعُ، مُتَّبعٌ للآثار، كَثِيْرُ التَّصَانِيْف؛ الزاهِدُ؛ له التصانيف النافعة والرحلة الواسعة في البلاد في طلب الحديث .

أصلُه من البصرة ، قَدِمَ أَصْبَهَان عَلَى قَضَائِهَا وسكنها، وَنَشَرَ بِهَا عِلمه

مولده :

قَالَتْ بنته عَاتِكَة: وُلد أَبِي فِي شَوَّالٍ، سَنَةَ سِتٍّ وَمائَتَيْن.

عائلتُه:

عائلتُه عائلةٌ علميّة دَيِّنةٌ وَرِعةٌ:

فجدُّه لأبيه هو الحافظ الثقة الثّبْتُ الكبير أَبُو عَاصِمٍ؛ النَّبِيلُ؛ الضَّحَّاكُ بنُ مَخْلَدٍ؛ الشَّيْبَانِيُّ؛ من شيوخ الإمام البخاري رحمه الله تعالى (122 -212هـ).

وهذا الرجل كان فاضلا جدا، **وأبوه** عمرو كان قاضيًا على حمص، ومات بها.

أمّا أخوه: عُثْمَان بن عَمْرو بن أَبِي عَاصِم فكان كأخيه أحمد مِنْ كِبَار العُلَمَاء.

قَالَ ابْنُ عَبْدَكَويه: سَمِعْتُ عَاتِكَة بِنْتَ أَحْمَد تَقُوْلُ: سَمِعْتُ أَبِي –ابن أبي عاصم يعني- يَقُوْلُ:

جَاءَ أَخِي عُثْمَانَ عَهدُه بِالقَضَاء عَلَى سَامَرَّاء، فَقَالَ: أَقْعُدُ بَيْنَ يَدَي الله تَعَالَى قَاضِيًا؟! فَانْشَقَّت مرارَتُه، فَمَاتَ!

وجدُّه لأُمِّه هو: الحَافِظ مُوْسَى بن إِسْمَاعِيْلَ التَّبُوْذَكِيّ. وسمع منه ابنُ أبي عاصم أحاديثَ.

ثناء العلماء عليه:

قَالَ الحافظ أَبُو الشَّيْخ: كَانَ مِنَ الصِّيَانَة وَالعِفَّة بِمَحَلٍّ عَجِيْب!

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ مَرْدَوَيْه: حَافظٌ، كَثِيْرُ الحَدِيْثِ، صَنَّفَ المُسْنَد وَالكُتُب.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاس النَّسَوِي: أَبُو بَكْر بنُ أَبِي عَاصِم، وَهُوَ: أَحْمَد بن عَمْرو بنِ الضَّحَّاكِ بن مَخْلَدٍ الشَّيْبَانِيّ، مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، مِنْ صُوفيَة المَسْجد، مِنْ أَهْلِ السُّنَّة وَالحَدِيْث وَالنُّسك وَالأَمْر بِالمَعْرُوف وَالنَّهْي عَنِ المُنْكَر، صَحِبَ النُّسَّاك، مِنْهُم: أَبُو تُرَاب، وَسَافَرَ مَعَهُ، وَكَانَ ثِقَةً نبيلاً مُعَمَّراً.

قال ابن أبي حاتم: ذهبت كُتُبه بالبصرة في فتنة الزنج؛ فأعادَ مِن حفْظِه خمسينَ ألفِ حديثٍ!

مذهبه الفقهيُّ:

قَالَ الحَافِظُ أَبُو نُعَيْم: كَانَ فَقِيْهاً، ظَاهِرِيَّ المَذْهب . انتهى. وكذا قال أكثر من عالم في ترجمته.

قال الذهبي متعقبًا لهذا القول: وفِي هَذَا نَظَرَ، فَإِنَّهُ صَنَّفَ كِتَاباً ردا عَلَى دَاوُدَ الظَّاهِرِي: أَرْبَعِيْنَ خبراً ثَابِتَة مِمَّا نفَى دَاوُد صحَّتهَا.

مناصبُه: ولي القضاء بأصبهان ، وكان قاضيا ثلاث عشرة سنةً

زهدُه وورعه: عَنْ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَاصِم: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عَاصِم يَقُوْلُ:

"وَصَلَ إِلَيَّ مُنْذُ دَخَلْتُ إِلَى أَصْبَهَانَ مِنْ دَرَاهم القَضَاء زِيَادَةٌ عَلَى أَرْبَع مائَة أَلْف دِرْهَم، لاَ يُحَاسبنِي الله يَوْمَ القِيَامَةِ أَنِّي شَرِبتُ مِنْهَا شربَةَ مَاءٍ، أَوْ أَكَلْتُ مِنْهَا، أَوْ لَبستُ" !.

وكان بعد ما دخل في القضاء إذا سُئِل عن مسألة الصوفية يقول: القضاءُ والدنيّة، والكلامُ في علم الصوفية – مُحالٌ .

وعن ابْن أَبِي عَاصِم قال: لَمَّا كَانَ مِنْ أَمرِ العَلَوِيّ بِالبَصْرَةِ مَا كَانَ، ذَهَبَتْ كُتُبِي، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ، فَأَعدتُ عَنْ ظهر قلبي خَمْسِيْنَ أَلف حَدِيْث، كُنْت أَمُرُّ إِلَى دُكَّانِ البَقَّالِ، فكُنْتُ أَكتبُ بضوءِ سِرَاجِه، ثُمَّ تَفَكَّرْت أَنِّي لَمْ أَستَأْذِن صَاحِب السِّرَاج، فَذَهَبتُ إِلَى البَحْر فَغَسَلْتُه، ثُمَّ أعدتُه ثانياً. انتهى.

شُيوخُه:

أَبُو الوَلِيْدِ الطَّيَالِسِيّ، وَعَمْرو بن مَرْزُوْقٍ، وَأَبُو عُمَرَ الحَوْضِي، وَمُحَمَّد بن كَثِيْر، وَمُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ المُقَدَّمِيّ، وَشَيْبَان بن فَرُّوْخ... إلخ وَطَبَقَتهُم،

وَيَنْزِلُ إِلَى طبقَة: أَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ، وَالإمام البُخَارِيّ صاحب الصحيح، وَيُكثر عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنِ كَاسِبٍ، وَهِشَام.

تلامذته:

حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنتُه أُمّ الضَّحَّاك عَاتِكَة، وَأَحْمَد بن جَعْفَرِ بنِ معبد، وَالقَاضِي أَبُو أَحْمَدَ العَسَّال، وَمُحَمَّد بن إِسْحَاقَ بن أَيُّوْبَ، وَعبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّدِ بنِ سِيَاهُ، وَأَحْمَد بن مُحَمَّدِ بنِ عَاصِم، وَأَحْمَد بن بُنْدَار الشَّعَّار، وَمُحَمَّد بن مَعْمَر بن نَاصِح، وَأَبُو الشَّيْخ، وَأَبُو بَكْرٍ القَبَّاب – وَهُوَ آخر أَصْحَابه وَفَاةً – وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الكِسَائِيّ.

بعض مؤلفاته:

- المسند الكبير. به نحو خمسين ألف حديث.
- الآحاد والمثاني. وبه نحو عشرين ألف حديث.
- كتاب السُّنّة. وهو أشهر مؤلفاته، وهو من كتب الاعتقاد المسنَدة المهمّة، وقد قام الشيخ الألباني رحمه الله تعالى بتخريج أحاديث جزء كبير منه (حوالي ثلاثة أرباع) في كتابه "ظلال الجنة في تخريج السُّنّة".
- الأوائل.
- الجهاد.
- الديات.
- الزهد.
- المذكر والتذكير.
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
- كتاب المختصر من المسند؛ نيف وعشرون ألفا من الأحاديث.

وله كتاب الطب النبوي قال محمد نزار الدقر أنه مفقود .. ولم اجد من ذكر هذا الكتاب غيره ويبدو انه ضمن كتابه " كتاب السنة" وكتاب " المسند الكبير. به نحو خمسين ألف حديث.

وفاته:

مَاتَ أَحْمَدُ بنُ عَمْرو سَنَةَ سَبْع وَثَمَانِيْنَ، لَيْلَة الثُّلاَثَاء، لخمسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيْع الآخِرِ.

جنازته المهيبة:

عن تلميذه الحافظ أَبِي الشَّيْخ، قَالَ: حَضَرْتُ جِنَازَة أَبِي بَكْرٍ، وَشهدهَا مئتَا أَلفٍ مِنْ بَيْنِ رَاكبٍ وَرَاجلٍ!!

الفصل السادس :

ابــن الــــسني
(284 - 364 هـ)
(897 - 974 م)

أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق بن أسباط الدينوري الهاشمي الجعفري مولاهم ، كان جده مولى لجعفر بن ابي طالب ، محدث ثقة ، شافعي من تلاميذ الامام النسائي .

ترجمة ابن السني:

هو الإمام الحافظ الثقة الرحال أبو بكر ، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الهاشمي الجعفري مولاهم الدينوري ، المشهور بابن السني
ولد في حدود سنة ثمانين ومائتين وقيل سنة 284هـ
ارتحل فسمع من أبي خليفة الجمحي(توفي 305هـ) وهو أكبر مشايخه ، ومن الامام أبي عبد الرحمن النسائي(توفي 303هـ)صاحب السنن المشهورة وأكثر عنه ، والامام البغوي (توفي 317هـ) صاحب المسند والمؤلفات الكثيرة . . وأخذ عن أبي يعقوب إسحاق المنجنيقي ، وعمر بن أبي غيلان البغدادي ، ومحمد بن محمد بن الباغندي ، وزكريا الساجي ، وعبد الله بن زيدان البجلي ، وأبي عروبة الحراني ، وجماهر بن محمد الزملكاني ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومحمد بن خريم ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، وخلق كثير.
وأخذ عنه الشريف محمد ابن ابي اسماعيل ابن الحسين العلوي الملقب بالوصي (توفي سنة 393هـ) ، وابو نصر احمد ابن الحسين الدينوري المعروف بالكسار(توفي سنة 433هـ).

وفـــاته:

قال القاضي روح بن محمد الرازي سبط أبي بكر بن السني ، سمعت عمي علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق ، يقول : كان أبي رحمه الله يكتب الأحاديث ، فوضع القلم في أنبوبة المحبرة ، ورفع يديه يدعو الله عز وجل فمات ، وسئل عن وفاته ، فقال : في آخر سنة أربع وستين وثلاث مائة

من كتبه :

كتاب عمل اليوم والليلة مطبوع عدة طبعات منها طبعة : (دار الأرقم – بيروت / 1418هـ -1998مـ) بتحقيق عبد الرحمن كوثر البرني

وكتاب فضائل الأعمال (مخطوط) في مكتبة الازهري ، وكتاب القناعة (مخطوط) في الظاهرية في دمشق وقد طبع في دار الخلفاء الفحاحيل – الكويت بتحقيق أبو عبد الرحمن عبد الله بن يوسف وطبع ايضا في مكتبة الرشد – الرياض 1409، بتحقيق عبد الله بن يوسف الجديع

وهو الذي اختصر " سنن " النسائي ، واقتصر على رواية المختصر ، وسماه " المجتنى وكتاب الصراط المستقيم (مخطوط) في شستربي(ايرلنده) .

كتاب الطب النبوي : يعتبر هذا الكتاب ثالث الكتب المؤلفة في الطب النبوي بعد الرسالة الذهبية للامام علي الرضا ومختصر في الطب للفقيه عبد الملك بن حبيب الاندلسي الالبيري

وهذا الكتاب مخطوط في مكتبة الفاتح في استنبول برقم 3585 ، فقد ثبتت نسبته الى ابن السني في مراجع مثل كشف الظنون لحاجي خليفة ، وتاريخ التراث العربي لسزكين والاعلام للزركلي ، التراث الاسلامي والشامل في الحديث ، مؤسسة اهل البيت .

وقد ذكر المصنف نفسه انه اختصره من كتاب واسع في علم الطب قال المصنف : " لما فرغت من الكتاب الذي جمعت فيه علم الطب واستقصيت ابوابه وطرق الاحاديث المأثورة فيه ، رأيت ان اختصر من ذلك مختصرا جامعا يشتمل على جميع ابوابه . واحصر في كل باب منه أصح الاحاديث نقلا واتمها لفظا واشرحها بيانا " .

ثم قام الناسخ بحذف الاسانيد لتسهل قراءته

والمخطوط يتكون من 72 ورقة وفي كل ورقة 15 سطرا وقد كتب بخط نسخ جيد مشكول . اسم الناسخ ابراهيم ابن علي ابن داود الحنبلي بتاريخ جمادى الاخرة سنة 775هـ . على ورقة الغلاف ختم مكتبة الفاتح في المكتبة السليمانية باستنبول برقم 3585. والكتاب وقف من السلطان الغازي محمود خان بتحرير المفتش لأوقاف الحرمين عبده نعمة الله ، وهذه النسخة مقابلة على اصل الكتاب كما جاء ذلك في اخر المخطوط.

وقد قامت المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بالكويت باصدار هذا الكتاب الهام مخطوطا مصورا مع مقدمة من الدكتور عبد الرحمن العوضي ومقدمة اخرى من الدكتور احمد رجائي الجندي ، وقد اعد الكتاب للنشر الاستاذ احمد العوضي والاستاذ عبد الله الكندري ونشرته المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بالكويت سنة 2004م.

وينقسم الكتاب الى سبعة فصول (مقالات) :

المقالة الاولى : في فضل صناعة الطب وتعلم الطب والحث عليه واختيار الاطباء ومعرفة الامراض واباحة مداوات النساء للرجال غير ذوات المحارم ، والرجال للنساء وهذه النقطة شديدة الاهمية الى اليوم، ويسأل عنها كثير من الناس . وأول من تحدث عنها حسب علمي في كتب الطب النبوي هو الامام عبد الملك بن حبيب الأندلسي .

ثّم تحدّث المؤلف عن ضمان الطبيب وخاصة الطبيب الجاهل ثمَّ تحدّث عن المداواة بالمواد المحرّمة والنجسة ، وهو ايضا بحث هام ولا يزال يبحث عنه الاطباء والفقهاء الى اليوم ، ثم تحدث عن كيفية معرفة العقاقير وما يقع في الادوية من الغش . وهذا ايضا باب هام جدا لانزال نحتاج اليه الى اليوم . وقد تحدث عنه أيضا عبد الملك بن حبيب الأندلسي.

المقالة الثانية : هي معرفة تركيب البدن وتشريح الاعضاء ومعرفة الاعصاب ثم الجهاز الهضمي ثم تحدث عن القلب وأهميته باعتباره العضو الرئيسي للانسان ، ثم تحدث عن باب فضل الصحة والعافية واهمية تدبير الصحة . . واعتبر ان قيام الليل والسفر والبعد عن الهموم وتعديل الغذاء والنظافة والانتقال الى الاماكن والمناظر الجميلة كلها معينة على الصحة وتنميتها والاحتفاظ بها . كما نبّه المؤلف الى اختيار البلدان الصحيحة الأهوية وتوقي الاماكن الوبيئة ، وهذا ، لعمري ، اهتمام بالبيئة وصحتها ينبغي ان نهتم به كل الاهتمام . وللاسف فإن الاهتمام بالبيئة في العالم الثالث بل وفي العالم أجمع ، اصبح شبه معدوم بسبب الصناعات والشركات الضخمة ومصالحها .

وقد اوضح المؤلف ايضا اهمية الحركة واختيار المساكن المناسبة وتوقي كثرة الجلوس في الشمس ، وقد اثبت الطب الحديث ضرر التعري والجلوس في الشمس وتسبيبه بكثير من الامراض بما فيها سرطان الجلد ، ثم انتقل المؤلف الى ما يتوقى ويجتنب من المأكولات وأضرارها ، ثم تحدث عن تجنب الامساك بالاغذية و الاطعمة والاشربة والادوية ومثالها السنامكي (السنا)، ثم تحدث عن الفصل والحجامة واستخدام الحمام ومنافعها ، ثم تحدث عن الاحتراس من السموم وأهمية السواك والنظافة وغسل الثياب واستخدام الكحل للعين والطيب للبدن والشعر وذكر أهمية الالوان وخاصة اللون الاخضر ثم اعطى القارئ نصيحة هامة وهي اجتنب الدواء ما احتمل بدنك الداء ، واوضح اضرار استعمال الادوية بدون ضرورة وهو امر نحتاج اليه اليوم اشد الحاجة فقد اولع الناس باستخدام المضادات الحيوية بسبب وبدون سبب مما أدّى الى فقدان فعاليتها وتجمّع اضرارها .

المقالة الثالثة: وانتقل المؤلف الى تجنّب كثرة الهموم والاحزان وكثرة ذكر الموت لانها جميعا تسبب الكآبة الشديدة وتولد الامراض ، وانتقل بعد ذلك الى معالجة الصداع والشقيقة وامراض العين وامراض الانف والاذن ، وذكر ان للزكام منافع ومنها انه يمنع الجذام ومن المعلوم ان الجذام مرض سببه مكروبات شبيهة بمكروب الدرن (السل) ينتقل عن طريق الانف فإذا حدث الزكام وسالت الانف منع دخول هذه المكروبات وقَتَلها ، وهذا اكتشاف لم يتوصل اليه الطب الا في العصر الحديث .

وتحدث بعد ذلك عن الجذام وانواعه وكيفية تجنبه . . وحذر من نتف شعر الانف وهو امر مهم لان نتف شعر الانف قد يؤدي الى التهابات مكروبية خطيرة قد تنتقل الى الدماغ . ولهذا نصح بقص الشعر الزائد من الانف دون نتفه .

ثم تحدث عن امراض جلدية تصيب الوجه وهي أنواع منها الحمرة التي تعلو الوجه وسماها الشوكة ، والكَلَف الذي يكثر لدى الحوامل وكيفية التغلب عليهما .

والعجيب انه تحدث عن جراحة تجميلية لاصلاح الانف المقطوع وهو ما يحدث في المعارك غالبا وفي بعض الامراض نادرا ، وكل ذلك يستقيه من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم تحدث عن أوجاع الاذن والفم والاسنان وما ينفعها وقاية وعلاجا .

وتكلم عن التهاب الحلق واللوزتين (العذرة) ، ثم انتقل الى امراض الصدر السعال والبلغم ، ثم انتقل الى امراض القلب والخفقان واوجاع البطن والكبد والمعدة والاستسقاء والامعاء والقولنج (القولون) ، وتحدث عن الأمراض الرئوية وذات الجنب (البلورا والالتهاب الرئوي) وانتقل الى امراض العظام والكسور والجبائر ثم انتقل الى امراض النسا والولادة وامراض الرحم والفرق بين دم الحيض ودم الاستحاضة وهو ما نحتاج اليه الى اليوم .

وكيفية قطع رائحة الدم في الحيض والنفاس ورطوبة المهبل وما ينشف رطوبته ، وتحدث ايضا عن الجماع من الناحية الجنسية ، وانتقل بعد ذلك الى البواسير والجراحات وكيفية ايقاف الدم .

ولم يترك امرا ض الحساسية والحكة والشرى ، وتحدث عن امراض الجدري والحصبة والتفريق بينهما . وتحدث عن القوباء (الهربس زوستر) والدماميل والبثور والثأليل وعرق النسا ووجع المفاصل والبرص وكيفية الاحتراز منه ، وتحدث ايضا عن القمل في الرأس والبدن وكيفية التخلص منه ، وتحدث عن الفالج (الشلل النصفي) واللقوة (شلل العصب الوجهي وهو العصب السابع) وتحدث بعد ذلك عن الحقنة الشرجية ومعالجة السموم ولدغ الهوام واسبابها وكيفية الوقاية منها ومعالجتها .

ثم انتقل الى الحميات وانواعها وفضل من يصاب بها ويتحملها ، وعلاجها بالماء البارد وفرق بين انواع الحميات وكيفية استعمال الماء البارد في بعضها دون بعض ، وانتقل الى مرض السل وكيفية علاجه .

المقالة الرابعة : خصص المقالة الرابعة لمعرفة العقاقير من النباتات وغيرها وابتدأ بالخرنوب والسنا والسنوت والشيح والشونيز والصعتر(زعتر) والصمغ والحنظل والصنوبر والثفّاء والقسط واللبان والمرّ والكمّون والكمأة والحلبة والهندباء والمرزنجوش ، ثم تحدث عن منافع اعضاء الحيوان . وتعرض للضفدع والذباب والضب .

المقالة الخامسة : خصصها للحمية وانواعها وتدبير الاغذية للمريض والناقه .

المقالة السادسة : تحدث فيها عن حفظ الابدان والاشياء المألوفة والاشربة وتحدث عن انواع المياه ومياه الابار ومياه العيون ومياه الامطار والماء المشمس ومياه الأسباخ والمياه العذبة ومياه المدن والاحساء (الاماكن الزراعية) . . وخير المياه ماء زمزم وكيفية الشرب وأواني الشرب وأنواعها وتحدث عن الألبان وأنواعها مثل ألبان الغنم والماعز والإبل والإتان (انثى الحمار)وفوائد الحليب والزبدة والسمن والجبن . ثم تحدث عن الاشربة وانواعها مثل عصير الزبيب والتمر (يسمى النبيذ وهو غير مسكر) وقوة الفواكة مثل السفرجل والاترج والرمان والنبق والعنب والزبيب وجوز الهند والبلح والرطب وأنواع التمور وأنواع اللحم والفروق بينهما مثل لحم البقر ولحم الجزور (الابل) ولحم الفرس ثم انتقل الى اعضاء الحيوان مثل لحم العنق والكتف والذراع والعضد والظهر والكبد والطحال ، ولحوم الطير وأنواعها ثم انتقل الى الابل وابوالها .

المقالة السابعة : خصصها للرقية وأنواعها وما يصح منها وما لا يصح .

وقد خدم الكتاب بوضع فهارس عامة للمخطوط مثل فهرس علام الرجال وعلام النساء والمواضع والاغذية والاشرب ، وفهرس الامراض ، وفهرس النبات ، وفهرس الحيوان ، وفهرس المعادن .

والكتاب يحتاج الى طبعه ومقارنته بأي مخطوطة أخرى إذا وجدت . ومن ثمّ التعليق عليه وشرح ما فيه من معلومات هامة .

الفصل السابع :

الحافظ ابو نعيم الاصبهاني
(336 – 430 هـ)
(948 – 1038 م)

لقد قام الدكتور مصطفى خضر دونمز التركي بدراسة كتاب أبي نعيم في الطب النبوي دراسة مفصلة (رسالة دكتوراه) ونشرته دار ابن حزم في بيروت سنة 2006 تحت عنوان موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني في مجلدين[1] ، ومنه نقتبس هذه المعلومات الموجزة الا أن المحقق لم يطلع على كتاب ابن السني الذي لا يزال مخطوطا . وهو مصدر كتاب أبي نعيم ، وكتاب ابن السني المخطوط بدون اسانيد بينما كتاب أبي نعيم حافل بالأسانيد .

ترجمة أبي نعيم :

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران المهراني الاصبهاني الشافعي . فالمهراني نسبة الى جده الكبير مهران ، والاصبهاني نسبة الى اصفهان (وتدعى ايضا اصبهان وهي مدينة مشهورة في فارس (ايران) وقد اخرجت مئات العلماء الجهابذة) ، والشافعي نسبة إلى مذهبه الفقهي الذي كان ينتسب اليه . وجده مهران الذي ذكره ، كان مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب.

وهو أول من اسلم من اجداده .

بداية دراسته العلمية :

ان اصفهان التي ولد ونشأ فيها أبو نعيم ، كانت ذات وسط علمي صاخب وثري وفي طليعته علم الحديث . ولد في بيت كان تعقد فيه مجالس العلم ، وأبوه عبد الله بن احمد الذي كان احد علماء الحديث ، بذل جهدا جهيدا لتنشئته فذهب به الى مجالس مشايخ الحديث وهو صبيّ ووجهه الى العلم . وتاثير الوالد يبدو واضحا أيضا في تنشئة اخيه ابي مسعود محمد بن عبد الله بن احمد ايضا بحيث صار من المحدّثين المشهورين. وقد كان والده هو الذي وجهه الى علم الحديث وهو استاذه في الوقت نفسه فقد روى أبو نعيم عن أبيه أحاديث تصل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسانيد متصلة .

رحلاته في طلب العلم :

صرح السبكي بأن أبا نعيم قام برحلته الاولى عام 967/356، وعمره حوالي عشرين عاما . فجمع العلم من مدن مختلفة ثم زار الحرمين . وعقب السبكي هذا التصريح بقائمة تحتوي اسماء من اخذ ابو نعيم عنهم الحديث(الطبقات للسبكي ج8/3).

1- لقد تكرم الاخ العزيز الباحث في التراث العلمي والطبي الاسلامي الدكتور لطف الله قاري باهدائي نسخة من هذا الكتاب القيم

وقد رحل الى الكوفة عام 356هـ واخذ عن علمائها .

ورحل إلى بغداد عام 357هـ واخذ عن كبار المحدثّين فيها .

ورحل الى مكة عام 358هـ واخذ عن علمائها .

ورحل الى البصرة وأخذ عن علمائها .

وسافر ابو نعيم الى نيسابور عام 371هـ وإلتقى بعلمائها الكبار واخذعنهم .

وسمع الحديث في جرجان من الامام ابي بكر ابن اسماعيل الجرجاني وابي احمد بن الغطريف الغطريفي .

اساتذته :

ألف ابو نعيم نفسه كتابا مستقبلا سماه معجم الشيوخ وعرف فيه بشيوخه . . منهم :

المعمر عبد الله بن عمر بن شوذب من مدينة واسط . وأبو العباس الاصمّ من نيسابور و هيثمة بن سليمان الطرابلسي من دمشق و جعفر الخلدي من بغداد .

ومسند إصفهان ابو محمد عبد الله بن جعفر بن احمد بن فارس. والقاضي ابو احمد محمد بن احمد العسال ، وغيرهم كثير .

تلاميذه : كثيرون منهم :

الحافظ ابو صالح المؤذن ، الحافظ ابو علي الوحشي ، ابو بكر محمد ابراهيم العطار ، سليمان بن ابراهيم ، هبة الله بن محمد الشيرازي . ومن مشاهير تلاميذه : احمد بن عبد الله ابو بكر الخطيب . ابو الحسن بن احمد الحداد الاصبهاني المقري : ولد عام 419هـ ، وهو الذي روى كتب المؤلف كما روى كتابه الطب النبوي عنه وكانت وفاته عام 519هـ (أي عاش مائة عام) . وعبد الواحد بن محمد بن احمد الاصفهاني الصباغ ، ويوسف بن الحسن التفكيري .

شخصيته العلمية :

كان ابو نعيم محدثا يبذل وقته في التعلّم والتعليم والتأليف . حتى اثناء سفره ، قال عنه الذهبي أنه الامام الحافظ ، الثقة العلامة ، شيخ الاسلام الصوفي الاحوال .

وقال عنه السبكي : ((الامام الجليل الحافظ الصوفي الجامع بين الفقه والتصوف، وأحد الاعلام الذي جمع الله له بين العلو في الرواية والنهاية في الدراية ، رحل اليه الحافظ من الاقطار)) .

وقال عنه حمزة بن عباس العلوي ، كما نقله عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ : " بقي أبو نعيم أربعة عشر سنة بلا نظير ، ولا يوجد شرقا ولا غربا أعلى منه اسنادا ، ولا أحفظ منه . وحُمل كتابه " حلية الأولياء " الى نيسابور حال حياته فاشتروه بأربعمائة دينار .

وقال عنه ابن خلكان ، كان من اعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات ، اخذ عن الافاضل ، واخذوا عنه ، وانتفعوا به .

وكان تلميذه الخطيب البغدادي يقول : " لم أر أحدا اطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين (في زمنه) : ابو نعيم

الاصفهاني وابو حازم العبدوي الاعرج " .

ويقول ابن النجار عنه : " هو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين " .

وقال المحقق مشهور بن حسن آل سلمان : " وقد صنف أبو نعيم (تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة) و(معرفة الصحابة)، والناظر في هذين الكتابين يعلم بيقين من كل ورقة منهما ان هذه التهمة باطلة (أي تهمة التشيّع) باطلة ، وان أبا نعيم بريء منها ".

وقال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية : " هو ثقة ومن أكبر أئمة حفاظ الحديث.

وقد ذكر علماء الحديث أن أبا نعيم يروي أحيانا الأحاديث الضعيفة وربما الموضوعة دون أن يبينها . ويكتفي بايراد السند ، كما يفعل كثيرون ، وأن من يعرف السند يعرف درجة الحديث من الصحة أو الضعف.

حصيلته الفقهية :

إن أبا نعيم الاصفهاني شافعي المذهب باتفاق جميع من تناولوا ترجمته في كتبهم ، ولا غرابة في ذلك . لان أكثر محدثي عهده كانو يختارون المذهب الشافعي في الفروع . كما تدل أسماء بعض كتبه على صلته بالفقه ، مثل كتابه المسمى : " رفع اليدين في الصلاة ، القراءة وراء الامام ، ما كان يقرأ به في الصلوات من السور ، الفرائض والسهام ، القضاء ، وتجويز المزاح " .

مـؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم الدينية مثل علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه ، ومنها كتاب التفسير ذكره ابن العسقلاني في فتح الباري وفضل سورة الاخلاص ومسانيد القراء ، وكتاب صفة الجنة ، وكتاب العادلين من الرواة وكتاب صفة النفاق ونعت المنافقين وكتاب رياضيات الابدان ، وكتاب فضائل الخلفاء الاربعة ، وكتاب مسند الامام ابي حنيفة ، ومن المخطوطات التي تطبع بعد كتب عدة في الحديث، والامالي والمستخرج على صحيح البخاري والطب النبوي الذي قام بدراسته دراسة مفصلة الدكتور مصطفى خضر دونمز التركي وهو دراسته للدكتوراه ، ونشرته دار ابن حزم في بيروت .

وأهم مؤلفاته وأشهرها كتاب " حلية الأولياء وطبقات الاصفياء" وطبع الكتاب أكثر من مرة ، ولخصه الامام ابن الجوزي في عدة مجلدات ، كما لخصه محمد بن الحسن الحسيني (ت : 776هـ) وابن أحمد الراقي (ت : 703)

توثيق كتاب الطب النبوي لابي نعيم :

لقد تم توثيق كتاب الطب النبوي لابي نعيم بالعديد من المصادر فقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون والذهبي في التذكرة وابن كثير في البداية والنهاية ، والبغدادي في هدية العارفين ، وقد قام ابو نعيم بتأليف هذا الكتاب متخذا كتاب ابن السني أصلا له وبالتالي فإن هذا الكتاب يعد مستخرجا على كتاب الطب النبوي لابن السني الدينوري ، وللكتاب مخطوطات عدة ذكرها الدكتور مصطفى خضر دونمز التركي في كتابه موسوعة الطب النبوي لابي نعيم ، وذكر منها الآتي :

أسكوريال : هذه النسخة موجودة في مكتبة اسكوريال قسم اللغة العربية ومسجلة تحت رقم 1619.
ونسخة القاهرة : مسجلة في قسم مولانا عبد الحي اللكنوي تحت رقم 563-3061 ، وعبارة عن مائة وتسعة وعشرين ورقة .
ونسخة الظاهرية : في دمشق والموجود منها الجزء الثاني وجزء من الجزء الثالث ورقمها القديم 4538 ، والجديد 165.
ونسخة ليدن : بهولنده تتضمن الجزء الرابع فقط من الكتاب المسمى بالطب النبوي لابي نعيم الاصفهاني . والنسخة مسجلة تحت رقم 183/11 . وهي الرسالة الحادية عشرة ضمن المجموعة المسماة بفوائد منتقاة العوالم ، وهي عبارة عن 520 ورقة .

بعد ان اطلعنا على كتاب الطب النبوي لابن السني الذي اصدرته المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية بالكويت نقول :" إن كتاب الطب النبوي لابي نعيم ليس الا كتاب الطب النبوي لابن السني الا ان الامام أبا نعيم ذكر الاحاديث برواياتها واضاف اليها روايات اخرى ولهذا نجد ان كتاب ابن السني كاملا مع اضافات في كتاب ابي نعيم وقد قسمّه نفس تقسيم كتاب ابن السني الذي سبق ذكره ومثال ذلك ما جاء في **المقال الاول :** باب ما جاء في تعلم الطب والحث عليه ، باب في احضار الاطباء لمداواة المرضى ، باب في معرفة الامراض بالجس ، باب في تقديم المعرفة في صناعة الطب ، باب في اباحة مداواة النساء الرجال غير ذوات المحارم ، والرجالُ النساء ، باب الامر بالتداوي ، باب في اجتناب من لا يحسن الطب وتضمين الطبيب إذا جنى ، باب النهي عن التداوي بالحرام ، باب في معرفة الادوية بالاوصاف ، باب كراهية ان يسمى طبيبا ، باب في استعمال الفراسة والاستدلال في صناعة الطب ، باب في معرفة العقاقير وما يقع في الادوية . وهكذا في المقالة الثانية الى السابعة .

ويبدو أن المحقق الدكتور مصطفى خضر دونمز التركي لم يطلع على كتاب ابن السني لان الكتاب كان آنذاك مخطوطا ولهذا لم يلاحظ التطابق بينهما.

وقد ذكر المحقق الدكتور مصطفى خضر دونمز التركي في تعليقه على كتاب ابي نعيم ما يلي :

1- يوجد في جميع المقالات عدد لا يستهان به من الأحاديث الضعيفة والموضوعة
2- الى جانب ما فيه من الاحاديث المرفوعة التي ذكرت في الابواب فهناك عدد لا بأس به من الاثار عن الصحابة ومن بعدهم من التابعين .
3- نرى المؤلف كثيرا ما يكرر الاحاديث تحت ابواب او اماكن مختلفة من الكتاب .

وذكر منها :

أ- 492 حديث ما بين الصحيح والحسن .

ب- 247 حديث ما بين ضعيف او شديد الضعف .

جـ- 80 حديث موضوع .

د- 23 حديث لم يجدها فيما اطلعَّ عليه من المصادر .

وقد أثر هذا الكتاب على من جاء بعده من المصنفين في الطب النبوي وان كان هو نفسه قد نقل كتاب ابن السني كاملا مع بعض الاضافات اليسيره .

مختصرات تالية على كتاب الطب النبوي لابي نعيم :

وقد ذكر المحقق ماوقف عليه من مختصرات لكتاب أبي نعيم : الطب النبوي " كالآتي :

أولها : لعبد الوهاب بن احمد بن محمود الرومي ولم يكتف المؤلف بحذف اسانيد الاصل ، بل ألحق به اضافات من مصادر أخرى ، وتوجد نسختان مخطوطتان لهذا المختصر . إحداهما بمكتبة بوتراسبرج (بطرمبرج في روسيا) تحت رقم 5 ،2:242.

اما الثانية فمسجلة في بولون (بولونيا = بولندا) باسم الوافي بالطب الشافي تحت رقم 6:245 .

وثانيها : وأشهرها المختصر الذي أعده احمد بن يوسف التيفاشي . فقد أورده حاجي خليفة باسم الشفا في الطب وأعطى حوله المعلومات التالية : " مما خرجه الامام ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني . جمعه احمد يوسف التيفاشي . أوله : اللهم يا من لطف حتى دق عن الاوهام والظنون . . . الخ . جردها من السند ورتب على ترتيب كتب الطب وسماه الوافي في الطب الشافي .

وثالثها : هو كتاب اعلام الحكم النبوية في الاحكام الطبية ، ولكن مؤلفه غير معروف . ومع هذا فإنه يعرف اكثر ما يعرف باسم منتخب طب النبي صلى الله عليه وسلم لابي نعيم . قد انتخب من كتاب الطب النبوي للشيخ الامام ابي نعيم احمد بن عبد الله بن احمد الحافظ الاصفهاني ... قال المصنف :" فحذفت اسانيد الرويات وتركت المكررات" . ويشمل الكتاب سبعة مقالات ورتب حسب ترتيب المؤلف . ولكن حصل فيه شيء قليل من التغيير اذا اقتضى الامر للكشف عن بعض الغوامض وتحصيل بعض الفوائد . وقد زيدت فيه احاديث مأخوذة من كتب الأئمة الكرام . كما صرح بذلك صاحب المختصر وذكر باسماء كتب هؤلاء الكرام . وهذا الكتاب عبارة عن 87 ورقة ومسجلة في مكتبة راشد افندي بقيصري في تركيا تحت رقم 27318 ، وتوجد منها نسخة لدى المكتبة الوطنية بأنقرة . واستخدمها المحقق أثناء التحقيق كنسخة مساعدة .

الفصل الثامن :

الطب النبوي : لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري النسفي السمرقندي الحنفي (وفاته 432 هـ)

هذا الكتاب حسب علمي طبع في ايران قديما ، وموجود منه نسخة في المكتبة الوطنية الايرانية ، تاريخ النسخ في القرن الحادي عشر الهجري .

كتاب خانة ملي جمهوري ايران ، محفوظ مي باشد في مجلد رقم 9 ، فيه عدة كتب عدد الصفحات 379 (وكتاب المستغفري 89 ورقة برقم 609) .

ابتداء النسخة : بسملة أي (بسم الله الرحمن الرحيم) .. يقول العبد الضعيف أبو المعالي محمد بن أبي الفتح محمد بن محمد ... و انتهاء النسخة : "والكوسج ثمانية وعشرون ".

وقد نشر السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان كتابا بعنوان " طب النبي " منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف 1385هـ/1966م.

وذكر فيه بعض كتب الطب النبوي ومنها كتاب ابي العباس جعفر بن محمد المستغفري (ت 432) . ثم ذكر ترجمة المستغفري .

وجاء في العنوان : طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، المستخرج من أحاديثه بحذف الاسانيد .
وضع المقدمة العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان .
منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ، 1385هـ - 1966 م .

ثم ذكر مؤلّف الكتاب

<u>نسبه :</u> هو الشيخ الإمام أبو العبّاس جعفر بن أبي عليّ محمّد بن أبي بكر المعتز بن محمّد بن المستغفري بن الفتح بن إدريس، المستغفري النسفي السمرقندي النخشبي الحنفي في الفروع، الأشعري في الأُصول.

<u>أُسرته :</u> الّذي يظهر من ترجمة جدّه وأبيه وإبنه أ نّهم كانوا من الأعلام وحفّاظ الحديث

أ ـ فجدّه: أبو بكر المعتز بن محمّد بن المستغفري وقد روى عنه حفيده ـ المترجم له ـ كما في رياض العلماء في باب الكنى حرف العين القسم الثاني.

ب ـ وأبوه: أبو عليّ محمّد النسفي وصف بالشيخ

ج ـ وابنه: أبو ذرّ كان خطيب نسف، ولي الخطابة بعد أبيه وأسمعه أبوه من جماعة من الشيوخ، وكان من أهل العلم والخير، ذكره أبو محمّد النخشبي في معجم شيوخه،

<u>ولادته :</u> كانت ولادة المترجم له في سنة (350 هـ) بنسف، إذ كان من أهلها وبها كان أبوه وجدّه، وبها كانت وفاته وكان بها ابنه أيضاً.

<u>مشايخه :</u> طلب الحديث ورحل في طلبه فأخذ عن جماعة وروى عنهم، منهم

.أ ـ جدّه أبو بكر المعتز بن محمّد بن المستغفري .

.ب ـ والده أبو عليّ محمّد بن المعتز المستغفري سمع منه كثيراً

.ج ـ سمع بسرخس من ابن أبي عليّ زاهر بن أحمد السرخسي وأكثر من السماع عليه

.د ـ رحل إلى نيسابور وسمع بها من أبي سهل هارون بن أحمد الأسترآبادي وغيره

.هـ ـ ورحل إلى بخارى فسمع بها أبا عبدالله محمّد بن أحمد غنجار الحافظ

.و ـ ودخل مرو فأخذ عن أبي الهيثم محمّد بن المكّي الكشميهني

ز ـ وممّن سمع منهم بنسف أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن زر الرازي وجماعة كثيرة سواهم... قاله السمعاني في أنسابه.

تلاميذه :

أ ـ إبنه أبو ذرّ المستغفري (خطيب نسف المشهور) .

ب ـ أبو محمّد عبدالعزيز النخشبي النسفي (ت 456 ـ 457 هـ) صحبه وأكثر عنه .

ج ـ القاضي أبو منصور السمعاني الجد الأعلى لأبي سعد السمعاني صاحب الأنساب .

د ـ الحافظ أبو محمّد الحسن بن أحمد السمرقندي .

.هـ ـ القاضي أبو عليّ الحسن بن عبدالملك، وغير هؤلاء جمع كثير لا يحصون. قاله السمعاني في أنسابه

وفاته : توفي بنسف سلخ جمادي الأُولى سنة (432 هـ) وصرّح الذهبي وغيره بأ نّه عاش ثمانين سنة.

الثناء عليه :

1ـ قال اللكنوي: ولم يكن بما وراء النهر في عصره من يجري مجراه في الجمع والتصنيف وفهم الحديث .

2ـ قال السمعاني: خطيب نسف، كان فقيهاً فاضلا، ومحدّثاً مكثراً، صدوقاً، يرجع إلى فهم ومعرفة وإتقان، جمع الجموع وصنف التصانيف، ورحل إلى خراسان، وأقام بسرخس ومرو مدّة .

3ـ وقال ابن قطلوبغا: خطيب نسف، لم يكن بما وراء النهر في عصره مثله، كان فقيهاً محدّثاً فاضلا مكثراً حافظاً صدوقاً .

4ـ وقال الذهبي: الحافظ العلاّمة المحدّث و... وكان صدوقاً في نفسه، لكنّه روى الموضوعات في الأبواب ولا يوهنها .

5ـ وقال ابن ناصر الدين: كان حافظاً ثقة مبرزاً على أقرانه، لكنّه يروي الموضوعات من غير تبيين.

6ـ وقال ابن العماد الحنبلي: صاحب التصانيف الكثيرة... وكان محدّث ما وراء النهر في زمانه.

مصنفاته :

1ـ تاريخ نسف.

2- تاريخ سمرقند.

3- تاريخ كش.

4- كتاب معرفة الصحابة.

5- كتاب دلائل النبوة (مطبوع)، وقد جعل فيه الدلائل، أعني ما كان قبل البعثة، سبعة أبواب، والمعجزات عشرة أبواب، وقد نقل عنه المولى الجامي في كتابه (شواهد النبوّة) على ما حكي عنه.

6- كتاب الأوائل.

7- كتاب الشمائل (شمائل النبيّ) صلى الله عليه وآله وسلم.

8- كتاب فضائل القرآن.

9- كتاب خطب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) «الخطب النبوية.«

10- كتاب الشعر والشعراء.

11- المسلسلات في الحديث.

12- كتاب الوفاء.

13- كتاب في الحكمة.

14- كتاب الأيّام والليالي.

15- كتاب الدعوات، ينقل عنه السيّد ابن طاووس في رسالة الإستخارات كما قيل.

16- كتاب المنامات أو (المناسبات) كما في كشف الظنون.

17- كتاب الزيادات، ممّا زاده على كتاب المختلف والمؤتلف لعبد الغني بن سعيد.

18- الطب النبوي (طبّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال المحقق نصير الملّة والدين في آداب المتعلّمين: ولابدّ من أن يتعلم ـ طالب العلم ـ شيئاً من الطب، ويتبرك بالآثار الواردة في الطب، الّذي جمعه الشيخ الإمام أبو العبّاس المستغفري، في كتابه المسمّى بطبّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم).. وقد طبع مكرراً بطهران على الحجر بضميمة كتاب القانونجة، وكتاب ابقراط في الطب، المسمّى بترتيب الطب، فطبعاته في سنة (1281 هـ) وسنة (1294 هـ) وسنة (1304 هـ) وسنة (1318 هـ) و سنة (1327 هـ) .

وبالرغم من تكرر طبعاته خمس مرات فقد ندرت نسخته وعزت حتّى فقدت، واعيد طبعه بالمكتبة الحيدرية بتقديم محمد مهدي الخرسان سنة 1385هـ - 1966 م .

<u>بعض المصادر التي ذكرت كتاب المستغفري (طب النبي)</u>

1- آداب المتعلّمين، للمحقق نصير الملّة والدين الطوسي (ت 672 هـ) في يوم الغدير.

2- الأعلام لخير الدين الزركلي .

3- أعيان الشيعة للسيّد الأمين العاملي .

4- الأنساب، لأبي سعد السمعاني .

5- بحار الأنوار، للمجلسي .

6- تاج التراجم لابن قطلوبغا (ت 879 هـ) .

7- تتمة منتهى الآمال، للمحدّث القمي .

8- تذكرة الحفّاظ، للذهبي .

9- الجواهر المضيئة، للقرشي الحنفي.

10- الرسالة المستطرفة، للكتاني .

11- روضات الجنّات، للخونساري .

12- رياض العلماء، لميرزا عبدالله أفندي .

13- ريحانة الأدب، للخياباني .

14- شذرات الذهب، لابن العماد .

15- شواهد النبوّة، للمولى الجامي.

16- العبر، للذهبي .

17- الفوائد البهية، للكنوي الحنفي .

18- كشف الظنون .

19- اللباب، لابن الأثير .

20- مرآة الجنان، لليافعي .

21- مستدرك الوسائل، للمحدّث النوري .

22- مطارح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار .

23- معجم المؤلّفين، لكحالة .

24- هدية الأحباب، للمحدّث القمي .

25- هدية العارفين، لإسماعيل باشا .

نص كتاب طب النبي للمستغفري
بعد حذف الاسانيد وفيه احاديث ضعيفة وموضوعة :

قال رسول الله (ص) : ما خلق الله تعالى داء إلا وخلق له دواء إلا السام.
وقال صلى الله عليه وآله : الذي انزل الداء انزل الشفاء.
وقال صلى الله عليه وآله : بشر المحرورين بطول العمر.
وقال صلى الله عليه وآله : اصل كل داء البرودة.
وقال صلى الله عليه وآله : كل وانت تشتهي وامسك وانت تشتهي.
وقال صلى الله عليه وآله : المعدة بيت كل داء ، والحمية رأس كل دواء فاعط نفسك ما عودتها.
وقال صلى الله عليه وآله : احب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي.
وقال صلى الله عليه وآله : الأكل بأصبع واحدة أكل الشيطان والأكل بالاثنين أكل الجبابرة ، وبالثلاث اكل الانبياء.
وقال صلى الله عليه وآله : برِّد الطعام فان الحار لا بركة فيه.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا أكلتم فاخلعوا نعالكم فانه اروح لاقدامكم وانه سنة جميلة.
وقال صلى الله عليه وآله : الأكل مع الخدام من التواضع ، فمن أكل معهم اشتاقت اليه الجنة.
وقال صلى الله عليه وآله : الأكل في السوق من الدنائة.
وقال صلى الله عليه وآله : المؤمن يأكل بشهوة اهله ، والمنافق يأكل اهله بشهوته.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا وضعت المائدة فليأكل احدكم مما يليه ، ولا يتناول ذروة الطعام ، فأن البركة تأتيها من اعلاها ، ولا يقوم احدكم ولا يرفع يده وان شبع ، حتى يرفع القوم ايديهم فان ذلك يخجل جليسه.
وقال صلى الله عليه وآله : البركة في وسط الطعام فكلوا من حافاته ولا تأكلوا من وسطه.
وقال صلى الله عليه وآله : البركة في الثلاثة : الجماعة ، والسحور ، والثريد.
وقال صلى الله عليه وآله : من استعمل الخشبتين امن من عذاب الكليتين.
وقال صلى الله عليه وآله : تخللوا على اثر الطعام وتمضمضوا فأنهما مصحة الناب والنواجد.
وقال صلى الله عليه وآله : تخللوا فانه من النظافة ، والنظافة من الايمان ، والايمان مع صاحبه في الجنة.
وقال صلى الله عليه وآله : طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء.
وقال صلى الله عليه وآله : القصعة تستغفر لمن يلحسها.
وقال صلى الله عليه وآله : كلوا جميعاً ولا تفرقوا ، فان البركة في الجماعة.
وقال صلى الله عليه وآله : كثرة الطعام شؤم.
وقال صلى الله عليه وآله : من جاع او احتاج وكتمه من الناس ومضى الى الله تعالى كان حقاً عليه ان يفتح له رزق سنة حلالا.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل ما يسقط من المائدة عاش ما عاش في سعة من رزقه ، وعوفي ولده وولد ولده من الحرام.
وقال صلى الله عليه وآله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.
وقال صلى الله عليه وآله : من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه المؤمن.

وقال صلى الله عليه وآله : من قلّ اكله قلّ حسابه.
وقال صلى الله عليه وآله: لا يشربن احدكم قائماً ، فمن نسى فليقيء.
وقال صلى الله عليه وآله : المحتكر ملعون ـ في الدنيا والآخرة ـ.
وقال صلى الله عليه وآله : الاحتكار في عشرة : البر والشعير والتمر والزبيب والذرة والسمن والعسل والجبن والجوز والزيت.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا لم يكن للمرء تجارة إلا في الطعام طغى وبغى.
وقال صلى الله عليه وآله : من جمع طعاماً يتربص به الغلاء اربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه.
وقال صلى الله عليه وآله : من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله تعالى بالجذام والافلاس.
وقال صلى الله عليه وآله : تسحروا فأن السحور بركة.
وقال صلى الله عليه وآله : تسحروا خلاف اهل الكتاب.
وقال صلى الله عليه وآله : خير طعامكم الخبز ، وخير فاكهتكم العنب.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالهريسة فأنها تنشط للعبادة اربعين يوماً وهي التي انزلت علينا بدل مائدة عيسى عليه السلام.
وقال صلى الله عليه وآله : لا تقطعوا الخبز بالسكين واكرموه فأن الله تعالى اكرمه.
وقال صلى الله عليه وآله : ثلاث لقمات بالملح قبل الطعام تصرف عن ابن آدم
اثنين وسبعين نوعا من البلاء منه الجنون والجذام والبرص.
وقال صلى الله عليه وآله : سيد ادامكم الملح.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل الملح قبل كل شيء دفع الله عنه ثلثمائة وثلاثين نوعاً من البلاء اهونها الجذام.
وقال صلى الله عليه وآله : افتتحوا بالملح فانه دواء من سبعين داء.
وقال صلى الله عليه وآله : افضل الصدقة الماء.
وقال صلى الله عليه وآله : سيد الاشربة في الدنيا والآخرة الماء.
وقال صلى الله عليه وآله : إن الحمى من قيح جهنم.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا اشتهيتم الماء فاشربوه مصاً ، ولا تشربوه عباً.
وقال صلى الله عليه وآله : العب يورث الكباد.
وقال صلى الله عليه وآله : كل طعام وشراب وقعت فيه دابة ليس لها نفس سايلة فماتت فهو حلال وطهور.
وقال صلى الله عليه وآله : من تعود كثرة الطعام والشراب قسا قلبه.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا شرب احدكم الماء وتنفس ثلاثاً كان آمناً.
وقال صلى الله عليه وآله : شرار امتي الذين يأكلون مخاخ العظام.
وقال صلى الله عليه وآله : ان ابليس يخطب شياطينه ويقول عليكم باللحم ، والمسكر ، والناي ، فاني لا اجد جماع الشر إلا فيها.
وقال صلى الله عليه وآله : خير الادام في الدنيا والآخرة اللحم.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بأكل الجزور مخالفة لليهود.
وقال صلى الله عليه وآله : اللحم ينبت اللحم ، ومن ترك اللحم اربعين صباحاً ساء خلقه.
وقال صلى الله عليه وآله : من ترك اكل الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار ومات فله النار خالداً مخلداً.

وقال صلى الله عليه وآله : لا تقطعوا اللحم بالسكين على الخوان فانه من صنع الاعاجم ، وانهشوه نهشاً فانه اهنأ وامرأ.
وقال صلى الله عليه وآله : لا تأكلوا من صيد المجوس إلا السمك.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل اللحم اربعين يوماً صباحاً قسا قلبه.
وقال صلى الله عليه وآله : اوحى الله تعالى إلى نبي من انبيائه حين شكى اليه ضعفه ان اطبخ اللحم مع اللبن فاني قد جعلت الشفاء والبركة فيهما.
وقال صلى الله عليه وآله : الارز في الاطعمة كالسيد في القوم وانا في الانبياء كالملح في الطعام.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل الفاكهة وتراً لم تضره.
وقال صلى الله عليه وآله : ادهنوا بالبنفسج فانه بارد بالصيف ، حار في الشتاء.
وقال صلى الله عليه وآله : اسقوا نساءكم الحوامل الالبان فانها تزيد في عقل الصبي.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا شربتم اللبن فتمضمضوا فان فيه دسماً.
وقال صلى الله عليه وآله : ثلاثة لا ترد ، الوسادة ، واللبن ، والدهن.
وقال صلى الله عليه وآله : أكل الجبن داء ، والجوز دواء ، فاذا اجتمعا معاً صارا دواءاً.
وقال صلى الله عليه وآله : شرب اللبن (من) محض الايمان.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالألبان فانها تمسح الحر عن القلب كما يكسح الاصبع العرق عن الجبين ، وتشد الظهر وتزيد في العقل وتذكي الذهن وتجلو البصر وتذهب النسيان.
وقال صلى الله عليه وآله : عشر خصال تورث النسيان : أكل الجبن ، واكل سؤر الفارة ، وأكل التفاح الحامض ، والجلجلان ، والحجامة على النقرة ، والمشي بين المرأتين ، والنظر إلى المصلوب ، والتعاز ، وقراءة لوح المقابر.
وقال صلى الله عليه وآله : ليس يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن.
وقال صلى الله عليه وآله : الشاة بركة ، والشاتان بركتان ، وثلاث شياه غنيمة.
وقال صلى الله عليه وآله : ثلاثة يفرح بهن الجسم ويربو ، الطيب واللباس اللين ، وشرب العسل.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالعسل فو الذي نفسي بيده ما من بيت فيه عسل إلا وتستغفر الملائكة لاهل ذلك البيت فان شربها رجل دخل في جوفه الف دواء ، وخرج عنه الف الف داء ، فان مات وهو في جوفه لم تمس النار جسده.
وقال صلى الله عليه وآله : قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة.
وقال صلى الله عليه وآله : من ألقم في فم اخيه المؤمن لقمة حلو لا يرجو بها رشوة ولا يخاف بها من شره ولا يريد إلا وجهه ، صرف الله عنه بها حرارة الموقف يوم القيامة.
وقال صلى الله عليه وآله : نعم الشراب العسل يربي ويذهب درن الصدر.
وقال صلى الله عليه وآله : من أراد الحفظ فياكل العسل.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا اشترى احدكم الخادمة فليكن اول ما يطعمها العسل فانه اطيب لنفسها.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا ولدت المرأة فليكن اول ما تأكل الرطب الحلو والتمر فأنه لو كان شيء افضل منه اطعمه الله تعالى مريم حين ولدت عيسى عليه السلام.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا جاء الرطب فهنئوني ، وإذا ذهب فعزوني.
وقال صلى الله عليه وآله : بيت لا تمر فيه كأن ليس فيه طعام.

وقال صلى الله عليه وآله : خلقت النخلة والرمان من فضل طينة آدم عليه السلام .
وقال صلى الله عليه وآله : اكرموا عمتكم النخلة ، النخلة والزبيب.
وقال صلى الله عليه وآله : كل التمر على الريق فانه يقتل الدود.
وقال صلى الله عليه وآله : نعم السحور للمؤمن التمر.
وقال صلى الله عليه وآله : من وجد التمر فليفطر عليه ، ومن لم يجد فليفطر على الماء فانه طهور.
وقال صلى الله عليه وآله : لا تردوا شربة العسل على من اتاكم بها.
وقال صلى الله عليه وآله : لحم البقر داء ولبنها دواء ، ولحم الغنم دواء ولبنها داء.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالفواكه في اقبالها فأنها مصحة للابدان مطردة للاحزان ، والقوها في ادبارها فانها داء الابدان.
وقال صلى الله عليه وآله : افضل ما يبدأ به الصائم الزبيب والتمر او شيء حلو.
وقال صلى الله عليه وآله : اكل التين امان من القولنج.
وقال صلى الله عليه وآله : اكل السفرجل يذهب ظلمة البصر.
وقال صلى الله عليه وآله : ربيع امتي العنب والبطيخ.
وقال صلى الله عليه وآله : تفكهوا بالبطيخ فانها فاكهة الجنة وفيها الف بركة والف رحمة ، واكلها شفاء من كل داء.
وقال صلى الله عليه وآله : عض البطيخ ولا تقطعها قطعاً فأنها فاكهة مباركة طيبة مطهرة الفم مقدسة القلب تبيض الاسنان وترضى الرحمان ، ريحها من العنبر وماؤها من الكوثر ، ولحمها من الفردوس ولذتها من الجنة واكلها من العبادة.
وعن ابن عباس انه قال صلى الله عليه وآله : عليكم بالبطيخ فان فيه عشر خصال هو طعام وشراب واسنان وريحان يغسل المثانة ويغسل البطن ويكثر ماء الظهر ويزيد في الجماع ويقطع البرودة وينقي البشرة.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالرمان وكلوا شحمه فانه دباغ المعدة وما من حبة تقع في جوف احدكم إلا انارت قلبه وحبسته من الشيطان والوسوسة اربعين يوماً.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالاترج فانه ينير الفوائد ويزيد في الدماغ.
وقال صلى الله عليه وآله : كل العنب حبة حبة فانها أهنأ.
وقال صلى الله عليه وآله : كل التين فانه ينفع البواسير والنقرس.
وقال صلى الله عليه وآله: كل الباذنجان واكثر فانها شجرة رأيتها في الجنة. فمن اكلها على انها داء كانت داءاً ، ومن اكلها على انها دواء كانت دواءاً.
وقال صلى الله عليه وآله : كل اليقطين فلو كان لله سبحانه وتعالى شجرة اخف من هذه ، لأنبتها على اخي يونس عليه السلام.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا أتخذ احدكم مرقاً فليكثر فيه الدبا فانه يزيد في الدماغ ، والعقل.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل رمانة حتى يتممها نور الله قلبه اربعين يوماً.
وقال صلى الله عليه وآله : نعم الادام الزبيب.
وقال صلى الله عليه وآله : ما من احد اكل رمانة إلا مرض شيطانه اربعين يوماً.
وقال صلى الله عليه وآله : الكرفس بقلة الانبياء.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل الخل. قام عليه ملك يستغفر له حتى يفرغ منه.

وقال صلى الله عليه وآله : نعم الادام الخل... وكان النبي يحب الفاكهة ـ العنب والبطيخ.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالزبيب فانه يطفي المِرّة ويسكّن البلغم ويشدّ العصب ويذهب النَصب ويحسّن القلب.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالقرع فانه يزيد في الدماغ.
وقال صلى الله عليه وآله : العنّاب يذهب بالحمى والكحة ويجلي القلب.
وقال صلى الله عليه وآله : شكى نوح إلى الله تعالى الغم فاوحى الله اليه ان يأكل العنب فانه يذهب الغم.
وقال صلى الله عليه وآله : إذا اكلتم القثّاء فكلوه من اسفله.
وقال صلى الله عليه وآله : تفكهوا بالبطيخ وعضوه فان ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الايمان ، والايمان في الجنة ، فمن لقم لقمة من البطيخ كتب الله له سبعين الف حسنة ومحى عنه سبعين الف سيئة.
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ان في البطيخ خصال عشرة وهي التي ذكرها من قبل وانه اهدى إلى النبي صلى الله عليه وآله بطيخ من الطائف فشمه وقبلّه ثم قال : عضّوا البطيخ فانه من حلل الارض وماؤه من رحمة الله وحلاوته من الجنة.
وقيل كان يوماً في محفل من اصحابه فقال رحم الله من اطعمنا بطيخاً فقام علي عليه السلام وذهب فجاء بجملة من البطيخ فاكل هو وأصحابه فقال صلى الله عليه وآله : رحم الله من أطعمنا هذا ، ومن أكل أو يأكل من يومنا هذا إلى يوم القيامة من المسلمين.
وقال صلى الله عليه وآله : ما من امرأة حاملة اكلت البطيخ إلا يكون مولودها حسن الوجه والخلق.
وقال صلى الله عليه وآله : البطيخ قبل الطعام ، يغسل البطن ويذهب بالداء اصلا.
وكان صلى الله عليه وآله يأكل القثاء بالملح ، ويأكل البطيخ بالجبن ، ويأكل الفاكهة الرطبة ، وربما أكل البطيخ باليدين جميعاً.
وقال صلى الله عليه وآله : شمّوا النرجس ولو في اليوم مرة ، ولو في الاسبوع مرة ، ولو في الشهر مرة ، ولو في السنة مرة ، ولو في الدهر مرة ، فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص وشمه يقلعها.
وقال صلى الله عليه وآله : الحنّاء خضاب الاسلام يزيد في المؤمن عمله ويذهب بالصداع ويحدّ البصر ويزيد في الوقاع وهو سيد الرياحين في الدنيا والآخرة.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالمرزنجوش شمّوه فانه جيد للخشام ـ والخشام داء.
وقال صلى الله عليه وآله : فضل دهن البنفسج على الادهان كفضل الاسلام على الأديان.
وقال صلى الله عليه وآله : ما من ورقة من ورق الهندباء إلا عليها قطرة من ماء الجنة.
وقال صلى الله عليه وآله : من اراد ان يريح فليشمّ الورد الاحمر.
وقال صلى الله عليه وآله : ما خلق الله شجرة احب اليه من الحنّاء.
وقال صلى الله عليه وآله : نفقة درهم في سبيل الله بسبع مائة ، ونفقة درهم في خضاب الحناء بتسعة آلاف.
وقال صلى الله عليه وآله : زينوا موائدكم بالبقل فأنها مطردة للشياطين مع التسمية.
وقال صلى الله عليه وآله : الشونيز دواء من كل داء إلا السام.
وقال صلى الله عليه وآله : كلوا الجبن فانه يورث النعاس ويهضم الطعام.
وقال صلى الله عليه وآله : كلوا الثوم فان فيها شفاء من سبعين داء.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل السداب ونام عليه أمن من الدوار وذات الجنب.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربنا ولا يقرب المسجد.

وقال صلى الله عليه وآله : إذا دخلتم بلداً فكلوا من بقله او بصله يطرد عنكم داؤه ويذهب بالنصب ويشدّ العصب ويزيد في الباه ـ ويذهب بالحمى.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالكرفس فانه ان كان شيء يزيد في العقل فهو هو.
وقال صلى الله عليه وآله : لو كان في شيء شفاء لكان في السناء.
وقال صلى الله عليه وآله : عليكم بالاهليلج الاسود فانه من شجر الجنة طعمه مر وفيه شفاء من كل داء.
وقال صلى الله عليه وآله : يستحب الحجامة في تسعة عشر من الشهر ، وواحد وعشرين.
وقال صلى الله عليه وآله : في ليلة اسري بي إلى السماء ما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا يا محمد مر أمتّك بالحجامة ، وخير ما تداويتم به الحجامة ، والشونيز والقسط.
وقال صلى الله عليه وآله: اكل الطين حرام على كل مسلم ومسلمة.
وقال صلى الله عليه وآله : من مات وفي بطنه مثقال ذرة من الطين ادخله الله النار.
وقال صلى الله عليه وآله : من اكل الطين فكأنما اعان على قتل نفسه.
وقال صلى الله عليه وآله: لا تأكلوا الطين فان فيها ثلاث خصال تورث الداء ، وتعظم البطن ، وتصفر اللون.
وقال صلى الله عليه وآله : من مرض سبعة ايام مرضاً سخيناً كفر الله عنه ذنوب سبعين سنة
وقال صلى الله عليه وآله : لا تكرهوا أربعة : الرمد فانه يقطع عروق العمى ، والزكام فانه يقطع عروق الجذام ، والسعال فانه يقطع عروق الفالج ، والدماميل فانها تقطع عروق البرص.
وقال صلى الله عليه وآله : الحمى نصيب كل مؤمن من النار.
وقال صلى الله عليه وآله : لا وجع إلا وجع العين ، ولاهمّ إلا همّ الدين.
وقال صلى الله عليه وآله : الحمّى تحّط الخطايا كما تحّط الشجرة الورق.
وقال صلى الله عليه وآله : من سبق العاطس بالحمد لله أمن من الشوص واللوص والقلوص.
وقال صلى الله عليه وآله : من قال عبد عند امرئ مريض اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات إلا عوفي.
وقال صلى الله عليه وآله : من شكا عن ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرأ : هو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين.
وكان صلى الله عليه وآله إذا أتى مريضاً قال : اذهب الوسواس والبأس رب الناس اشف وانت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، وقيل عاد رسول الله صلى الله عليه وآله مريضاً فقال ارقيك رقية علمنيها جبرئيل ، فقال : نعم يا رسول الله ، قال بسم الله يشفيك من كل داء يأتيك ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد.
(تمت الرسالة الموسومة بطب النبي والحمد لله رب العالمين).

الفصل التاسع :

علي ابن حزم الاندلسي
(384 – 456 هـ)
وكتبه الطبية

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي كان جده الاعلى مولى ليزيد بن أبي سفيان ، قيل من أصل فارسي ، وقيل أنه من أصل أسباني . اسلم جده الاعلى والتحق بخدمة بني أمية في الاندلس ثم تولى والده احمد بن سعيد الوزارة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة 381هـ ، وكانت له مكانة مع شغف بالادب والعلم والبلاغة متبحرا في اللسان . وتولى علي بن حزم بعد والده الوزارة في عهد المظفر بن المنصور ، ثم تفرغ للعلم ولكنه عاد للسياسة والوزارة لفترة مليئة بالاحداث ثم تفرغ للعلم مرة أخرى ، ويعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ .فقيه ظاهري، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق .ومتكلم، أديب، وشاعر، وناقد محلل، بل وصفه البعض بالفيلسوف . سلك طريق نبذ التقليد وتحرير الأتباع. قامت عليه جماعة من المالكية وشُرُد عن وطنه. توفي في منزله في أرض أبويه *منت ليشم* المعروفة بمونتيخار حالياً، وهي عزبة قريبة من ولبة بالاندلس

أسرته ونشأته

عاش حياته الأولى في صحبة أخيه أبى بكر، الذي كان يكبره بخمس سنوات، في قصر أبيه أحد وزراء المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر من بعده. وكانت تربيته في تلك الفترة على أيدي جواري القصر.

منزلته العلمية

هو مجتهد مطلق، وإمام حافظ، كان شافعي الفقه، فانتقل منه إلى الظاهرية، وافق العقيدة السلفية في بعض الأمور من توحيد الأسماء والصفات وخالفهم في أخرى وكل ذلك كان باجتهاده الخاص، وله ردود كثيرة على الشيعة واليهود والنصارى وعلى الصوفية والخوارج

كان الإمام ابن حزم ينادي بالتمسك بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة ورفض ما عدا ذلك في دين الله، لا يقبل القياس والاستحسان والمصالح المرسلة التي يعتبرها محض الظن..

جرأته وخصومه

كان ابن القيم شديد التتبع لآثار وكتب ابن حزم، وكان يصفه بمنجنيق العرب أو بمنجنيق الغرب .وكانت الناس تضرب المثل في لسان ابن حزم، فقيل عنه: «سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان«، فلقد كان ابن حزم يبسط لسانه في علماء الأمة وخاصة خلال مناظراته مع المالكية في الأندلس، وهذه الحدّة أورثت نفورًا في قلوب كثير من العلماء عن ابن حزم وعلمه ومؤلفاته ، وكثر أعداؤه في الأندلس. وألبّوا عليه المعتضد بن عباد أمير اشبيلية، فاصدر قراراً بهدم دوره ومصادرة أمواله وحرق كتبه .

أقوال العلماء فيه

كان ابن حزم شديدا في نقده لأكابر العلماء مما جعل العلماء يردون عليه بقسوة وشدّة في أكثر الاحيان . ومع هذا فقد انصفه ابن تيمية وغيره ، وذكر ما ينتقد عليه وما يحمد فيه فقال :

" وإن كان أبو محمد بن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره وأعلم بالحديث وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل

الحديث في معاني مذهبهم في ذلك، فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى، وبمثل هذا صار يذم من الفقهاء، والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر لا باطن له، كما نفى المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق، وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضموماً إلى ما في كلامه من الوقيعة في الأكابر، والإسراف في نفي المعاني ودعوى متابعة الظواهر، وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كثير من كثرة الإطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء " .

ومدحه بعض العلماء وأثنوا عليه منهم الحميدي وابن العماد الحنبلي الذي قال عنه : "كان اليه المنتهى في الذكاء وحدّة الذهن ، وسعة العلم بالكتاب والسنّة والمذاهب والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والسؤدد والرياسة وكثرة الكتب "

- وقال **أبو حامد الغزالي** :
  " وجدت في أسماء الله الحسنى كتابا لأبى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه "
- وقال **أبو القاسم صاعد بن أحمد** في طبقات الأمم : " كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار أخبرني ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو أربعمائة مجلد "
- وقال أبن المفلح :
  " كان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وكثرة العلم وكان متفننا في علوم جمة وله التصانيف الفاخرة في علوم شتى حتى في المنطق وشرح المجلى في اثنى عشر مجلدا ومن طالع كتابه هذا وجد فيه تأدبه مع الإمام أحمد ومتابعته" .
- قال العز بن عبد السلام :
  " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغنى لابن قدامة "

- وقال ابن بشكوال في حقه : " كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار. أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة "
- وقال **جلال الدين السيوطي** :
  كان صاحب فنون وورع وزهد وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم أجمعُ أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم ، مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار
- وقال **إسماعيل بن عمر بن كثير** :
  " قرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة . وكان اديبا طبيبا شاعرا فصيحا له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة وكان مصاحبا للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري وكان مناوئا للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها."

من مؤلفات ابن حزم
في التاريخ والنسب والسياسة

- جوامع السيرة نشر عدة مرات
- رسالة أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد
- رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا
- رسالة جمل فتوح الإسلام بعدالرسول صلى الله عليه وسلم. صنفها سنة431 هـ/1039 م أو بعدها بقليل
- رسالة في أسماء الخلفاء والولاة وذكر عددهم. صنفها إما سنة426 هـ/1034 م أو446 هـ/1054 م حيث فتنة البساسيرى، وهذه الرسائل الخمس نشرت ملحقة بجوامع السيرة تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد، دار المعارف بمصر، كما نشرتها مجلة الأزهر في هديتها عدد جمادى الآخر1413 هـ، شعبان1413 هـ
- كتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها، وقد وردت شذرات منه ضمن كتاب الشهب اللامعة والسياسة النافعة لابن رضوان.

وله مصنفات تاريخية مفقودة منها :

- كتاب الإمامة والمفاضلة
- نسب البربر في مجلد
- رسالة مراتب العلماء وتواليفهم في كراسة
- الرسالة اللازمة لأولى الأمر
- تسمية شيوخ مالك
- تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبى عامر
- غزوات المنصور بن أبى عامر
- فهرسة شيوخ ابن حزم
- كتاب في جملة من دخل الأندلس من المغرب.

ومن كتبه في الفقه وأصوله

- المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار إثنى عشر جزءا توفى ابن حزم ولم يتمه حيث توقف عند المسألة رقم2023 وأتمه ابنه الفضل من كتاب أبيه الإيصال ... طبع عدة مرات .
- الإحكام في أصول الأحكام ثمانية أجزاء في مجلدين طبع عدة مرات
- النبذة الكافية في أحكام أصول الدين وهو مختصر للإحكام طبع أكثر من مرة
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات طبع أكثر من مرة
- إبطال القياس والرأى والتقليد مطبوع بتحقيق محمد سعيد البدرى
- رسالة ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل نشرها سعيد الأفغانى بدمشق
- حجة الوداع طبع أكثر من مرة .
- ونشر إحسان عباس مجموعة من رسائل ابن حزم في أربعة أجزاء منها رده على ابن النغريلة اليهودي ، والناشر دار العروبة – القاهرة .
- الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأى والقياس .جزءين وتوجد نسخة مصورة منه لدى أبى عبد الرحمن بن عقيل الظاهري بالرياض

- كتاب الإيصال في شرح الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع يقع في أربعين مجلدا في خمسة عشر ألف ورقة.. ويوجد جزء من هذا الكتاب عند أبى تراب الظاهري بجدة وباقي الكتاب في حكم المفقود
- رسالة الأصول وتوجد منها مخطوطتان بمكتبة جسترجنى بدبلن أيرلندا
- كتاب في ما جرى بين ابن حزم وأبى الوليد الباجى من مناظرة يوجد عند أبى تراب الظاهري

- كتاب أجوبة على المسائل المستغربة من صحيح البخارى
- كتاب تنوير المقباس، الصادع في الرد على من قال بالتقليد
- الإجماع ومسائله على أبواب الفقه
- الاستقصاء، ذو القواعد في ألف ورقة ، ومن موضوعاته الشروط التي إن خالفها أهل الكتاب تستباح دماؤهم .
- كتاب الإملاء في شرح الموطأ في ألف ورقة
- كتاب في ما خالف فيه الحنفية والمالكية والشافعية جمهور الصحابة. يشتمل على مائتى مسألة
- الآثار التي ظاهرها التعارض ونفى التناقض عنها. بدأ تصنيفة بعد الإحكام ومات ولم يتمه يقع في عشرة آلاف ورقة
- كتاب اختلاف الفقهاء مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وداود
- كتاب الإملاء في قواعد الفقه في ألف ورقة

القرآن وعلومه وكلها في حكم المفقود

- الناسخ والنسوخ في القرآن
- رسالة في أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس. كتبها لصاحبه أحمد بن عبد الملك بن شهيد
- رسالة في آية فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك
- كتاب في تفسير حتى إذا استياس الرسل
- كتاب في القراءات المشهورة في الأمصار .

وله كتب في علوم الحديث منها :

- الجامع في صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها
- ترتيب سؤالات الدارمى لابن معين
- بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل
- ترتيب مسند بقى بن مخلد
- تراجم أبواب صحيح البخارى
- جزء في أوهام الصحيحين
- الإنصاف في الرجال

العقائد والفلسفة والمنطق

- الفصل في الملل والأهواء والنحل .بدأ في تصنيفه بقرطبة سنة418 هـ/1027 م وانتهى منه بجزيرة ميورقة سنة440 هـ/1048 م طبع عدة مرات .

- الأصول والفروع صنفه سنة420 هـ/1029 م مطبوع بتحقيق عاطف العراقى، دار النهضة بالقاهرة
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس صنفه قبل عام420 هـ/1029 م طبع عدة مرات
- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية. صنفه قبل سنة420 هـ/1029 م
- رسالة في مراتب العلوم صنفها بعد الفصل
- الرد على الكندى الفيلسوف نشرت هي والتي قبلها برسائل ابن حزم الجزء الرابع
- رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودى صنفها بعد سنة451 هـ/1059 م نشرت برسائل ابن حزم الجزء الثالث
- رسالة الدرة في تحقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده. صنفها حوالي سنة443 هـ/1051 م نشرت بمكتبة التراث بمكة المكرمة، وقد حصلت مكتبة الخانجى بالقاهرة على نسخة مصورة منها ونشرتها
- علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة مطبوع بالقاهرة
- مسألة هل السواد لون أم لا. نشرها النادى الأدبى بالرياض سنة1979 م
- الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة. توجد بمكتبة بودليان بإنجلترا
- رسالة في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. نشرت برسائل ابن حزم الجزء الأول
- كتاب الجوهرة ذكره صديق خان القنوجى ولعله في المنطق .

- التحقيق في نقد زكريا الرازى في كتابه العلم الإلهي. يقع في مائة ورقة وقد نشر بول كراوس الردود التي أوردها ابن حزم في الفصل على الرازي في كتابه العلم الإلهى وليس من رسالته الأصلية فهي مفقودة. صنفها قبل الفصل
- الرد على من قال أن الإيمان بالقلب. صنفها قبل الفصل
- الرد على من اعترض على الفصل مجلد
- اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس اللعين وسائر المشركين صنفه قبل الفصل في مجلد كبير
- الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات مجلد
- أخلاق النفس والسيرة الفاضلة جزءان
- الدرة في ما يلزم المسلم جزءان
- مختصر الملل والنحل مجلد
- الرد على أناجيل النصارى
- إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بايديهم من ذلك مما لايحتمل التأويل. صنفه قبل الفصل في الملل والأهواء والنحل وضمن أجزاء منه فيه
- أسماء الله الحسنى.

اللغة العربية وآدابها

- طوق الحمامة في الألفة والآلاف. صنفه بشاطبة سنة418 هـ/1027 م أو419 هـ/1028 م تقريبا طبع عدة مرات في مصر والعالم العربى وترجم إلى الأسبانية والفرنسية والإنجليزية والروسية والألمانية واهتم به المستشرقون اهتماما كبيرا .
- ديوانه الشعرى طبع عدة مرات
- قصيدة في أصول فقه الظاهرية. نشرت عدة مرات بالسعودية .
- كتاب الإعراب. مائتى وأربع عشرة ورقة نسخ سنة761 هـ/1369 م في شسترىتى.

الطب وكلها في حكم المفقود

ذكرهاالامام الذهبي في سير أعلام النبلاء ج197/18 وقال ما نصّه : ولابن حزم رسالة في الطب النبوي وذكر فيها اسماء كتب له في الطب منها مقالة " العادة " ومجموعة أخرى هي المذكورة ها هنا :

- **رسالة فى الطب النبوى**
- مقالة في السعادة
- مقالة في شفاء الضد بالضد
- كتاب شرح فصول بقراط
- كتاب بلغة الحكيم
- كتاب حد الطب
- كتاب اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة
- كتاب الأدوية المفردة
- مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب
- مقالة في النحل

وتدل أسماء كتبه في الطب على توسعه في علم الطب بحيث يختصر كلام جالينوس في الامراض الحادة ، ويشرح كتاب فصول ابقراط ، ووضع كتابا في حدّ الطب ، وكتابا في الادوية المفردة ، ومقالة في شفاء الضد بالضد (allopathy) وهو اساس الطب اليوناني البقراطي والجالينوسي . ومن كانت له هذه القدرات فمن حقّه أن يكتب كتابا بلغة الحكيم (أي الطبيب) يوجه فيه نصائحه العامة بحفظ الصحة موجودة واستعادتها مفقودة .

كما يحقّ له ان يكتب كتابا في الطب النبوي ، فهو الفقيه المحّدث المؤرخ اللغوي المبدع وهو في نفس الوقت العالم بالطب المعروف في زمنه ، القادر على شرح فصول أبقراط واختصار كلام جالينوس . ومن يجمع هذه القدرات فلا شك ان كتابه في الطب النبوي سيكون حافلا ، ولكن للاسف الشديد فإن جميع كتبه الطبية مفقودة ، ولعل الله ييسر ظهور بعضها في بعض المكتبات العالمية .

الفصل العاشر :

الكتب الطبية التي ألفها
الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي رحمة الله عليه
(510 – 597 هـ)

ابن الجوزي (510 – 597هـ) :

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ينتهي نسبه الى القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، القرشي التيمي ، البكري البغدادي الفقيه الحنبليَّ الواعظ ، كان علامة عصره ، وإمام وقته في الحديث ، وصناعة الوعظ ، صنّف في فنون عديدة .

قال سبطه أبو المظفر : "وُلِدَ جدي ببغداد ، بدرب حبيب في سنة عشر وخمسمائة تقريبا ، وتوفي أبوه وله ثلاث سنين ، له عمة صالحة ، فلما ترعرع ، حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر ، فاعتنى به ، وأسمعه الحديث وقرأ القرآن ، وتفّقه ، وقد ذكر من مشايخه في المشيخة نيفا وثمانين شيخا ، وعني بأمره شيخه ابن الزاغوني وعلمه الوعظ ، واشتغل بفنون العلم ، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي ، وصنّف الكتب في فنون ، قيل بلغت مصنفاته نحو ثلاثمائة مصنف ، وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء والأعيان ، وأقلّ ما كان يحضر مجالسه عشرة آلاف ، وربما حضر عنده مائة ألف ، وأوقع الله له في القلوب القبول ، والهيبة وكان زاهدا في الدنيا متقللا عنها . وسمعته يقول على المنبر في أخر عمره : كتبت بأصبعيّ هاتين ألفي مجلدة ، وتاب على يدي مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرة آلاف يهودي ونصراني " .

وابن الجوزي ترك مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة ، فهو عالم موسوعي ، اهتم بفنون العلم جميعا – كما قال عن نفسه – فتنوّعت لذلك معارفه وتعددت موضوعات مؤلفاته .

يقول الرحالة الأندلسي العربي المعروف بابن جبير في رحلته المسماة باسمه الذي وصف مجالسه فكان حديثا مشوقا فقال : " فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، آية الزمان وقرّة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العليّة ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة ، مالك أزمّة الكلام في النظم والنثر ، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرّ ، فأما نظمه فرضيّ الطباع ، مهياري الانطباع ، وأما نثره فيصدع بحر البيان ، ويعطل المثل " بقسّ وسحبان ".

كتب ابن الجوزي في الطب :

1) **كتاب لقط المنافع** وهو كتاب كبير لا يزال محفوظاً في الجامع الكبير في صنعاء وفي تركيا:

1- نسخة في 163 ورقة نسخت سنة 793هـ بمكتبة بايزير برقم (4206) .

2- نسخة في 166 ورقة بمكتبة حاجي بشير أغا برقم (516) .

3- نسخة في 288 ورقة بمكتبة مغنيسا برقم (1829) .

2) **كتاب مختصر لقط المنافع** : وقد حققه أحمد يوسف الدقاق ونشرته دار المأمون للتراث ، دمشق 1987 قال المحقق : " وما يعنيني هوأن نتعرف على ابن الجوزي الطبيب ، الذي استوعب طبّ من سبقه من الاقدمين ، فجمع فيه كتابا سماه : " لقط المنافع " ثم اختصره في هذا الكتاب الذي سماه (مختصر لقط المنافع) "

قال ابن الجوزي في مقدمة كتابه هذا : " لما جمعت كتاب " لقط المنافع " في الطب ، فانبسط وطال آثرت أن أنتخب في هذا المختصر من عيونه ، وأقتطف المهم من أفنان فنونه " " وحذف المؤلف كثيرا من الاحاديث النبوية وأسانيدها ".

ما من أحد ينكر معرفة ابن الجوزي مفسرا ومحدثا ومؤرخا وأديبا ... الخ ، ولكن الكثير منهم لا يعرفونه مؤلفا في الطب ، جامعا لمسائله . وليس غريبا على ابن الجوزي أن يخوض في هذا الفن وأمامه من الطب النبوي الكثير من الاحاديث والاخبار بل لعل كتابه " الطب النبوي " كان النافذة الحافزة على اشتغاله بهذا الفن . وأمامه من هدي النبوة ، وما أرشد إليه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في معالجة الابدان وأدواتها آثار وأخبار ، ولعل الحديث : " تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء ... " الذي صدَّر به مختصره هذا شاهد صدق على ذلك .

والكتاب ذكره صاحب كشف الظنون 1560/2 ، فقال : " لقط المنافع في الطب مجلّد ، ومختاره للشيخ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ... جعله على سبعين باباً ، ثم اختصره وسماه : " مختار لقط المنافع " ولو أمعنا فيما قاله في الكشف ، وما قاله ابن الجوزي لرأينا أن للكتاب تسميتين " مختار – مختصر " وربما نأخذ من مقدمة المؤلف اسما ثالثا وهو " منتخب " ولكنني أرى أنه لا حاجة بنا إلى الخوض في سبب اختلاف التسميتين . إذ كلتاهما مختصر لكتاب واحد هو " لقط المنافع " ولا فرق بين الاختيار والاختصار أو الانتخاب طالما ان المؤدى واحد ، كما أنه لن يذهب بنا الظن الى أن التسمية الآخرى ربما تكون لمؤلف آخر للاسباب التي قدمتها . فأغنانا هذا عن البحث في هذا الأمر .

وصف النسخة : قال أحمد يوسف الدقاق محققّ كتاب " مختصر لقط المنافع "

" قمت بتحقيق هذا الكتاب على النسخة الموقوفة في المدرسة الصديقية في حلب المحمية ، وهي نسخة جميلة الخط ، واضحة كتبت بخط النسخ ، وضبطت بعض ألفاظها ، كما كتبت فصولها بالحمرة . ورتبت موادها ترتيبا حسنا ، إذ جعل الناسخ إشارة متميزة عند انتهاء المادة والبدء بالمادة الجديدة ، كما أنه كتب المادة المتحدث عنها بخط متميز مما يسهل على القارئ التمييز بينها وبين غيرها ... "

" والمخطوطة سليمة صحيحة ، ليس فيها شيء من خرم أو طمس أو سواه ، مما سهل علينا العمل ، فاعتمدناها وحدها دون البحث عن نسخ أخرى في التحقيق ، والنسخة مقروءة ، ومقابلة بعد النسخ بدليل وجود بعض التصويبات والتوضيحات على الهامش أثبتت في مواطنها. ولا سيما أن ناسخها علم من أعلام العلم ، وقد ذكر في آخر المخطوطة اسمه فقال : علّقه لنفسه الفقير الى الله تعالى ، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضيا القرشي العدوي الحنفي في سابع عشر من شعبان المكرم عام ثمانية وعشر وثمان مائة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله ، ثم كتب في آخر المخطوط بخط مغاير ترجمة الناسخ فجاء ما نصه :

ترجمة ناسخ هذا الكتاب والذي قبله والذي بعده هو الشيخ الامام الفاضل الكامل شمس الدين أبو البقاء محمد بن أحمد المعروف بابن الضيا القرشي العدوي الحنفي المكي ، ومن تأليفه التفسير المشهور الجيد " المعتبر عن أهل التفسير والأثر " وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة 854 هـ انتهى " .

كتاب مختصر لقط المنافع

قال المؤلف الامام ابن الجوزي : " لما جمعت كتاب لقط المنافع في الطب ، فانبسط وطال ، آثرت أن أنتخب في هذا المختصر من عيونه وأقتطف المهم من أفنانِ فنونه ، والله الموفق .

روى أسامة بن شريك عن – النبي صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال : " تداووا فإن الله – عزّ وجلّ – لم يضع داء إلا وضع له دواء غير واحد : الهَرَمُ " .

" ينبغي للأدمي أن يكون مكثه في هواء جيد الجوهر لا يخالطه بخار ، ولا دخان غير محقون بين الجدران والسقوف ، إلا أن يصيب الهواء فساد ، وأن يستعمل الرياضة ، وهو أن يمشي قبل الغذاء ، ولا تصلح على الجوع ، فإذا أحس بالاعياء قطع . ويخاف من دوام الدعة انطفاء الحرارة الغريزية ، وكثرة البلغم ، والفضول في البدن وفساد المزاج ، ثم يدخل الحمام ليستخرج باقي الأخلاط " .

" ثم يتغذى بعد ساعة ، وأصلح الاغذية ، الخبز المخمّر المعتدل ، والفراريج ، والدراريج ، وليرفع يده عن الطعام وهو يشتهيه ، فإن تناول حلاوة فيسيرا ، لانها تجلب المرار ، والسدد خصوصا إذا كان فيها النشاء والدقيق . والاصلح أن يكون مكانهما الكعك المنخول . ولا يشرب الماء حتى ينحدر الطعام عن البطن الأعلى ، ثم يشرب الماء نصف ما يشتهيه ، وليحذر الماء البارد عقيبَ الفاكهة والحلواء ، والطعام الحار ، والحمّام ، والرياضة . ومتى شرب العطشان ماء كثيرا عرض نفسه للتلف وإنما ينبغي أن يمتصّ منه قليلا ، وإياه والمثلوج . ومن تعشىّ فليمشِ بعد العشاء خطوات ، ثم يعرض نفسه على الخلاء قبل النوم ، ثم يضّطجع " .

" وينبغي أن يتعاهد بدنه بتنقيته من الاخلاط ، وليحذر من إدامة الفكر ، والهمّ ، والغمّ . وليراعِ بصره بالاكتحال ، وجسده بالدهن ... ثم تحدّث عن استعمال الادهان وأنواعها مثل دهن البنفسج ودهن اللوز الحلو والمرّ ، ثم تحدث عن الحمام ثم الطيب والرياحين والفواكة وأنواعها وفوائدها ، ثم انتقل الى الحبوب مثل الحنطة والشعير وتحدث عن الخشخاش الذي يستخرج منه الافيون وفوائده واضراره ، وانتقل الى البقول وانواعها وفوائدها واضرارها ثم ذكر اللحوم مثل لحوم الطيور ولحم البقر ولحم الضان والماعز والسمك ، وانتقل الى التوابل وما نسميه في المطبخ اليوم بالمكسرات ، مثل اللوز والجوز والبندق ، وانتقل الى الزيتون وزيت الزيتون ..... الخ . ثم انتقل الى الألبان والأجبان وذكر أنواع المطبوخات وفوائدها واضرارها والحلواء وأنواعها وأضرارها وفوائدها ، وانواع المياه ، والاشربة المباحة ، ثم فصل في النوم واليقظة ، ثم فصل في الزينة والجماع والتدبير في مختلف الأعمار ، ومختلف الفصول والاوقات ثم ذكر علاج بعض الامراض ، وركزّ على معالجة الهمّ والغمّ ، ثم فصل من كلام الحكماء في حفظ الصحة وتجنب المرض وكيفية الغذاء والدواء " .

3) **كتابه الطب الروحاني** : " فقد خصصه للحالات النفسية وكيفية علاجها وقد حققه محمد السعيد زغلول ونشرته مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة 1986م .

وقد ابتدأ ابن الجوزي رسالته بفصل عن فضل العقل وماهيته ومسكنه ولم يطل فيه الكلام لانه قد ذكره في كتابه " ذم الهوى " . وثمرة العقل معرفة الخالق سبحانه وتعالى والاستدلال عليه ، ومعرفة صدق الانبياء عليهم السلام . كما أن العقل يحثُّ الانسان على الطاعة والبعد عن المعصية وبه تأهل الآدمي لخطاب الله سبحانه وتعالى وتكليفه ، وبه تمّيز الانسان عن سائر الحيوانات والبهائم . ثم استطرد الى ذم الهوى والفرق في

ما بين ما يرى العقل وما يرى الهوى . وتحدث عن العشق وضرره على الانفس وعلاجه بالزواج ، ثم تحدث عن الشرَه (المأكل والمشرب والملبس والمنكح) ، وتحدث عن البخل ثم النهي عن التبذير ، ثم في بيان مقدار الاكتساب والانفاق وأفاض في الحديث عن الكذب وأضراره ، والحسد والحقد وكيف يتمُّ التغلّب عليهما .
وكيفية دفع الغضب . ودفع العجب والكبر وعلاج الرياء وحب الرئاسة ، ودفع فضول الفكر ودفع الحزن والهمّ والغمّ والحذر والخوف من الموت الى حد ينغّص على المرء حياته ، وإن العاقل يذكر الموت والبلى ليتعّظ ، وليهذب نفسه ويجعلها على طريق الخير والحق والصواب ، وعليه أن يجانب الكسل ، والهمّة الدنيّة ، وان يعرف الانسان عيوب نفسه ، وكيف يروض نفسه على الحقّ والاعتدال في الصفات . ثم كيف يروّض الاطفال والزوجة والاهل والمماليك . وكيف يعاشر الناس ويداريهم . ويكف يصل الى السيرة الكاملة التي تتمحّص لفعل الخير وتهدي اليه ، وتجتنب الشر وتحذر منه بقدر الطاقة البشرية غير المعصومة ، فالعصمة للانبياء وحدهم . والحفظ من الله للسالكين في مرضاته .

وقد ذكر ابن الجوزي انه كتب قبل ذلك كتابا في الطب الجسماني وسماه " لقط المنافع " وآثر ان يشفعه بكتاب في طب النفوس بعنوان " الطب الروحاني " وطب الأبدان يسعى لاصلاح الأبدان والصور بينما يعالج طب النفوس ، اصلاح النفوس والمعاني وهي أشرف عند الله وعند خلقه .

والفرق بينه وبين كتاب ابي بكر الرازي " الطب الروحاني " كبير فاتجاه الرازي طبي فلسفي ، بينما اتجاه ابن الجوزي وعظي ديني . ولا شك ان اسلوب ابن الجوزي أجمل وعبارته أفضل ، وتأثيره في النفوس أبلغ ، وهو يوشّي كلامه بآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم وبأبيات من الشعر ، وشيء من كلام الزهّاد والصوفية مثل الحسن البصري وابراهيم بن أدهم ، وأفانين اللغة والفرق بين البَشَم (الامتلاء من الطعام) والبَغَر (الامتلاء من الشراب) ، وابن الجوزي من أشهر الوعاظ وأبلغهم ، فلا غرو إذا سار كتابه على هذا المنوال ... وهو أقرب الى قلوب العامة ، بل والخاصة من كلام الرازي الفيلسوف الطبيب ذي العبارة الجافة العقلانية الصرفة التي تستخدم اصطلاحات الفلسفة والطب الجالينوسي .

وانتفاع الناس والقرَّاء بأمثال ابن الجوزي في هذا الباب أكثر بكثير من انتفاعهم بأمثال الرازي الفيلسوف الطبيب . وللرازي مجاله وابداعه في الطب والمعالجات ، وله فيها إبداعات لم يسبق إليها فذاك فنّه ، وأما إصلاح النفوس فالوعاظ على ذلك أقدر وابن الجوزي في ذلك أنفع وأصلح .

الفصل الحادي عشر :

ابن صاحب الصلاة المالقي شهيد موقعة العقاب (14صفر 609هـ /16يوليو 1212) وكتابه شرح الاحكام

ذكر الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه الطب النبوي بين المشرق والمغرب (سنة 1421هـ/2000م) ابن صاحب الصلاة المالقي شهيد معركة العقاب المتوفي سنة 609هـ / 1212م وكتابه الحافل " شرح الاحكام " وهو كتاب جمع فيه الاحاديث النبوية وشروحها واعتمد على صحيح الامام مسلم كمرجع اساسي وشروحه المختلفة، كما اعتمد على كتاب معالم السنن في شرح كتاب السنن للامام احمد بن محمد الخطابي البستي (تـ 388) وكتاب الغريبين (اي غريب القرآن والحديث) ، للامام أحمد بن محمد الهروي (تـ 401)، وكتاب شرح رسالة ابي زيد القيرواني لعبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي (تـ 421) ، وشرح البخاري لعلي بن خلف بن بطال البكرى القرطبي (تـ 449) ، وكتاب الاستذكار لابن عبد البر النمري شيخ علماء الاندلس ومحدثيها (وفاته 463) ، وكتابه المنتقى لسليمان بن خلف التيميمي الباجي (تـ 474) وابن رشد الجد القرطبي (تـ 520) في كتابه البيان والتحصيل ، وكتاب المعلم بعنوانه مسلم للامام محمد بن علي التيميمي المازري (تـ 538) ، وكتابه اكمال المعلم للقاضي عياض اليحصبي (تـ 544) ، ولا شك ان هذه المراجع هامة ، ولكن يلاحظ ان اصحابها كلهم من المذهب المالكي وهو المذهب المنتشر اساسا في الاندلس والمغرب وغيرها من البلدان .

وقد ذكر الدكتور عبد الهادي القاري مجموعة ممن اشتهروا بلقب ابن صاحب الصلاة ، وبعد دراسة عميقة للكتاب ومصادره وزمنه اعتمد كلام ابن الآبار في التكمله وهو أنه محمد بن حسن بن محمد بن يوسف بن خلف الانصاري .. وأنه من أهل مألقه ويعرف تحت اسمين : ابن صاحب الصلاة ، وابن الحاج ، ويكني أبا عبد الله .

وكان ابن صاحب الصلاة هذا (محمد بن حسن الانصاري) ممن شملتهم رعاية المنصور الموحدي الذي اراد ان يعود الناس الى كتاب الله وكتب الحديث النبوي مباشرة ويتركوا كتب الفقه والتفريعات ، ومن باب أولى كتب علم الكلام وكتب الفلسفة .. وقد وصل به الامر الى احراق كثير من كتب الفقه وأصوله وكتب العلوم الاخرى ، وذلك في مدينة فاس العاصمة العلمية لمملكته . ولا شك ان ذلك تعصب مقيت لا مبرر له .

وكان ابن صاحب الصلاة المالقي من علماء الحديث النبوي وشراحه.. وقد أخذ العلم على عدد كبير من العلماء في الاندلس (ذكرهم بالتفصيل الدكتور عبد الهادي التازي) ، ثم ذكر عددا من شيوخه في بجاية في المغرب الاوسط ، ثم من اخذ عنهم من العلماء في اثناء رحلته الى الحج سنة 580 فسمع من عدد منهم بالاسكندرية وآخرين في مكة المكرمة ... ثم مجموعة ممن لقيهم بفاس بعد عودته من الحج واقامته بها . وذكر عدداً من أخذوا عنه في فاس وغيرها .

وقد خصصّ ابن صاحب الصلاة السفر العاشر من شرح الاحكام على اثنى عشر بابا : اولها باب الحد في الخمر ثم باب في الاطعمة ثم الاشربة وجعل الباب الثامن في الامراض وما يصيب المسلم والباب التاسع في الطب .

وقد ركز الدكتور عبد الهادي التازي على كتاب الطب ونقله بكامله من مخطوط شرح الاحكام الموجود بمكناس للامام ابن صاحب الصلاة .

وابتدأ بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله . فقال الشارح (ابن صاحب الصلاة) : فهذا تنبيه حسن ، وذلك انه قد علم ان الاطباء يقولون ان المرض خروج الجسم عن المجرى الطبيعي ، والمداواة ودّه اليه . وحفظ الصحة بقاؤه عليه ، فحفظها يكون باصلاح الاغذية وغيرها ، وردّه يكون بالموافق من الادوية المضادة للمرض وبقراط يقول : الاشياء تداوى بأضدادها ، ولكن تدقُّ وتغمض حقيقة المرض ، وحقيقة طبع العقار والدواء المركّب ، فتقّل الثقة بالمضادّة التي هي الشفاء . ومن هنا يقع الخطأ من الطبيب فقد يظن العلّة من مادة حارّة ، وتكون من غير مادة أصلا ، أو من مادة باردة أو حارّة دون الحرارة التي قدّر فلا يكون الشفاء ، فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم تلافى بأخر كلامه ما قد يعارض أوله ، بأن يقال : " لكل داء دواء " . ونحن نجد كثيرا من المرضى يداوون فلا يبرؤون ، فنبّه على ان ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة لا لفقد الدواء . وهذا تتميم حسن في الحديث.

وهذا الكلام يوضح الآتي :

1- العلم الواسع لابن صاحب الصلاة في مبادئ علوم الطب اليونانية في زمنه ومعرفته بالتفصيل لكلام ابقراط . وان المداواة تعتمد حسب النظرية اليونانية على التداوي بالضد Allopathy زرغم تطور العلومالطبية بشكل كبير جدا الا ان هذه النظرية لا تزال تكمن في جوانب من التداوي الى اليوم ، ومع هذا فقد وجدت منذ القرن الثامن عشر الميلادي نظريات مختلفة في التداوي ... وهي التداوي بالمثل Homeopathy وتعتمد على اعطاء المريض كمية ضئيلة جدا من عقار (دواء) يحدث نفس الاعراض التي يشكو منها المريض .

ولا شك ان هذا الحديث الشريف يفتح آفاقا واسعة للتداوي من أمراض كثيرة يظن بعض الناس ان لا علاج لها ، ومع التقدم الطبي ظهرت لها علاجات جديدة ووسائل كثيرة لتجنب حدوثها ومقاومتها .

وفي حديث آخر : ما انزل الله من داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله . وهذا دليل آخر على وجوب البحث عن اسباب الامراض والاسقام والتوصل بالتالي اما الى الوقاية منها أساسا ومنع حدوثها كأمراض السمنة التي انتشرت في مختلف بلدان العالم بسبب الاسراف في الطعام مع قلة الحركة والرياضة . أو بايجاد علاجات لامراض لم يكن لها علاج في الماضي ، مثل المضادات الحيوية لمجموعة كبيرة من الامراض البكترية المعدية ، أو معالجة جديدة لانواع السرطان بحيث تمكن الاطباء من معالجة كثير من امراض سرطان الدم في الاطفال بنسبة نجاح تصل الى 90 بالمئة . وهذا الحديث وما يماثله اصل عظيم في الطب ويفتح المجال واسعا للتداوي من الامراض ، بل من منع وقوعها اساسا كأمراض السمنة وضغط الدم والامراض النفسية وأنواع السرطان المتعلقة بالتدخين والامراض الجنسية .

وفي الحديث الثاني : انتقل المصنف الى مداواة الحمى بالماء البارد وذكر حديث أسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها أنها كانت توتى بالمرأة الموعوكة (المقصود المصابة بالحمى) فتدعو بالماء فتصبه في جيبها (أي بين الثوب وبدنها) وتقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبردوها بالماء ، وقال انها من فيح جهنم .

وقد شرح الحديث ثم ردّ على من قال ان الاطباء (في زمنه) مجمعون على ان استعمال المحموم الاغتسال بالماء البارد خطر وقرب من الهلاك . ولكن ردّه لم يصل الى شيء يسير مما فعل بعده ابن القيم في كتابه الطب النبوي ... وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن كتاب ابن القيم فلا حاجة لاعادته ها هنا .

وفي الحديث الثالث : ذكر علاج الذي استطلق بطنه (الاسهال) بالعسل ... وردّ ايضا على من قال ان العسل يسبب الاسهال ومداواة المصاب بالاسهال بمادة تسبب الاسهال مخالفة للطب البقراطي ... وشرح ابن صاحب الصلاة ان اخراج المواد الضارة والمسببة للاسهال بالمداواة بالعسل جزء من العلاج لذلك لما شرب العسل زاده الاسهال ثم توقف في المرة الثالثة . وكان رد ابن القيم على اطباء زمنه أفضل من رد ابن صاحب الصلاة .

على اية حال فإن علاج الاسهال الان بمعالجة سببه وبتعويض المصاب بالسوائل (الماء) وقليل من الملح والعسل (الجلوكوز) . وقد نشرت ابحاث طبية عديدة في معالجة اسهال الاطفال بهذه الطريقة فأدت الى نتائج باهرة .

وقد كثرت في الأونة الاخيرة الكتب والابحاث العديدة لفوائد العسل الطبية . وسيتمّ استعراضها في الجزء الخاص بالطب النبوي العلاجي .

وفي الحديث الرابع : ذكر التداوي بالحبة السوداء (الشونيز) وهذه ايضا فيها مئات الابحاث الحديثة في الطب وفوائدها ، ومكانها الطب النبوي العلاجي .

الحديث الخامس:التلبينة مجمة لفؤاد المريض ، وتذهب بعض الحزن وفيها أيضا ابحاث طبيّة جديدة . والتلبينة هي من الشعير مع الحليب (اللبن) وشيء من العسل . وذكر السفرجل باعتبارها تجمّ الفؤاد كما جاء في حديث آخر .

الحديث السادس : حديث سعد بن ابي وقاص وانه مفؤود ومداواته بتمرات من عجوة المدينة يتم دقهن بنواتهن ثم يعطي ذلك للمريض بواسطة اللدود وهو الصب في جانب الفم . ثم انتقل الى حديث عائشة رضي الله عنها وكيف انهم لدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو كاره فعاقبهم بأن يلّد كل واحد منهم الاخر ما عدا العباس رضي الله عنه لانه لم يشهدهم . ثم انتقل الى مداواة العذُر . (وفي الغالب هي التهاب اللوزتين والتي تصيب الاطفال عادة) بالغمز ونهى الرسول عن ذلك ، ومداواتها بدلا من ذلك بالقسط أو العود الهندي ، وذكر المصنف بعد ذلك العود الهندي والقسط وماورد فيها من احاديث .

ثم انتقل الى التداوي بالخمر الصرفة ، وقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم التداوي بها .

وذكر المصنف ان الخمر تستخدم في الطب (في زمنه) لمداواة بعض الاسقام . ولكن الشرع منعها لما فيها من الآثام . وللأسف فقد صدّق المصنف ما يقوله الاطباء الى زمنه وهو كلام منقول اساسا عن اليونان الذين يحبون الخمر حبّا جما ... ولم يكن موقفه مثل موقف الامام جعفر الصادق أو الامام ابن القيم الذي ردّ على من قال ان الخمر دواء .

وقد وضعت كتباً في الرد عليهم وهي : الخمر بين الطب والفقه وكتاب الاعجاز العلمي في منع التداوي بالخمر ، وهما منشوران منذ سنوات عديدة فلا حاجة للاطالة ها هنا . وكتابا باللغة الانجليزية في هذا الموضوع .

ثم انتقل المصنف الى النهي عن الدواء الخبيث ، وبعدها انتقل الى التداوي بالكمأة (الفطر Mushroom ويدعى في دول الخليج الفقع) وماؤها شفاء للعين .

ثم انتقل الى الحجامة ... والشفاء في ثلاث شرطة محجم أو شربة عسل أو كيه بنار ، وأنا أنهي أمتي عن الكي ... وفي حديث جابر وما أحب أن اكتوى .

وفصَّل في ذلك وخاصة في باب الكي ... وأقوال العلماء في ذلك ... وأنه صلى الله عليه وآله وسلم كوى بنفسه سعد بن معاذ ولهذا فإن الفقهاء في غالبيتهم على اباحته عند الحاجة له . ثم تحدث عن التداوي وأحكامه .

وانتقل الى موضوع الرقى وعلاج السحر والعين السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بدون حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون . وشرح كل ذلك شرحا موسعا قيما .

وتحدث عن علاج السحر وسحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم السحر والساحر واعتبر الساحر كافرا ولذا جاز قتله .

وانتهى بأحاديث العدوى وحاول الجمع بينها كما سيأتي شرحه في كتاب الطاعون والعدوى .

الفصل الثاني عشر :

الطب من الكتاب والسنة
للإمام عبد اللطيف البغدادي
(557 – 629 هـ)
تحقيق وتعليق د . عبد المعطي أمين قلعجي
اصدار دار المعرفة – بيروت لبنان 1406هـ/1986م

ترجمة المصنف :

الامام عبد اللطيف البغدادي موسوعي المعرفة فهو طبيب ، رياضي ، نحوي ، لغوي ، متكلم ، محدث ، مؤرخ ، حكيم من فلاسفة الاسلام ، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة ، وعلم النفس ، والطب والتاريخ ، والبلدان ، والادب .

قال عنه ابن ابي أصيبعة : " والذي وجدته من خطّه أشياء كثيرة جدا ، بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخا متعددة ، وكذلك أيضا كتب كتبا كثيرة من تصانيف القدماء ، وكان صديقا بجدي وبينهما صحبة أكيدة بالديار المصرية لمّا كنّا بها . وكان أبي وعمي يشتغلان عليه بعلم الأدب . واشتغل عليه عمي أيضا بكتب أرسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها ، والفهم لمعانيها ، وأتى الى دمشق من الديار المصرية ، وأقام بها مدة ، وكثر انتفاع الناس بعلمه ، ورأيته لما كان مقيما بدمشق آخر مرة أتى إليها ، وهو شيخ نحيف الجسم ، ربع القامة ، حسن الكلام جيّد العبارة " .

يقول لنا البغدادي عن نفسه : إنه ولد بدار لجده في درب الفالوذج ببغداد في سنة سبع وخمسين وخمس مئة للهجرة ، ثم تربى في حجر الشيخ ابن نجيب السهروردي لا يعرف اللعب واللهو ، وأكثر زمانه منصرف الى سماع الحديث ، وأخذت له إجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر . ولما ترعرع ، حمله أبوه إلى كمال الدين عبد الرحمن الأنباري (ت 577هـ) ، " وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدي صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية ، ولكنه امتنع عن تعليمه وطلب اليه أن يحمله الى تلميذه الوجيه الواسطي ، إلى أن تتوسط حاله في العلم فيعود الى ابن الانباري . فتعلم موفق الدين على يدي الوجيه الواسطي الضرير، الذي أقبل عليه يعلّمه من اول النهار إلى آخره : " بوجوه كثيرة من التلطّف . فكنت أحضر حلقته بمسجد الظفرية ، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها . وفي آخر الأمر أبدأ درسي ويخصّني بشرحه . ثم نخرج من المسجد فيذاكراني في الطريق ، فإذا بلغنا منزله ، أخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فأحفّظه وأحفظ معه . ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه ويشرح له ، وأنا أسمع . وخرجت الى أن صرت أسبقه في الحفظ والفهم ، وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار " (عيون الانباء ص 684).

وقرأ على علماء عصره في مختلف العلوم وأكثرها في الحديث والأصول والنحو ، واللغة والفلسفة ، والطب ، والكيمياء . وأكبَّ على كتب الغزالي : (المقاصد) ، و (معيار العلم) و (ميزان العمل) و (محك النظر) . حتى إذا ما فرغ من الغزالي ، انتقل الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها ، وحفظ كتاب (النجاة) وكتب كتاب (الشفاء) بخطِّه ، وبحث فيه ، وحصَّل الكتاب (التحصيل) لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتب

وحصل كثيرا من كتب جابر ابن حيان الصوفي وابن وحشيّة ، وهي كتب الكيمياء المعروفة بالصنعة ، اي التي تهدف الى تحويل المعادن الخسيسة مثل النحاس والحديد الى معادن شريفة مثل الذهب والفضة ، وقال عنها إنها باطلة .

" ولما لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبه ، ويملأ عينيه ، ويحّل ما يشكل عليه ، ارتحل الى الموصل ، فوجد فيها عالما فذّاً ، هو الكمال بن يونس الذي جمع بين المهارة في الرياضيات والطبّ وبين الفقه ، بيد أنه وجده وقد استغرق عقله ووقته حبُّ الكيمياء ، وعملها ، حتى صار يستخفّ بكل ما عداها .

وعرضت عليه بالموصل عدة مناصب ، فاختار منها التدريس وأقام يتابع العلم والتعليم

وارتحل الى دمشق وصَّنف فيها تصانيف كثيرة في الحديث واللغة وأصول الدين ، ثم توجه الى زيارة القدس ، ثم قصد الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمع ببهاء الدين ابن شدادقائد العسكر يومئذ .

قال البغدادي : " وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : { حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها } (الزمر 71) أين جواب إذا ؟

وأين جواب " لو " في قوله تعالى : { ولو أن قرآنا سُيّرت به الجبال } (الرعد 31) .وعن مسائل كثيرة ، ومع هذا فلا يقطع الكتابة والإملاء" .

ثم قال : "وقال لي : ترجع الى دمشق ، ونجري عليك الجرايات ، فقلت : أريد مصر ، فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكّا وقتل المسلمين بها ، فقلت : لا بدَّ لي من مصر ، فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بها ، فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله ، وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخا جليل القدر ، نافذ الأمر ، فانزلني دارا قد أزيحت عللها ، وجائني بدنانير ، وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال لهم : هذا ضيف القاضي الفاضل ، فدرّت الهدايا والصِّلات من كل جانب ، وكان كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر ، بمهمات الدولة ، وفيها فصل يؤكد الوصية في حقّي . وأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ (رحمه الله) أقرئ الناس .

وقصده من رحلته إلى مصر لقاء ثلاثة أنفس : ياسين السيمائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي ، وأبو القاسم الشارعي ، قال : وكلهم جاءوني .

" وجاءني موسى ابن ميمون اليهودي فوجدته فاضلا لا في الغاية ، قد غلب عليه حبّ الرياسة وخدمة أرباب الدنيا " .

قال : " وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير ، فدخل شيخ رثَّ الثياب نيّر الطلعة ، مقبول الصورة . فهابه الجمع ورفعوه فوقهم ، وأخذت في إتمام كلامي فلما تصرّم المجلس ، جاءني إمام المسجد وقال : أتعرف هذا الشيخ ؟! هذا أبو القاسم الشارعي ، فاعتنقته وقلت : إياك أطلب ، فأخذته الى منزلي ، وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث ، فوجدته كما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين " .

ثم ذهب الموفق عبد اللطيف البغدادي الى القدس لمقابلة صلاح الدين الايوبي قال : " فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة ، والقلوب محّبة ، قريبا بعيدا ، سهلا محببا ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : { ونزعنا مافي صدورهم من غل } (الحجر 47) ، وأول ليل حضرته وجدت مجلسا حفلا بأهل العلم ، يتذاكرون في اصناف العلوم ، وهو يحسن الاستماع والمشاركة ، ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ، ويتفنن في ذلك ، ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتما في بناء سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ، قال : وكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارا في كل شهر على ديوان

الجامع بدمشق ، واطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار ، ورجعت الى دمشق وأكببت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع ... وبعد وفاة صلاح الدين ، عاد الموفق عبد الطيف البغدادي الى مصر مع ابن صلاح الدين الملك العزيز ، وكان في تلك المدة يقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة ، ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره ، وأخر النهار يرجع الى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون .

ومن كلامه :

" ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة إذا أديت إلى منامك ، وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها ، وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها ، وترتب في نفسك ما تعلمه في غيرك من الحسنات ، وتسأل الله الإعانة على ذلك " . وقال : " أوصيك أن لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم ، وعليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الاستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه ، وعليك بتعظيمه وترحيبه ، وإن قدرت أن تفيد من دنياك فافعل وإلا فبلسانك وثنائك ، وإذا قرأت كتابا فاحرص على أن تستظهره وتملك مضاه . وتوّهم ان الكتاب قد عدم وأنك مستغن عنه لا تحزن لفقده ، وإذا كنت مكبّا على دراسة كتاب وتفهمّه ، فإياك أن تشتغل بآخر معه واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره إليه . وإياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة ، وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين أو ما شاء الله ، فإذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن أنك إذا حصلت علما فقد اكتفيت ، بل تحتاج الى مراعاته لينمى ولا ينقص ، ومراعاته تكون بالمذاكرة و التفكّر واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف ، وإذا تصدَّيت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره ، فإن استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه ، كمن يستعين بلغة في لغة أخرى إذا ضاقت عليه أو جهل بعضها ".

قال : " وينبغي للانسان أن يقرأ التواريخ وأن يطلع على السير وتجارب الامم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرّهم . قال : ينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الاول . فاقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وتتبّع أفعاله وأحواله واقتف آثاره ، وتشبّه به ما أمكنك ويقدر طاقتك ، وإذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرّضه وتطبّبه وتمتّعه وتطيّبه ومعاملته مع ربّه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه . وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد " .

وقال : " وينبغي أن تكثر إتهامك لنفسك ولاتحسن الظن بها ، وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبّت ولا تعجل ولا تعجب ، فمع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم يخّجلوه لم يجلّه الناس ، ومن لم يبكّتوه لم يسوّد ، ومن لم يحتمل ألم التعليم لم يذق لذة العلم ، ومن لم يكدح لم يفلح ، وإذا خلدت من التعليم والتفكر فحرّك لسانك بذكر الله وبتسابيحه وخاصة عند النوم ، فيتشرَّبه لبك ... وبتعجّن في خيالك . وتتكلم به في منامك ، وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات ، وإذا حَزَّ بك أمر فاسترجع ، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينيك والعلم والتقي زادك في الآخرة . وإذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكانا لا يراك فيه ، واعلم ان الناس عيون الله على العبد ، يريهم خيره وإن أخفاه ، وشرّه وإن ستره ، فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده ، فعليك ان تجعل باطنك من ظاهرك ، وسرّك أصح من علانيتك ، ولا تتألم إذا أعرضت عنك الدنيا " .

تلاميذه ومن حدث عنه

حَدَّث موفق الدين البغدادي بدمشق ، ومصر ، والقدس ، وحلب ، وحَرَّان ، وبغداد ، وصنّف في اللغة ، والطبّ ، والتاريخ ، وكان يوصف بالذكاء ، وسعة العلم .

حدث عنه : البرْزالي ، والمنذري ، والشهاب القوصي ، وغيرهم كثير .

أقوال العلماء فيه :

قال الدُّبيثي : " وغلب عليه علم الطب والأدب ، وبرع فيهما " .

وقال ابن ابي أصيبعة : " كان مشهورا بالعلوم ، متحليّا بالفضائل ، مليح العبارة ، كثير التصنيف ، وكان متميّزا في النحو واللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام والطب ، وكان قد اعتنى كثيرا بصناعة الطب لما كان بدمشق ، واشتهر بعلمها ، وكان يتردد إليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليه " .

مصنفاته :

عَدَّ له ابن أبي أصيبعة زهاء مئة وخمسين كتابا ومقالة ورسالة ، ومنها ما وقع في مجلدات مثل " أخبار مصر الكبير " ، وكتاب " الجامع الكبير في المنطق الطبيعي والالهي " زهاء عشرة مجلدات ، وكتاب " القياس " يدخل في أربع مجلدات ، والسماع الطبيعي مجلدان ، ومنها ردود على بعض الفلاسفة كابن سينا ، والرازي وابن الهيثم ، ولم يطبع من جميع كتبه سوى " المشاهدة والاعتبار في أخبار مصر" وفي هذا الكتاب ذكر أنه شاهد عظام عدد كبير من الجثث أخرجت من المقطم لاصلاح طريق . وانتقد فيها جالينوس ومن سبقه من الأطباء الذين قالوا أن الفك السفلي للانسان مكوّن من عظمين وقال أنه عظم واحد لإدرز فيه . وكلامه صحيح وانتقاده لهم في محله .، وهذا الكتاب" الطب من الكتاب والسنة ". وفي الاول حوادث مهمة وقعت في أيامه في مصر والشام وصفها وصف عيان . و"الاربعون حديثا في الطب" من سنن ابن ماجه شرحها.

ومن كتبه ورسائله ومقالاته :

1- كتاب غريب الحديث . 2- كتاب المجرّد من غريب الحديث . 3- كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة . 4- مسألة في قوله سبحانه : {إذا أخرج يده لم يكد يراها } . 5- شرح بانت سعاد . 6- الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين .7- شرح أوائل المفصل . 8- شرح الخطب النباتية . 9- شرح الحديث المتسلسل . 10 – كتاب الرد على ابن خطيب الري في تفسير سورة الاخلاص .11 – أحاديث مخرّجة من الجمع بين الصحيحين . 12 – كتاب اللواء العزيز ، باسم الملك العزيز في الحديث . 13 – كتاب قوانين البلاغة . 14- حواشي على كتاب الخصائص لابن جني . 15 – كتاب الإنصاف . 16- تفسير قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " الراحمون يرحمهم الرحمن " . 17- اختصار كتاب الصناعتين للعسكري . 18 – اختصار كتاب العمدة لابن رشيق .19- كتاب الجليّ في الحساب الهندي . 20- اختصار كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري . 21- شرح كتاب الفصول لأبقراط . 22- اختصار كتاب الحيوان لارسطوطاليس . 23- تهذيب مسائل ما بال لأرسطوطاليس .24- اختصار كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . 25- اختصار كتاب آراء أبقراط وأفلاطون . 26- اختصار كتاب الصوت. 27- اختصار كتاب المنى .28- اختصار كتاب العضل . 29- اختصار كتاب الحيوان للجاحظ. 30- كتاب آلات التنفس وأفعالها . 31 – كتاب النخبة وهو خلاصة الامراض الحادة . 32-

اختصار كتاب الحميات للاسرائيلي . 33- اختصار كتاب البول للاسرائيلي .34- اختصار كتاب النبض للاسرائيلي . 35- كتاب أخبار مصر الكبير . 36- كتاب اخبار مصر الصغير. 37- كتاب تاريخ وهو يتضمن سيرته ألفه لولده شرف الدين يوسف . 38- مقالة في العطش .39- مقالة في الماء .40- مقالة في معنى الجوهر والعرض. 41- مقالة موجزة في النفس . 42- مقالة في العادات . 43- الكلمة في الربوبية .44- مقالة تشمل على أحد عشر بابا في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها. 45- مقالة في البادئ بصناعة الطب . 46- مقالة في شفاء الضد بالضد.47- مقالة ديابيطس والادوية النافعة منه .48- رسالة الى مهندس فاضل عملي.49- اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن سمحون . 50- كتاب كبير في الادوية المفردة.51- مختصر في الحميات .52- مقالة في المزاج.53- كتاب الكفاية في التشريح.54- مقالة في الحواس.55- مقالة في الكلمة والكلام. 56- مقالة في الرد على اليهود والنصارى. 57- مقالة من جهة التوطئة في المنطق .58- حواشي على كتاب البرهان للفارابي . 59- كتاب الترياق . 60- كتاب المراقي الى الغاية الانسانية . 61- مقالة في ميزان الادوية المركبة من جهة الكميات. 62- مقالة موازنة الادوية والادواء من جهة الكيفيات. 63- مقالة في تعقب أوزان الأدوية .64- مقالة تتعلق بموازين الادوية الطبية في المركبات . 65- مقالة في التنفس والصوت والكلام.66- انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش. 67- انتزاعات أخرى في منافعها. 68- مقالة في تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه . 69- مقالة السياسة العلمية .70- كتاب العمدة في أصول السياسة .71- مقالة في جواب مسألة سئل عنها في ذبح الحيوان وقتله .72- مقالتان في المدينة الفاضلة . 73- مقالة في الجنس والنوع . 74- الفصول الأربعة المنطقية.75- تهذيب كلام أفلاطون.76- مقالة كيفية استعمال المنطق .77- مقالة المبادئ بصناعة الطب . 78- مقالة في أجزاء المنطق التسعة ، مجلد كبير .79- كتاب في القياس خمسون كرّاسا ، ثم أضيف اليه المدخل والمقولات والعبارات والبرهان فجاء مقداره أربع مجلدات . 80- مقالة في جواب مسألة في التنبيه على سبل السعادة الطبيعيات من السماع إلى آخر كتاب الحس والمحسوس ، ثلاثة مجلدات . 81- كتاب السماع الطبيعي ، مجلدان . 82- مقالة في تزييف المقاييس الشرطية التي يظنها ابن سينا . 83- مقالة أخرى في المعنى أيضا . 84- كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي . 85- رسالة في المعادن وابطال الكيمياء .86- مقالة في الحواس . 87- عهد الى الحكماء. 88- اختصار كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث. 89- اختصار القولنج لابن أبي الأشعث.90- مقالة في البرسام . 91- مقالة في العلة المراقية. 92- مقالة في الرد على ابن الهيثم في المكان . 93- مختصر فيما بعد الطبيعة . 94- مقالة في النخل . 95- مقالة في اللغات وكيفية تولدها .96- مقالة في الشعر . 97- مقالة في الأقيسة الوضعية . 98- مقالة في القدر . 99- مقالة في الملل. 100- الكتاب الجامع الكبير في المنطق ، والعلم الطبيعي والعلم الإلهي ، وهو زهاء عشر مجلدات التام تصنيفه . 101- كتاب الثمانية في المنطق وهو تصنيف الوسيط. 102- مجموع مسائل نحوية وتعاليق .103- شرح سبعين حديث.

وهكذا نجد معظم كتبه في الطب والصيدلة وشرح أو تلخيص لمجموعة من الكتب الطبية اليونانية أو في العصور الاسلامية . وكتب في المنطق والفلسفة ونقد لهما ...وكتب في اللغة والنحو والشعر وشرح بعض

القصائد المشهورة ، وبعض الكتب في علوم الحديث والتفسير ... وكتب في التاريخ وخاصة تاريخ مصر فهو بحق مؤلف موسوعي.

كتاب الطب من الكتاب والسنّة

قال المصنّف عبد اللطيف البغدادي : " وقد استخرت الله تعالى في جمع شيء من الاحاديث النبوية الطبية الطبيعية الحكيمة ، فالحاجة إليه ضرورية في حفظ الصحة موجودة ، وردها مفقودة ، مستعينا بالله سبحانه وتعالى ، مبتغيا وجه الله ورضوانه وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، العزيز الحكيم ".

" وقد رتَّبتُ هذا الكتاب على ثلاثة فنون : (الفن الأول) : في الطب علمه وعمله .
(الثاني) : في الأدوية و الأغذية . (الثالث) : في علاج الأمراض .

فالأول في الأمور الطبيعية . فالطب ينقسم إلى جزء علمي وجزء عملي .
فالعملي أجزاءه ثلاثة : العلم بالامور الطبيعية ، والعلم بأحوال بدن الانسان ، والعلم بالعلامات
والامور الطبيعية سبعة : وتحدث فيها عن النظرية اليونانية فقال :
(احدها) : الأركان وهي أربعة : النار وهي حارة يابسة ، والهواء وهو رطبٌ حارَّ ، والماء وهو رطب بارد ، والارض وهي يابسة باردة .
(وثانيها) : المزاج ، وذكر أقسامه .
(وثالثها) : الأخلاط الأربعة : الدم وهو أفضلها وهو رطب حار ، فائدته تغذية البدن ، والطبيعي منه حلوٌ لا نتَن له ، ثم البلغم وهو رطب بارد ، ثم الصفراء وهي حارة يابسة ، وعاؤها المرارة ، وهي تلطّف الدم وتنفذه في المجاري الضيقة ، وينصب جزء منها إلى الأمعاء فيعينها على خروج النجو (البراز) ، ثم السوداء وهي تغذي الطحال والعظام وتنصبّ حوافهّا الى فم المعدة فتنبّه على الجوع وهي يابسة باردة وهي تغلظ الدم لحموضتها .
(رابعها) : الأعضاء الأصلية وهي تتولد عن المني .
(وخامسها) الأرواح .
(وسادسها) : القوى وهي ثلاثة : الطبيعية ، والحيوانية ، والنفسانية .
(وسابعها) : الأفعال وهي الجَذْبُ والدفع الحر .

والعملي في أحوال بدن الانسان

وأحوال بدن الانسان ثلاثة : الصحة ، والمرض ، وحالة لا صحة ولا مرض كالنَّاقِة والشيخ .
فالصحة وهي بدنية تكون الأفعال معها سليمة ، والعافية أفضل ما أنعم الله بها على الانسان بعد الاسلام ، ولا يتمكن من حسن تصرفه ، والقيام بطاعة ربه إلا بوجودها ، والأمثل لها فليشكرها العبد ولا يكفرها ، وقد قال عليه السلام : " نِعْمَتان مَغْبونٌ فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ " رواه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : " إن لله عبادا يعفُّ بهم القتل والسقم فيحييهم في عافية ويتوفاهم في عافية ويعطيهم منازل الشهداء " ،قال أبو الدرداء : قلت : يا رسول الله لان أُعَافى و أشكر أَحَبّ إليَّ من أن أُبْتلى فأصبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ورسول الله يحب معك العافية " (الحديث ضعيف السند) كما قال الذهبي .

وروى الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من أصبح معافىً في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " . أخرجه الترمذي

وروى الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أول ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة أن يقال له : ألم أصحّ جسمك وأرويك من الماء البارد . (اخرجه الترمذي)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " يا عباس ! سلِ الله العافية في الدنيا والآخرة " رواه البزار .

وقال عليه السلام : " سلوا الله العافية والعفو فإنه ما أوتي أحد بعد اليقين خيرا من معافاة " رواه النسائي .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : " ما سُئِلَ الله شيئا أحب إليه من العافية " رواه الترمذي .

وسأل أعرابيٌّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ! ما أسأل الله بعد الصلوات ؟ قال : اسألَ الله العافية .

وفي حكمة داود عليه السلام : العافية ملك خفيّ ، وغم ساعة هرم سنة .

وقيل : العافية تاج على رؤوس الاصحاء لا يعرفه الا المرضى .

وقيل : العافية نعمة مغفول عنها.. كان بعض السلف يقول : كم لله نعمة تحت كل عرق ساكن .

اللهم ارزقنا العافية في الدين والدنيا والآخرة .

والمرض حالة مضادة لها ، وكل مرض فله ابتداء وتزايد وانحطاط وانتهاء .

الجزء الثالث من أجزاء الجزء النظري في الأسباب

والأسباب ستة :

(الأول) : الهواء ويضطر إليه لتعديل الروح فما دام صافيا لا يخالطه نتن ولا رائحة خبيثة . كان حافظا للصحة وأن تغير حكمه ، وكل فصل فإنه يورث الأمراض المناسبة له / ويزيل المضادة ، فالصيف يثير الصفراء ويوجب أمراضها ، ويبرئ الأمراض الباردة ، وعلى هذا فقس في سائر الفصول والهواء البارد يشدّ البدن ويقوّيه ويجيد الهضم والحارّ بالضدّ . وعن تغيّر الهواء يكون الوباء .

(والثاني) : ما يؤكل ويشرب .

(والثالث) : الحركة والسكون .

(والرابع) : الحركة والسكون النفساني كما في الغضب والفرح والهم والغم والخجل ، فإن هذه الأحوال تحصل بحركة الروح ، إما إلى داخل البدن ، وإما الى خارج وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى .

(والخامس) : النوم ، واليقظة ، والنوم يعود الروح الى داخل البدن فيبرد الظاهر ، ولذلك يحتاج النائم الى الرقاد واليقظة بالضد .

(والسادس) : الاستفراغ والاحتباس ، فالمعتدل منها نافع حافظ للصحة .

حفظ الصحة

اعلم أن أخذ الغذاء في وقت الحاجة سبب لدوام الصحة وعلامة الحاجة ان تزكي حاسة الشم وتقل الريق في الفم ، ويقلّ البول ، وتحد رائحته ويتزايد الطلب فعند ذلك يجب استعمال الغذاء ، والمدافعة به منهكة للبدن مجففة له محرقة لمزاجه ، وكذلك أخذ الغذاء من غير حاجة تورث البلادة والكسل ، وهو أحد الأسباب في حدوث الأمراض .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجتنب الطعام المكشوف ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها من السماء وباء لا يصادف إناء مكشوفا إلا وقع فيه ذلك الوباء ، فكان في نهيه ما قالته الاطباء ، وزيادة خبر السماء ، ولنهيه – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك بقوله : " غطّوا الإناء وأوكوا السقاء " لئلا يسقط فيه حيوان سمي فيقتل آكله وشاربه " رواه مسلم .

روى أنس عن النبي – صلى الله عليه وسلم - : " أصل كل داء البرد " .

وروى ايضا عن ابي مسعود : " البردة التخمة " لأنها تبرد حرارة الشهوة فينبغي الاقتصار على الموافق الشهي بلا إكثار منه .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الطعام والشراب

قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - : " ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه ، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه " . رواه النسائي والترمذي وقال : حسن صحيح وأكلات جمع أكلة وهي اللقمة .

وهذا باب من أبواب الصحة قال علي بن الحسين بن واقد : جمع الله الطب كله في نصف أية { كلوا واشربوا ولا تسرفوا } (سورة الاعراف :31) . وقال عمر :" إياكم والبطنة فإنها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فإنه أصلح للجسد ، وأبعد عن السَّرف ، وإن الله يبغض الحبر السمين ". رواه أبو نعيم .

قال أبقراط : استدامة الصحة أن لا تَعُبَّ الماء وتترك الامتلاء من الطعام والشراب .

وقال الاقلال من الضارّ خير من الاكثار من النافع .

وقال أبقراط لتلميذ له ليكن أفضل وسيلتك إلى الناس محبتك لهم والتنفذ لأمورهم ، ومعرفة أحوالهم ، واصطناع المعروف إليهم .

وقال : من سقى السم من الاطباء وألقى الجنين ومنع الحبل واجترأ على المريض فليس من شيعتي . وله أيمان معروفة على هذه الشروط المذكورة ، وهو من قسم أبقراط الطبي المشهور.

قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - : " المؤمن يأكل في معيّ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء "(أخرجه البخاري ومسلم)

ولا يدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فمن قلَّ طعامه قلَّ شرابه ، ومن قلَّ شرابه خفَّ منامه ، ومن خفَّ منامه ظهرت بركة عمره .

ومن ملأ بطنه كثر شربه وثقل منامه ، ومن ثقل منامه محقت بركة عمره ، فإذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه وقلبه ، ومن تملأ من الطعام ساء غذاء بدنه ، وأُشرت نفسه وقسا قلبه ، فإياكم وفضول الطعام فإنه يوسم القلب بالقسوة ويبطئ بالجوارح عن الطاعة ويصمّ الأذن عن سماع الموعظة .

وسئل الحارث بن كلدة طبيب العرب ما الغذاء ؟ قال : الأزم – يعني الجوع – قيل : فما الداء ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام .

قال ابن سينا : احذر طعاما قبل هضم طعام .

والطعام السخن مذموم ونهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأكل متكئا " رواه البخاري .

قال أبيّ بن كعب : لأن هذا من فعل الجبابرة ، وكان – عليه الصلاة والسلام – لا ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الإناء ، والتمشي بعد العشاء نافع ويجزئ عنه الصلاة ليستقر الغذاء بقعر المعدة فيجود هضمه .

ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أذيبوا طعامكم بذكر الله تعالى والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم " رواه أبو نعيم .

وينبغي أن يغسل اليدين من الزفر فقد قال – عليه الصلاة والسلام - : " إذا بات أحدكم وفي يده زفرا فأصابه شيئ فلا يلومن إلا نفسه " .

ويروى عنه – عليه الصلاة والسلام -: " الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي الهم". أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس.

وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ، أمر ابن عازب بقوله : " إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة " (الحديث صحصح أخرجه البخاري ومسلم)

قواعد في شرب الماء

ولا يعبُّ الماء عبًّا فإن الكباد من العبِّ ، رواه البيهقي ، والكباد وجع في الكبد ، والعَبّ جرع الماء جرعا كبارا .

وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتنفس في الشراب ثلاثا ، هكذا اخرجه مسلم .

وروى أبو نعيم أنه كان إذا شرب صلى الله عليه وآله وسلم قطع ثلاثة أنفاس ، يسمي الله إذا بدأ ويحمده إذا قطع .

والشراب هنا هو الماء لأن الشراب في اصطلاح الأطباء الخمر (في ذلك الزمان) .

وفي رواية الترمذي : كان عليه الصلاة والسلام يَسْتَاكُ عرضا / ويشرب مصّا .

وقال انس:نهى رسول الله صلى الله عليه آله وسلم عن الشرب قائما .(أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود) .

وقال الخطّابي : هذا نهي تنزيه وتأديب ، أجاز الشرب قائما عمر وعثمان وجمهور الفقهاء ، وكرهه قوم . قد شرب صلى الله عليه وآله وسلم قائما (للحاجة وذلك حين شرب من زمزم) .

وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن اختناث الأسقية ومعناه أن يثني رأسها ويشرب منها . (رواه البخاري) وقال ابن عباس : نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشرب من في السقاء . رواه البخاري . وعلة ذلك أنه لا يدري ما يأتي إلى فيه لأنه قد يكون في الماء علقة أو غيرها فيقف في حلقه . وقد روى ابن ماجه عن ابن عباس قال : " كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدح قوارير (اي من زجاج) يشرب فيه " .

قال الموفق عبد اللطيف : الزجاج فاضل للشرب تفضلّه الملوك وتشرب فيه ، وتختاره على الذهب والياقوت لانه قلَّ ما يقبل الوضواء ، ويرجع بالغسل جديدا ، ويرى فيه كدر الماء وكدر المشروف ، وقلّما يقدر الساقي أن يدسّ السم فيه ، وهذه أشرف الخلال التي دعت ملوك الهند إلى اتخاذه .

تدبير الحركة والسكون (أهمية الرياضة)

اعلم ان الحركة المعتدلة أقوى الأسباب في حفظ الصحة فإنها تسخن الاعضاء وتحلل فضلاتها / وتجعل البدن خفيفا نشيطا ، ووقتها بعد انحدار الغذاء عن المعدة... والحركة المعتدلة ، وهي التي تحمّر فيها البشرة وتربو ، ويبدأ التعرّق ، وأي عضو كثرت رياضته قوي ونشط ، وركوب الخيل باعتدال رياضة للبدن كله .

وقد شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رياضة تصلح أبداننا وقلوبنا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " واغزوا تغنموا ، وسافروا تصحوا " (رواه أحمد في مسنده).

وقوله : " الصوم صحة " وتقدَّم قوله : " أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة " (رواه الطبراني في الاوسط وابن السني ، وابو نعيم في الطب النبوي ، والبيهقي في السنن)

تدبير النوم

وأما تدبير النوم فأفضله أن يكون بعد هضم الغذاء وينبغي أن يبدأ بالنوم على اليمين كما كان – رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – يفعل ، صح ذلك عن عائشة – رضي الله عنها – أنه كان يبتدئ بالنوم على اليمين مستقبل القبلة . (أخرجه البخاري والنسائي) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :" قيلوا فإن الشياطين لا تقيل "(اخرجه الطبراني في الأوسط). وقال – عليه الصلاة والسلام - : " استعينوا على قيام الليل بقيلولة النهار " (أخرجه الحاكم في المستدرك وابن ماجه ، والبيهقي في السنن) .

وروى جابر أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن ينام الرجل بعضه في الشمس وبعضه في الظلّ (أخرجه أبو داود وابن ماجه) .

مكافحة الامساك

روت أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألها : بم تستمشين (كناية عن تليين البطن واستعمال المسهل) ؟ قالت بالشبرم قال : دواء حار يار (ويار أصلها جار أي شديد يجور وأهل أبها والامارات والكويت ومناطق حضرموت ينطقون الجيم ياء)، قالت : ثم استمشيت بالسنا فقال : " لو أن شيئا فيه شفاء من الموت لكان في السنا " (أخرجه الترمذي وابن ماجه) .

والسؤال منه صلى الله عليه وآله وسلم وهي في حال الصحة وهذا الفعل عند الاطباء يسمى التقدم بالحفظ وهو أن يوجد سبب المرض في البدن غير تام فيتدارك بالدواء قبل تمامه ، وهذا الحديث دلَّ على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عارف بقوى الأدوية ومقاومتها في الدرج واشتراكها في الأفعال فإن الشبرم دواء حار مفرح ، والسنا دواء جيد مبارك وسيأتي الكلام عليها .

في الجماع

والنكاح من سنن المرسلين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أعفُّ للبصر وأحصن للفرج " (رواه البخاري) .

وليتجنب جماع الحائض وقد نهى الله تعالى عنه بقوله : { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ** } (البقرة / 222) .

ومن أراد المعاودة فليتوضأ ، وقد أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه مسلم عن أبي سعيد قال : " إذ أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ " . ويستحب التسمية عنده قال – عليه الصلاة والسلام - : لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : " بسم الله اللهم جنبّنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا.. فقضى بينهما ولدا لم يمسه الشيطان " . (رواه البخاري).

ويستحب أن لا ينام حتى يتوضأ ، وقد أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث عائشة وغيرها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعاهد النكاح ويأمر به ، وقال : " حَبَّبَ إلي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قُرَّة عيني في الصلاة " . (أخرجه البخاري ومسلم وأحمد) .

في الفصد والحجامة

بوّب عليه البخاري ، باب الحجامة . أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحجامة ، فقال :" إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط " (رواه البخاري) .

وفي رواية ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا في رأسه إلا قال : احتجتم ، ولا وجعا في رجليه إلا قال : أخضبها بالحناء . رواه أبو داود... والأحاديث كثيرة ومنافعها جمة .

وفي كراهة فصد العروق روايتان أظهرهما عدم الكراهة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كعب طبيبا فكواه وفصد العرق ، وفي رواية : خير الدواء الحجامة والفصادة ، فالحجامة تنقّي سطح البدن ، والفصد لأعماقه ، والحجامة تستعمل في البلاد الحارّة والفصد في البلاد الباردة ، وينبغي أن يتجنب الحجامة بعد الحمام إلا لمن غلظ دمه فيجب أن يستحمّ ثم بعد ساعة يحتجم ويكره على الشبع . ويروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم : " الحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء " .

وعن ابن ماجه ان ابن عمر قال لنافع : قد تبيغ بي الدم فالتمس لي حجاما دقيقا ولا تجعله شيخا كبيرا ، ولا صبيا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الحجامة على الريق أمثل ... فيه شفاء وبركة ، تزيد في الحفظ وفي العقل ، وتحت الذقن ينفع وجع الاسنان والوجه ، وعلى الساقين ينفع دماميل الفخذ والتقوس والبواسير وحكة الظهر ، ومنافع الحجامة أضعاف ما ذكرنا والحجامة على النقرة تورث النسيان ... وظاهر مذهب أحمد كراهة أجرة الحجّام .

وقال ابن عباس : احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعطى الحجام أجره ولوعلمه خبيثا لم يُعْطِه . (اخرجه البخاري) .

وقد ذكر مواضعها وأيامها ولماذا .

الاعراض النفسانية

البدن يتغير من جهة الاعراض النفسانية وهي الغضب والفرح والهمّ والغمّ والخجل ، واما الغضب فإنه يسخّن البدن ويجففّه وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

روى البخاري ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم " أوصني " قال : " لا تغضب " واخرجه الترمذي وأحمد

الحديث معناه أنك لا تفعل بموجب الغضب ، وشاهد ذلك قوله – عليه السلام - : " ممن تعدون الصرعة فيكم ؟ قلنا : " الذي لا يصرعه الرجال !" قال : " ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب " .

وكذلك يجب على من كان يسرع إليه الغضب ، أو كان سيئ الاخلاق أن يروّض نفسه حتى لا يغلبه الغضب فيغفل بموجبه .

هذا معنى قوله – تعالى - : { والكاظمين الغيظ } أثبت لهم الغيظ ومدحهم على كظمه وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغضب حتى يعرف ذلك في وجهه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من نار ، وإنما يطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " (ذكره أبو داود) . وفي رواية الترمذي : " ألا وإن الغضب جمرة في

قلب ابن آدم أما رأيتم حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه " . وفي رواية : " وإني لاعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجده : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " رواه مسلم .

وأما الفرح فمن شأنه تقوية النفس والحرارة ومتى أسرف قتل بتحليله الروح قد ذكر ذلك عن غير واحد أنهم ماتوا من شدّة الفرح . وقد نهى الله عنه بقوله – تعالى - : { **لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** } (القصص/ 76) .

وأما الفرح الايماني فمحمود ومستحب لقوله – تعالى - : { **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** } (آل عمران /170) . وقوله : { **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** } (سورة يونس /58)

والهمّ والغمّ يجذبان الحَميَّات اليومية ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من الهمّ والغمّ ، وفي رواية : " من كثر همه سقُمَ بدنه " . رواه أبو نعيم . فالهمُّ لأمر ينتظر وقوعه أو ذهابه والغم لأمر واقع أو لخبر فات .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من الهم والحزن في دبر كل صلاة ، قال ابن عباس مرفوعا : " من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله " (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي) .

فالحوقلة كلمة تفويض وتسليم . والحزن مقترن بالحال وينبغي لمن كثر همَّه أن يتشاغل بما ينسيه ذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " ما على أحدكم إذا ألحَّ به همّ أن يتقلد قوسه " .

وقد خرَّج الترمذي عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " كان إذا همَّه الأمر رفع رأسه الى السماء فقال : سبحان الله العظيم "

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ما أصاب عبدا همٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماض فيّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همّي ، إلا أذهب الله حزنه وهمّه وأبدله مكانه فرحا " .ذكره أحمد في المسند ، وابن ماجه في صحيحه .

وأما الخجل فهو فعل ما يستحي منه .

الاقلال من الطعام معين على الصحة

روت عائشة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل عليها وهي تشتكي فقال لها : " الأزمُ دواء ، والمعدة بيت الداء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد " .

وقال علي : المعدة بيت الداء والحمية رأس الطب ، والعادة طبع ثان . رواهما أبو يعلى .

الأزْمُ : ترك الاكل فإن الجوع شفاء من الامتلاء ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " المعدة بيت الداء " يشير الى تقليل الغذاء وترك الشهوات ، أما العادة فإنها كالطبيعة للمرء وكما قيل : العادة طبع ثان وهي قوة عظيمة في حفظ البدن وهي ركن في حفظ الصحة ، فلذلك أمر – عليه الصلاة والسلام – بأن يجري كل إنسان على عادته .

الجزء العملي في معالجة المرض

ينبغي أن يراعى في العلاج : السن ، والعادة ، والفصل ، والصناعة ، فلا يسهل بالدواء شيخ كبير ولا طفل صغير ولا من به ذرب البطن ، ولا صاحب كدٍّ وتعب ولا قيّم حمَّام ، ولا ضعيف القوة ، ولا ضعيف البدن جدا ، ولا سمين جدا ، ولا من به قرحة ولا شدّة الحر والبرد ، ولا من يعتاد الدواء .

وحيث أمكن التدبير بالدواء الخفيف فلا يعدل عنه ، ويتدرج من الاضعف الى الاقوى إذا لم يغنِ الأضعف ولا يقيم في العلاج على دواء واحد فتألفه الطبيعة ، وتقل نفعه .

وإذا أشكل عليك المرض ، فلا تهجم بالدواء حتى يتضح لك الامر وحيث أمكن التدبير بالاغذية فلا تعدل الى الادوية .

قال أبقراط (وهو في القسم الطبي المشهور) : وعلى الطبيب تقوى الله وطاعته ولا يعطى دواء قتالا ولا يشير إليه ولا يعطي النساء دواء يقتل الأجنّة ، وأن يكون متباعدا عن كل نجس ودنس ، ولا ينظر إلى أمةٍ ولا صبّي بشيء من الفحش ، غير مشتغل بأمور التلذذ واللهو أو اللعب حريصا على مداواة الفقراء وأهل المسكنة رقيق اللسان ، لطيف الكلام ، قريبا من الله – تعالى – هذا قوله وهو كافر ، قلت (اي عبد اللطيف البغدادي) أبقراط هذا شيخ هذه الصناعة وإمامها وكان من حكماء اليونان وأئمتهم وهو على المذهب الصحيح في صناعة الطب .

الادوية المقررة

قال الاطباء : إن لم يؤثر في البدن أثرا محسوسا فهو الى الدرجة الاولى ، فإذا أثر ولم يضرَّ فهو الى الدرجة الثانية ، وإن ضرَّ ولم يبلغ أن يقتل فهو في الدرجة الثالثة ، وأن بلغ ذلك فهو الى الدرجة الرابعة ، ويسمى الدواء السُّمِّيَّ ، ويُعرَفُ قويُّ الادوية بالتجربة والقياس وتركيب الادوية ، إما صناعي كالترياق ، وإما طبيعي كاللبن فإنه مركب من مائية ، وجبنيّة ، وزبدية .

ثم رتّب الأدوية والأغذية على حروف المعجم ، وابتدأ بحرف الألف فذكر الأترج (اللارنج) وما ورد فيه من الحديث النبوي والفوائد الطبية ثم ذكر الأثل والأثمد والاذخر والأراك ، وما ورد فيها من أحاديث نبوية وفوائد طبية واستمر على هذا المنوال على بقية الحروف الى الياء .

ثم ذكر الادوية المركبة وأنواعها وكيفية تركيبها ، ثم ذكر أن الغاية من معرفة الطب هي حفظ الصحة موجودة (وهو ما ذكره في أول الكتاب) واستعادتها مفقودة بالتداوي فقد جعل الله لكل داء دواء وأتى بأحاديث التداوي المشهورة وذكر فضل الطب والاطباء . وتحدث عن أقوال الفقهاء في أفضلية التداوي أو تركه لمن يقوون على ذلك . وان من حق المريض أن يرفض التداوي وخاصة في مرض الموت ، أو المريض الذي يعرف ان الطبّ لم بتوّصل بعد الى شفائه .

ثم تحدث عن الحميّات ، والحثّ على تعلم الطب ، وترك إكراه المريض على الطعام والشراب . وتحدث عن العدوى وكراهة اختلاط السليم بالمريض ، ثم تحدث عن مجموعة مختارة من الامراض وعلاجها ، وفي كل ذلك يستدل بالاحاديث النبوية والطب في عصره .

وكتاب عبد اللطيف البغدادي مرجع هام لمن أتى بعده فقد استفاد منه كثيرا ابن القيم (وللأسف لم يذكره) والذهبي في كتابه الطب النبوي (والواقع انه كتاب البغدادي ، ولعل أحدا اخطأ فنسبه للذهبي . وقد ناقشت هذا الموضوع عند الحديث عن كتاب الطب النبوي المنسوب للذهبي) .

الفصل الثالث عشر :

كتاب الاربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها للعلامة الحكيم عبد اللطيف البغدادي وجمع محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي

المحقق : عبد الله كنون ، اصدار الطبعة الاولى 1979م ، عدد الصفحات 65 ، الناشر : وزارة الاوقاف المملكة المغربية – مطبعة فضالة المحمدية ، وقد طبعت هذا الكتاب ايضا مؤسسة الكتب الثقافية 1985 بيروت،بتحقيق كمال الحوت (ص)124.

ترجمة عبد الله كنون (1908-1989م)

فقيه، كاتب، مؤرخ، شاعر، أكاديمي وصحافي مغربي، أمين عام لرابطة علماء المغرب وأحد الرواد في إرساء قواعد النهضة الأدبية والثقافية والعلمية في المغرب، منذ منتصف العشرينيّات إلى أن توفاه الأجل.
رحل إلى طنجة مع عائلته بسبب الحرب, حفظ القرأن على يد ابيه عبد الصمد كنون وعلى يد الشيخ أحمد بن محمد الوسيني وحفظ الاحاديث النبوية فأصبح عالما بالشريعة وباللغة العربية في وقت قصير.

كانت قراءته متنوعة، ونَهِمَة، وموصولة الأسباب، وبجهده الخاص تعلم الإسبانية والفرنسية، فكان يقرأ بهما، ويتابع الجديد الذي يصدر بطنجة وهي يومئذ خاضعة للإدارة الاستعمارية الدولية، حتى صار من قادة الفكر والعلم والعمل الوطني لما انتظم في إطار الحركة الوطنية، من كتلة العمل الوطني في عام 1934، إلى الحزب الوطني في عام 1937.
خلف كنون أثرا واضحا في الدراسات الأدبية، وفي كتابة التراجم، وفي تحقيق المخطوطات، وفي إصدار الصحف والمجلات وإدارتها والإشراف عليها وتزويدها بالمادة المتنوعة الغنية، وفي العمل الأكاديمي والمجمعي، وفي الدعوة الإسلامية بالحكمة وبالعقل السديد وبالأناة والحلم وسعة الصدر واستنارة البصيرة.

- 1955- عين عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق.
- 1961- انتخب أمينا عاما لرابطة علماء المغرب وبقي في هذا المنصب إلى وفاته.
- 1961- انتخب عضوا عاملا ممثلا للمغرب في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- 1969- نال وسام الكفاءة الفكرية الكبرى من جلالة الملك الحسن الثاني.
- 1970- اختير للمشاركة في تأليف كتاب تاريخ الأدب العربي لجامعة كمبردج بإنجلترا إلى جانب جماعة من أساتذة هذه الجامعة.
- 1974- عين عضوا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- 1981- عين عضوا عاملا في أكاديمية المملكة المغربية.
- 1981- عين عضوا بالمجلس العلمي الأعلى الذي يرأسه جلالة الملك الحسن الثاني.
- 1983-عين عضوا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت بعمان – الأردن)

مؤلفاته

النبوغ المغربي في الادب العربي
مدخل في تاريخ المغرب،

- معارك،
- الجيش المجلب على المدهش المغرب،
- أربع خزائن لأربع علماء من القرن الثالث عشر،
- الشيخ أحمد زروق دفين مصراته،
- التعاشيب

كتاب الاربعين

قال العلامة عبد الله كنون في مقدمته رحمه الله: " هذا شرح علمي لأربعين حديثا في الطبابة وتدبير الصحة مستخرجة من سنن ابن ماجه، جرده محمد بن يوسف البرزالي من شرح عبد اللطيف البغدادي عل كتاب السنن.

وقد نشر العلامة بن كنون هذا الشرح في مجلته " لسان الدين في سنتها الخامسة سنة 1957 ثم نشرها في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 18 ج1 عدد ربيع الثاني 1392هـ/ مايو 1972 (المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون) . وقد تكرّم الاخ العزيز الدكتور لطف الله قاري (احد أهم الباحثين في التراث العلمي والطبي الاسلامي) بارسال هذا العدد كاملا إليّ عبر الرسائل الاليكترونية . وبحثُ العلامة بن كنون من صفحة 82 الى 158 من هذه المجلة الهامة .

وقد لاحظ الشيخ عبد الله بن كنون ان هذه الأربعين ليست كلها من ابواب الطب عند ابن ماجه ، بل ان بعضها من ابواب أخرى كالاطعمة والاشربة واللباس والصلاة ، والتجارات ... وهو أمر هام إذ أن مواضيع الطب النبوي ليست مقتصرة على ما بوب له علماء الحديث " باب الطب " أو " كتاب الطب " ، بل هي موجودة في كل أبواب كتب الحديث . وقد أشرنا الى ذلك في مقدمة هذا الكتاب .

وقد لاحظ ابن كنون أيضا ان الشارح لم يرتبها على ما عند ابن ماجه ، بل جعل لها ترتيبا خاصا بخالف في بعض الاحيان لفظ المصنّف ، ثم هو يقدم بعض الاحاديث التي تكون مؤخرة في باب ، ويؤخر أخرى تكون مقدمة فيه ، وذلك بحسب المناسبة وتسلسل الموضوع .

وقد تكلم عبد اللطيف البغدادي على هذه الاحاديث من الوجهه الطبيه فأحسن الكلام وابرز معانيها ، وتعرض فيها لتشخيص أمراض كثيرة وعلاجها موفقا في ذلك بين ما ورد في السنة ، وما هو مقرر في الطب (في زمنه) .

وقد اعتمد العلامة عبد الله بن كنون على نسخة ضمن مجموع كبير بخزانته ، وتقع في 22 صفحة مكتوبه بخط دقيق واضح وجميل بتاريخ 10 رمضان 1288هـ ، وغالب الظن انها بخط العلامة محمد بن ابراهيم السنوي الفاسي ، كما يقول ابن كنون .

وقد قام ابن كنون بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه . واذا قال المصنف فإنه يعني ابن ماجه ، وحين يقول المتن فإنه يعني أصل السنن ، وإذا قال الشارح أو المؤلف فالمقصود هو عبد اللطيف البغدادي .

ثم قدّم تراجم مختصرة لابن ماجه وعبد اللطيف البغدادي ومحمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي . محدّث الشام وتلميذ البغدادي ، وكانت وفاته بحماه سنة 636هـ .

قال البرزالي : " أنه قصد الشام بعد خروجه من مكة ليقرأ كتاب سنن ابن ماجه على العلامة عبد اللطيف البغدادي (لانها روايته) فسمح له البغدادي بقراءته . قال البرزالي : " فلما وصلت أبواب الطب سألته ان يوضح لي مشكلها ، ويبين لي ما تضمنته من المعاني الشريفة ، والحكم الغامضة المنيفة ، فأنعم وتفضّل ، واصاب في شرحها ، وذكر فيها من غرائب الحديث ، ما لم يذكره في شرحه الكبير في غريب الحديث ، فوافق ذلك ان جمعت أربعين حديثا فاستأذنته في أفرادها بأسانيدها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أذكر بعد

الاحاديث شرحها ، فأذن لي في روايتها عنه كذلك ، فخرّجنها رغبة فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق شتى وروايات مختلفة أنه قال : من حفظ أربعين حديثا كنت له شفيعا يوم القيامة فاجتهد كل واحد من العلماء في رواية أربعين حديثا لهذا الخبر . فأردت ان اكون من جملتهم وأذكر في زمرتهم . "

ثم ذكر سند عبد اللطيف البغدادي الى ابن ماجه . وقد قرأ البرزالي هذه الاحاديث الاربعين مع شرحها على البغدادي فأقره على ذلك .

وابتدأ بالحديث الاول : ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء ثم ذكر أحاديث التداوي وشرحها . وأن من أصول الطب (في زمنه) أن الضدّ شفاء الضدّ ، واعترف بوجود موانع لذلك بسبب جهلنا فانا لا نحيط علما بكل دواء ...

والحديث الثاني : أيضا في باب التداوي والسماح به حيث سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى تسترقي بها ، وتقى نتقّي بها ، هل تردُّ من قضاء الله شيئا قال : هي من قدر الله .

والحديث الثالث : تحذير من الخمر حيث قال : " اياك والخمر فإن خطيئتها تفرعُ الخطايا كما ان الشجرة تفرع الشجر " ، وتفرع : اي تزيد في طولها عن تلك الخطايا .

والحديث الرابع : النهي عن التداوي بالخمر فإنها داء وليست دواء .

والحديث الخامس : " من نطبّب ولم يعلم منه طب فإنه ضامن " .

والحديث السادس : عن عدم سبّ الحمى فإنها تنقّي الذنوب ، كما تنقّي النار خبث الحديد .

والحديث السابع : أبردوها بالماء (وبالماء البارد) .. وفي الشرح ان ليس كل الحميات تعالج بالماء البارد ، ولكن الحميّات المحرقة والتي ليس لها ورم في بعض الاحشاء ، وقوة المريض مستظفرة فإن جالينوس يسقي الماء البارد في تلك الحالات .

والحديث الثامن : عن حمية المريض من بعض الاطعمة مثل التمر والسماح للناقه له بعدد محدود منها ، وحثه على استعمال السلق والشعير . وحمية المصاب بالرمد من التمر .

والحديث العاشر " لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم . وإذا اشتهى المريض طعاما وطلبه يؤتى له به (الحديث الحادي عشر) .

والحديث الثاني عشر : في التلبينة وفوائدها .

والحديث الثالث عشر : في العسل وفوائده .

والحديث الرابع عشر : " عليكم بالشفائين العسل والقرآن " وخاصة العسل الممزوج بالماء .

والحديث الخامس عشر والسادس عشر : في الحبة السوداء (الشونيز) وفوائدها .

والحديث السابع عشر : في الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم . والثامن عشر أيضا في الكمأه .

والحديث التاسع عشر والعشرون : في السنا والسنوت والمشي (معالجة الامساك) وأما السنوت فأما يكون الشبت أو الكمون أو الرازيانج وقال بعضهم هو العسل ... والسنوت معروف في منطقة أبها بهذا الاسم وهو حب أشبه بالشمر واليانسون ، وان اكبر منهما حجما .. والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعرف هذه المناطق وأهلها ، ويكلمهم بما يعرفونه .

والحديث الواحد والعشرون : في علاج عرق النسا بالية شاة أعرابية .

والحديث الثاني والعشرون : في مداواة الجراح واستمساك الدم برماد البردي (الحصير) .

والحديث الثالث والعشرون : في اهمية الضيافة والقرى .
والحديث الرابع والعشرون : آداب الاكل والنهي عن الاكل منبطحا .
والحديث الخامس والعشرون : كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه اسراف أو مخيلة (وهي الخيلاء والكبر) .
والحديث السادس والعشرون : كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدح من قوارير (أي زجاج) يشرب منه " وفوائد ذلك " .
والحديث السابع والعشرون : ما جاء في الحنا (في علاج القرحة والشوكة وقروح الفم والقلاع وآلام القدمين) .
والحديث الثامن والعشرون الى الثلاثين : في التكحل بالاثمد وقاية وعلاج لامراض العين .
والحديث الواحد والثلاثون الى الرابع والثلاثون : في الحجامة وأهميتها ومواقيتها .
والحديث الخامس والثلاثون : في الجذام وما ورد من عدم مبايعة المجذوم ارشادا للامةلاجتناب الامراض ، وما ورد من الاكل مع المجذوم في قصعة واحدة لاثبات التوكل ، وان العدوى ليست بذاتها ، بل بأمر الله وقدره وقد شرحت أحاديث العدوى في كتاب مستقل(الطب بين العدوى وحديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم)
والحديث السادس والثلاثون : باب الصلاة شفاء من الالام وخاصة ألم البطن .
والحديث السابع والثلاثون : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السوم (الرعي) قبل طلوع الشمس وعن ذبح ذوات الدر (أي ذات اللبن) . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السوم قبل طلوع الشمس لان العشب قد ينزل عليها ندى مؤذٍ للماشية ، فإذا طلعت الشمي جفّ الندى الضار .
والحديث الثامن والثلاثون : أمر اتخاذ الغنم للاغنياء والدجاج للفقراء وهو موضوع للرفق بالفقراء وارتفاقهم بالدجاج ليسر مؤنته .
والحديث التاسع والثلاثون : الابل عزٌّ لاهلها ، والغنم بركة ، والخير معقود في نواصي الخيل ..
والحديث الاربعون : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الفقير أن يأتي بما عنده في البيت وهو حِلس يلبس بعضه ويجلس على بعضه ، وقدح يشرب منه الماء ، فأتاه بهما . وقال الرسول لمن حوله : " من يشتري هذين " . قال رجل : انا آخذهما بدرهم . فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : "من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا " . قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما الانصاري ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما فأنبذه الى اهلك واشتر بالاخر قدوما (فأسا) فاتني به ، ففعل ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشدّ فيه عودا وقال : اذهب فاحتطب ، ولا أراك خمسة عشر يوما ، فجعل يحطب ويبيع فجاء وقد اصاب عشرة دراهم . فقال : اشتر ببعضها طعاما وببعضها ثوبا . ثم قال : هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة لان المسألة لا تصح الا لذي نقر مدقع ، او لذي غرم مغظع ، او دم موجع . "
وهذا حديث يعلم المسلمين كيف يعملون حتى ولو لم يكن معهم شيء ذي بال .
والاحاديث من الثامن والثلاثين الى الاربعين خارج نطاق الطب ولكنها مهمة للمجتمع ولبقائه وتماسكه ... ومحاربة البطالة والشحادة بالعمل ولو بالاحتطاب .

الفصل الرابع عشر :

ضياء الدين المقدسي
وكتابه في الطب النبوي
(569 - 643هـ/1172- 1245م)

أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن، ضياء الدين، السعدي، المقدسي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، المحدث الفقيه.

ولد بدمشق بالدير المبارك بقاسيون. ونشأ في أسرة علم صالحة، فجده لأمه هو الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت558هـ)، وخالاه هما أبو عمر محمد بن أحمد شيخ المقادسة (ت 607هـ) والإمام الموفق عبد الله بن أحمد (ت620هـ) شيخ فقهاء الحنابلة صاحب كتاب «المغني» - ويعود لهذه الأسرة الفضل بتأسيس الصالحية في دمشق بعد هجرتهم من نابلس -. ووالده عبد الواحد (ت590هـ) من أهل العلم المحدثين كذلك، هاجر إلى دمشق مع خاله (جد الضياء لأمه) أحمد المقدسي سنة (551هـ). أما أمه رقية بنت أحمد ابن محمد المقدسي (ت621هـ) فقد عُرفت بالتقوى والصلاح، وكانت مرجعاً في أخبار المقادسة وأحوالهم، راوية للحديث، روى عنها ابنها الضياء وغيره. وشقيقه الأكبر الحافظ شمس الدين أحمد من علماء الحديث حتى لُقِّبَ بالبخاري . وله أخ آخر هو عبد الرحيم هو أيضا من الفقهاء وعلماء الحديث ، وأخته آسيه أيضا لها حصيلة في علم الحديث وابنها سيف الدين من العلماء وأخته زينب بنت عبد الواحد أيضا من أهل الحديث ، وكذلك كانت زوجته آسيه بنت محمد بن خلف بن راجح . فهي أسرة اشتهرت بعلم الحديث والفقه .

لزم منذ صغره الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي (ت600هـ) فخرجه في الحديث وتخرج في الفقه على يد خاله الإمام الموفق. كان مجتهداً في العبادة، كثير الذكر، قانعاً باليسير، قائماً بالليل، مجاهداً بالنهار، فقد شهد وأهله حرب الفرنجة مع **صلاح الدين الأيوبي** إلى أن فتح الله لهم **بيت المقدس**.

جمع الضياء بين الحديث والفقه الحنبلي، وله علم بالتفسير واللغة، إلا أنه كان سيد عصره في العلم بالحديث وأحوال الرجال، فلُقِّب بشيخ السنة ومحدث الشام. قال الحافظ شرف الدين يوسف بن بدر: «شيخنا ابن عبد الواحد كان عظيم الشأن في الحفظ ومعرفة الرجال، هو كان المشار إليه في علم صحيح الحديث وسقيمه، ما رأت عيني مثله».

رحل إلى مصر سنة (595هـ)، ثم إلى المشرق رحلتان: الأولى (596-602هـ) وصل فيها إلى بغداد ثم دخل همذان فأصبهان ثم رجع إلى دمشق بعد أن مر بالموصل وحرَّان، أما الثانية (606-612هـ) فوصل أصبهان ثم نيسابور فهراة فمرو ثم عاد إلى دمشق. كما زار القدس ونابلس وحلب والحجاز، حيث حج سنة (619هـ). وسمع في رحلاته من خلق كثير من أكابر العلماء رجالا ونساء .

له أكثر من خمسمئة شيخ، من أشهرهم: الإمام أبو الفرج **ابن الجوزي** (ت 597هـ) والحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي والإمام إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت614هـ) والإمام الموفق المقدسي.

له العديد من المؤلفات النافعة من أهمها: فضائل الاعمال (مجلد مطبوع) ، وكتاب الأحكام (ثلاثة مجلدات ولم يتمها). و "الأحاديث المختارة" ولم يتم، خرَّج به أحاديث من مسموعاته، التزم فيه الصحة سوى ما في الصحيحين، فذكر فيه أحاديث لم يُسبق إلى تصحيحها، ولم يُتعقَّب عليه منها سوى أحاديث يسيرة جداً، و« سير المقادسة» وهو كتاب في التاريخ، ترجم فيه لبعض العلماء المقادسة، وسُمي هذا الكتاب أيضاً «سبب

هجرة المقادسة إلى دمشق» و« فضائل الأعمال» و« فضائل بيت المقدس». ومناقب المحدثين ، وفضائل الشام ، وصفة الجنة ، وصفة النار ، وفضائل القرآن ، وكتاب الامراض والكفارات والطب والرقيات (الطب النبوي) الذي سنستعرضه .

ومن أهم أعماله وآثاره المدرسة الضيائية (دار الحديث الضيائية) بناها الضياء نحو سنة 603هـ في صالحية دمشق بالقرب من **الجامع** المظفري (جامع الحنابلة) على أرض ورثها من أبيه، أنزل فيها المشتغلين بالحديث والفقه، ووقف عليها الكثير من الكتب النافعة والنادرة، إضافة إلى ما وقفه عدد من كبار العلماء فيها.

تُعدّ المكتبة الضيائية من أهم كتب الظاهرية المخطوطة، فقد نقلت المكتبة الضيائية إلى المدرسة العمرية ومنها إلى الظاهرية. إلا أن هذه المدرسة والمكتبة قد أصابتها نكبات كثيرة خصوصاً مع دخول التتار دمشق سنة 699هـ، وإن كان أثر المدرسة مازال واضحاً إلى يومنا هذا شرقي جامع الحنابلة.

توفي ضياء الدين بدمشق، ودُفن في الروضة بسفح قاسيون.وكانت وفاته سنة 643هـ /1245م .

<u>مناقبه :</u> جمع الى سعة العلم وخاصة في الحديث ،دراية واسعة بالفقه . واشتهر بالزهد والصلاح وصدق العبادة والرفق والأدب الجم . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : " كان كثير البر والمواساة ، دائم التهجد ، آمراً بالمعروف ، بهي المنظر ، مليح الشيبة ، محببا الى الموافق والمخالف ، مشتغلا بنفسه رضي الله عنه " .

وقال عنه ابن كثير : " كان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير " .

وقال عنه ابن النجار : " هو ورع تقي ، زاهد عابد ، يحتاط في أكل الحلال ، مجاهد في سبيل الله (قاتل مع صلاح الدين الايوبي في فتح القدس) .

وقال عنه ابن الحاجب : " كان شديد التحرّي في الرواية ثقة فيما يؤديه . مجتهدا في العبادة ، صحيح الاصول ، سهل العاريّة .

كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات (الطب النبوي) :

عندي نسخة من المخطوط طب طلعت ، دار الكتب المصرية برقم 536 وميكروفيلم رقم 20337 . والمخطوط في 21 ورقة (42 صفحة) بخط نسخ جميل وواضح وتسهل قراءته .

ووجدت عن طريق الشبكة العنكبوتية ان دار ابن عفّان بالقاهرة قد اصدرت منه طبعتين الاولى عام 1415هـ والثانية عام 1420هـ/1999 ومذكور أنه قد حققّه وخرّج احاديثه أبو اسحاق الحويني الاثري . وقد تم انزال الطبعة الاولى في الشبكة العنكبوتية ولم أجد فيها ذكرا لنسخ المخطوط . كما لم أجد أي تحقيق ولا تخريج للاحاديث . مع العلم أن الامام الحافظ ضياء المقدسي (أبوعبد الله محمد بن عبد الواحد) كان يذكر تخريج أحاديثه ; وأن البخاري أو مسلم أو الامام أحمد أو الترمذي ...الخ قد خرّجه . وفي المخطوط نادرا ما يكتب سند الحديث ويكتفي بذكر التابعي والصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن خرّجه من أهل كتب الحديث المشهورة ، وقد قسَّم الضياء المقدسي كتابه الى عدة كتب :

<u>أولها :</u> كتاب الامراض والكفارات . وذكر فيها جملة من الاحاديث الصحيحة والحسنة في أمر المؤمن كله الى خير ، ان اصابته سراء شكر وان اصابته ضراء صبر ، فأمره كله الى خير . وأن المؤمن يؤجر حتى في

اللقمة يرفعها الى في امرأته . ثم ذكر ان من يرد الله به خيرا يصب منه ، وأن أشدّ الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل ولا تزال البلايا بالعبد حتى يمشي على الارض وليس عليه خطيئة ... ثم ذكر ان الحمى والمرض يكونان طهورا . وان الحمى والصداع أصابت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرارا . وكانت شديدة عليه وخاصة في مرض موته صلى الله عليه وآله وسلم حتى غشي وفقد الوعي منها مرارا . وكان صلى الله عليه وآله وسلم يوعك وعكا شديدا ليضاعف له الاجر . ثم ذكر المصنف بلاء نبي الله أيوب بالمرض لمدة ثمانية عشرة سنة ثم رفع الله عنه البلاء قائلا له (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) وأعطاه الله المال الوفير والذرية الصالحة .

ثم ذكر محبة الله سبحانه تعالى لمن يبتلى من عباده قال صلى الله عليه وآله وسلم " إذا أحبَّ الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع " وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ما يصيب المؤمن من وصب ولاهمّ ولا حزن ولا أذى ولا غم الا كان كفارة له " ، وذكر العديد من الاحاديث الصحيحة والحسنة في هذا الباب . كما ذكر بشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لام العلاء التي زارها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي مريضة . وان مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد . وأنه دخل على ام السائب وهي تزفزف (ترتعش) من الحمى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " مالك يا أم السائب تزفزفين ؟ قالت : الحمّى لا بارك الله فيها : قال : لا تسبّي الحمى فانها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد " (اخرجه مسلم) .

واستمر على هذا المنوال يذكر العديد من الاحاديث في اجر المبتلى بالحمى او بذهاب بصر عينيه ، أو بموت ولده ، أو حتى الشوكة يشاكها المسلم فله بذلك اجر . وذكر حديث عطاء بن ابي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال :هذه المرأة السوداء . أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : يا رسول الله اني اصرع واني اتكتشّف فادع الله لي . فقال : ان شئت صبرت ولك الجنة ،، وان شئت دعوت الله ، فقالت : أصبر . فقالت : اني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها " اخرجه البخاري (فكانت تصرع ولا تتكشف) .

وذكر ان العبد اذا اصابه مرض أو سفر فانقطع عن اعماله التطوعية وعبادته ، كتب الله له ما كان يعمل من الخير وهو مقيم صحيح .

الثاني : كتاب الطب : وذكر فيه الاحاديث الواردة في الطب والتداوي وان الله لم ينزل داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله . وان المرض من قدر الله والتداوي ايضا من قدر الله . وأنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر أمته بالتداوي قائلا : عباد الله تداووا . وذكر الحمية لبعض الامراض وان الناقة من المرض عليه ان لا يكثر من أكل الرطب وان السلق والشعير خير له . وان المصاب بالرمد عليه ان يتجنب التمر ثم ذكر الشفاء في ثلاث : ان كان في أدويتكم خير ففي شرطة محجم وشربة عسل أو لذعة بنار ، وما أحب ان اكتوي .

ثم ذكر الاحاديث المشهورة الواردة في العسل .. " وعليكم بالشفائين القرآن والعسل " ثم ذكر الكمأة وماؤها شفاء للعين ثم الاثمد :" اكتحلوا بالاثمد المروح (أي الذي له رائحة طيبة) عند النوم فانه يجلو البصر . وتضميد العين بالصبر ثم انتقل الى الاحاديث الواردة في الحبّة السوداء .

ثم انتقل الى الحجامة وفوائدها وأفضل اوقاتها وأماكن الاحتجام من جسد الانسان واجرة الحجام . ثم انتقل الى الكي وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كوى بنفسه سعد بن معاذ عندما رُمي سعد في اكحله

بسهم فحسمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالكي بالنار ، ثم ذكر الرضف وهو وضع الحجارة المحمّاة على موضع الداء . ويكون الرضف بدلا من الكي .

ونهى عن الكي لمجرد الوقاية من الامراض . وذكر فضل السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لانهم لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون . ثم ذكر أنواع الرقية وجوازها إذا كانت بشيء من القرآن ، او من الأدعية ومنعها اذا كانت بكلام غير مفهوم .

ثم انتقل الى الحمى وعلاجها بالماء وخاصة ماء زمزم أو الماء البارد . ثم ذكر اللدود وهي سقى المريض من جانب الفم وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لُدَّ في مرض موته وكان قد أشار لهم أن لا تلدّوني ففعلوا ، فلما أفاق أمر بأن يلد بعضهم بعضا . وفيه ان إذن المريض واجب ما دام عاقلا بالغا ، ولو بالاشارة . وان مداواة المريض بدون اذن يعرّض المداوي للمسؤولية .

وذكر التداوي بالقسط الهندي والزيت والعود الهندي وخاصة علاج مرض العُذرة (وهي التهاب اللوزتين والحلق التي غالبا ما تصيب الاطفال) . وذكر الحديث الوارد في التداوي بألبان الابل وأبوالها للذين انتفخت بطونهم بالاستسقاء.

وذكر الورس والزيت والقسط الهندي لمعالجة ذات الجنب . ثم ذكر السنا والسنوت وذكر من فوائد السنا العديدة . والسنا معرروف والسنوت ذكروا أنها الشبت ، ولكن السنوت موجود في منطقة أبها بالمملكة العربية السعودية وحبّه أكبر من الشمر واليانسون ، ويستخدم مثل القهوة وأحيانا معها .

ثم ذكر عجوة المدينة وفوائدها ثم علاج عرق النسا بأخذ إلية كبش عربي . ثم ذكر الاحاديث التي تحث على الاعتدال في الطعام ، بل والاقلال منه ثم ذكر احاديث الطاعون . ثم انتقل الى الحساء (التلبينة) وهي تصنع من الشعير .

ثم ذكر عصب الرأس من الوجع ، وذكر ما يستمسك به الدم من الجراح ثم ذكر الحناء وانتقل بعدها الى منع التداوي بالخمر، والضفدع يجعل في الدواء والترياق (وكان يتخذ من لحم الأفاعي) .

ثم انتقل الى اباحة مداواة النساء للرجال (والعكس) وذكر ضمان من لا يحسن الطب . ثم ذكر أحاديث العدوى ثم ذكر موضوع الرقى من كل ذي حّمة (العقارب والافاعي) وذكر الرقية من العين والنظرة وأن العين حق .

ثم ذكر ان السفر بالليل يعين على مشقة السفر . ثم ذكر لبس الحرير والترخيص فيه لمن أصابته الحكّة . وذكر ماء زمزم وأنه شفاء سقم وطعام طعم . وذكر الصحابيات الآسيات اللائي كن يداوين الجرحى في المعارك .

ثم ذكر من بات وفي يده غمر (اي أثر دهن أو أكل)فلم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن الانفسه . وذكر فوائد قيام اليل والصدقة . ثم ذكر بقية أحاديث العدوى والجذام والغيل .

الثالث : كتاب الرُقا (جمع رقيه) : وذكر أنواع الرقية وما ورد فيه رغم أنه سبق أن ذكر بعضها ، فذكر رقية اللديغ ورقية العين والسعفة وما يفعله العائن والرقية من النملة (وهي بثور وقروح تخرج من الجلد وتسمى الهربز زوستر) .

وذكر أنواع الرقى والادعية التي تقال عند الكرب وعند الخوف وللوقاية من الحسد والعين وشر الاشرار وهمزات الشياطين والتي تقال صباحا ومساء وقبل النوم وفي الحضر والسفر .

الفصل الخامس عشر :

الشفا في الطب
المسند عن السيد المصطفى للشيخ الامام العالم
أحمد بن يوسف التيفاشي
(580 – 651 هـ)

تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجي .

اصدار : دار المعرفة ، بيروت – لبنان سنة 1988 .

ترجمة المصنّف

هو الامام العلامة أحمد بن يوسف القفصي التيفاشي . وتيفاش قرية من قرى قفصة ، وقفصة مدينة في تونس . سمع ببلده من أبي العباس : أحمد بن أبي بكر بن جعفر القدسي ، واشتغل بالادب وعلوم الأوائل ، وبرع في ذلك كله ، وقدم الديار المصرية – وهو صغير – فالتقى بالعالم المتفنن الطبيب البارع موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، ورحل الى دمشق ، واشتغل بها على العلامة تاج الدين الكندي ، ثم رجع الى بلاده وولّي قضاءها ، ثم بعد ذلك رجع الى ديار مصر والشام . وكان أديبا عالما مشاركا في أنواع من العلوم فاضلا بارعا ، له شعر حسن ، ونثر جيّد ، ومصنفات عديدة في فنون .

ومن مصنفاته :

1- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار .
2- فصل الخطاب ويقع في (24) مجلدا .
3- رجوع الشيخ الى صباه في القوة على الباه بمجلدين .
4- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب .
5- وهذا الكتاب الموسوم بالشفا في الطب المسند عن المصطفى ، ولعله الذي أشير إليه في بعض المصادر بالوافي في الطب الشافي .

وكان مولد المصنف بتيفاش في سنة ثمانين وخمسمئة ، وتوفي في سنة إحدى وخمسين وستمئة بالقاهرة ، ودفن بمقبرة باب النصر .

يعتمد المصنف في كتابه على الكتاب الذي صنفه أبو نعيم في الطب النبوي ، ويذكر في مقدمة كتابه أن الإمام الحافظ أبا نعيم كان أوحد عصره ونادرة دهره في علم حديث رسول الله صلى الله عليه وآاله وسلم ، وأعرفهم فيه رواية ، وأتقنهم به دراية ، وأنه لما صنَّف الطبَّ النبوي أثبت في كتابه من الأحاديث النبوية بأسانيدها وطرقها ، وربما تبلغ هذه الطرق الثلاثين في الحديث الواحد ، وأنه صنّفه على ترتيب كتب الأطباء المصنفة في الطب حسب ما يقف عليه ، فاستخار المصنف الله سبحانه وتعالى وجرَّد أحاديث الكتاب فحذف أسانيدها ، حتى لا يبقى منها الا الحافظ أبا نعيم ، والصحابي الذي نقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويلغي ما بينهما من الرواة ، ويسقط مكرّر الاحاديث ، إلا إذا كان الحديث المكرّر به لفظة تتضمّن زيادة معنى مستفاد ،فيورد تلك اللفظة ، ويذكر اسم ناقلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأوجز ما يقدر عليه من العبارة ليقرّب فائدة الكتاب على ملتمسه ويتيسر اقتناؤه على مقتنيه من طلبة العلم ، ويسهل حفظه على من رام حفظ أحاديثه .

ثم يدلف إلى الكتاب فيجزئه إلى سبعة مقالات ، كما فعل الامام أبو نعيم ومن قبله الامام ابن السني ، فجعل المقالة الأولى في فضل تعلم الطب والحث عليه ، وضرورة إحضار الطبيب لمداواة المرضى ، ويتعرض في هذه المقالة إلى باب إباحة مداواة النساء الرجال ، والنهي عن التداوي بالمحرمات ، ومعرفة العقاقير ، وما ينفع من الأدوية .

وفي المقالة الثانية يتعرض إلى بعض علوم التشريح ، حسب ما ورد منها في الأحاديث النبوية ، فيذكر طرفا عن الأعصاب والمعدة وموضعها من البدن ، ومنزله سائر الجوارح من القلب ، ثم يينتقل إلى تدبير الصحة ، وكيفية المحافظة عليها وتنميتها وهو جانب مهم في الطب النبوي وعند الاطباء في العصور الاسلامية ، وللأسف أهمل هذا الجانب الى حدٍّ كبير في العصور الحديثة مما نتج عنه زيادة كبيرة في الأمراض الناتجة عن سؤ التدبير في الغذاء والهواء والسكن وعدم الرياضة ، وتعاطي المخدرات والخمور والتدخين ، وهي أمراض كثيرة ناتجة عما يسمى نمط الحياة Life Style ، وأن تعديل الغذاء صحة للجسم ، وعلى هذا الاساس ينتقل إلى باب اختيار المساكن في فصول السنة ، واختيار البلدان الصحيحة وتوقّي الوبيّة ، وضرر كثرة الجلوس في الشمس ... ومنها إلى أوقات النوم المحمودة والمكروهة ، وتوقيّ المأكولات اتقّاء ضررها ، ودفع مضار الأغذية بالحركة ، ومنها ينتقل إلى بعض نصائح طبية تفيد للصحة العامة كتعاهد السعوط واللدود والفصد والحجامة ومنافع الحمام ، وتعاهد الاكتحال والسواك والمناظر المونقة ، والألوان الجميلة التي تبهج النفس .

فإذا انتقل الى المقالة الثالثة تحدّث عن أنواع العلل والهموم والأحزان وأثرها النفسي على الأعضاء ، ومن الواضح الاهتمام الشديد لدى جميع من كتبوا في الطب النبوي خاصّة وفي الطب عامّة في العصور الاسلامية الزاهية بموضوع الهمّ والغمّ وعلاقتهما بالمرض وكيفية توقيّ ذلك بما أرشد اليه رسول المحبّة وطبيب الأمة من أمراضها المعنوية والنفسية بل والجسدية ، ويبدأ بعد ذلك في تدبير المريض بأن يبدأ بسرد الأمراض وعلاجها كالإمساك والزكام والجذام وأوجاع الأضراس ، والذبحة ، والسعال ، وأوجاع الصدر والمعدة ، والخفقان ووجع البطن ، ويتحدث قليلا عن الجراحات ، وما يمسك الدم ، ويستعرض بعض أوجاع الرحم ، وعلاج النفساء ، ويُنهي هذا الفصل بأن الأمراض ما هي إلا كفّارات لما مضى ، ومواعظ لما يستأنف .

وفي المقالة الرابعة التي يخصصها لمعرفة العقاقير ومنافعها يتكلم عن بعض الأدوية التي ثبت أنها تعالج بعض الأمراض ، كنبات السنا والشيح ، والشونيز ، والصعتر ، والحنظل ، والحناء ، والأرز ، والآس ، والحلبة ، والكمأة ، والقرع ، والهندباء ، والفجل ، والزيت ، والعدس ، والعسل ... الى آخره .

فإذا ما وصل إلى المقالة الخامسة التي تكلم فيها على حفظ المريض بالصحة وتدبير الناقة بلزوم العادات ، وحفظ الأبدان بلزوم الأشياء المؤلفات ، تكلم في هذه المقالة على إطعام المريض الطعام إذا قويت شهيته ، ومنع المريض الغذاء إذا ضعفت شهيته ، واستعرض أنواع المياه المختلفة ، وأجود الأواني للشرب ، وكيفية شرب الماء ، وهو اهتمام واضح بالمياه والحفاظ على مصادرها نظيفة ، ومنها يستعرض الألبان وما يتخذ منها والسمن ، وأنه أقوى الأدهان ، والجبن وفائدته لتقوية المعدة ، وما الى ذلك .

وخصص المقالة السادسة في الفواكة ، فتكلم على قوتها ، ثم استعرضها كالسفرجل ، والرمان ، والعنب ، والزبيب ، غيرها .

وفي المقالة السابعة أفرد ذكر اللحوم وأنواعها المختلفة ، وفائدة كل نوع ، فاستعرض لحوم الفرس ، ولحوم الأجنّة ، ولحم الكتف والذراعين ، والكبد ، ولحم الأرانب والدجاج ، وما إلى ذلك .

ثم ختم كتابه بفوائد دهن البنفسج ، وفوائده ، وفضله على سائر الأدهان كفضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الخلق ، وأنه بارد في الصيف ، حار في الشتاء . وبهذا تم وكمل كتاب الشفاء في الطب المسند عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذه النسخة الخطية منسوخة بقلم نسخي حسن من القرن التاسع تقديرا ، وتقع في سبع وتسعين لوحة ، ومستوتها خمسة عشر سطرا ، ومحفوظة بدار الكتب المصرية

(85 طب طلعت).

مقدمة المصنّف : الامام أحمد بن يوسف التيفاشي .

قال العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن يوسف التيفاشي : اللهم يامن لطف حتى دقَّ عن الأوهام والظنون ، وجلَّ حتى ظهر في كل حركة وسكون ، وتفرد بالوحدانية التي لا تدركها العيون ، واستأثر عن خليقته بعلمه المكنون المشتمل على علم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، اهدنا لعمل يُقرِّب في دار القرار ، واحشرنا في زمرة أوليائك المصطفين الأخيار ، ويحول بيننا وبين عمل أهل النار ، وصل اللهم على نبيّك وصفيّك محمد المختار ، وعلى آله وأصحابه المطهّرة الأبرار .

وبعد ، فإني لما قرأت كتاب الحافظ الإمام الكبير محيي السنة ، عَلَم الشريعة ، سيد المحدِّثين ، أروى الأمم وأحفظ العرب العجم لما جاء عن سيد المرسلين عليه أفضل الصلوات والتسليم من جواهر الكلم : أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الأصفهاني رضي الله عنه (كلام فيه مبالغة) ، وقدّس مثواه الذي وضعه في الاحاديث الطبيّة وأثبتها بأسانيدها مرفوعة إلى سيّد البشر الشفيع المشفّع في المحشر عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية والإكرام .

فألفيته قد أتى في ذلك بما لم يسبقه إليه سابق ، ولا يلحق شأوه فيه لاحق ، إذ لم يترك لقائل فيما اعتمده في ذلك مقالا ، ولا لجائل في ميدان السبق الذي برز فيه مجالا . (الواقع أنه اخذ كتاب ابن السني في الطب النبوي وقام بتوسيعه بذكر العديد من الاحاديث بأسانيدها في الباب الواحد).

إلا أني وجدته – لما اقتضاه سعة علمه وغزارة روايته – قد أثبت جميع ما أثبته في كتابه من الاحاديث النبوية بأسانيدها ، ومع ذلك يورد الحديث في عدة طرق كثيرة ربما تبلغ الثلاثين في الحديث الواحد كلها بأسانيدها الطوال بحيث يكون في سبع قوائم ونحوها ، فإذا جرّد متن حديثها دون أن يخلّ بشيء من معناه كان فيما دون القائمة فعلمت مسيس الحاجة الى هذا الكتاب عظم عناية إذ كان يجمع لقارئه وراويه بين خير الدنيا والآخرة بما ينال من بركة تلاوة حديث المصطفى صلوات الله عليه مع مافيه من المنافع الطبيّة التي لا يستغني عنها ملك ولأسوقه مع عجيب ترتيب هذا الكتاب إذ كان مرتبا على ترتيب كتب الأطباء المصنفة في الطب حسب ما يقف عليه فآستخرت الله عزّ وجلّ ورأيت أن أجرّد أحاديثه فأحذف أسانيدها حتى لا أبقي منها إلا الحافظ أبا نعيم والصحابي الذي نقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وألغي ما بينهما من الرواة وأسقط مكرر الأحاديث حتى لا أثبت منها إلا لفظة تتضمّن زيادة معنى مستفاد ، فأورد تلك اللفظة وأذكر اسم ناقلها أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأوجز ما أقدر عليه من العبارة ليقرب فائدة الكتاب على ملتمسه ، ويتيسر اقتناؤه على مقتنيه من طلبة العلم ، ويسهل حفظه على من رام حفظ أحاديثه ، ويتضاعف الأجر لواضعه فيه ، وتبقى الإحالة في الاسانيد على الاصل المنقول منه لرواته . وإن وقع أثناء ما أنقله حديث غريب أو مما يحتاج الى المحاضرة به لقرينة حال نوجب ذلك باسناده لتكون فائدة هذا الكتاب كاملة بحذف ما ينبغي حذفه وترك ما ينبغي تركه من اصل إسناده (من الواضح أن التيفاشي لم يطلع على كتاب ابن

السني في الطب النبوي والذي نقل عنه الامام أبو نعيم) . وأبقيت تراجمه وفصوله على ما هي عليه في أصل الكتاب ، فلم أحذف منه ترجمة يخلّ حذفها بمعنى من معانيه وأنا في ذلك كله خادم لواضعه ، متمّم لغرضه معترف بعلوّ قدره مغترف من زاخر بحره ، متحلّ بما تحلّيت من درّه ، عالم مع ذلك كله أن وضع ما وضعه من أحاديث هذا الكتاب بأسانيدها وتكرّرها هو عين الصواب إذ كان أكثرها أحاديث غريبة مجهولة عند أكثر المحدّثين فضلا عن سائر الناس فأوردها بأسانيدها ومن عدّة طرقها لتأنس بها النفوس والاسماع ، ويقل في انكارها النّزاع إذ لم يقع عليها الاجماع .

وسميت هذا التخريج بالشفا في الطب المسند عن المصطفى عليه أفضل الصلوات والسلام والله يجعل ما اعتمده من ذلك خالصا لوجهه الكريم .

ونكتفي بهذه المقدمة الهامة من المصنّف رحمه الله لأننا سبق ان استعرضنا كتاب الامام ابن السني ثم كتاب الامام أبي نعيم استعراضا كاملا فلا حاجة للاعادة .

الفصل السادس عشر :

أربعون باباً في الطب
من الأحاديث الصحاح والحسان
تأليف
الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن أبي علي البعلي الحنبلي الدمشقي
(645 – 709 هـ)

حقق أحاديثه : علي رضا عبد الله ، وأحمد البزرة ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت 1985. اعتمد المحققون على نسخة خطيّة بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة تحت رقم 145 خاص ، ورقم 80 عام ، قياسها 10x18 سم ، تحتوي 39 صفحة ، في كل صفحة 23 سطرا . وهي نسخة جيدة ، واضحة الخط ، مذهبة الإطار ، انتهى محمد ابن خليل من نسخها عام 1194هـ .

ترجمة المؤلف

هو الامام الفقيه المحدّث النحوي اللغوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي ولد سنة خمس وأربعين وستمائة ببعلبك (لبنان) . عنى بالحديث ، وطلب وقرأ بنفسه ، وكتب بخطّه وتفقّه على ابن أبي عمر وغيره حتى برع وأفتى ، وقرأ العربية واللغة على ابن مالك ، ولازمه حتى برع في ذلك . وصنّف تصانيف منها : " شرح الجرجانية " في مجلدتين ، و " شرح الألفية " لابن مالك ، وكتاب " المطلع على أبواب المقنع " في شرح غريب ألفاظه ولغاته ، وابتدأ في " شرح الرعاية " في الفقه لابن حمدان ، وله تعاليق كثيرة في الفقه والنحو وتخاريج كثيرة في الحديث ، يروى فيها الحديث بأسانيده ،وتكلم عن المتون من جهة الاعراب والفقه وغير ذلك ، وخرّج لغيره أيضا . وأمَّ بمحراب الحنابلة بجامع دمشق مدّة طويلة ، ودرس به بحلقة الصالح ابن صاحب حمص ، ودرّس بالصدرية وغيرها من المدارس ، وأفتى زمنا طويلا . وتصدى للاشتغال ، وتخرج به جماعة وانتفعوا به . قال الذهبيّ : " كان اماماً في المذهب والعربية والحديث ، غزير الفوائد متقناً ، صنّف كتباً كثيرة مفيدة ، وكان ثقة صالحا متواضعا على طريقة السلف ، مطرّحا للتكلّف في أموره ، حسن البشر ، حدثنا بدمشق وبعلبك وطرابلس " .

توفي بالقاهرة ليلة السبت وقت العشاء ثامن عشر من المحرم سنة تسع وسبعمائة ، بالمدرسة المنصورية بمارستانها ، وذلك بعد دخوله إياها بدون شهر . وكان زار القدس وسار إلى مصر ليسمع ابنه ويطلب له مدرسة أو زيادة رزق . ودفن عند الحافظ عبد الغني المقدسي بالقرافة ، رحمة الله تعالى .

مقدمة المؤلف

قال المؤلف بعد أن حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله المبعوث رحمة للعالمين : " هذه (أربعون باباً في الطب من الأحاديث الصحاح والحسان) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخبر الله تعالى

عنه في محكم كتابه أنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، صلوات الله عليه وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إباحة التداوي والحث عليه

عن أسامة بن شريك ، رضي الله عنه ، قال : " قالت الاعراب : يا رسول الله ، ألا نَتَداووى ؟ قال : " نعم ، يا عباد الله تداووا ، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، أو دواء إلا داء واحد " قالوا : يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : "الهرم " رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

تتداووا أي استعملوا الدواء ، والداء المرض ، وقد داء الرجل إذا أصابه الداء ، والشفاء البرء والدَّواء بفتح الدال ، ممدودا ، ما يتداوى به ، وكسر الدال لغة ، والهرم الكبر ، وقد هَرِمَ يَهْرَمُ هَرَماً فهو هَرِم ، جعل الهرم داءً تشبيها له بالموت . واختلف العلماء هل الافضل الدواء أو تركه ؟ والمنصوص عن الامام أحمد ، رضي الله عنه ، ان تركه أفضل ، تمسكا بحديث : " ولا يكتوون ولا يسترقون " . وحديث المرأة ذات اللَّمم ، حديث المرأة التي تصرع فخيرّها الرسول بين الصبر ولها الجنة وأن يدعو الله لها فتشفى باذن الله . فقالت : اصبر وطلبت منه أن يدعو الله ان لا تتكّشف فكانت تصرع ولا تتكشف " والحديث حسن أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه .ويحمل حديث أسامة " تداووا " على الاباحة جمعا بين الاحاديث .

لكل داء دواء

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " لكل داء دواء فإذا أصيب دواءُ الداءِ برئ بإذن الله تعالى " . رواه مسلم . وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " رواه البخاري ، ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله ، باسناد صحيح وزاد : " علمه من علمه وجهله من جهله " ، وإن كان ذِمّيّا ، نص على ذلك الإمام أحمد ، رحمه الله ، ولا يقبل قول الذميّ فيما يشين بأمر الدين ، من الفطر في الصوم ، والصلاة جالسا ، ونحو ذلك ، ويكره استعمال ما يصنعونه بانفسهم من الادوية والاشربة ، نصّ عليه ، والله أعلى وأكرم .

الحمية

عن أم المنذر [وهي سلمى بنت قيس] الانصارية رضي الله عنها قالت : " دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي (رضي الله عنه) ولنا دوالي معلقة ، قالت : فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ومعه علي رضي الله عنه يأكل ، فقال رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، لعليّ (كرم الله وجهه) :" إنك نَاقِه ". قالت : فجلس علي (رضي الله عنه) والنبي صلى الله عليه وسلم ، يأكل ، قالت : فجعلت (أطبخ) لهم سلقا وشعيرا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا علي من هذا فَكُلْ فإنه أوفق لك " . رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فليح بن سليمان. قال ابن عدي : اعتمده البخاري في صحاحه ، يعني فليح بن سليمان . والدوالي : جمع دالية ، وهي العذق من البسر تعلق فإذا أرطب أكل . والناقة : الذي برئ من مرضه وهو قريب العهد به ولم يرجع اليه كمال صحته وقوته . وأوفق لك : أي أنفع ، كذا في رواية حسنة للترمذي . وعن قتادة بن النعمان ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أحبّ الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء " . رواه الترمذي وقال : " حديث حسن غريب . وحميت المريض حمية وحموة إذا منعته من الطعام الضار .

تبريد الحمى بالماء

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء " . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له . وعن فاطمة ، وهي بنت المنذر ، عن اسماء (وهي بنت أبي بكر رضي الله عنهما) أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة بالماء فتصبه في جيبها وتقول : " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أبردوها بالماء فإنها من فيح جهنم " . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له . والموعوكة : المحمومة . والوعك : الحمى ، يقال : وعك فهو موعوك ، والله اعلم .

التداوي بألبان الإبل وأبوالها

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : " قدم ناس من عُكل ، أو عرينة ، فاجتووا المدينة ، فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها ، وألبانها ، فانطلقوا ، فلمّا صحّوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستاقوا النعم . فجاء الخبر في أول النهار ، فبعث في آثارهم ، فلما ارتفع النهار جيء بهم ، فأمر فقطع أيديهم ، وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، وتركوا في الحرّة يستسقون فلا يسقون " . قال أبو قلابة : " فهؤلاء سرقوا ، وقتلوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله " . أخرجه البخاري ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه . وعُكل : بضم العين وسكون الكاف ، قبيلة . وعرينه : مصغرا ، بطن من بجيلة . واجتووا : أي أصابهم الجَوَى ، وهو مرض . واللقاح : النوق ذوات الألبان ، الواحدة لقوح . واسم الراعي : يسار ، والنَعَم بفتح النون والعين : الابل خاصة ، فإذا قيل الأنعام ، دخل فيه البقر والغنم ، وقيل هما لفظان بمعنى واحد على الجميع . ويجوز شرب أبوال الإبل للضرورة ، نصّ عليه الامام أحمد ، رحمة الله عليه ، في رواية جماعة ، وكذا لغير ضرورة على الاصح ، والله أعلم . (هذا قول الحنابلة وعند غيرهم للضرورة والتداوي فقط) .

التداوي بالحجامة والقسط

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أنه سئل عن أجر الحجام ، فقال : احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حجمه أبو طيبة ، وأعطاه صاعين من الطعام ، وكلّم مواليه فخفقّوا عنه وقال : " إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري " . وقال " لا تعذّبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط " رواه البخاري ، ومسلم .

وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، احتجم في رأسه ، رواه البخاري . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به ، أنه لم يمر على ملأ من الملائكة إلا أمروه أن مُرْ أمّتك بالحجامة " رواه الترمذي وقال : " حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود . والملأ الاشراف والرؤوس المقدمون الذين يرجع الى قولهم . وعن أنس رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتجم في الأخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين " رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن . والأخدعان عرقان في جانبي العنق ، والكاهل مقدم أعلى الظهر . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من احتجم لسبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، كان شفاء من كل داء " . رواه أبو داود باسناد على شرط مسلم .

التداوي بالعسل

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أسقه عسلا " فسقاه ، ثم جاءه فقال : إني سقيته فلم

يزده إلا استطلاقا ، فقال له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة فقال : " اسقه عسلا " فقال : لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " صدق الله وكذب بطن أخيك " فسقاه فبرأ . رواه البخاري ومسلم واللفظ له . استطلق بطنه : أي أكثر خروج ما فيه ، يريد الاسهال ، واستعمل الكذب في البطن حيث لم ينجح فيه الدواء ، مجازا ، لان الكذب حقيقة في الأقوال ، ومعنى صدق الله يعني قوله تعالى : { فيه شفاء للناس } (النحل : 69) .

وعن جابر ، رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحبَّ ان أكتوي " . رواه البخاري رحمه الله .

التداوي بالحبَّة السوداء

عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن عائشة رضي الله عنها ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان في الحبّة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " (والسام الموت ، والحبة السوداء الشونيز) . رواه البخاري ومسلم .

نبّه صلى الله عليه وآله وسلم على شرف هذا الدواء ، وكثرة منافعه ، وأن فيه شفاء من كل داء إلا الموت . فإن قيل : كيف يصح الحكم على نفع هذا الدواء من كل داء ومن الأدواء ما ينافيه ؟ فالجواب على ذلك من وجهين ، أحدهما : أنه يجوز ان يكون لهذا الدواء هذه الصلاحية ، وهو في علم الله ، وعلم رسوله صلى الله عليه وآاله وسلم كذلك ، لكن يمتنع علم ذلك لنا من جهة تعذّر الوجه الموافق في استعماله في كل داء فإنه صلى الله عليه وآاله وسلم قال : " فيها شفاء من كل داء " ولم يقل : يشفي من كل داء . والوجه الثاني : أن يكون من العام المخصوص وذكر شفاءها من الادواء بصيغة العموم لكثرة منافعها ، والعرب تصف الواحد العظيم بصفات الجمع ، كقوله تعالى : { إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قانتاً } (النحل :120) والأمة الجماعة ، فلكثرة مافي الحبة السوداء من المنافع ، قال : " فيها شفاء من كل داء " وذكر الأطباء فيها من المنافع نحو أربعين منفعة ، منها : قطع الخيلان ، والثآليل ، والبهق ، والبرص ، والبثور اللبنية، والأورام البلغمية ، والسوداوية ، والقروح البلغمية ، والجرب المتقرح ، والزكام ، والصداع ، والفالج ، واللقوة ، والشقيقة ، والبيضة ، والسكتة ، والسبات ، والنسيان ، والدوار البلغمي ، والسدر ، والماء في العين ، والخشم ، وانتضاب النفس ، والسعال الرطب ، والربو ، وادرار الطمث ، واللبن ، ولحل العسر ، وتقتل الدود ، وتخرج حب القرع ، وتنفع من القولنج ، ووجع النساء ، ودخانه يطرد الهوام ، وينفع من نهش الرّتيلا (العناكب) ، والحميات البلغمية ، والسوداوية ، ويخفف رطوبة المعدة ، ويحلل الرياح منها ، ولوجع الاسنان ، ويفتّت الحصى من الكلى والمثانة ، فلما كانت فيها هذه المنافع كلها قال صلى الله عليه وآله وسلم : " فيها شفاء من كل داء إلا السام " والجواب الأول هو المختار والله أعلم .

التداوي بالسنا

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : " بم تستمشين ؟ " قالت : بالشبرم ، قال : "حار يار "، قالت : ثم استمشيت بالسنا ، فقال النبي صلى الله عليه وآاله وسلم : " لو أن شيئا كان فيه الشفاء من الموت لكان في السنا " اخرجه الترمذي . عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآاله وسلم : " ثلاث فيهن شفاء من كل داء إلا السام : السنا والسنوت " قالوا : هذا

السنا عرفناه فما السنوت قال : " لو شاء الله لعرفكموه " (السنوت يشبه حب اليانسون وحب الشمر يوجد بكثرة في منطقة أبها بالمملكة العربية السعودية وبعرف باسم السنوت) قال : نسيت الثالثة .

التداوي بالزيت والورس

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ينفع الزيت والوَرْسُ في ذات الجنب " . قال قتادة : ويلدّ من الجانب الذي يشتكيه . رواه الترمذي ، وقال حديث صحيح . الوَرْس : نبتٌ أصفر يصبغ به الوجه والأمراض الجلدية . وذات الجنب : الدّبيلة والدّمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب (التهاب غشاء الرئة " البلورا " ، كما يشمل التهاب الرئة بأنواعها إذا وصلت الى الغشاء وخراج الرئة Empyema) وتنفجر الى داخل ، قلما يسلم صاحبها . وذو الجنب الذي يشتكي جنبه بسببها ، وصارت ذات الجنب علما لها . والمجنوب الذي أخذته ذات الجنب ، وقيل : الذي يشتكي جنبه مطلقا . ويلدُّ أي يلقي في فمه من الجانب الذي يشتكيه .

التداوي بالكي

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم ، أو لذعة بنار ، وما أحب أن أكتوي " . رواه البخاري ، ومسلم ، ولفظه للبخاري . وعن ابن عباس ،رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كيّةٍ بنار ، وأنهى أمتي عن الكي " رواه البخاري . وعن جابر رضي الله عنه قال : " رُمي سعد بن معاذ في أكحله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وآاله وسلم بيده بمشقص ، ثم ورمت فحسمه الثانية " رواه مسلم . وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، همُ الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون " . رواه البخاري ومسلم .

التداوي بالقسط

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآاله وسلم قال : " إن أمثل ما تداويتم به الحِجامة ، والقسط البحري " وقال : " لا تعذّبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط" . أخرجه البخاري ، ومسلم ، ولفظه البخاري . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآاله وسلم ، دخل على عائشة ، رضي الله عنها ، وعندها صبي يسيل منخراه دما ، فقال : " ما هذا " ؟ قالوا : به العذرة . قال : " ويلَكُنّ لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصابَ ولدها العذرة ، أو وجع في رأسه ، فلتأخذ قسطا هنديا ، فتحكه بماء ، ثم تسعطه به " . قال : فأمرت عائشة فصنعت ذلك به فبرأ . والعذرة التهاب اللوزتين يصيب الأطفال . هذا الحديث اسناده على شرط مسلم .

والقسط : عقار معروف ، ويقال له كشط وكشت أيضا . وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسط من أمثل ما يتداوى به ، لأن له منافع شتىّ ، ذكرها الاطباء منها : " أنه ينفع من الفالج ، والاسترخاء ، والكلف ، والقروح الرطبة ، والنافض(أي الحمى التي ينتفض فيها المريض من شدّتها) ، ووجع النساء ، وهو ترياق نهش الأفاعي وغيرها من ذوات النهش . ومن استرخاء المفاصل ، وفسوخ العضل ، ومن وجع الراأس ، والصدر ، والصلب .

التداوي بالعجوة من السم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضرّه ذلك اليوم سمّ ، ولا سحر " . اخرجه البخاري ومسلم . ولمسلم : " من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح ، لم يضرّه سمّ حتى يمسي " .

التداوي بالتلبينة

عن عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت إذا مات الميت من أهلها ، فاجتمع لذلك النساء ثم تفرّقن ، إلا أهلها وخاصتها ، وأمرت ببرمة من تلبينة ، فطبخت ، ثم صنع ثريد ، فصبت التلبينة عليها ، ثم قالت : كُلنَ منها ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن " رواه البخاري ، ومسلم ، وهذا لفظه . وفي رواية البخاري : أنها كانت تأمرنا بالتلبينة ، وتقول هو البغيض النافع . البرمة : القدر مطلقا وهي في الاصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن . والتلبينة : حساء يعمل من دقيق أو نخالة غالبا من الشعير ، وربما جعل فيها عسل ، سميت بذلك تشبيها باللبن ، لبياضها ورقتها .

ماء الكمأة شفاء للعين

عن سعيد بن زيد ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " الكمأة من المنّ ، وماؤها شفاء للعين " . أخرجه البخاري ومسلم . والكمأة : " من المنّ " أي هي مما منّ الله تعالى بها على العباد ، وقيل شبّهها بالمنّ وهي العسل الحلو الذي ينزل من السماء ،عفوا بلا علاج . وكذلك الكمأة لا مؤونة فيها ببذر ولا سقي ، وهي من الفطور وتسمى عش الغراب (mushroom) ، ومنها نوع سام فلا بدَّ من معرفتها وهي الآن تزرع في مزارع خاصة وتباع عالميا ، وتسمى الفقع في منطقة الخليج العربي والسعودية .

الاكتحال بالإثمد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " البسوا مِنْ ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم ، وإن خير أكحالكم الإثمد : يجلو البصرَ ، وينبت الشعرَ " هكذا أخرجه أبو داود ، ورجال اسناده كلهم ثقات ، ، اخرج عنهم مسلم ، وأخرج ذكر الإثمد النسائي ، وابن ماجه ، والترمذي ، بمعناه ، وقال : حديث حسن صحيح . والكحل الموجود في الاسواق مغشوش وله أضرار فيجب الحذر منه ، ولا بد من البحث عن الاثمد الاصلي .

تضميد العين بالصبر

عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في الرجل إذا اشتكى عينه وهو محرم ضمدها بالصبر ، رواه مسلم . والتضميد بالصبر : جعله عليها ودواؤها به ، وأصل الضمد الشد ، يقال : ضمد رأِه وجرحه إذا شدّه بالضماد ، وهو خرقة يشد بها العضو ، ثم قيل لوضع الدواء على الجرح وغيره ضماد وتضميد . والصبر : بفتح الصاد وكسر الباء الموحدة ، ويجوز سكونها مع فتح الصاد ، وهو ما يعرف اليوم بألوفيرا aloevera وله فوائد عديدة واستخدامات في الطب من الامراض الجلدية والروماتزمية وفي التجميل والشامبو .

التداوي بألبان البقر

عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "ما أنزل الله داء إلا وله دواء ، فعليكم بألبان البقر فإنها ترّم من كلّ الشجر " رواه النسائي بإسناد كلهم ثقات .

التداوي بالحناء

عن أم رافع سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وآاله وسلم قالت : كان لا يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ، ولا شوكة ، إلا وضع عليها حناء ، اخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، ورجاله ليس فيهم مجروح ، وغالبهم ثقات . وقال الترمذي : حديث غريب .

تعديل الغذاء

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم أكلات يقمن صُلْبَهُ ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " ، رواه النسائي . والترمذي وقال : حديث حسن .

وهذا الحديث باب من أبواب حفظ الصحة ، وتقدير كمية الغذاء حسب القدر المحتاج اليه في حفظ الصحة .

التداوي بالحساء

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع ، ثم أمرهم فحسوا منه . وكان يقول : " إنه ليربو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسروا واحديكم الوسخ عن وجهها " رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو قريب من حديث التلبينة وقد سبق ذكره .

ترك إكراه المريض على الطعام والشراب

عن عقبة بن عامر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله يطعمهم ويسقيهم " رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

تشهية المريض

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاد رجلا فقال له : " ما تشتهي ؟ " قال : اشتهي خبز بُرّ . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "من كان عنده خبز بُرّ فليبعث إلى أخيه " ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا اشتهى مريض أحدكم شيئاً فليطعمه " . اخرجه ابن ماجه .

تبريد الحمى بماء زمزم

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الحمّى من فيح جهنم فأطفؤوها عنكم بماء زمزم " اخرجه البخاري . وقد تقدّم " فأبردوها بالماء " فيجوز أن تكون بردوها بماء زمزم أنفع . والخاصية في ذلك الماء فإن المياه تختلف باختلاف أرضها .

مداواة الشقيقة بالحجامة

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتجم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به . رواه البخاري . والشقيقة : صداع يعرض إلى أحد جانبي الرأس .

مداواة الجرح الذي لا يرقأ دمه بالحصير المحترق

عن سهل بن سعد الساعدي ، رضي الله عنه ، لما كسرت على رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم البيضة ، وأُدمَي وجهه ، وكسرت رباعيته ، وكان علي رضي الله عنه يختلف بالماء في المجنّ ، وجاءت فاطمة رضي الله عنها تغسل عن وجهه الدم ، فلما رأت فاطمة رضي الله عنها الدم يزيد على الماء كثرةً ، عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرقأ الدم . رواه البخاري .

التداوي بالحجامة من الوثء

عن جابر ، رضي الله عنه ، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجم من وثءٍ كان به وهو محرم . أخرجه النسائي ورجاله اسناده كلهم ثقات . والوثء : الوهن .

التداوي بالكى من الشوكة

عن أنس ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كوى سعيد بن زرارة من الشوكة . رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . والشوكة : حمرة تعلو الوجه والجسد ، يقول : شيك الرجل فهو مشوك ، وكذلك إذا دخل في جسمه شوكة .

توقي مواضع الوباء

عن عبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " إذا سمعتم به ، يعني الوباء ، بأرضٍ فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " . رواه البخاري ، ومسلم في قصة طويلة .

عصب الرأس من الوجع

عن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : " خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي مات فيه بملحفة وقد عصب رأٍه بعصابة ". اخرجه البخاري .

إصلاح الغذاء

عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، قال : "رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل الرطب بالقثّاء ". رواه البخاري .

النهى عن التداوي بالخمر

عن وائل بن حجر أن طارق بن سويد الجعفّي سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الخمر ؟ فنهاه فقال : إنما أصنعها للتداوي فقال له :" إنه ليس بدواء ولكنه داء " ، اخرجه مسلم ، وابو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . وقد أخبر الصادق المصدوق ، المبعوث بجوامع الكلم ، الذي لا ينطق عن الهوى ، أن الخمر ليس بدواء ولكنه داء ، وذلك لما فيها من المضار والمفاسد ، من السّكَرَ ، وذهاب العقل ، ووجع البطن ، والصداع ، والقيئ ، والبول .

النهى عن التداوي بالضفدع

عن عبد الرحمن بن عثمان ، رضي الله عنه ، أن طبيبا سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ضفدع يجعلها في دواء ، فنهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قتلها . اخرجه أبو داود بإسناد جيد ، وأخرجه النسائي .

التداوي بقطع العرق

عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبيّ بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه . رواه مسلم . وفي كراهة فصد العرق روايتان أظهرهما ، عدم الكراهة ، والأفضل الحجامة للأحاديث الواردة في ذلك .

العين حقّ وما يعالج به من أصابته

عن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " العينُ حقّ ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين إليه ، وإذا استغسلتم فاغسلوا " اخرجه مسلم ، والترمذي صححه . وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : أمرني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر أن نسترقي من العين . أخرجه البخاري ، ومسلم ولفظه للبخاري . وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ، ثم يغتسل منه المعين . رواه أبو داود بإسناد صحيح . وعن أسماء بنت عميس ، رضي الله عنها ، أنها قالت : يا رسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين فاسترق لهم ؟ قال : " نعم ، فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين " ، رواه الترمذي وصححه .

كيفية تناول المشروب

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتنفس في الشرب ثلاثا ويقول : " إنه أروى وأبرأ وأمرأ " قال انس : وانا أتنفس في الشرب ثلاثا . هكذا اخرجه مسلم ، واخرجه أبو داود ، والترمذي . والمراد بالتنفس في هذ الحديث الشرب بثلاثة أنفاس ، يفصل فيها فاه عن الاناء فيجري النفس والإناء منفصل ، ثم يعيده إلى فيه . فأما ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أنه نهى عن التنفس في الاناء " ، فالمراد به أن يشرب وهو يتنفس في الاناء من غير إبانة عن فيه . فربما خرج من الريق شيء في المشروب فيصير مستقذرا . وقد ينتن الاناء مع تكرار ذلك فلا معارضة إذن بين تنفسه ثلاثا ، وبين نهيه عن التنفس .

الفصل السابع عشر :

الأحكام النبوية في الصناعة الطبية
تأليف الكحال علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي
(650 – 720 هـ / 1252 – 1920)

ترجمة المؤلف :

هو علاء الدين أبو الحسن ، علي بن عبد الكريم بن طرخان بن تقي الحموي (نسبة الى مدينة حماه في سوريا) الصفدي (نسبة الى مدينة صفد في فلسطين) الكحال أي طبيب العيون .

وقد ترجم له الامام ابن حجر العسقلاني في كتابه " الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة " ترجمة مختصرة جاء فيها :

علي بن عبد الكريم بن طرخان بن تقي الحموي ، علاء الدين الكحال ، وكيل بيت المال بصفد ... ولد سنة 650هـ تقريبا ، وتعاطى الطب ، وشارك في الآداب ، وكان خيّرا متواضعا ، وله تصانيف في الكحل وغيره . مات في حدود سنة 720هـ .

وترجم له عمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين (دار احياء التراث العربي ، بيروت ج128/7) وذكر نفس المعلومات السابقة الا أنه ذكر من مؤلفاته :

1- الأحكام النبوية في الصناعة الطبية .
2- شرف العلماء والعلوم .
3- مصنف في الكحل (أي أمراض العيون)

كما ترجم له خير الدين الزركلي في كتابi الاعلام " دار العلم للملايين بيروت ج302/4 وذكر نفس المعلومات السابقة الا أنه سمّى المصنف في الكحل باسم القانون في امراض العيون .

ومن يقرأ كتاب الاحكام النبوية في الصناعة الطبية ، يرى تمكّن الكحال ابن طرخان الحموي الصفدي في الطبّ واللغة والشعر والأدب ومعرفته للأحاديث النبوية ، وقد اختار أربعين حديثا ثم أضاف اليها أربعين أخرى ، ولم يكتف بذلك ، ولكنه أضاف عددا من الاحاديث النبوية في مجال الطب ، تدل على براعته وعمق فهمه للأحاديث والطب واللغة والأدب ، وكتابه هذا من أهم المصادر التي أعتمد عليها الامام ابن القيم في كتابه المشهور " الطب النبوي " وهو جزء من كتابه العظيم "زاد المعاد في هدي خير العباد ".

والمصدر الثاني الهام لابن القيم هو كتاب عبد اللطيف البغدادي المبدع في العديد من العلوم بما فيها اللغة والطب والتشريح وعلم الحديث ولكن الامام ابن القيم لم يذكرها في كتابه ، رغم أنه اعتمد عليها ، وإن كان قد أضاف اضافات واسعة في كتابه الهام ، كما سنستعرضه في حينه .

المحققون لكتاب ابن طرخان الحموي " الأحكام الطبية في الصناعة الطبية :

1- **<u>عبد السلام هاشم حافظ :</u>** السيد الأديب العالم المدني وهو أول من اهتم بكتاب ابن طرخان " الاحكام الطبية " واعتمد على نسخة خطيّة مذهبة في ملكه ، وهي بخطّ جميل ، غير مؤرخة ، ولم يذكر الناسخ اسمه ، وبها أغلاط وتصحيف . وراجعها على نسخة خطيّة رقم 580 في دار الكتب المصرية ، نسخت عام 1261هـ ، وفيها زيادات عن نسخته التي في حوزته . والنسخة الثانية أيضا في

دار الكتب المصرية برقم 557 بالخط الفارسي ، كتبها أحمد حامد سنة 1242هـ وهي كما يقول :" طبق الأصل في رسمها من نسختي " . وقد قامت شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر بطبعها ونشرها سنة 1374هـ/1955م .

2- **<u>تحقيق أحمد عبد الغني الجمل :</u>** ونشرته دار ابن حزم ، بيروت سنة 2004.

3- **<u>تحقيق محمد نزار الدقر :</u>** ,نشرته مؤسسة الرسالة العالمية في بيروت سنة 2010 وللأسف نرى كثرة تحقيق كتاب واحد ، ولو قام كل واحد بتحقيق كتاب آخر من تراثنا الزاخر لكان أجدى وأنفع .

يمتاز كتاب الكحال ابن طرخان باسلوبه الأدبي الرائع واستشهاده بالشعر وأهل اللغة على الكلمات التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومثالها كلمة الطبّ في الحديث الأول ونبدأ بمقدمة المصنف ثم شرحه للأحاديث الأول الى الرابع لتوضيح منهجّه المتفرّد في شرح أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في الطبّ.

مقدمة الكتاب

قال المصنّف رحمه الله بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله المصطفى المجتبى وآله وصحبه وسلم . وبعد : فإنه لما كان علم الطبّ من أنفس العلوم وأشرفها ، وأجلّ الصناعات المنيفة وألطفها ، وكان مطلوبا لقوام الحياة ، وكل الناس محتاجون إليه بالذات وكان طائفة من الناس تنكر فضيلته ، وتجحد منفعته ، فأحببت أن أخرج من الأحاديث النبوية ، في المعاني الطبية ، ما يشيّد علم الأبدان ، وينوّر مصباحه على ممرّ الزمان، مضافا الى ما تقدّم لي من بعض شيوخي رحمهم الله تعالى .عن (رسول الله) صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من حفظ عن أمتي أربعين حديثا مما يحتاجون اليه ، كنت له شفيعا يوم القيامة " .

فاجتهد كل واحد من العلماء في رواية أربعين حديثا لهذا الخبر ...فأردت أن أكون من جملتهم ، وأحشر في زمرتهم ، فخرَّجتها أربعين حديثا من الأخبار المتفق على صحتها ،(مما رواه) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى ، من الاسانيد المشهورة ، والكتب المنتخبة المأثورة ، المذكورة متونها ، المحذوفة منها أسانيدها ، مذكورفيها عند آخر كل حديث : تفرّد بإخراجه فلان . ثم أردفها بكلام في بيان أصل الطب ، وذكر الواضع له ، وفضيلته ، وموافقته للعقل والشرع ، وغير ذلك مما يذكر مفصّلا ، فهي ستة أبواب (هذا) الكتاب . وسميته " الاحكام النبوية في الصناعة الطبية " ، وانتظم سلكه عشرة أبواب ، والله الموفق للصواب.

<u>الباب الأول :</u> في الأحاديث الواردة في ذكر الأمراض ومعالجتها ، والأمر بالتداوي . وفيمن تطبّب ولم يعلم منه الطبّ ... وغير ذلك .

<u>الباب الثاني :</u> في الأحاديث الدالة على ما يتعلق بحفظ الصحة من صفة الأكل والشرب والنوم .... وغير ذلك .

<u>الباب الثالث :</u> في بيان أصل الطب ، والواضع له ، وفضيلته ، وموافقته للعقل والشرع .

<u>الباب الرابع :</u> في بيان الصحّة وفضلها ، وذكر الأحاديث الواردة فيها .

<u>الباب الخامس :</u> في بيان المرض وفضله ، وذكر الأخبار الواردة فيه وشيء من الرقى.

<u>الباب السادس :</u> في بيان فضل عيادة المريض ، وما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية.

<u>الباب السابع :</u> في ذكر أربعين حديثا طبية ، فضلت على الأربعين الأولى ، منبّها على شرح أكثرها.

<u>الباب الثامن :</u> في ذكر الخلاف : هل التداوي أفضل أو تركه ؟ وحجة كل واحد من الطائفتين .

الباب التاسع : في ذكر الحمية وفضلها ، وما يكتب للحمّى وغيرها ، وما ورد ذلك من الأخبار ، ونكت من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفصول تتعلق بتدبير حفظ الصحة .
الباب العاشر : في ذكر أدوية مفردة وقواها ومنافعها ، وما ورد فيها من الأحاديث الطبية وغيرها ...

الباب الأول

في الأحاديث الواردة في ذكر الأمراض ومعالجتها ، والأمر بالتداوي وفيمن تطبب ولم يعلم منه الطبّ ، وهي أربعة وثلاثون حديثا :

الحديث الأول

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من طبّب ولم يعلم منه الطبّ قبل ذلك فهو ضامن " . أخرجه أبو داود والنسائي والدار قطني وابن ماجه . وفي رواية لأبي نعيم أنه قال : " من تطبّب ولم يكن بالطبّ معروفا ، فأصاب نفسا فما دونها ، فهو ضامن " . اهـ .

قال المؤلف :

الطبُّ ، بكسر الطاء في لغة العرب يقال على معان : منها الإصلاح يقال طببته إذا أصلحته . ويقال : لفلان طبٌّ بالأمور – أي لطف وسياسة .

قال الشاعر :

وإذا تغيّر من تميم أمرها　　كنت الطبيب لها برأي ثاقب

ومنها (الحذق) لاحتياجه الى حذق قوى ... قال الجوهري : وكل حاذق طبيب عند العرب . قال أبو عبيدة : أصل الطب : الحذق بالأشياء والمهارة بها .

يقال للرجل طب وطبيب : إذا كان كذلك ، وإن كان في غير علاج المريض . قال غيره : ورجل طبيب : أي حاذق ، سمي طبيبا لحذقه وفطنته .

قال علقمة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني　　بصير بأدواء النساء طبيبُ

وقال عنترة :

إن تغدُفي دون القناع فإنني　　َطبٌّ بأخذ الفارس المستلئم

ومنها العادة ، يقال : ليس ذلك بطبىّ ، أي عادتي ... قال فروة بن مسيك :

فما إن طِبُّنا جبن ولكن　　منايانا ودولة آخرينا

وقال المتنبي :

وما التيِّه طبِّى فيهم غير أنني　　بغيض إليَّ الجاهل المتغافل

ومنها السحر ، يقال للرجل مطبوب : أي مسحور ... قال الجوهري : ويقال للعليل أيضا مسحور .. قال ابو عبيدة : إنما قالو للمسحور مطبوب ، لأنهم كنّوا بالطبُّ عن السحر ، كما كنّوا عن اللديغ فقالوا سليم ، تفاؤلا بالسلامة ، وكما كنّوا عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها ، فقالوا : مفازة ، تفاؤلا بالفوز من الهلاك ... قال ابن الأنبارى : الطبُّ من الأضداد ، يقال لعلاج الداء طبّ ، وللسحر طبّ ، وهو من أعظم الأدواء . والطبّ الشهوة أيضا ، حكاه البطليوسي – وقد جاء بمعنى الداء مطلقا ، قال ابن الأسلت :

ألا من مبلغ حسان عنّي　　أسحر كان طبّك أم جنون ؟

وقال الشاعر :

فإن كنت مطبوبا فلا زلت هكذا　　وإن كنت مسحورا فلا برىء السحر

قال الجوهري : والطِّب والطَّب : لغتان في الطب .
وقال البطليوسي : الطَّب ، بالفتح : العالم بالأمور ، وكذلك الطبيب وبالكسر : فعل الطبيب ، وبالضم : اسم موضع ... وأنشد :

فقلت هل انهلتم بطُبٍّ ركابكم   بجائزة الماء التي طاب طينها

وأما في اصطلاح علماء الطب فهو : علم يعرف منه أحوال بدن الانسان ، من جهة ما يصحُّ ويزول عنها ، لتحفظ الصحة حاصلة ، وتسترد زائلة ...وهذا الحدّ ذكره ابن سينا رحمه الله تعالى في القانون ، وأورد عليه عشرة شكوك ، ليس هذا موضع ذكرها .

وأعلم ان هذا الحديث فيه احتياط وتحرّز على الناس ، وحكم سياسي ، مع ما فيه من الحكم الشرعي ، إذ في ذلك خطر شديد . وقوله : (من تطبَّب) ولم يقل من طِبَّ ... لأن لفظ (المتطبّب) يدل على المتعلم للطبّ ، أو المتعاطي له وتطبّبَ على وزن " تفعَّل " ومعناها هنا للتعاطي ، أي تعاطى علم الطب ، ولم يكن من أهله لان " تفعّل " قد يأتي بمعنى إدخال المرء نفسه في أمر حتى يضاف إليه ، أو يصير من أهله ، كقولك تشجّعت وتكرّمت ، قال الراجز :

وقيس عيلان ومن تقيّسا

والطبيب : هو العالم بالطبّ ، المتمكّن الحاذق فيه ومعناه (أي الحديث) من تعاطى فعلَ الطبّ ، ولم يتقدم له به اشتغال ، ومزاولة معالجة ، وتدرّب مع الفضلاء فيه ، فقتل بطبٍّ ، فهو ضامن ، لان غالب من هذه حاله : أن يكون قد تهجَّم بجهله على إتلاف الأنفس ، وأقدم بالتهّور على مالم يعلمه ، فيكون قد غرّر بالمهج ، فيلزمه الضمان لذلك . فأما من سبق له اشتغال بصناعة الطب ، وكثرة تجارب ، وأجازه علماء الطب ورؤساؤه ، فهو جدير بالصواب ، وإن أخطأ بعد بذل الاجتهاد الصناعي ، أو عن قصور الصناعة نفسها ، فعند ذلك لا يلزمه لومة لائم .

قال الخطابي : لا أعلم خلافا في أن المعالج إذا تعدّى ، فتلف المريض كان ضامنا ، والمتعاطى علما أو عملا لا يعرفه متعدٍّ ، فإذا توّلد من فعله التلف ضمن الديّه ، وسقط القود ، لأنه لا يستبّد بذلك دون إذن المريض وجناية المتطبّب في قول عامة الفقهاء على عاقلته .

الحديث الثاني

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنه قال : " إن لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء بريء بإذن الله عز وجل " أخرجه مسلم .

قال المؤلف : هذا الحديث حثٌّ على استعمال الطب والمداواة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " إن لكل داء دواء " . فجزم بوجود الدواء للداء ، إلا ما استثنى منه في أحاديث أُخَر ، كالهرم والسام . وفيه استحباب التداوي ، وهومذهب الشافعي وجمهور السلف ، وعامّة الخلف . وفيه ردّ على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية ، فقالوا : كل شيئ بقضاء وقدر ، ولا حاجة الى التداوي وهذا الحديث وأمثاله حجّة عليهم ، ونعتقد ان الله تعالى هو الفاعل ، وأن التداوي من قدر الله ، وهذا كالأمر بالدعاء ، والتحصّن من الاعداء ، ومجانبة الإلقاء باليد الى التهلكة ، مع أن الأجل لا يتغير ، والمقادير لا تتقدم ولا تتأخر .

رُويَ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " إن ابراهيم الخليل عليه السلام سأل الله عزَّ وجلّ فقال : ياربِّ ممَّن الداء ؟ فقال سبحانه وتعالى : مِنّي . فقال : وممَّن الدواء ؟ فقال الله عزَّ وجلَّ : مِنّي .فقال : يا ربِّ فما بال الطبيب ؟ فقال : رجل أرسل الدواء على يديه " والدواء : بفتح الدال ممدود ، وحُكِيَ بكسرها ، وهو شاذ .

وهذا الحديث عظيم النفع ، وجليل المقدار ، لما فيه من تقوية نفس المريض والطبيب معا ، بإخبار الصادق الأمين أن لكل داء دواء ... ومتى قويت نفس المريض انتعشت حرارته الغريزية ، وكان ذلك سبباً لقوة القوى الحيوانية والنفسانية والطبيعية ، ومتى قويت هذه القوى المذكورة ، قهرت المرض ، فكانت سببا لدفعه ، وهو المطلوب.

والداء : هو المرض ، وهو حال للبدن خارج عن المجرى الطبيعي تنال به الأفعال الضرر من غير متوسط ، ويلزمه خروج البدن أو العضو عن اعتداله في مزاجه أو هيئته أو وضعه ، وذلك الخروج يكون في إحدى الدرج الأربع ، التي تعرفها الأطباء ، ولا شيء منه إلا وله ضدٌّ من الأدوية في درجته ، فلهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله بقوله : " فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى " فعلّق البرء لشرط وجود الدواء المضادّ للداء في مزاجه ، المساوى له في درجته ، لأن الدواء متى جاوز درجة الداء ، نقله إلى مرض آخر ، ومتى قصر عنها ، لم يف بمقاومته ، وكان العلاج قاصرا ... وقد علم من أصول الطب أن حفظ الصحة بالشبيه ، ومداواة المرض بالضد ، قال الرئيس : (ابن سينا في منظومته الألفية) :

بالشّبهِ تُحْفَظُ صحةٌ موجودة والضدُّ فيه شفاء كُلِّ سقامِ

الحديث الثالث

عن عطاء ، عن أبي هريرة ، قال (قال) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " أخرجه البخاري ومسلم .

قال المؤلف : " قوله ما أنزل الله داء " : أي لم يحدث الله داء إلا أحدث له دواء . وهذا كقوله تعالى (وأَنزلَ لكُمْ من الأنْعَام ثمانية أزواجٍ) : أي أحدث لكم ثمانية أزواج ، وقد يكون أنزاله إنزال الملائكة من السماء لمابشرة مخلوقات الأرض " من داء ودواء "ويعضّد هذا قوله في الحديث الآخر :" لم يضع الله داء إلا وضع له دواء . ويجوز أن يكون في الكلام شيء محذوف ، وتقديره : داء من الأدواء التي قدَّر شفاءها ، إذا كانت بعض الأدواء لا ينجح فيها دواء ولا يقدر لها في الأزل شفاء ، لتّتم مقدّرات الله تعالى بموت من يموت بها . وسلامة من يسلم منها . والشفاء : هو الدواء الشافي .

وأعلم أنه قد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى ، رواها العلماء في كتبهم ، وسنح لي أن أذكر منها شيئا في هذا الموضع فمنها هذا الحديث :

عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، قال : " كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله ، أنتداوى ؟ فقال : نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد ... قالوا ، ما هو ؟ قال : الهرم " قال أحمد بن حنبل ، يبلغ به زياد ابن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، قال : " جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم ، فإن الله عزَّ وجلَّ لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا طبيبين كانا بالمدينة لرجل يوم أُحُدٍ . فقال : عالجاه ، فقالا : يا رسول الله إنما كنّا نعالج ونحتال في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام فما هو إلا التوّكل . فقال : عالجاه ، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، ثم جعل فيه شفاء . قال : فعالجاه فبرأ " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن رجلا قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أينفع الدواء من القدر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الدواء من القدر ، وهو ينفع من يشاء بما يشاء " .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتداوى ، ويصف الدواء ، وتُنعت له النعوت : (أي الوصفات الطبية) فيستعملها .

الحديث الرابع

عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "شِدّة الحمى من فيح جهنّم ، فأبردوها بالماء " أخرجاه في الصحيحين .

قال المؤلف : هذا خطاب لأهل الحجاز ، إذ كان أكثر الحميّات التي تعرض لهم من نوع الحمّى اليومية ، وينفعها الماء البارد شربا واغتسالا ، على ما سنبيّنه بعد ...وقوله " فأبردوها " بهمزة الوصل ، وبضم الراء ، وهو الصحيح . وحكى القاضي عياض في (المشارق) أنه يقال بهمزة قطع ، وكسر الراء ، في لغة حكاها الجوهري ، وقال : هي لغة .

وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة أن جهنم مخلوقة الآن موجودة . وقوله " فيح جهنّم " هو بفتح الفاء . وهو شدّة حرّها ولهيبها وانتشارها ، الحادثة عن شدّة حرارة الشمس ، قال الليث : الفيح : سطوع الحر ، يقال : فاحت القدر ، تفيح : إذا غلت . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآاله وسلم أنه قال :" من حُمَّ ثلاث ساعات ، فصبر فيها شاكراً لله حامدا له ، باهى الله به ملائكته ، فقال : ياملائكتي انظروا إلى عبدي وصبره على بلائي ، اكتبوا لعبدي براءة من النار ، فيكتب له بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعبده فلان بن فلان ، اني قد أمنّتك من عذابي ، وأوجبت لك جنتي ، فادخلها بسلام " وعن مجاهد ، في قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) وقال : " من حُمّ من المسلمين فقد وردها "ويؤيده ما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحمّى حظُّ المؤمن من النار يوم القيامة " ومعنى الحُمَّى من حيث اللغة : شدّة الحر ومعظمه . وقد جاءت بمعنى التقدير ، يقال حُمَّت الامور : إذا قُدِرت ، قال الشاعر :

أَبَى الله أن يلقي الرشاد متيّمٌ ألا كل أمر حُمَّ لا بد واقعُ

ومن حيث الطبُّ : حرارة غريبة تشتعل في القلب ، وتنبَّثُ فيه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن ، فتشتعل فيه اشتعالا يضرّ بالأفعال الطبيعية . وهي تنقسم إلى قسمين : مرضيّة ، وهي أجناس الحُمّيات الثلاث التي تذكر ، وعرضيّة : كالحادثة عن الأورام . وأجناس الحمى المرضيّة ثلاثة ، لأنها لا تكون إلا في مادة أولى ، ثم منها تسخن سائر الأجسام الأخرى ، فإن كان مبدأ تعلقها بالروح ، سميت حمى اليوم ، لأنها في الغالب تزول في يوم ، ونهايتها ثلاثة أيام ، إن كان مبدأ تعلقها بالاختلاط سميت عَفِنَة ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية سميت : حُمّى دقّ . وتحت كل جنس من هذه الأجناس المذكورة أنواع من الحميّات وأصناف ، ليس هذا موضع ذكرها ، وكثيرا ما تكون حُمّى يوم وحُمّى العفن سببا لإنضاج مواد غليظة ، لم تكن تنضج بدونها ، وسببا لتفّتح سدد لم تكن تصل إليها الأدوية المفتّحة . وأما الرمد الحديث والمتقادم فإنها تُبريّ أكثر أنواعه برءاً عجيبا وحيًا مجرّبا . وهي تنفع من الفالج واللقوة والتشنج الامتلائي ، وكثير من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة.

روى عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " ذُكَرتَ الحُمى عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فَسَبّها رجل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسبّها ، فإنها تُنقيّ الذنوب ، كما تنقيّ النار خبث الحديد " رواه ابن ماجه .

ولما كانت الحمى تتبعها حِمية عن الأغذية الرديّة ، وتناول الأدوية والأغذية النافعة ، وفي ذلك كله إعانة على تنقية البدن ، ونفى أخباثه وفضوله ، وتصفية من أدرانه وعيوبه ، وتفعل فيه كما تفعل النار بالحديد في نفى خبثه ، وتصفية جوهره ، شبّه نار الحمى بنار الكِير ، والبدن بالحديد ، وفضول البدن بخَبَث الحديد .

والذي صرّح به في الحديث : أنها تُنقيّ الذنوب ، لأنها كفارة السيئات والخطايا . روى عن رسول الله صلى الله عليه وآاله وسلم أنه قال : " إن الله ليكفّر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة " .

والكفّارة تمحو ذنوب المُكفّر عنه ، والمريض يتذكّر العُقبى ويندم على ما مضى ويستغفر من الخطايا ، ويقلع عن الذنوب ، فيعود كمن لا ذنب له ، لأنه يتوقع موته في حال مرضه. رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " الحمَّى رائد الموت ، وسجن الله في الأرض " . قال الأزهري : معنى رائد : أي رسول الموت . روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دخلت على المريض فَمُرهُ يدعو لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة " رواه ابن ماجه وغيره . وعن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال " ما من مرض يصيبني أحبَّ إليّ من الحمّى ، لأنها تدخل في كل عضو مني وإن الله يعطي كل عضو قسطه من الأجر " . وأما قوله صلى الله عليه وسلم " إن شدّة الحمّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء " : فالذي يظهر أنه لم يرد بهذا الحديث من أقسام الحُميّات ، سوى ما كان من حُمى يوم عن حر الشمس ، فإن وقوعها بالحجاز كثير ، وتسكن عن المكان بالانغماس في الماء البارد وسقى الماء البارد المثلوج ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر ، فإن هذه الحمى مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح ، فيكفي علاجها مجرد وصول كيفية باردة تسكنّها وتخمدها ، في أي وقت كان منها ، من غير حاجة غلى استفراغ مادة أو انتظار نضج ، ويجوز استعمال الماء البارد في سائر الحميّات الأُخَر ، على ما شرطه جالينوس . قال جالينوس في العاشرة من حلية البرء : ولو أن رجلا شابا حسن اللحم ، خصب البدن ، في وقت القيظ في وقت منهمن الحمى ، وليس في أحشاءه ورم ، استحم بماء بارد أو سبح فيه ، لانتفع بذلك ، ونحن نأمر بذلك بلا توقف... فهذا ما أمكن ذكره من شرح هذا الحديث وما معناه من أمر الحُميات الدائمة ، واليومية ، وغيرها .

وأما الحميات العفنة التي يتقدمها برد ونافض ، فقد روى فيها هذا الحديث ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال :" دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم السائب – أو أم المسيّب ، فقال مالك تُرفرفين ؟ قالت : الحمى لا بارك الله فيها . فقال : لا تسبّي الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم ، كما يذهب الكير خَبَثَ الحديد " رواه مسلم .

قال المؤلف : قوله " ترفرفين " بالراء المهملة المكررة ، والفاء المكررة : الحركة والانتفاض . قال الجوهري : ورفرف الطائر: إذا حرك جناحيه حول الشيء ، يريد أن يقع عليه ورُوي : تزفزفين ، بالزاي المعجمة المكررة والفاء المكررة . والزفيف السريع : أي تسرعين الحركة والاضطراب . قال الجوهري : زَفَّ القوم في مشيهم : أي أسرعوا . ومنه قوله تعالى : (فأقبلوا إليه يزفّون) . وسبب البرد والنافض في الحميات العفنة : هو سيلان المواد الحادّة اللذّاعة ، عند كون الحمى على الأعضاء الحسّاسة منها ، إذ هي ضدّها ، وتتوجه نحو القلب الذي هو أصلها ومنشؤها ، فيبرد ظاهر البدن لذلك ، وتحصل الرعدة والقشعريرة والبرد على حسب كثرة المادة وقلّتها ، وقلة العفونة وشدّتها ، ويحصل عند ذلك العطش لميل الحرارة الغريزية إلى داخل البدن ، وتضادّها على القلب .

وهذا ما أمكن ذكره في هذا الموضوع ، على سبيل الاختصار ، والله أعلم .

الفصل الثامن عشر :

تذكرة في الطب النبوي لابن جماعة الكناني

(639 -733 هـ)

هوبدر الدين بن جماعة ، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني (من قبيلة كنانة العدنانية) الحموي ، شيخ الإسلام وقاضي القضاة في الشام ومصر وخطيب المسجد الأقصى والجامع الأزهر والجامع الأموي ، (639 هـ - 733 هـ)، ولد في حماةوعاش فيها وتنقل وعاش فترة بدمشق و مصر. وله ولد صار من العلماء هو عز الدين ووالده من العلماء وهو أول شيوخه .

من شيوخه :

أبوه إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني و إسماعيل بن عزون الأنصاري والكمال بن عبد والرضى بن البرهان والرشيد العطار وأحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي وعبد الله بن عبد الوارث بن الأزرق

من تلامذته: مجموعة من كبار العلماء منهم الأئمة :

الامام الذهبي وابن كثير وتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي وابن قيم الجوزية وابنه عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة .

مناصبه

تولى قضاء القدس وقضاء مصر وقضاء الشام ، وتولى خطابة المسجد الاقصى في القدس ، وخطابة الجامع الازهر في مصر ، وخطابة الجامع الاموي في دمشق .

وتولى التدريس :

في المدرسة القيمرية و المدرسة العادلية الكبرى في دمشق و المدرسة الشامية البرانية في دمشق و المدرسة الناصرية الجوانية في دمشق و المدرسة الغزالية في دمشق و المدرسة الصالحية في مصر و المدرسة الناصرية في مصر و المشهد الحسيني في مصر و المدرسة الكاملية في القاهرة و جامع ابن طولون في القاهرة و جامع الحاكم في القاهرة و زاوية الشافعي في القاهرة و المدرسة الخشابية في القاهرة

مؤلفاته

كان بدر الدين ابن جماعة غزير العلم وافر التأليف فيه فألف في التفسير وعلوم القرآن والفقه والأخلاق والتاريخ والوعظ والنحو والفلك وغيرها ومن مؤلفاته:

- الأربعون حديثا التساعية الإسناد.
- أوثق الأسباب

- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل
- التبيان في مبهمات القرآن
- تجنيد الأجناد وجهات الجهاد
- مختصر في فضل الجهاد
- تحرير الأحكام في تدبير جيش أهل الإِسلام
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم
- تراجم البخاري
- غُرر البيان فيمن لم يسم في القرآن
- كشف المعاني في متشابه المثاني
- مسند الأجناد في آلات الجهاد
- المنهل الروي في علوم الحديث النبوي
- المختصر الكبير في سيرة الرسول (لعز الدين بن جماعة الكناني ابن بدرالدين)
- حجة السلوك في مهاداة الملوك
- التنزيه في إبطال حجج التشبيه
- تنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة
- ديوان خطب
- الضياء الكامل في شرح الشامل
- المسالك في علم المناسك، وقيل أن كتاب هداية السالك إلى معرفة المناسك على المذاهب الأربعة لابنه عز الدين ابن جماعة
- الرد على المشبهة
- رسالة في الإسطرلاب
- الطاعة في فضيلة صلاة الجماعة
- العمدة في الأحكام
- الفوائد الغزيرة المستنبطة من حديث بريرة
- الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة
- كشف الغمة في أحكام أهل الذمة
- مقدمة في النحو
- لسان الأدب
- نور الروض

وله كتاب " الطب النبوي " توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة أدنة (أضنة) بتركيا برقم 1156.

ثناء العلماء عليه

وقال عنه تلميذه ابن جابر:

" الشيخ الأجل الفقيه المفتي الخطيب قاضي قضاة الديار المصرية وشيخ شيوخ خوانقها ومحدثها وعالمها ... وما علم عليه في جميع ولايته إلا خيرا مع أنها نحو الخمسين عاما "

وقال عنه تاج الدين السبكي:

" شيخنا قاضي القُضَاة بدر الدِّين.. حاكِمُ الإقليمَيْن مِصْراً وشاماً، وناظِمُ عَقْدِ الفَخَار الذي لا يُسَامي، مُتَحَلٍّ بالعَفاف، مُتَخَلٍّ إلاَّ عن مِقدار الكفاف، مُحَدِّثٌ فقيه، ذو عَقلٍ لا يقوم أساطينُ الحُكماء بما جَمَع فيه "

وقال عنه ابن كثير

"قاضي القُضَاة العالم شيخ الإسلام بدر الدِّين أبو عبد الله.. وسمع الحديث واشتغل بالعِلْمِ، وحَصَّل علوماً متعَدِّدَة، وتَقَدَّم، وسادَ أقرانه... مع الرِّئاسة والدِّيانة والصِّيانَة والورع، وكفّ الأذى... وجمع له خطباً كان يخطب بها في طيب صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيره"

وقال عنه ابن حجر العسقلاني:

وقال الذَّهبيُّ: كان قوي المشاركة في الحديث عارفاً بالفقه وأصوله، ذكيَّاً فطناً متفنِّناً،ورعاً صَيِّناً تام الشَّكل، وافر العقل، حسن الهدى، متين الدِّيانة، ذا تعبّدٍ وأورادٍ، وكان في ولايته الثانية قد كثرت أمواله فترك الأخذ على القضاء عِفَّة، ثُمَّ ثَقل سمعه، ثُمَّ أضَرَّ، فصرف نفسه، وكان صاحب معارف يضرب في كُلِّ فَنٍّ بِسَهْمٍ، وله وقع في النفوس، وجلالة في الصّدور، وكان مليح الهيئة، أبيض مُسْمتاً مستدير اللِّحية، نقي الشَّيبة، جميل البزّة، دقيق الصَّوت، ساكناً وقوراً، وحجّ مِراراً، وكان عارفاً بطرائق الصُّوفيَّة، وقُصِدَ بالفتوى، وكان مسعوداً فيها.

وفاته

توفي بدر الدين محمد ابن جماعة يوم 21 من شهر جمادى الآخرة سنة 733 هـ وله من العمر 94 سنة .

الفصل التاسع عشر :

الامام الذهبي وكتابه الطب النبوي
شمس الدين الذهبي (673- 748هـ/1274- 1348م)

شمس الدين الذهبي (مواليد 673 هـ / 748 هـ - توفي 1274م / 1348م) محدث وإمام حافظ . يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها. والامام الذهبي من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي.

المولد والنشأة

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (التركماني الأصل ، التميمي ولاء)، ولد في كفر بطنا قرب مدينة دمشق في ربيع الآخر 673 هـ ، نشأ في أسرة كريمة تركمانية الأصل ، كان والده يعمل في صناعة الذهب، فبرع فيها وتميز حتى عُرف **بالذهبي**، وكان رجلا صالحًا محبًا للعلم، وكان كثير من أفراد عائلته لهم انشغال بالعلم، منهم عمتّه ست الأهل بنت عثمان ، لها رواية في الحديث، وخاله علي بن سنجر، وزوج خالته من أهل الحديث.

وفي سن مبكرة انضم إلى حلقات تحفيظ القرآن الكريم حتى حفظه وأتقن تلاوته. ثم اتجهت عنايته لما بلغ مبلغ الشباب إلى تعلم القراءات وهو في الثامنة عشرة من عمره، فتتلمذ على شيوخ الإقراء في زمانه كجمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن داود العسقلاني ، والشيخ جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن غال ، وقرأ عليهما القرآن بالقراءات السبع، وبلغ من إتقانه لهذا الفن وهو في هذه السن المبكرة أن تنازل له شيخه محمد عبد العزيز الدمياطي عن حلقته في الجامع الأموي حين اشتدّ به المرض.

في الوقت الذي كان يتلقى فيه القراءات مال الذهبي إلى سماع الحديث الذي ملك عليه نفسه، فاتجه إليه، واستغرق وقته، ولازم شيوخه، وبدأ رحلته الطويلة في طلبه.

رحلات الامام الذهبي وأخذه عن شيوخ عصره

كانت رحلاته الأولى داخل البلاد الشامية، فنزل بعلبك سنة 693 هـ ، وروى عن شيوخها، ثم رحل إلى حلب وحماة وطرابلس والكرك ونابلس والرملة والقدس، ثم رحل إلى مصر سنة 695 هـ , وسمع من شيوخها الكبار، على رأسهم ابن دقيق العيد وبدر الدين ابن جماعة , وذهب إلى الإسكندرية فسمع من شيوخها، ثم عاد إلى دمشق . وفي سنة 698 هـ ، رحل الامام الذهبي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وكان يرافقه في هذه الرحلة جمع من شيوخه وأقرانه، وانتهز فرصة وجوده هناك فسمع الحديث من شيوخ مكة والمدينة. ورغم أن تركيز الامام الذهبي الرئيسي انصبّ على الحديث، فقد درس النحو والعربية على الشيخ ابن أبي العلاء النصيبي، وبهاء الدين بن النحاس إمام أهل الأدب فيمصر، واهتم كذلك بدراسة المغازي والسير والتراجم والتاريخ العام.
في الوقت نفسه اتصل بثلاثة من شيوخ العصر وترافق معهم، وهم : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وجمال الدين أبي الحجاج المزي والقاسم البرزالي . وقد جمع بين هؤلاء الأعلام طلب الحديث، وميلهم إلى

آراء الحنابلة ودفاعهم عن مذهبهم. ويذكر الامام الذهبي أن البرزالي هو الذي حبب إليه طلب الحديث ، والامام الذهبي شافعي في الفروع ، حنبلي في العقائد والأصول .

نشاطه العلمي

بعد أن أنهى **الامام الذهبي** رحلاته في طلب العلم والاخذ عن ما يزيد عن الألف من العلماء، اتجه إلى التدريس وعقد حلقات العلم لتلاميذه ، وانغمس في التأليف والتصنيف ، ألف الامام الذهبي خيرة كتبه ، في الفترة ما بين 703 – 718 التي أقام منها في قريته كفر بطنا بغوطة دمشق .

مؤلفاته

ترك الإمام الذهبي إنتاجًا غزيرًا من المؤلفات بلغ أكثر من مائتي كتاب، شملت كثيرًا من ميادين الثقافة الإسلامية، فتناولت القراءات والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله والعقائد والرقائق، غير أن معظم مؤلفاته في علوم التاريخ وفروعه، ما بين مطول ومختصَر ومعاجم وسير. وثلث هذا العدد مختصرات قام بها الامام الذهبي لأمهات الكتب التاريخية المؤلفة قبله، فاختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ نيسابور لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وتاريخ مصر لابن يونس، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة، والتكملة لوفيات النقلة للمنذري، وأسد الغابة لابن الأثير. وقد حصر شاكر مصطفى الكتب التي اختصرها الذهبي في 367 عملا. وإلى جانب هذه المختصرات له كتب في التاريخ والتراجم مثل: تذكرة الحفاظ ، ميزان الاعتدال ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار .
ولكن أشهر كتبه كتابان هما:

أولهما: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

وهو أكبر كتب **الإمام الذهبي** وأشهرها، تناول فيه تاريخ الإسلام من الهجرة النبوية حتى سنة 700 هـ الموافقة لسنة 1300م وهي فترة مدتها سبعة قرون، وتضمن هذا العمل الفذ الحوادث الرئيسية التي مرت بالعالم الإسلامي، وتعاقب الدول والممالك، مع تراجم للمشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة دون اقتصار على فئة دون أخرى، ويبلغ عدد من ترجم لهم في هذا الكتاب الضخم أربعين ألف شخصية، وهو ما لم يتحقق في أي كتاب غيره. ويتميز الكتاب باحتوائه مادة واسعة في التاريخ السياسي والإداري والأحوال الاقتصادية للدولة الإسلامية، انتقاها من مصادر كثيرة ضاع معظمها فلم تصل إلى أيدينا.

ويصور الكتاب الحياة الفكرية في العالم الإسلامي وتطورها على مدى سبعة قرون، ويبرز المراكز الإسلامية ودورها في إشعاع الفكر ومساعدة الناس، وذلك من خلال حركة العلماء وانتقالهم بين حواضر العلم المعروفة وغير المعروفة، واتساع الحركة في وقت دون آخر؛ الأمر الذي يظهر مدى ازدهار المراكز الثقافية أو خمول نشاطها.

ويبين الكتاب من خلال ترجمته لآلاف العلماء وعلى مدى القرون الطويلة التي تعرض لها اتجاهات الثقافة الإسلامية وعناية العلماء بعلوم معينة، ويكشف عن طرائقهم في التدريس والإملاء والمناظرة، ودور المدارس في نشر العلم والمذاهب الفقهية في أنحاء العالم الإسلامي. وأسلوب الإمام الذهبي في تأليف هذا الكتاب تبعه فيه الكثيرون ولعل من المتاخرين منهم الجبرتي في كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار, حيث وضح تأثره بالأسلوب الخبري في الرواية.

ثانيهما: سير أعلام النبلاء

وهذا الكتاب هو ثاني أضخم أعمال الإمام الذهبي بعد كتابه تاريخ الإسلام وهو كتاب عام للتراجم (وهي الكتب التي تهتم بذكر الأشخاص فقط وتاريخهم) التي سبقت عصره، وقد رتب تراجمه على أساس الطبقات التي تعني فترة زمنية محددة، وقد جعلها عشر سنوات في كتابه تاريخ الإسلام فيذكر الحوادث سنة بعد سنة، ثم يذكر في نهاية الطبقة تراجم الوفيات من الأعلام مع الالتزام بترتيبها على حروف المعجم. في حين جعل الطبقة في سير أعلام النبلاء عشرين سنة، ومن ثم اشتمل الكتاب على خمس وثلاثين طبقة.

ولم يقتصر الإمام الذهبي في كتابه على نوع معين من الأعلام، بل شملت تراجمه فئات كثيرة،من الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والقادة والقضاة والفقهاءوالمحدثين، واللغويين والنحاة، والأدباء والشعراء، والفلاسفة. غير أن عنايته بالمحدثين كانت أكثر، ولذا جاءت معظم تراجمه من أهل العناية بالحديث النبوي دراية ورواية. كما اتسع كتابه ليشمل تراجم الأعلام من مختلف العالم الإسلامي، دون أن تكون له عناية بمنطقة دون أخرى، أو عصر دون آخر.
وقد عني الإمام الذهبي في كتبه بجرح وتعديل الرجال، طبقا لمنهج هذا العلم لتبيان أحوال رجال الحديث لمعرفة صحيح الحديث من سقيمه. وقد بلغ الذهبي مكانة مرموقة في هذا الفن، ويشهد على ذلك كتابه النفيس : ميزان الاعتدال. وهذا الأسلوب استعمله الإمام الذهبي في تراجمه، حتى وإن كان أصحابها من غير أهل الحديث أو ممن لا علاقة لهم بالرواية، وهو من الأساليب التي تفرد بها الإمام الذهبي في تناول التراجم وهو ما أظهر تأثراً شديداً بيحى بن معين وعلي بن المديني إمامي الجرح والتعديل.

كتاب الطب النبوي المنسوب للامام الذهبي

طبع كتاب الطب النبوي المنسوب للامام الذهبي لأول مرة في القاهرة سنة 1948 في القاهرة بهامش كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن الازرق ، طبع مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة ثم قامت عدة دور نشر بطبعه بالاوفست نقلا عن طبعة الحلبي بالقاهرة . ثم طبع الكتاب مستقلا سنة 1380هـ/1961 . طبعته شركة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، بدون تحقيق وذكر في الغلاف راجعه وعلَّق عليه أحد أعلام الطب الحديث دون ذكر اسمه .

ولم يذكر الناشر أين وجد نسخة الكتاب وهل تم طبعه من قبل من جهة أخرى ، بل لم يذكر أي معلومات عن الكتاب ولا عن المؤلف . بل ابتدأ مباشرة بمقدمة المصنف نفسه .

ثم قامت دار إحياء العلوم بيروت باصدار الكتاب مرة أخرى سنة 1412هـ/1992 بتقديم وتحقيق وشرح وتعليق أحمد رفعت البدراوي . ولكن لا يوجد أي تحقيق على الاطلاق للكتاب بل هناك مقدمة عامة عن الطب والطب النبوي تجدها في كل كتاب مطبوع عن الطب النبوي ، ولم يذكر المحقق والشارح والمعلق أي شيء عن نسخ الطب النبوي واين وجدها ومن ذكر هذه النسخ .

والواقع أنه أخذ النسخة التي قامت بطبعها شركة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر (سنة 1380هـ/1961) وأعاد طباعتها كما هي .

ولم يذكر أيضا المحقق وصاحب المقدمة سوى نصف صفحة في ترجمة الامام الذهبي ، وعند مراجعة ما نشر عن الامام الذهبي وكتبه على الشبكة العنكبوتية وما نشر في كتب الامام الذهبي مثل كتاب سير أعلام النبلاء والذي قدّم له مقدمة ضافية الدكتور بشار عواد معروف (رئيس قسم التاريخ بجامعة بغداد) وذكر فيها كتب الامام الذهبي وهي215 كتابا وما هو مطبوع منها ومالا يزال مخطوطا واين يوجد المخطوط وذكر في هذه القائمة رقم (124) وفيه : الطب النبوي (طبع غير مرّة ، وينسب لغيره)

وذكر خير الدين الزركلي في كتابه الاعلام ج326/5 عندما ترجم للذهبي وقال (الطب النبوي : ط) . وعند مراجعة المصادر ومنها كشف الظنون وهدية العارفين والبداية والنهاية والنجوم الزاهرة والبدر الطالع ودوائر المعارف الاسلامية لم تذكر كتاب الطب النبوي للامام الذهبي .

وعند مراجعة كتاب الطب النبوي للذهبي المطبوع (طبعة البابي الحلبي بمصر 1961 وطبعة دار احياء العلوم بيروت ، 1992 ط 4) ، مع كتاب الطب من الكتاب والسنة لعبد اللطيف البغدادي الذي حققه الدكتور عبد المعطي حجازي ونشرته دار المعرفة بيروت 1986 من نسخة مخطوطة في جامعة كمبردج في بريطانيا

برقم 99161 في 194 صفحة بخط نسخ عادي سنة 1137هـ فاني قد وجدت الكتابين متطابقين ابتداء من المقدمة " الحمد لله الذي أعطى كل نفس خلقها وهداها وألهمها فجورها وتقواها ، وعلمها منافعها ومضارها ، وابتلاها وعافاها " ثم هناك اختصارا يسير لما أوضحه كتاب الطب من الكتاب والسنة لعبد اللطيف البغدادي.

وذكر البغدادي في المقدمة أنه رتب كتابه على ثلاثة فنون كالتالي :

(الفن الأول) في الطب علمه وعمله .

(الفن الثاني) في الأدوية والأغذية .

(الفن الثالث) في علاج الأمراض .

وهذا الكلام موجود بنصه في كتاب الذهبي بطبعة البابي الحلبي وطبعة دار احياء العلوم .

ثم يتحدث البغدادي عن الفن الأول : فالطب ينقسم الى جزء علمي وجزء عملي ، فالعلمي اجزاءُه ثلاثة : العلم بالامور الطبيعية ، والعلم بأحوال البدن ، والعلم بالعلامات

وهي في كتاب الذهي أربعة : العلم بالامور الطبيعية ،والعلم بأحوال بدن الانسان ، والعلم بالاسباب ، والعلم بالعلامات .

ثم نجد كلاهما يتحدث عن الامور الطبيعية فيقول أنها سبعة وكلاهما مطابق للآخر مطابقة تامة ما عدا اضافة ثلاثة أبيات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . عند الذهبي وغير موجودة عند البغدادي .

وكلاهما يتحدث عن الجزء الثاني من أجزاء الجزء العلمي في أحوال بدن الانسان ، بصورة متطابقة تماما ، والجزء الثالث من أجزاء الجزء النظري في الاسباب . وكلا الكتابين متطابقان تماما . وكذلك الجزء الرابع من أجزاء الجزء النظري في العلامات فهما متطابقان تماما .

ثم هناك عنوان عند الذهبي وغير موجود عند البغدادي وهو : الجملة الثالثة في قواعد الجزء ، ولكن ما تحت العنوان مباشرة كلام عن حفظ الصحة موجود بنصه في الكتابين دون أي اختلاف ، وقد تظهر بعض العناوين في كتاب البغدادي أو الذهبي غير موجودة في الآخر ولكن ما تحتهما واحد . وهذا هو عمل المحقق للكتاب .

والكتابان من أولهما الى آخرهما متطابقان ما عدا فصل صغير في آخر كتاب الذهبي تحت عنوان فصل في السماع ، موجود في 6 صفحات في كتاب الذهبي وغير موجود في كتاب البغدادي .

وقد ظننت أن الكتاب المنسوب الى الذهبي هو نفسه كتاب البغدادي الا أن ما نشره الدكتور عبد الحكيم الأنيس (كبير الباحثين بدائرة الشؤون الاسلامية بدبي) وموجود في الشبكة العنكبوتية (جوجل) تحت باب " كتاب الطب النبوي ليس للذهبي" جعل هذا الكتاب لطبيب نصراني أسلم على يد الامام ابن تيمية سنة 701 هـ ، وهو داود بن أبي الفرج (664 -737هـ) ولأهمية ما ذكره سننقله كاملا . ولكن مطابقة كتاب البغدادي للكتاب المنسوب الى الذهبي يحتاج الى مزيد من البحث حول هذه النقطة . وبما ان البغدادي يسبق داود بن ابي الفرج بحوالي قرنين من الزمان ، فإن الاصل لا بد ان يعود الى عبد اللطيف البغدادي ، وان من أتى بعده نقل منه .

كتاب الطب النبوي ليس للذهبي "

د. عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين أول بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي

من الأمور المهمة في تاريخ العلم التثبتُ التام من نسبة المؤلفات إلى مؤلفيها، وتحقيق القول في ذلك ، لما ينبني على هذا من مسائل جليلة ، منها

- نسبة الفضل إلى أهله.
- والمعرفة الحقة بتطور التأليف في كل فن
- والتقويم الصحيح لمؤلف الكتاب
- وعدم الوقوع في الوهم والالتباس في نسبة الآراء والأقوال.
- والخروج من الحيرة الكبيرة التي تسببها نسبة كتب إلى غير مؤلفيها إذا كان فيها ما لا ينسجم مع شخصية المؤلف المنسوبة إليه .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تتناول كتاب "الطب النبوي" الذي نُسب إلى الإمام الذهبي ، والى خمسةِ مؤلفين آخرين عاشوا مابين القرن السادس الهجري إلى القرن العاشر، فمَن هو مؤلف هذا الكتاب مِن بينهم ؟

وقبل الدخول في الجواب أود أن أحكي قصتي مع هذا الكتاب ، وهي باختصار: أنني في سنة 1408 – 1988م اقتنيت كتاباً كُتِبَ على غلافه "الطب في الكتاب والسنة " للإمام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، وحين طالعته اكتشفت أن هذه النسبة مزورة ، وذلك أن المؤلف ينقل في الكتاب عن عبد اللطيف البغدادي في عدة مواضع ، بل فيه نقول عن علماء وُلدوا بعد وفاة البغدادي –هذا غير الأخطاء الكثيرة التي وقعت فيه –

ثم اكتشفتُ أن هذا الكتاب هو نفس كتاب "الطب النبوي" المطبوع منسوباً إلى الذهبي ،وكتبت في ذلك مقالاً نشرته جريدةُ الاتحاد في بغداد بعددها (107) الصادر في 1651409هـ - 23 11 1989 ذكرت فيه هذا وقلت : "فهل يُعد هذا اكتشافاً للمؤلف الحقيقي ؟ هذا مايحتاج إلى دراسةٍ أخرى فهناك أكثر من مؤشر شك في نسبته إلى الذهبي أيضاً "

ومرت الأيام وأنا أتابع هذا الموضوع ، وقدّر الله لي أن أطالع كتاب "الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد " للإمام يوسف بن الحسن بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد (840- 909 هـ) فرأيته ترجم لعالم اسمُهُ داود المتطبب وقال عنه : "كان نصرانياً ثم أسلم على يد الشيخ ابن تيمية ، وبرع وصنف كتاب "الطب النبوي " وهو كتاب نافع، فيه علاجات ومفردات نبوية، وحكى فيه نصوصاً عن أحمد ، وكل ماذكر فيه من الطب مركب على قاعدة مذهب أحمد ، وذكر في آخره فصلاً في التشريح ، ولم أطلع على وقت وفاته ".

وأحال محقق الكتاب الدكتور عبد الرحمن العثيمين في الحاشية على "المعجم المختص بالمحدثين " للذهبي فرجعت إليه فرأيت الآتي :

" داود بن أبي الفرج ، الشيخ العالم الدمنهوري الدمشقي الطبيب . أسلم سنة إحدى وسبع مئة . وحفظ القرآن وتفقه وتعبد وسمع من جماعة، ونسخ صحيح البخاري وأتقنه ، ونسخ كتباً وأوقفها ، وارتزق بالمعالجة ، وكان تقياً مخلصاً ، توفي سنة سبع وثلاثين وسبع مئة عن أربع وستين سنة "

وترجم له المؤرخ المحدث علم الدين البرزالي فقال: "وفي ليلة الاثنين خامس ربيع الآخر توفي الشيخ الصالح الفاضل جمال الدين داود بن أبي الفرج بن أبي الحسين بن عمران الطبيب ، ودفن بمقبرة باب الصغير . وكان رجلاً مباركاً أسلم إسلاماً جيداً ، وفارق أهله وأقاربه وجفاهم في الله عز وجل ، وأقبل على

الاشتغال بالعلم والنسخ والعبادة ، ولم يزل عن ذلك إلى أن مات . ومولده في سنة أربع وستين وست مئة ، وسمع صحيح البخاري ونسخ بخطه ، وكتب الجمع بين الصحيحين وغير ذلك ، رحمه الله وإيانا"

نقل هذه الترجمة ابنُ الجرزي في تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه.

أقول : والمعلومات الواردة عن الكتاب "الطب النبوي" وعن هذا العالم الصالح تنطبق تمامَ الانطباق على الكتاب المنسوب إلى الذهبي ، فأسلوب الكتاب أسلوب طبيبٍ لا محدِّث ناقد كالذهبي ، ومؤلفه حنبليٌّ لا شافعي ، والذهبي شافعي باتفاق .

ثم إني لم أجد أحداً ممن ترجم للذهبي نسب إليه كتاباً في الطب النبوي، وقد رسخ هذا في نفسي ونفيتُ نسبة هذا الكتاب عن الذهبي وارتحتُ كثيراً من الإشكال الذي نشأ في نفسي حين قرأته ، ففي الكتاب أحاديث ضعيفة وموضوعة لايمكن للذهبي أن يوردها ويسكت عليها فضلاً عن أن يحتج بها ، بل منها أحاديث حكم عليه بالضعف أو النكارة أو البطلان في كتبه كميزان الاعتدال.

ونجد مؤلف الكتاب يقول في موضع منه :" قال ابن عباس : من اغتسل بماء مشمس فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه " ثم يقول :"قال أهل العلم بالحديث : هذا حديث موضوع "

فهو ينقل عن أهل العلم بالحديث , ولايمكن أن يكون هذا كلام الذهبي فهو من أهل الحديث الراسخين .

وهذا غير تعابير كثيرة بعيدة كثيراً عن أسلوب الذهبي، وطرقِ أهل الحديث في ذكر الأحاديث والاستشهاد بها.

ومن الشواهد على أن الاسلوب أسلوب طبيب قول المؤلف عن تحريم المعاشرة الزوجية في أثناء الحيض :" لأن هذا الدم هو دم فاسد فيضر بذكر الرجل ويقرحه , وقد رأيت ذلك " وليس للإمام الذهبي صلة بهذه الأمور .

ثم إن مؤلف الكتاب يقول :" وقد سألني بعض الأخوان أن أذكر له شيئاً من التشريح , وكيف يصل الغذاء إلى الأعضاء فأجبت سؤاله " ولاصلة للذهبي بهذه المسائل أصلاً.

وحَسَمَ هذا الاجتهاد عثوري على نسختين من الكتاب كُتِبَ عليهما اسم المؤلف الحقيقي : واحدة من مصر، والأخرى من تركيا، وقد حصلت على مصورةٍ من النسخة المصرية وفيها على الغلاف :

" كتاب في الطب النبوي للشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ داود بن أبي الفرج الحنبلي الدمشقي المتطبب.."

ورأيت عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده (ت :1078ه) كذلك قد نَسَبَ الكتاب إليه في كتابه " أسماء الكتب" فحمدتُ الله كثيراً على ماهداني إليه.

أما العلماء الآخرون الذين نُسب إليهم هذا الكتاب فهم :

- أبو الفرج ابن الجوزي (ت:597 هـ)
- ابن قيم الجوزية (ت:751هـ)
- جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)

ولا يمكن أن يكون لواحدٍ منهم أبداً.

وما يُقال عن نفي نسبته إلى موفق الدين البغدادي يُقال في نفي نسبته عن ابن الجوزي .

ونسبته إلى ابن القيم جاءت بخطٍ حديث كما في نسخة المكتبة الظاهرية .

ونسبته إلى السيوطي كما جاء في كشف الظنون خطأ قطعاً لأن المؤلف من أهل القرن الثامن بيقين إذ يذكر أربعة شيوخ له توفوا في ذلك القرن وهم : إبراهيم الرقي (ت704هـ) ، وعماد الدين الواسطي (ت711هـ) ، وابن تيمية (ت728هـ) ، والمزي (ت 742هـ) .

هذه خلاصةُ رحلةٍ امتدت سنوات مع هذا الكتاب ، والحمد لله على توفيقه في الوصول إلى حقيقةٍ يطمئن إليها القلب وتضع حداً لهذا الاضطراب واللبس اللذين أحاطا بالكتاب منذ مئات السنين ابتداء من سنة 808هـ .

وقد يُسأل : كيف حصل هذا اللبس ؟

فأقول : لعل الذهبي كَتَبَ نسخةً منه بخطه فظُن الكتابُ له ، أو لعل أحداً رأى في آخر الكتاب فصلاً في السماع نَقل فيه المؤلفُ عن الذهبي بقوله :"قال الشيخ الإمام العالم المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في مسئلته في السماع " وفي آخره تم كلام ابن الذهبي - كما في نسخةٍ- فظن الكتاب للذهبي . والله أعلم.

هذا, وقد اغترَّ بهذه النسبة المزورة ابنُ طولون (ت:953هـ) في كتابه " المنهل الروي في الطب النبوي " فنقل منه على أنه للذهبي, وهذا جانبُ ضعفٍ في هذا الكتاب.

ولقد طبع الكتاب منسوباً إلى الذهبي طبعات كثيرة منذ عام 1870م إلى اليوم, وآن أن يُطبع منسوباً إلى مؤلفه الحقيقي داود ابن أبي الفرج الدمشقي , وآن أن تُصحح نظرتنا إلى الذهبي بدفع التساؤل الكبير الذي يثيره ماوَرَد فيه من جوانب قصور.

انتهى كلام الدكتور عبد الحكيم الأنيس وأقول أن كتاب عبد اللطيف البغدادي " الطب من الكتاب والسنّة " الذي حققه الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ونشرته دار المعرفة ، بيروت عن نسخة خطيّة في مكتبة جامعة كمبردج بانجلترا برقم 99161 وتاريخ نسخها 11 صفر 1037 .

ويبدو ان الكتاب هو فعلا للبغدادي المتبحر في الحديث وعلوم الطب والتشريح واللغة وغيرها ...

وكلام الدكتور عبد الحكيم أنيس في نفيه لنسبة الكتاب لعبد اللطيف البغدادي غير مقنع ، ومع هذا فإن الامر يحتاج الى مزيد من البحث والتدقيق .

الفصل العشرون :

ابن الأكفاني
وفاته (749هـ - 1348م)
وكتبه الطبية

محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري شمس الدين أبو عبد الله السنجاري، طبيب، وعالم جواهر، اشتهر في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ولد في بلدة سنجار بالعراق وإليها نسب . كان أبوه يمتهن حرفة صناعة الأكفان فعرف بابن الأكفاني. طلب العلم فتفوق في عدة فنون وأتقن الرياضيات والحكمة، فكان إماما في الفلك والهندسة والحساب. كما كان من أفضل علماء عصره وأعلمهم بدراسة العقاقير الطبية وأنجحهم في مداواة الناس، ومستحضرا للتواريخ والأخبار، وحافظا للأشعار، وله في فنون الآداب تصانيف كثيرة .

انتقل ابن الأكفاني إلى مصر لدراسة الطب في فترة ازدهرت فيها الحياة الاقتصادية في عهد السلطان الناصر محمد الذي صار يتجمع لمناصرته أمراء المماليك المصريين، بعد فترة فتن ودسائس عانت فيها البلاد الفوضى والفساد، مع انخفاض فيضان النيل الذي تلفت بسببه الزراعة، وقلت المحاصيل، ونفق الكثير من الماشية والدواب، وارتفعت الأسعار. فلما تولى السلطان الناصر محمد الحكم واستقر له واحدا وثلاثين عاما قضاها في إصلاح أحوال البلاد، والنهوض بها أنشأ القناطر، وشق الترع الجديدة لزيادة الرقعة الزراعية، وأشرف على بناء الجسور لحماية البلاد من الفيضانات، وأوقف الأوقاف للمساجد و البيمارستانات .

وقد غذى هذه النهضة الحضارية العلماء والشيوخ الذين استطاعوا الهرب من العراق ومن المشرق الإسلامي فرارا من بطش المغول وعسفهم، كما لجأ إلى مصر والشام كذلك أفاضل العلماء الذين هاجروا من المغرب الإسلامي فرارا من بطش الفرنجة في الأندلس، ومن عدم الاستقرار في بلاد المغرب العربي وشمال أفريقية. وقد نزل هؤلاء جميعا على مصر والشام، حيث أكرموا ورتبت لهم الأرزاق التي تكفل لهم عيشة كريمة نظير قيامهم بالتدريس وبوظائف القضاء .

هاجر ابن الأكفاني من العراق مع جموع العلماء النازحين إلى مصر والشام، فاستقر به الحال في القاهرة ، حيث أكرموه. ولما كان له ما يؤهله كطبيب ويملك من الصفات الكثيرة بين نظرائه فقد أسند إليه رئاسة البيمارستان المنصوري (الذي عرف بعد ذلك بيمارستان قلاوون) . ومنذ توليه المنصب عرف عنه أنه شديد النظر لا يدخل شيء في البيمارستان إلا بعد عرضه عليه، فإن أجازه اشتراه الناظر، وإن لم يجزه لم يشتره البتة.

ولقد اشتهر ابن الأكفاني بطرقه المتميزة في علاج المرضى، فيقول: "أنا أعالج بما لم يستكره لهذه الأدوية التي يصفها الأطباء. وأعطي القدر اليسير مما يستطاب فيقوم مقام الكثير مما يعطونه مما لا يستطاب، ويكون ما أعطيته من نوع الغذاء وهو يقوم مقام الدواء ." وهذه نظرة عميقة يتبعها كبار الاطباء في التداوي بالغذاء بدلا من الدواء ، وبالدواء البسيط بدلا من الدواء المركب .

كان ابن الأكفاني متوقد الذكاء له سرعة ما لها روية، وذاكرة قوية، فكان يقرأ عليه قطعة من كتاب إقليدس في الهندسة، فيحلها بلا كلفة، كأنما هو ممثل بين عينيه، ويسرد باقي الكلام سردا، ثم يضع الشكل في حروفه على الرمل في التخت، وكان يحل علوم نصير الدين الطوسي بأجل عبارة. أما في الطب فكان إمام عصره، وغالب طبه بخواص ومفردات يأتي بها وما يعرفها أحد، وأما الأدب فهو فريد فيه، يفهم نكته ويذوق غوامضه، حتى عرف بمتعة حديثه، وفكاهة محاضراته. وكان يحفظ من الشعر شيئا كثيرا إلى الغاية، من شعر

العرب والمولدين والمحدثين والمتأخرين، ويعرف العروض والبديع جيدا. كما كان كثير الاطلاع على أحوال الناس وتراجمهم ووقائعهم ممن تقدمه وممن عاصره. وكان يأتي بأحدث الأخبار دائما وأحوال البلاد بما لم يطلع عليه الديوان .

ولقد اتصف ابن ا لأكفاني بجوار علمه بتجمله في بيته وملبسه ومركبه. فكان يرتدي البزة الفاخرة والخيل المسومة. وما زال ابن الأكفاني يعيش في رغد من العيش حتى كانت وفاته في الطاعون الذي حل بالعالم الإسلامي عام 749هـ / 1348 م.

مؤلفات ابن الاكفاني

ترك ابن الأكفاني عددا من المؤلفات في معارف شتى من أهمها: كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد وهو موسوعة علمية مختصرة ذكر فيها المصنف ستين علما منها العلوم العملية والعلوم النظرية والعلوم الاصلية والعلوم الرياضية (الهندسة والحساب والفلك والموسيقى) والعلم الالهي والمنطق . وكتابه هذا موجود مخطوطا في مكتبات كثيرة ، وطبع في الهند والقاهرة وغيرها . وكتاب الدر النظيم في أحوال العلوم والتعليم وهو كتاب مهم في بابه وذكر فيه مجموعة من كتبه ، وموجود منه مخطوطة في ليدن بهولندا والأخرى في النمسا . ومن مؤلفاته في الطب: كتاب غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ، وكتاب كشف الرين في أمراض العين وله ايضا كتاب النورية في الكحل (اي في طب العيون) ، وكتاب روضة الألباء في أخبار الأطباء ، وكتاب نهاية القصد في صناعة الفصد.

ومعظم كتب ابن الاكفاني وخاصة في الطب لا تزال مخطوطات .

<u>الطب النبوي وكتبه الطبيّة الأخرى :</u>

ولا شك ان علم ابن الاكفاني الواسع في الطب مع معرفته الواسعة لعلوم عصره تؤهله لان يكتب كتابا هاما في الطب النبوي وللاسف لا يزال هذا الكتاب مخطوطا (تيمورية طب2- القاهرة) . ويحتاج الى من يحققه ويعلق عليه وينشره .

ولابن الاكفاني كتاب مخطوط في الخزانة التيمورية (القاهرة) بعنوان بغية السائل في اختصار المسائل .

وقد ذكر صالح عباس مهدي اسماء الكتب التي الفها ابن الاكفاني والتي جاء ذكرها في كتابه الدر النظيم في أحوال العلوم والتعليم فبلغت 17 كتابا في شتى العلوم مثل الطب والصيدلة والفلاحة والكيمياء وعلم العدد .

وقد لخص ابن الاكفاني قانون ابن سينا وأدوية ابن البيطار وتذكرة ابن السويدي ، وكلها مراجع هامة في الطب وطب الاعشاب والصيدلة .

كما قام ابن الاكفاني بشرح فصول ابقراط في الطب .

ويعتبر كتاب غنية اللبب عند غيبة الطبيب من الكتب المهمة في هذا المجال الذي كتب فيه من قبل أبو بكر الرازي وابن الجزار وغيرهما . وقد قسمّه الى اربعة أقسام :

1- حفظ الصحة .
2- تدبير المرض من حيث لا يوجد طبيب .
3- وصايا نافعة لهذين الغرضين .
4- خواص مختبرة .

وقد حقق هذا الكتاب ونشره صالح مهدي عباس (بغداد 1989)

<u>وله كتاب نهاية القصد في صناعة الفصد</u>
لم تذكره المصادر، لكنّ حاجي خليفة وجد له مخطوطة في الأستانة، وذكر بروكلمان مخطوطة أخرى في القاهرة ، وتعْرَف اليوم مخطوطات أخرى.
ينقسم الكتاب إلى قسمين:

ويشتمل على (علم الفصد وعمله) يعني المؤلف بذلك: الأمور النظرية اللازمة للطبيب الذي يقوم بالفصد، والأمور العملية أي تفصيلات إجراء هذا التداخل الجراحي.
ففي (الباب الأول) ـ علم الفصد ـ يذكر دواعيَ إجراء الفصد واستطباباته وشروطه، والأوقات المناسبة للقيام به، وإمكانية تكراره.. إلخ.
وفي (الباب الثاني) ـ عمل الفصد ـ يعدّد العروق التي تفصد، ويصف الطريقة المتّبعة، ويذكر منافعه في كلّ حالة، وأخطاره واختلاطاته، وطرق التوقّي منها، وكيفية معالجتها إلخ.
ومن العروق التي تفصد: عرقا الصدغين، والوداجيان، والصافنان، والأسلمان، وحبلا الذراع، إلخ.
والفصد تقليد قديم في الطب العربي، والمؤلفات فيه كثيرة.

<u>وله كتاب كشف الرين في أحوال العين</u>
ذكره من أصحاب كتب التراجم صلاح الدين الصفدي (الوافي بالوفيات) وابن قاضي شهبة (التاريخ) وورد ذكر مخطوطاته عند حاجي خليفة (كشف الظنون..) وبروكلمان وشنن وغيرهم، فهي موجودة في القاهرة ، واستانبول وغيرها. وذكره المؤلف في كتابه (إرشاد القاصد..) .
وهذا الكتاب من أهم كتب طب العيون العربية التي ظهرت متأخرة، ولعلّه أحد أوضحها تبويباً. نقل عنه يحيى بن أبي الرجاء (صلاح الدين بن يوسف) في كتابه (نور العيون وجامع الفنون)، واختصره مؤلّفه بطلب من بعض أصدقائه في كتيّب أصغر حجماً سمّاه (تجريد كشف الرين).

يتكون الكتاب من ثلاثة مقالات:
الأولى: في (كلّيّات أحوال العين) وتشتمل على بابين:
أولهما: في (الأمور النظرية). وفيها (حدّ العين) و(خواصّ عين الإنسان) وأحوالها في حالتي الصحة والمرض، وأسباب هذه الأحوال. ويتألف هذا الباب من أربعة فصول.

أمّا الباب الثاني ففي (الأمور العملية) ويتألف من فصلين، أ ولهما في (حفظ صحة العين) والثاني في (معالجات العين الكلّيّة).
والمقالة الثانية من الكتاب مخصّصة لذكر (أمراض العين وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها).
ويأتي تسلسل الأمراض في هذه المقالة حسب أسلوب علي بن عيسى الذي يتّبع التسلسل التشريحي لأجزاء العين اتّباعاً صارماً. فهي تبدأ بذكر أمراض الجفن. وبعدها أمراض الملتحمة، ثم أمراض القرنية، فالعنبية. ثم تنتقل إلى ذكر أمراض أجزاء العين التي لا تظهر للطبيب الفاحص: (البيضية)، (العنكبوتية)، (الجليدية)، (الزجاجية)، (الشبكية)، (فالمشيمية).
وبعد ذلك يأتي المؤلف على ذكر أمراض الطبقة الصلبة فالعصب البصري، ثم أمراض الروح الباصر. وبعدها ينتقل المؤلف إلى أمراض عضل المقلة، ثم أمراض المأق. وفي نهاية المقالة يعرض المؤلف اثنيّ عشر مرضاً لا تختص بأحد أجزاء العين التشريحية: كضعف البصر، ورؤية الخيالات، والخفش، والجهر، والعشا، والقمور إلخ.
والمقالة الثالثة من كتاب (كشف الرين).. مخصّصة لأدوية العين، وهي مركبة من قسمين (جملتين):

في القسم الأول: عرض لأنواع الأدوية وأشكال تأثيراتها، وآلية ذلك. ويأتي تسلسل أسماء الأدوية على حروف المعجم.

والقسم الثاني (الجملة الثانية) مخصّص للأدوية العينية المركبة. وهو بابان.. في الباب الأول: الشيّافات، وفي الباب الثاني: الأكحال.

وكما يظهر جلياً من تصنيف هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يكون مستقلاً وأن لا يتبع ـ اتباعاً حرفياً ـ أحداً من المؤلفين الذين سبقوه، ومع ذلك فهو يحافظ على القواعد التي استنّها علي بن عيسى في التأليف.

ويبلغ عدد أمراض الجفن في هذا الكتاب أربعة وأربعين مرضاً مما يشير إلى تطور فهم المؤلف لعلم التصنيف وإتقانه علم التشخيص التفريقي وإطلاّعه على المؤلفات الأخرى المدرسية في طب العين إطّلاعاً واسعاً وعميقاً. ويؤكد ذلك أن عدد أمراض القرنية ـ مثلاً ـ يبلغ عنده أربعة عشر مرضاً.

<u>وله كتاب تجريد كشف الرين</u>

ذكره حاجي خليفة والبغدادي، وذكر بروكلمان مخطوطتين من هذا الكتاب واحدة في القاهرة وأخرى في لندن، وثمة نسخة أخرى في استانبول.

وقد اقترح ابن الأمشاطي على زميله نور الدين علي المناوي أن يشرح هذا الكتاب فشرحه وسمّى الشرح (وقاية العين في شرح تجريد كشف الرين).

الفصل الواحد والعشرون :

محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي الحنبلي
الشهير بابن قيم الجوزية
(691 – 751هـ / 1292 – 1349م)

ابن قيم الجوزية وكتابه الطب النبوي (جزء من كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد) (691-751هـ / / 1292-1349م) أشهر كتب الطب النبوي على الاطلاق وأكثرها انتشارا طبع عشرات المرات بتحقيق وبدون تحقيق ، وموجود على الشبكة العنكبوتية مجانا وممن حققه وعلق عليه ، الدكتور عبد المعطي حجازي ، طبعتة دار التراث القاهرة 1978 وطبعته دار الكتب العلمية من طبعة قديمة تم تصويرها بتعليق ، د. عادل الأزهري وتخريج الأحاديث محمود فرج العقدة ، كما طبعته مكتبة الحياة ببيروت 1984 بترجمة مختصرة لابن القيم وبدون تعليق على الكتاب .

اسمه ونسبه

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بشمس الدين، أبو عبد الله... وابن قيم الجوزية من عائلة دمشقية عرفت بالعلم والالتزام بالدين واشتهر خصوصاً بابن قيم الجوزية... وقيم الجوزية هو والده فقد كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن، واشتهر بذلك اللقب ذريته وحفدتهم من بعد ذلك، وقد شاركه بعض أهل العلم بهذه التسمية وتقع هذه المدرسة بالبزورية المسمى قديما سوق القمح أو سوق البزورية(أحد اسواق دمشق)، وبقي منها الآن بقية ثم صارت محكمة إلى سنة 1372هـ ، 1952 م .

مولده ونشأته

ولد في اليوم السابع من شهر صفر لعام691 هـ .الموافق 2 فبراير1292 م .ويقال أنه ولد في ازرع جنوب سوريا وقيل في دمشق .

عبادته وزهده

قال ابن رجب" :وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له، والانطراح بين يديه وعلى عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس بمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله. وقد أُمتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين(ابن تيمية) في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ولم يخرج إلا بعد موت الشيخ. وكان في مدة حبسه منشغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك. وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة. وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه . "

وقال ابن كثير" :لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك . "

وقال ابن حجر العسقلاني" :وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي، وكان يقول: بالصبر والفقر تنال الإمامة بالدين وكان يقول: لابد للسالك من همة تسيّره وترقّيه وعلم يبصرّه ويهديه" .

مهنته

1. الإمامة بمدرسة الجوزية.
2. التدريس بالصدرية، وأماكن أخرى.
3. التصدي للفتوى.
4. التأليف.

اتصاله بابن تيمية

اتفق المؤرخون على أن تأريخ اللقاء بين ابن قيم الجوزية وابن تيمية كان منذ سنة 712 هـ وهي السنة التي عاد فيها الشيخ ابن تيمية من مصر إلى دمشق واستقر فيها إلى أن مات سنة 728 هـ .وقد امتحن ابن القيم لمناصرته لشيخه وسجن معه. يقول ابن رجب: (وقد امتحن وأوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردا عنه ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ .(ويقول ابن حجر: (إنه اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة فلما مات أفرج عنه).

مشايخه

له عدد كبير من المشايخ منهم:

1 - قيم الجوزية : والده أبو بكر بن أيوب الزرعي الحنبلي .

2 - ابن تيمية .أخذ عنه الفقه والأصول

3 - ابن عبد الدائم :أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي مسند وقته.

4 - بدر الدين ابن جماعة.

5 - أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي.

6 - ابن الشيرازي : ذُكر في مشيخة ابن القيم ولم يُذكر نسبه فاختلف فيه.

7 - المجد الحراني :إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء شيخ الحنابلة.

8 - ابن مكتوم : إسماعيل الملقب بصدر الدين والمكنى بأبي الفداء بن يوسف بن مكتوم القيسي.

9 - الكحال : أيوب زين الدين بن نعمة النابلسي الكحال.

10- الإمام الحافظ الذهبي.

11- الحاكم :سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي مسند الشام وكبير قضاتها.

12- بنت الجوهر: فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي، المسندة المحدثة.

13- ابن أبي الفتح البعلي: قرأ عليه المخلص لأبي البقاء، ثم

قرأ الجرجانية ثم ألفية ابن مالك وأكثر الكافية والشافية وبعض التسهيل .

14- مجد الدين التونسي: قرأ عليه قطعة من المقرب لابن عصفور .

15- صفي الدين الهندي: أخذ عنه الفقه والأصول .

16- إسماعيل بن محمد الحراني: قرأ عليه الروضة لابن قدامة .

تــلاميذه : الإمام الحافظ ابن كثير، الإمام ابن رجب الحنبلي،علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي ، الحافظ ابن عبد الهادي :محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ، الفيروزآبادي :محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي صاحب القاموس.

مـؤلفاته :

بلغ بها الشيخ بكر أبو زيد 98 مؤلفا منها :

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.
- الوابل الصيّب من الكلم الطيّب .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
- الروح.
- زاد المعاد في هدي خير العباد.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.
- الطب النبوي. (وهو جزء من كتاب زاد المعاد)
- طريق الهجرتين وباب السعادتين.
- الطرق الحكمية.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
- الفروسية.
- الفوائد.
- أحكام أهل الذمة.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.
- بدائع الفوائد.
- التبيان في أقسام القرآن.
- تحفة المودود بأحكام المولود.
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

وفـــاتـــه :

توفي في ليلة الخميس 751/7/13هـ،1349 م في وقت أذان العشاء وبه كمل من العمر ستون سنة. وصلى عليه في الجامع الأموي بدمشق بعد صلاة الظهر ثم بجامع جراح وأزدحم الناس للصلاة عليه ودفن عند والدتهبمقبرة الباب الصغير .

كتاب الطب النبوي لابن القيم

لا شك أن الامام ابن القيم قد استفاد ممن ألفوا في الطب النبوي وقد أشار هو في عدة مواضع الى كتاب الطب النبوي لأبي نعيم الاصبهاني المتوفي سنة 543، وهو من أوسع الكتب في الطب النبوي . وقد أخذ أبو نعيم مادته من كتاب أبي بكر أحمد بن محمد المعروف بابن السني المتوفي سنة 364هـ . ثم قام الامام أبو نعيم بذكر الأحاديث العديدة في كل باب من الأبواب . واعتمد ابن القيم كذلك على كتاب " الطب من الكتاب والسنة " لعبد اللطيف البغدادي المتوفي سنة 629هـ ، وهو كتاب قيم وفريد في بابه ، كما اعتمد ابن القيم كذلك على كتاب علي بن عبد الكريم بن طرخان الكحال الحموي المتوفي سنة 720هـ " الأحكام النبوية في الصناعة الطبية " ، وللأسف لم يشر اليهما . ولكنه رجع الى كتب ابن سينا والرازي في الطب وذكرهما مرارا ، ولا شك أن ابن القيم امام في علم الحديث وله باع طويل في الفقه وعلوم اللغة ، ومعلوماته الطبية واسعة وتفوق الثقافة العامة في الطب لعلماء عصره .

ويمتاز كتاب ابن القيم بربطه الطب بالأيات القرآنية والأحاديث النبوية والأحكام الفقهية . وهو ما نشاهده في الجزء الأول من كتابه (الطب النبوي) حيث ذكر أن قواعد طب الأبدان ثلاثة : " حفظ الصحة ، والحمية عن المؤذي ، واستفراغ المواد الفاسدة ..." وذكر أدلته من القرآن الكريم والسنّة المطهرة .

ثم ذكر طب ّ القلوب وأن هذا القسم من الطب هو من أختصاص أطباء القلوب وهم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وعلى رأسهم إمامهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم انتقل مرة آخرى ليفصل في طب الأبدان وأسباب المرض ، ونرى عبارة عبد اللطيف البغدادي " وأحوال بدن الانسان ثلاثة : الصحة والمرض ، وحالة لا صحة ولا مرض كالناقة والشيخ" ، تتكرر باسلوب آخر حيث يقول : " وللبدن ثلاثة أحوال : حال طبيعية وحال خارجةعن الطبيعة ، وحال متوسطة بين الأمرين . فالأولى : بها يكون البدن صحيحا ، والثانية بها يكون مريضا . والحال الثالثة : هي متوسطة بين الحالتين ، فإن الضدّ لا ينتقل الى ضدّه الا بتوسط" .

ثم ينتقل ليفصّل في أسباب خروج البدن عن طبيعته وهو يدلّ على علم واسع بالطب في زمنه .
ويقول ابن القيم : " إن نسبة طب الأطباء الى الطب النبوي أنما هو كنسبة العجائز الى علم الطب . لان علم الطب لدى الاطباء أغلبه حدس وملاحظات وقياس بينما علم الطب النبوي هو وحي أوحاه الله سبحانه وتعالى الى رسوله ..

ولذلك جادل الاطباء جدالا قويا في فوائد الخمر الصحيّة وأنكرها ، كما جادلهم في سبب الطاعون و انه فساد في الهواء وأشار الى أنه سبب خفي لم يعرفه الاطباء وأشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه عن العدوى .
وفيما يلي سنستعرض كتاب ابن القيم رحمه الله .

الطـــب النبـوي
من كتـاب زاد المعـاد
الجـزء الأول

وأما طب الأبدان : فإنه نوعان :

في هديه في العلاج بشرب العسل ، والحجامة ، والكي .

واختلف الأطباء فى الحجامة على نقرة القفا ، وهى القمحدوة.

في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الصرع .

في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج عرق النسا .

في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج يبس الطبع ، واحتياجه إلى ما يمشيه ويلينه .

في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حكة الجسم وما يولد القمل.

المرض : نوعان : مرض القلوب ، ومرض الأبدان ، وهما مذكوران في القرآن .
ومرض القلوب : نوعان : مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغي ، وكلاهما في القرآن . قال تعالى في مرض الشبهة : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا " [البقرة : 110] وقال تعالى : " وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا " [المدثر : 31] وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن والسنة ، فأبى وأعرض : " وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون " [النور : 48 و 49] فهذا مرض الشبهات والشكوك .
وأما مرض الشهوات ، فقال تعالى : " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض " [الأحزاب : 32] . فهذا مرض شهوة الزنى ، والله أعلم .

فصل: مرض الابدان

وأما مرض الأبدان ، فقال تعالى : " ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج " [النور : 61] ، وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء لسر بديع يبين لك عظمة القرآن ، والإستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه ، وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة : حفظ الصحة ، والحمية عن المؤذي ، واستفراغ المواد الفاسدة ، فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة .

فقال في آية الصوم : " فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر " [البقرة : 184] ، فأباح الفطر للمريض لعذر المرض ، وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع شدة الحركة ، وما يوجبه من التحليل ، وعدم الغذاء الذي يخلف ما تحلل ، فتخور القوة ، وتضعف ، فأباح للمسافر الفطر حفظاً لصحته وقوته عما يضعفها .

وقال في آية الحج : " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " [البقرة : 196) ، فأباح للمريض ، ومن به أذى من رأسه ، من قمل ، أو حكة ، أو غيرهما ، أن يحلق رأسه في

الإحرام استفراغاً لمادة الأبخرة الرديئة التي أوجبت له الأذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر ، فإذا حلق رأسه ، تفتحت المسام ، فخرجت تلك الأبخرة منها ، فهذا الإستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه .

والأشياء التي يؤذي انحباسها ومدافعتها عشرة : الدم إذا هاج ، والمني إذا تبيغ ، والبول ، والغائط ، والريح ، والقئ ، والعطاس ، والنوم ، والجوع ، والعطش . وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الأدواء بحسبه .
وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها ، وهو البخار المحتقن في الرأس على استفراغ ما هو أصعب منه ، كما هي طريقة القرآن التنبيه بالأدنى على الأعلى .

وأما الحمية : فقال تعالى في آية الوضوء : " وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا " [النساء : 43) ، فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه ، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل أو خارج ، فقد أرشد - سبحانه - عباده إلى أصول الطب ومجامع قواعده ، ونحن نذكر هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ونبين أن هديه فيه أكمل هدي .

فأما طب القلوب ، فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم ، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها ، وفاطرها ، وبأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه ، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك ، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل ، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم ، فغلط ممن يظن ذلك ، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية ، وصحتها وقوتها ، وحياة قلبه وصحته ، وقوته عن ذلك بمعزل ، ومن لم يميز بين هذا وهذا ، فليبك على حياة قلبه ، فإنه من الأموات ، وعلى نوره ، فإنه منغمس في بحار الظلمات .

<u>**وأما طب الأبدان : فإنه نوعان :**</u> نوع قد فطر الله عليه الحيوان ناطقه وبهيمه ، فهذا لا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب ، كطب الجوع ، والعطش ، والبرد ، والتعب بأضدادها وما يزيلها .
<u>والثاني :</u> ما يحتاج إلى فكر وتأمل ، كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج ، بحيث يخرج بها عن الإعتدال ، إما إلى حرارة ، أو برودة ، أو يبوسة ، أو رطوبة ، أو ما يتركب من اثنين منها ، وهي نوعان : إما مادية ، وإما كيفية ، أعني إما أن يكون بانصباب مادة ، أو بحدوث كيفية ، والفرق بينهما أن أمراض الكيفية تكون بعد زوال المواد التي أوجبتها ، فتزول موادها ، ويبقى أثرها كيفية في المزاج .

وأمراض المادة أسبابها معها تمدها ، وإذا كان سبب المرض معه ، فالنظر في السبب ينبغي أن يقع أولاً ، ثم في المرض ثانياً ، ثم في الدواء ثالثاً . أو الأمراض الآلية وهي التي تخرج العضو عن هيئته ، إما في شكل ، أو تجويف ، أو مجرى ، أو خشونة ، أو ملاسة ، أو عدد ، أو عظم ، أو وضع ، فإن هذه الأعضاء إذا تألفت وكان منها البدن سمي تألفها اتصالاً ، والخروج عن الإعتدال فيه يسمى تفرق الإتصال ، أو الأمراض العامة التي تعم المتشابهة والآلية .

والأمراض المتشابهة : هي التي يخرج بها المزاج عن الإعتدال ، وهذا الخروج يسمى مرضاً بعد أن يضر بالفعل إضراراً محسوساً . وهي على ثمانية أضرب : أربعة بسيطة ، وأربعة مركبة ، فالبسيطة : البارد ، والحار ، والرطب ، واليابس ، والمركبة : الحار الرطب ، والحار اليابس ، والبارد الرطب ، والبارد اليابس ، وهي إما أن تكون بانصباب مادة ، أو بغير انصباب مادة ، وإن لم يضرّ المرض بالفعل يُسمّى خروجاً عن الإعتدال صحة .

وللبدن ثلاثة أحوال : حال طبيعية ، وحال خارجة عن الطبيعية ، وحال متوسطة بين الأمرين . فالأولى : بها يكون البدن صحيحاً ، والثانية : بها يكون مريضاً . والحال الثالثة : هي متوسطة بين الحالتين ، فإن الضد لا ينتقل إلى ضده إلا بمتوسط ، وسبب خروج البدن عن طبيعته ، إما من داخله ، لأنه مركب من الحار والبارد ، والرطب واليابس ، وإما من خارج ، فلأن ما يلقاه قد يكون موافقاً ، وقد يكون غير موافق ، والضرر الذي يلحق الإنسان قد يكون من سوء المزاج بخروجه عن الإعتدال ، وقد يكون من فساد في العضو ، وقد يكون من ضعف في القوى ، أو الأرواح الحاملة لها ، ويرجع ذلك إلى زيادة (ما الإعتدال في عدم زيادته) ، أو(نقصان ما الإعتدال في عدم نقصانه)، أو تفرّق (ما الإعتدال في اتصاله) ، أو اتصال (ما الإعتدال في تفرقه) ، أو امتداد (ما الإعتدال في انقباضه) ، أو خروج ذي وضع وشكل عن وضعه وشكله بحيث يخرجه عن اعتداله .

فالطبيب : هو الذي يفرّق ما يضرّ بالإنسان جمعه ، أو يجمع فيه ما يضرّه تفرّقه ، أو ينقص منه ما يضرّه زيادته ، أو يزيد فيه ما يضرّه نقصه ، فيجلب الصحة المفقودة ، أو يحفظها بالشكل والشبه ، ويدفع العلة الموجودة بالضدّ والنقيض ، ويخرجها ، أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية ، وسترى هذا كله في هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم شافياً كافياً بحول الله وقوته ، وفضله ومعونته .

فصل في التداوي

فكان من هديه صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه ، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه ، ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبّة التي تسمى أقراباذين ، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات ، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه ، أو يكسر سورته ، وهذا غالب طبّ الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك ، وأهل البوادي قاطبة ، وإنما عُني بالمركبات الروم واليونانيون ، وأكثر طب الهند بالمفردات .

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركّب .

قالوا : وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية ، لم يحاول دفعه بالأدوية .
قالوا : ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية ، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله ، أو وجد داء لا يوافقه ، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه ، أو كيفيته ، تشبّث بالصحة ، وعبث بها . وأرباب التجارب من الأطباء طبّهم بالمفردات غالباً،وهم أحد فرق الطبّ الثلاث.

والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية ، فالأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات ، أمراضها قليلة جداً ، وطبّها بالمفردات ، وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة ، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة ، فالأدوية المركبة أنفع لها ، وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة ، فيكفي في مداواتها الأدوية المفردة ، فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية .

ونحن نقول : إن ها هنا أمراً آخر ، نسبة طب الأطباء إليه كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبهم ، وقد اعترف به حذاقهم وأئمتهم ، فإن ما عندهم من العلم بالطب منهم من يقول : هو قياس . ومنهم من يقول : هو تجربة . ومنهم من يقول : هو إلهامات ، ومنامات ، وحدس صائب . ومنهم من يقول : أخذ كثير منه من الحيوانات البهيمية ، كما نشاهد السنانير إذا أكلت ذوات السموم تعمد إلى السراج ، فتلغ في الزيت تتداوى به ، وكما رؤيت الحيات إذا خرجت من بطون الأرض ، وقد عشيت أبصارها تأتي إلى ورق الرازيانج ، فتمر

عيونها عليها . وكما عهد من الطير الذي يحتقن بماء البحر عند انحباس طبعه ، وأمثال ذلك مما ذكر في مبادئ الطب .

وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضرّه ، فنسبة ما عندهم من الطبّ إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء ، بل ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم ، وأقيستهم من الأدوية القلبية ، والروحانية ، وقوة القلب ، واعتماده على الله ، والتوكل عليه ، والإلتجاء إليه ، والإنطراح والإنكسار بين يديه ، والتذلل له ، والصدقة ، والدعاء ، والتوبة ، والإستغفار ، والإحسان إلى الخلق ، وإغاثة الملهوف ، والتفريج عن المكروب ، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها ، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ، ولا تجربته ، ولا قياسه .

وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة ، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية ، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطرقية عند الأطباء ، وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية ليس خارجاً عنها ، ولكن الأسباب متنوعة فإن القلب متى اتصل برب العالمين ، وخالق الداء والدواء ، ومدبر الطبيعة ومصرّفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه ، وقد علم أن الأرواح متى قويت ، وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره ، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه ، وفرحت بقربها من بارئها ، وأنسها به ، وحبَّها له ، وتنعمّها بذكره ، وانصراف قواها كلها إليه ، وجمعها عليه ، واستعانتها به ، وتوكلها عليه ، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية ، وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية ، ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس ، وأغلظهم حجاباً ، وأكثفهم نفساً ، وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسانية ، وسنذكر إن شاء الله السبب الذي به أزالت قراءة الفاتحة داء اللدغة عن اللديغ التي رقي بها ، فقام حتى كأن ما به قلبة .

فهذان نوعان من الطب النبوي ، نحن بحول الله نتكلم عليهما بحسب الجهد والطاقة ، ومبلغ علومنا القاصرة ، ومعارفنا المتلاشية جداً ، وبضاعتنا المزجاة ، ولكنا نستوهب من بيده الخير كله ، ونستمد من فضله ، فإنه العزيز الوهاب .

فصل : (لكل داء دواء) والتداوى من قدر الله

روى مسلم في صحيحه : من حديث أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء ، برأ بإذن الله عز وجل " .

وفي الصحيحين : عن عطاء ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء " .

وفي مسند الإمام أحمد : من حديث زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الأعراب ، فقالوا : يا رسول الله ! أنتداوى ؟ فقال : " نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد ، قالوا : ما هو ؟ قال : الهرم " . وفي لفظ : " إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله " .

وفي المسند : من حديث ابن مسعود يرفعه : " إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله " وفي المسند و السنن : عن أبي خزامة ، قال : قلت : يا رسول الله ! أرأيت رقى نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : " هي من قدر الله " .

فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات ، وإبطال قول من أنكرها ، ويجوز أن يكون قوله : " لكل داء دواء " ، على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة ، والأدواء التي لا يمكن لطبيب أن يبرئها ، ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدوية تبرئها ، ولكن طوى علمها عن البشر ، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً ، لأنه لا علم للخلق إلا ما علّمهم الله ، ولهذا علّق النبي صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء ، فإنه لا شئ من المخلوقات إلا له ضد ، وكل داء له ضدّ من الدواء يعالج بضدّه ، فعلّق النبي صلى الله عليه وسلم البرء بموافقة الداء للدواء ، وهذا قدر زائد على مجرد وجوده ، فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكميّة على ما ينبغي ، نقله إلى داء آخر ، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته ، وكان العلاج قاصراً ، ومتى لم يقع المداوي على الدواء ، أو لم يقع الدواء على الداء ، لم يحصل الشفاء ، ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء ، لم ينفع ، ومتى كان البدن غير قابل له ، أو القوة عاجزة عن حمله ، أو ثمَّ مانع يمنع من تأثيره ، لم يحصل البرء لعدم المصادفة ، ومتى تمت المصادفة حصل البرء بإذن الله ولا بد ، وهذا أحسن المحملين في الحديث .

والثاني : أن يكون من العام المراد به الخاص ، لا سيما والداخل في اللفظ أضعاف أضعاف الخارج منه ، وهذا يستعمل في كل لسان ، ويكون المراد أن الله لم يضع داء يقبل الدواء إلا وضع له دواء ، فلا يدخل في هذا الأدواء التي لا تقبل الدواء ، وهذا كقوله تعالى في الريح التي سلطها على قوم عاد : " تدمر كل شيء بأمر ربها " [الأحقاف : 25] أي كل شئ يقبل التدمير ، ومن شأن الريح أن تدمره ، ونظائره كثيرة .

ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم ، ومقاومة بعضها لبعض ، ودفع بعضها ببعض ، وتسليط بعضها على بعض ، تبين له كمال قدرة الرب تعالى ، وحكمته ، وإتقانه ما صنعه ، وتفرده بالربوبية ، والوحدانية ، والقهر ، وأن كل ما سواه فله ما يضاده ويمانعه ، كما أنه الغني بذاته ، وكل ما سواه محتاج بذاته .

وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافيه دفع داء الجوع ، والعطش ، والحر ، والبرد بأضدادها ، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً ، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل ، كما يقدح في الأمر والحكمة ، ويضعفه من حيث يظن مُعطلّها أن تركها أقوى في التوكل ، فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضرّه في دينه ودنياه ، ولا بد مع هذا الإعتماد من مباشرة الأسباب ، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ، ولا توكله عجزاً .

وفيها ردٌّ على من أنكر التداوي ، وقال : إن كان الشفاء قد قُدِّر ، فالتداوي لا يفيد ، وإن لم يكن قد قُدّر ، فكذلك . وأيضاً ، فإن المرض حصل بقدر الله ، وقدر الله لا يُدفع ولا يُردّ ، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما أفاضل الصحابة ، فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا ، وقد أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بما شفى وكفى ، فقال : هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله ، فما خرج شئ عن قدره ، بل يُردّ قدره بقدره ، وهذا الردّ من قدره ، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما ، وهذا كردّ قدر الجوع ، والعطش والحر ، والبرد بأضدادها ،وكردّ قدر العدو بالجهاد، وكلٌ من قدر الله : الدافع ، والمدفوع والدفع .

ويقال لمورد هذا السؤال : هذا يوجب عليك أن لا تباشر سبباً من الأسباب التي تجلب بها منفعة ، أو تدفع بها مضرّة ، لأن المنفعة والمضرّة إن قدرتا ، لم يكن بدٌّ من وقوعهما ، وإن لم تقدّرا لم يكن سبيل إلى وقوعهما ، وفي ذلك خراب الدين والدنيا ، وفساد العالم ، وهذا لا يقوله إلا دافع للحقٍّ ، معاند له ، فيذكر القدر ليدفع حُجّة المحقّ عليه ، كالمشركين الذين قالوا : " لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا " [الأنعام : 148] ، و " لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا " [النحل : 35] ، فهذا قالوه دفعاً لحجة الله عليهم بالرسل .

وجواب هذا السائل أن يقال : بقي قسم ثالث لم تذكره ، هو أن الله قدّر كذا وكذا بهذا السبب ، فإن أتيت بالسبب حصل المسبب ، وإلا فلا ، فإن قال : إن كان قدّر لي السبب ، فعلته ، وإن لم يقدره لي لم أتمكن من فعله .

قيل : فهل تقبل هذا الإحتجاج من عبدك ، وولدك ، وأجيرك إذا احتج به عليك فيما أمرته به ، ونهيته عنه فخالفك ؟ فإن قبلته ، فلا تلم من عصاك ، وأخذ مالك ، وقذف عرضك ، وضيّع حقوقك ، وإن لم تقبله ، فكيف يكون مقبولاً منك في دفع حقوق الله عليك. وقد روي في أثر إسرائيلي : أن إبراهيم الخليل قال : يا ربِّ ممن الداء ؟ قال : منّي . قال : فممّن الدواء ؟ قال : مني. قال : فما بال الطبيب ؟ . قال : رجل أرسل الدواء على يديه .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " لكل داء دواء" ، تقوية لنفس المريض والطبيب ، وحثٌّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه ، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله ، تعلّق قلبه بروح الرجاء ، وبردت عنده حرارة اليأس ، وانفتح له باب الرجاء ، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية ، وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ، ومتى قويت هذه الأرواح ، قويت القوى التي هي حاملة لها ، فقهرت المرض ودفعته .

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه . وأمراض الأبدان على أوزان أمراض القلوب ، وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده ، فإن علمه صاحب الداء واستعمله ، وصادف داء قلبه ، أبرأه بإذن الله تعالى .

فصل : الاقلال من الطعام معين على الصحة

في هديه صلى الله عليه وسلم في الإحتماء من التخم ، والزيادة في الأكل على قدر الحاجة ، والقانون الذي ينبغي مراعاته في الأكل والشرب
في المسند وغيره : عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بدّ فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه " .

والأمراض نوعان : أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرّت بأفعاله الطبيعية ، وهي الأمراض الأكثرية ، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول ، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن ، وتناول الأغذية القليلة النفع ، البطيئة الهضم ، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة ، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية ، واعتاد ذلك ، أورثته أمراضاً متنوعة ، منها بطيء الزوال وسريعه ، فإذا توسط في الغذاء ، وتناول منه قدر الحاجة ، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير .

ومراتب الغذاء ثلاثة : أحدها : مرتبة الحاجة . والثانية : مرتبة الكفاية . والثالثة : مرتبة الفضلة . فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم : أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه ، فلا تسقط قوته ، ولا تضعف معها ، فإن تجاوزها ،

فليأكل في ثلث بطنه ، ويدع الثلث الآخر للماء ، والثالث للنفس ، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب ، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس ، وعرض له الكرب والتعب بحمله ، بمنزلة حامل الحمل الثقيل ، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب ، وكسل الجوارح عن الطاعات ، وتحرّكها في الشهوات التي يستلزمها الشبع . فامتلاء البطن من الطعام مضرّ للقلب والبدن .

هذا إذا كان دائماً أو أكثرياً . وأما إذا كان في الأحيان ، فلا بأس به ، فقد شرب أبو هريرة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من اللبن ، حتى قال : والذي بعثك بالحق ، لا أجد له مسلكاً . وأكل الصحابة بحضرته مراراً حتى شبعوا .
والشبع المفرط يضعف القوى والبدن ، وإن أخصبه ، وإنما يقوى البدن بحسب ما يقبل من الغذاء ، لا بحسب كثرته . ولما كان في الإنسان جزء أرضي ، وجزء هوائي ، وجزء مائي ، قسم النبي صلى الله عليه وسلم طعامه وشرابه ونفسه على الأجزاء الثلاثة .

أن الله سبحانه وتعالى ذكر خلق الإنسان في كتابه في مواضع متعددة ، يخبر في بعضها أنه خلقه من ماء ، وفي بعضها أنه خلقه من تراب ، وفي بعضها أنه خلقه من المركب منهما وهو الطين ، وفي بعضها أنه خلقه من صلصال كالفخار ، وهو الطين الذي ضربته الشمس والريح حتى صار صلصالاً كالفخار ، ولم يخبر في موضع واحد أنه خلقه من نار ، بل جعل ذلك خاصية إبليس . وثبت في صحيح مسلم : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم " ، وهذا صريح في أنه خلق مما وصفه الله في كتابه فقط ، ولم يصف لنا سبحانه أنه خلقه من نار ، ولا أن في مادته شيئاً من النار .

فصل : علاجه صلى الله عليه وسلم للأمراض

وكان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض ثلاثة أنواع . . .
أحدها : بالأدوية الطبيعية .
والثاني : بالأدوية الإلهية .
والثالث : بالمركب من الأمرين .

ونحن نذكر الأنواع الثلاثة من هديه صلى الله عليه وسلم ، فنبدأ بذكر الأدوية الطبيعية التي وصفها واستعملها ، ثم نذكر الأدوية الإلهية ، ثم المركبة .

وهذا إنما نشير إليه إشارة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث هادياً ، وداعياً إلى الله ، وإلى جنته ، ومعرفاً بالله ، ومبيناً للأمة مواقع رضاه وآمراً لهم بها ، ومواقع سخطه وناهياً لهم عنها ، ومخبرهم أخبار الأنبياء والرسل وأحوالهم مع أممهم ، وأخبار تخليق العالم ، وأمر المبدأ والمعاد ، وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها ، وأسباب ذلك .

وأما طب الأبدان : فجاء من تكميل شريعته ، ومقصوداً لغيره ، بحيث إنما يستعمل عند الحاجة إليه ، فإذا قدر على الإستغناء عنه، كان صرف الهمم والقوى إلى علاج القلوب والأرواح ، وحفظ صحتها ، ودفع أسقامها ، وحميتها مما يفسدها هو المقصود بالقصد الأول ، وإصلاح البدن بدون إصلاح القلب لا ينفع ، وفساد البدن مع إصلاح القلب مضرته يسيرة جداً ، وهي مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة ، وبالله التوفيق .
ذكر القسم الأول وهو العلاج بالأدوية الطبيعية

فصل في هديه في علاج الحمى

ثبت في الصحيحين : عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إنما الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء. "

وقد أشكل هذا الحديث على كثير من جهلة الأطباء ، ورأوه منافياً لدواء الحمى وعلاجها ، ونحن نبيّن بحول الله وقوته ، وجهه وفقهه ، فنقول: خطاب النبي صلى الله عليه وسلم نوعان : عام لأهل الأرض ، وخاص ببعضهم ، فالأول : كعامة خطابه ، والثاني : كقوله : " لا تستقبلوا القبلة بغائط ، ولا بول ، ولا تستدبروها ، ولكن شرّقوا ، أو غرّبوا " فهذا ليس بخطاب لأهل المشرق والمغرب ولا العراق ، ولكن لأهل المدينة وما على سمتها ، كالشام وغيرها . وكذلك قوله : " ما بين المشرق والمغرب قبلة. "

وإذا عرف هذا ، فخطابه في هذا الحديث خاص بأهل الحجاز ، وما والاهم ، إذ كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس ، وهذه ينفعها الماء البارد شرباً واغتسالاً ، فإن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب ، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن ، فتشتعل فيه اشتعالاً يضر بالأفعال الطبيعية ، وهي تنقسم إلى قسمين : عرضية : وهي الحادثة إما عن الورم ، أو الحركة ، أو إصابة حرارة الشمس ، أو القيظ الشديد ونحو ذلك.

ومرضية : وهي ثلاثة أنواع ، وهي لا تكون إلا في مادة أولى ، ثم منها يسخن جميع البدن . فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم ، لأنها في الغالب تزول في يوم ، ونهايتها ثلاثة أيام ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سميت عفنية ، وهي أربعة أصناف : صفراوية ، وسوداوية ، وبلغمية ، ودموية . وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية ، سميت حمى دق ، وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة.

وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعاً عظيماً لا يبلغه الدواء ، وكثيراً ما يكون حمى يوم ، وحمى العفن سبباً لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها ، وسبباً لتفتح سدد لم يكن تصل إليها الأدوية المفتحة.

وأما الرمد الحديث والمتقادم ، فإنها تبرئ أكثر أنواعه برءاً عجيباً سريعاً ، وتنفع من الفالج ، واللقوة ، والتشنج الإمتلائي ، وكثيراً من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة.

وقال لي بعض فضلاء الأطباء : إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى ، كما يستبشر المريض بالعافية ، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير ، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن ، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها ، فأخرجها ، فكانت سبباً للشفاء.

وإذا عرف هذا ، فيجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية ، فإنها تسكن على المكان بالإنغماس في الماء البارد، وسقي الماء البارد المثلوج ، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر ، فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح ، فيكفي في زوالها مجرد وصول كيفية باردة تسكنها ، وتخمد لهبها من غير حاجة إلى استفراغ مادة ، أو انتظار نضج.

ويجوز أن يراد به جميع أنواع الحميات ، وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس : بأن الماء البارد ينفع فيها ، قال في المقالة العاشرة من كتاب حيلة البرء : ولو أن رجلاً شاباً حسن اللحم ، خصب البدن في وقت القيظ ، وفي وقت منتهى الحمى ، وليس في أحشائه ورم ، استحم بماء بارد أو سبح فيه ، لانتفع بذلك . قال : ونحن نأمر بذلك.

وقال الرازي في كتابه الكبير(الحاوي في الطب) : إذا كانت القوة قوية ، والحمى ، حادّة جداً ، والنضج بيّن ولا ورم في الجوف ، ولا فتق ، ينفع الماء البارد شرباً ، وإن كان العليل خصب البدن والزمان حارّ ، وكان معتاداً لاستعمال الماء البارد من خارج ، فليؤذن فيه.

وقوله : " الحمى من فيح جهنم " ، هو شدة لهبها ، وانتشارها ، ونظيره : قوله : " شدة الحر من فيح جهنم " وفيه وجهان.

أحدهما : أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتقّت من جهنّم ليستدّل بها العباد عليها ، ويعتبروا بها ، ثم إن الله سبحانه قدّر ظهورها بأسباب تقتضيها ، كما أن الروح والفرح و السرور واللذّة من نعيم الجنة أظهرها الله في هذه الدار عبرة ودلالة ، وقدَّر ظهورها بأسباب توجبها.
والثاني : أن يكون المراد التشبيه ، فشبّه شدّة الحمى ولهبها بفيح جهنم ، وشبّه شدة الحر به أيضاً تنبيهاً للنفوس على شدة عذاب النار ، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهّة بفيحها ، وهو ما يصيب من قرب منها من حرّها.
وقوله : فأبردوها ، روي بوجهين : بقطع الهمزة وفتحها ، رباعي : من أبرد الشئ : إذا صيّره بارداً ، مثل أسخنه : إذا صيّره سخناً.
والثاني : بهمزة الوصل مضمومة من برد الشئ يبرده ، وهو أفصح لغة واستعمالاً ، والرباعي لغة رديئة عندهم قال:
إذا وجدت لهيب الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترِدُ
هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار علي الأحشاء تتّقدُ

وقوله : بالماء ، فيه قولان . أحدهما : أنه كل ماء وهو الصحيح . والثاني : أنه ماء زمزم ، واحتج أصحاب هذا القول بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي ، قال : كنت أجالس ابن عباس بمكة ، فأخذتني الحمى ، فقال : أبردها عنك بماء زمزم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ، أو قال: بماء زمزم " . وراوي هذا قد شكّ فيه ، ولو جزم به لكان أمراً لأهل مكة بماء زمزم ، إذ هو متيّسر عندهم ، ولغيرهم بما عندهم من الماء.

ثم اختلف من قال : إنه على عمومه ، هل المراد به الصدقة بالماء ، أو استعماله ؟ على قولين . والصحيح أنه استعمال ، وأظن أن الذي حمل من قال : المراد الصدقة به أنه أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ، ولم يفهم وجهه مع أن لقوله وجهاً حسناً ، وهو أن الجزاء من جنس العمل ، فكما أخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد ، أخمد الله لهيب الحمّى عنه جزاء وفاقاً ، ولكن هذا يؤخذ من فقه الحديث وإشارته ، وأما المراد به فاستعماله.

وقد ذكر أبو نعيم وغيره من حديث أنس يرفعه : " إذا حُمَّ أحدكم ، فليرشَّ عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر. "
وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة يرفعه : " الحمى كير من كير جهنم ، فنحّوها عنكم بالماء البارد. "
وفي المسند وغيره ، من حديث الحسن ، عن سمرة يرفعه : " الحُمّى قطعة من النار ، فأبردوها عنكم بالماء البارد " ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حُمَّ دعا بقربة من ماء ، فأفرغها على رأسه فاغتسل.
وفي السنن : من حديث أبي هريرة قال : ذُكرت الحمّى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبها رجل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تسبّها فإنها تنفي الذنوب ، كما تنفي النار خبث الحديد. "

ولما كانت الحمى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة ، وتناول الأغذية والأدوية النافعة ، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن ، ونفي أخباثه وفضوله ، وتصفيته من مواده الرديئة ، وتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي

خبثه ، وتصفية جوهره ، كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفّي جوهر الحديد ، وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان.

وأما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه ، وإخراجها خبائثه ، فأمر يعلمه أطباء القلوب ، ويجدونه كما أخبرهم به نبيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن مرض القلب إذا صار مأيوساً من برئه ، لم ينفع فيه هذا العلاج. فالحمى تنفع البدن والقلب ، وما كان بهذه المثابة فسبّه ظلم وعدوان ، وذكرت مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسبّها:

زارت مكفرة الذنـوب وودعـت   تُبّـاً لهـا مـن زائـر ومودّع
قالت وقد عزمت على ترحالها   ماذا تريد فقلت أن لا ترجعي
فقلت : تُبّاً له إذ سبَّ ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّه ، ولو قال:
زارت مكفـــرة الذنوب لصبّهـا   أهلاً بهـــا مـــن زائر ومودّع ِ
قالت وقد عزمت على ترحالها   ماذا تريد فقلت : أن لا تقلعي

لكان أولى به ، ولأقلعت عنه ، فأقلعت عني سريعاً . وقد روي في أثر لا أعرف حاله حُمّى يوم كفّارة سنة ، وفيه قولان أحدهما : أن الحمى تدخل في كل الأعضاء والمفاصل ، وعدتها ثلاثمائة وستون مفصلاً ، فتكفّر عنه - بعدد كل مفصل - ذنوب يوم. والثاني : أنها تؤثر في البدن تأثيراً لا يزول بالكلية إلى سنة ، كما قيل في قوله صلى الله عليه وسلم : " من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً " : إن أثر الخمر يبقى في جوف العبد ، وعروقه ، وأعضائه أربعين يوماً والله أعلم.

قال أبو هريرة : ما من مرض يصيبني أحبَّ إلي من الحمّى ، لأنها تدخل في كل عضو منّي ، وإن الله سبحانه يعطي كل عضو حظّه من الأجر.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث رافع بن خديج يرفعه : " إذا أصابت أحدكم الحمّى - وإن الحمّى قطعة من النار - فليطفئها بالماء البارد ويستقبل نهراً جارياً ، فليستقبل جرية الماء بعد الفجر وقبل طلوع الشمس ، وليقل : بسم الله اللهم اشف عبدك ، وصدق رسولك ، وينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام ، فان برئ ، وإلا ففى خمس ، فإن لم يبرأ في خمس ، فسبع ، فإن لم يبرأ في سبع فتسع ، فإنها لا تكاد تجاوز تسعاً بإذن الله. "

قلت : وهو ينفع فعله في فصل الصيف في البلاد الحارة على الشرائط التي تقدمت ، فإن الماء في ذلك الوقت أبرد ما يكون لبعده عن ملاقاة الشمس ، ووفور القوى في ذلك الوقت لما أفادها النوم ، والسكون ، وبرد الهواء ، فتجتمع فيه قوة القوى ، وقوة الدواء ، وهو الماء البارد على حرارة الحمّى العرضية ، أو الِغبّ الخالصة ، أعني التي لا ورم معها ، ولا شئ من الأعراض الرديئة والمواد الفاسدة ، فيطفئها بإذن الله ، لا سيما في أحد الأيام المذكورة في الحديث ، وهي الأيام التي يقع فيها بحران الأمراض الحادة كثيراً ، سيما في البلاد المذكورة لرقة أخلاط سكانها ، وسرعة انفعالهم عن الدواء النافع .

فصل في هديه في علاج استطلاق البطن واستخدام العسل

في الصحيحين : من حديث أبي المتوكل ، عن أبي سعيد الخدري ، " أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أخي يشتكي بطنه : وفي رواية : استطلق بطنه ، فقال : اسقه عسلاً ، فذهب ثم رجع ، فقال : قد

سقيته ، فلم يغن عنه شيئاً. وفي لفظ : فلم يزده إلا استطلاقاً مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول له : اسقه عسلاً ، فقال له في الثالثة أو الرابعة : صدق الله ، وكذب بطن أخيك. "

وفي صحيح مسلم في لفظ له : " إن أخي عرَب بطنه " ، أي فسد هضمه ، واعتلت معدته ، والاسم العَرَب بفتح الراء ، والذرب أيضاً.
والعسل فيه منافع عظيمة ، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها ، محلّل للرطوبات أكلاً وطلاءً ، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ، ومن كان مزاجه بارداً رطباً ، وهو مغذّ مليّن للطبيعة ، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه ، مُذهب لكيفيات الأدوية الكريهة ، منّق للكبد والصدر ، مدرّ للبول ، موافق للسعال الكائن عن البلغم ، وإذا شرب حاراً بدهن الورد ، نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون ، وإن شرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضة الكلب الكَلِب ، وأكل الفطر القتال ، وإذا جعل فيه اللحم الطري ، حفظ طراوته ثلاثة أشهر ، وكذلك إن جعل فيه القثاء ، والخيار ، والقرع ، والباذنجان ، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر ، ويحفظ جثة الموتى ، ويسمى الحافظ الأمين . وإذا لُطِّخ َبه البدن المقمّل والشعر ، قتل قمله وصئبانه ، وطوّل الشعر ، وحسنّه ، ونعمّه ، وإن اكتحل به ، جلا ظلمة البصر ، وإن استنّ به ، بيّض الأسنان وصقلها ، وحفظ صحتها ، وصحة اللثة ، ويفتح أفواه العروق ، ويدّر الطمث ، ولعقه على الريق يذهب البلغم ، ويغسل خمل المعدة ، ويدفع الفضلات عنها ، ويسخنها تسخيناً معتدلاً ، ويفتح سددها ، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة ، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو.
وهو مع هذا كله مأمون الغائلة ، قليل المضارّ ، مضرٌّ بالعرض للصفراويين ، ودفعها بالخل ونحوه ، فيعود حينئذ نافعاً له جداً.

وهو غذاء مع الأغذية ، ودواء مع الأدوية ، وشراب مع الأشربة ، وحلو مع الحلوى ، وطلاء مع الأطلية ، ومفرح مع المفرحات ، فما خلق لنا شئ في في معناه أفضل منه ، ولا مثله ، ولا قريباً منه ، ولم يكن معول القدماء إلا عليه ، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة ، ولا يعرفونه ، فإنه حديث العهد حدث قريباً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشربه بالماء على الريق ، وفي ذلك سرٌّ بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل ، وسنذكر ذلك إن شاء الله عند ذكر هديه في حفظ الصحة.

وفي سنن ابن ماجه مرفوعاً من حديث أبي هريرة " من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر ، لم يصبه عظيم من البلاء " ، وفي أثر آخر : " عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن " فجمع بين الطب البشري والإلهي ، وبين طب الأبدان ، وطب الأرواح ، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي .

إذا عرف هذا ، فهذا الذي وصف له النبي صلى الله عليه وسلم العسل ، كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته عن امتلاء ، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء ، فإن العسل فيه جلاء ، ودفع للفضول ، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة ، تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها ، فإن المعدة لها خمل كخمل القطيفة ، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة ، أفسدتها وأفسدت الغذاء ، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط ، والعسل جلاء ، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء ، لا سيما إن مزج بالماء الحار.

وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع ، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار ، وكمية بحسب حال الداء ، إن قصر عنه ، لم يزله بالكلية ، وإن جاوزه . أوهى القوى ، فأحدث ضرراً آخر ، فلما أمره أن يسقيه العسل ، سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء ، ولا يبلغ الغرض ، فلما أخبره ، علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة ، فلما تكرَّر ترداده إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أكدَّ عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء ، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء ، برأ ، بإذن الله ، واعتبار مقادير الأدوية ، وكيفياتها ، ومقدار قوة المرض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " صدق الله وكذب بطن أخيك " ، إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء ، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ، ولكن لكذب البطن ، و كثرة المادة الفاسدة فيه ، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة.

وليس طبَّه صلى الله عليه وسلم كطبِّ الأطباء ، فإن طبَّ النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي إلهي ، صادر عن الوحي ، ومشكاة النبوة ، وكمال العقل . وطبَّ غيره ، أكثره حدس وظنون ، وتجارب ، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطبّ النبوة ، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول ، واعتقاد الشفاء به ، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان ، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور - إن لم يتلق هذا التلقي - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها ، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم ، ومرضاً إلى مرضهم ، وأين يقع طب الأبدان منه ، فطبُّ النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحيّة ، فإعراض الناس عن طبّ النبوة كإعراضهم عن طبّ الإستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع ، وليس ذلك لقصور فى الدواء ، ولكن لخبث الطبيعة ، وفساد المحل ، وعدم قبوله ، والله الموفق .

فصل في هديه في داء الإستسقاء وعلاجه

في الصحيحين : من حديث أنس بن مالك ، قال : قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجتووا المدينة ، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها ، ففعلوا ، فلما صحّوا ، عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم ، واستاقوا الإبل ، وحاربو الله ورسوله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم ، فأخذوا ، فقطع أيديهم ، وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، وألقاهم في الشمس حتى ماتوا. "

والدليل على أن هذا المرض كان الإستسقاء ، ما رواه مسلم في صحيحه في هذا الحديث أنهم قالوا : إنا اجتوينا المدينة ، فعظمت بطوننا ، وارتهشت أعضاؤنا ، وذكر تمام الحديث. . .

والجوى : داء من أدواء الجوف - والإستسقاء : مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها إما الأعضاء الظاهرة كلها ، وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط ، وأقسامه ثلاثة : لحمي ، وهو أصعبها . وزقي ، وطبلي.

ولما كانت الأدوية المحتاج إليها فى علاجه هي الأدوية الجالبة التي فيها إطلاق معتدل ، وإدرار بحسب الحاجة ، وهذه الأمور موجودة في أبوال الإبل وألبانها ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشربها ، فإن في لبن اللقاح جلاءً وتليناً ، وإدراراً وتلطيفاً، وتفتيحاً للسدد ، إذ كان أكثر رعيها الشيح ، والقيصوم ، والبابونج ، والأقحوان ، والإذخر ، وغير ذلك من الأدوية النافعة للإستسقاء.

وهذا المرض لا يكون إلا مع آفة في الكبد خاصة ، أو مع مشاركة ، وأكثرها عن السدد فيها ، ولبن اللقاح العربية نافع من السدد ، لما فيه من التفتيح ، والمنافع المذكورة.

قال الرازي : لبن اللقاح يشفي أوجاع الكبد ، وفساد المزاج ، وقال الإسرائيلي : لبن اللقاح أرق الألبان ، وأكثرها مائية وحدة ، وأقلها غذاء ، فلذلك صار أقواها على تلطيف الفضول ، وإطلاق البطن ، وتفتيح السدد ، ويدل على ذلك ملوحته اليسيرة التي فيه لإفراط حرارة حيوانيته بالطبع ، ولذلك صار أخصّ الألبان بتطرية الكبد ، وتفتيح سددها ، وتحليل صلابة الطحال إذا كان حديثاً ، والنفع من الإستسقاء خاصة إذا استعمل لحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل ، وهو حار كما يخرج من الحيوان ، فإن ذلك مما يزيد

في ملوحته ، وتقطيعه الفضول ، وإطلاقه البطن ، فإن تعذر انحداره وإطلاقه البطن ، وجب أن يطلق بدواء مسهل.

<u>**قال صاحب القانون (ابن سينا) :**</u> ولا يلتفت إلى ما يقال : من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الإستسقاء . قال : واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق ، وما فيه من خاصية ، وأن هذا اللبن شديد المنفعة ، فلو أن إنساناً أقام عليه بدل الماء والطعام شفي به ، وقد جرب ذلك في قوم دفعوا إلى بلاد العرب ، فقادتهم الضرورة إلى ذلك ، فعوفوا . وأنفع الأبوال : بول الجمل الأعرابي ، وهو النجيب ، انتهى.

وفي القصة : دليل على التداوي والتطبب ، وعلى طهارة بول مأكول اللحم ، فإن التداوي بالمحرمات غير جائز ، ولم يؤمروا مع قرب عهدهم بالإسلام بغسل أفواههم ، وما أصابته ثيابهم من أبوالها للصلاة ، وتأخير البيان لا يجوز عن وقت الحاجة.

وعلى مقابلة الجاني بمثل ما فعل ، فإن هؤلاء قتلوا الراعي ، وسملوا عينيه ، ثبت ذلك في صحيح مسلم . وعلى قتل الجماعة ، وأخذ أطرافهم بالواحد . وعلى أنه إذا اجتمع في حق الجاني حدٌّ وقصاص استوفيا معاً ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قطع أيديهم وأرجلهم حدّاً لله على حرابهم ، وقتلهم لقتلهم الراعي . وعلى أن المحارب إذا أخذ المال ، وقتل ، قطعت يده ورجله في مقام واحد وقتل .

وعلى أن الجنايات إذا تعدّدت ، تغلظت عقوباتها ، فإن هؤلاء ارتدّوا بعد إسلامهم ، وقتلوا النفس ، ومثلّوا بالمقتول ، وأخذوا المال ، وجاهروا بالمحاربة.

وعلى أن حكم ردء المحاربين حكم مباشرهم ، فإنه من المعلوم أن كل واحد منهم لم يباشر القتل بنفسه ، ولا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

وعلى أن قتل الغيلة يوجب قتل القاتل حدّاً ، فلا يسقطه العفو ، ولا تعتبر فيه المكافأة ، وهذا مذهب أهل المدينة ، وأحد الوجهين فى مذهب أحمد ، اختاره شيخنا ، وأفتى به .

<u>في هديه في العلاج بشرب العسل ، والحجامة ، والكي</u>

في صحيح البخاري : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " الشفاء في ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكيّة نار ، وأنا أنهى أمتي عن الكيّ. "

<u>قال أبو عبد الله المازري</u> : " الأمراض الإمتلائية : إما أن تكون دموية ، أو صفراوية ، أو بلغمية ، أو سوداوية . فإن كانت دموية ، فشفاؤها إخراج الدم ، وإن كانت من الأقسام الثلاثة الباقية ، فشفاؤها بالإسهال الذي يليق بكل خلط منها ، وكأنه صلى الله عليه وسلم (قَدّم التداوي) بالعسل على المسهلات ، وبالحجامة على الفصد ، وقد قال بعض الناس : إن الفصد يدخل في قوله : شرطة محجم . فإذا أعيا الدواء ، فآخر الطب الكيّ ، فذكره صلى الله عليه وسلم في الأدوية ، لأنه يستعمل عند غلبة الطباع لقوى الأدوية ، وحيث لا ينفع الدواء المشروب . وقوله : وأنا أنهى أمتي عن الكي ، وفي الحديث الآخر : وما أحبُّ أن أكتوي ، إشارة إلى أن يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة إليه ، ولا يعجل التداوي به لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي ..." انتهى كلامه.

وقال بعض الأطباء : الأمراض المزاجية : إما أن تكون بمادة ، أو بغير مادة ، والمادية منها : إما حارة ، أو باردة ، أو رطبة ، أو يابسة ، أو ما تركّب منها ، وهذه الكيفيات الأربع ، منها كيفيتان فاعلتان : وهما الحرارة والبرودة ، وكيفيتان منفعلتان ، وهما الرطوبة واليبوسة ، ويلزم من غلبة إحدى الكيفيتين الفاعلتين استصحاب كيفية منفعلة معها ، وكذلك كان لكل واحد من الأخلاط الموجودة في البدن ، وسائر المركبات كيفيتان : فاعلة ومنفعلة.

فحصل من ذلك أن أصل الأمراض المزاجية هي التابعة لأقوى كيفيات الأخلاط التي هي الحرارة والبرودة ، فجاء كلام النبوة في أصل معالجة الأمراض التي هي الحارة والباردة على طريق التمثيل ، فإن كان المرض حاراً ، عالجناه بإخراج الدم ، بالفصد كان أو بالحجامة ، لأن في ذلك استفراغاً للمادة ، وتبريداً للمزاج . وإن كان بارداً عالجناه بالتسخين ، وذلك موجود في العسل ، فإن كان يحتاج مع ذلك إلى استفراغ المادة الباردة ، فالعسل أيضاً يفعل في ذلك لما فيه من الإنضاج ، والتقطيع ، والتلطيف، والجلاء، والتليين ، فيحصل بذلك استفراغ تلك المادة برفق وأمن من نكاية المسهلات القوية.

وأما الكيّ : فلأن كل واحد من الأمراض المادية ، إما أن يكون حادّاً فيكون سريع الإفضاء لأحد الطرفين ، فلا يحتاج إليه فيه ، وإما أن يكون مزمناً ، وأفضل علاجه بعد الإستفراغ الكي في الأعضاء التي يجوز فيها الكي ، لأنه لا يكون مزمناً إلا عن مادة باردة غليظة قد رسخت في العضو ، وأفسدت مزاجه ، وأحالت جميع ما يصل إليه إلى مشابهة جوهرها ، فيشتعل في ذلك العضو ، فيستخرج بالكي تلك المادة من ذلك المكان الذي هو فيه بإفناء الجزء الناري الموجود بالكي لتلك المادة.

فتعلمنا بهذا الحديث الشريف أخذ معالجة الأمراض المادية جميعها ، كما استنبطنا معالجة الأمراض الساذجة من قوله صلى الله عليه وسلم : " إن شدة الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء " .

فصل الحجامة

وأما الحجامة ، ففي سنن ابن ماجه من حديث جبارة بن المغلس ، - وهو ضعيف - عن كثير بن سليم ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما مررت ليلة أسري بي بملإ إلا قالوا : يا محمد ! مُرْ أمتك بالحجامة. "

وروى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس هذا الحديث : وقال فيه : "عليك بالحجامة يا محمد. "
وفي الصحيحين : من حديث طاووس ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : " احتجم وأعطى الحجام أجره. "
وفي الصحيحين أيضاً ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة ، فأمر له بصاعين من طعام ، وكلم مواليه ، فخففّوا عنه من ضريبته ، وقال : " خير ما تداويتم به الحجامة. "

وفي جامع الترمذي عن عباد بن منصور ، قال : سمعت عكرمة يقول : كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجّامون ، فكان اثنان يغلان عليه ، وعلى أهله ، وواحد لحجمه ، وحجم أهله . قال : وقال ابن عباس : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : " نعم العبد الحجام يذهب بالدم ، ويخُفّ الصلب ، ويجلو البصر " ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث عرج به ، ما مر على ملإ من الملائكه إلا قالوا : " عليك بالحجامة " ، وقال : " إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة ، ويوم تسع عشرة ، ويوم إحدى وعشرين " ، وقال : " إن خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي " ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لُدَّ فقال: " من لدّني ؟

فكلهم أمسكوا ، فقال : لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ إلا العباس "(لأنه لم يشهدهم) . قال : هذا حديث غريب ، ورواه ابن ماجه .

وأما منافع الحجامة : فإنها تنقّي سطح البدن أكثر من الفصد ، والفصد لأعماق البدن أفضل ، والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد.

قلت : والتحقيق في أمرها وأمر الفصد ، أنهما يختلفان باختلاف الزمان ، والمكان ، والأسنان ، والأمزجة ، فالبلاد الحارة ، والأزمنة الحارة ، والأمزجة الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج الحجامة فيها أنفع من الفصد بكثير ، فإن الدم ينضج ويرقّ ويخرج إلى سطح الجسد الداخل ، فتخرج الحجامة ما لا يخرجه الفصد ، ولذلك كانت أنفع للصبيان من الفصد ، ولمن لا يقوى على الفصد ، وقد نص الأطباء على أن البلاد الحارّة الحجامة فيها أنفع وأفضل من الفصد ، وتستحب في وسط الشهر ، وبعد وسطه . وبالجملة ، في الربع الثالث من أرباع الشهر ، لأن الدم في أول الشهر لم يكن بعد قد هاج وتبيّغ ، وفي آخره يكون قد سكن . وأما في وسطه وبعيده ، فيكون في نهاية التزيد.

<u>**قال صاحب القانون (ابن سينا)**</u> : ويؤمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر ، لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت ، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزيد النور في جرم القمر . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " خير ما تداويتم به الحجامة والفصد " . وفي حديث : " خير الدواء الحجامة والفصد " . انتهى.

وقوله صلى الله عليه وسلم : " خير ما تداويتم به الحجامة " إشارة إلى أهل الحجاز ، والبلاد الحارة ، لأن دماءهم رقيقة ، وهي أميل الى ظاهر أبدانهم لجذب الحرارة الخارجة لها إلى سطح الجسد ، واجتماعها في نواحي الجلد ، ولأن مسام أبدانهم واسعة ، وقواهم متخلخلة ، ففي الفصد لهم خطر ، والحجامة تفرّق اتصالي إرادي يتبعه استفراغ كلي من العروق ، وخاصة العروق التي لا تفصد كثيراً ، ولفصد كل واحد منها نفع خاص ، ففصد الباسليق : ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما من الدم ، وينفع من أورام الرئة ، وينفع من الشوصة وذات الجنب وجميع الأمراض الدموية العارضة من أسفل الركبة إلى الورك.

وفصد الأكحل : ينفع من الإمتلاء العارض في جميع البدن إذا كان دموياً ، وكذلك إذا كان الدم قد فسد في جميع البدن.
وفصد القيفال : ينفع من العلل العارضة في الرأس والرقبة من كثرة الدم أو فساده.
وفصد الودجين : ينفع من وجع الطحال ، والربو ، والبهر ، ووجع الجبين.
والحجامة على الكاهل : تنفع من وجع المنكب والحلق.
والحجامة على الأخدعين ، تنفع من أمراض الرأس ، وأجزائه ، كالوجه ، والأسنان ، والأذنين ، والعينين ، والأنف ، والحلق إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده ، أو عنهما جميعاً . قال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين والكاهل.
وفي الصحيحين عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثاً : واحدة على كاهله ، واثنتين على الأخدعين.
وفي الصحيح : عنه ، أنه احتجم وهو محرم في رأسه لصداع كان به.
وفي سنن ابن ماجه عن علي ، نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بحجامة الأخدعين والكاهل.
وفي سنن أبي داود من حديث جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : " احتجم في وركه من وثء كان به " .
ثم تحدث بتفصيل عن مواقع الحجامة وأوقاتها وما ذكره الاطباء مثل ابن سينا في ذلك وقارنه بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما يجعل الطب النبوي أكثر دقة وفائدة .

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في فصد العروق والكي

ثبت في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيباً ، فقطع له عرقاً وكواه عليه.
ولما رمي سعد بن معاذ في أكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ورمت ، فحسمه الثانية . والحسم : هو الكي.
وفي طريق آخر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ في أكحله بمشقص ، ثم حسمه سعد بن معاذ أو غيره من أصحابه.
وفي لفظ آخر : أن رجلاً من الأنصار رمي في أكحله بمشقص ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم به فكوي.
وقال أبو عبيد : وقد أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل نعت له الكي ، فقال : " اكووه وارضفوه " . قال أبو عبيد : الرضف: الحجارة تسخن ، ثم يكمد بها.

وقال الفضل بن دكين : حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كواه في أكحله.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس ، أنه كوي من ذات الجنب والنبى صلى الله عليه وسلم حي.
وفي الترمذي ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : " كوى أسعد بن زرارة من الشوكة " ، وقد تقدم الحديث المتفق عليه وفيه " وما أحب أن أكتوي " وفي لفظ آخر : " وأنا أنهى أمتي عن الكي. "

وفي جامع الترمذي وغيره عن عمران بن حصين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكي قال : فابتلينا فاكتوينا فما أفلحنا ، ولا أنجحنا .

قال الخطابي : إنما كوى سعداً ليرقأ الدم من جرحه ، وخاف عليه أن ينزف فيهلك . والكي مستعمل في هذا الباب ، كما يكوى من تقطع يده أو رجله.
وأما النهي عن الكي ، فهو أن يكتوي طلباً للشفاء ، وكانوا يعتقدون أنه متى لم يكتو ، هلك ، فنهاهم عنه لأجل هذه النية.
وقيل : إنما نهى عنه عمران بن حصين خاصة ، لأنه كان به ناصور ، وكان موضعه خطراً ، فنهاه عن كيه ، فيشبه أن يكون النهي منصرفاً إلى الموضع المخوف منه ، والله أعلم.
وقال ابن قتيبة : الكي جنسان : كي الصحيح لئلا يعتل ، فهذا الذي قيل فيه : لم يتوكل من اكتوى ، لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه.
والثاني : كي الجرح إذا نغل ، والعضو إذا قطع ، ففي هذا الشفاء.
وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجع ، ويجوز أن لا ينجع ، فإنه إلى الكراهة أقرب . انتهى.
وثبت في الصحيح في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب "أنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون."

فقد تضمّنت أحاديث الكيّ أربعة أنواع ، أحدها : فعله ، والثاني : عدم محبته له ، والثالث : الثناء على من تركه ، والرابع : النهي عنه ، ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى ، فإن فعله يدل على جوازه ، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه . وأما الثناء على تاركه ، فيدل على أن تركه أولى وأفضل . وأما النهي عنه ، فعلى سبيل الإختيار والكراهة ، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه ، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء ، والله أعلم .

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الصرع

أخرجا في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح ، قال : قال ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء ، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله لي ، فقال : " إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك ، فقالت : أصبر . قالت : فإني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها. "

قلت : الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط الرديئة . والثاني : هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.

وأما صرع الأرواح ، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ، ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدافع آثارها ، وتعارض أفعالها وتبطلها ، وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه ، فذكر بعض علاج الصرع ، وقال : هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة . وأما الصرع الذي يكون من الأرواح ، فلا ينفع فيه هذا العلاج.

وأما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة ، فأولئك ينكرون صرع الأرواح ، ولا يقرّون بأنها تؤثر في بدن المصروع ، وليس معهم إلا الجهل ، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك ، والحسّ والوجود شاهد به ، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط ، هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها.

وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع : المرض الإلهي ، وقالوا : إنه من الأرواح ، وأما جالينوس وغيره ، فتأولوا عليهم هذه التسمية ، وقالوا : إنما سموه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس ، فَتَضرُّ بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ.

وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها ، وتأثيراتها ، وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده.
ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم.

وعلاج هذا النوع يكون بأمرين : أمر من جهة المصروع ، وأمر من جهة المعالج ، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها ، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان ، فإن هذا نوع محاربة ، والمحارب لا يتم له الإنتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً ، وأن يكون الساعد قوياً ، فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً : يكون القلب خراباً من التوحيد ، والتوكل ، والتقوى ، والتوجه ، ولا سلاح له.

والثاني : من جهة المعالج ، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً ، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله : اخرج منه . أو بقول: بسم الله أو بقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : " اخرج عدو الله أنا رسول الله. "

وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ، ويقول : قال لك الشيخ : اخرجي ، فإن هذا لا يحلّ لك ، فيفيق المصروع ، وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب ، فيفيق

المصروع ولا يحس بألم ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً. وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون " [المؤمنون : 115].

وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع ، فقالت الروح : نعم ، ومد بها صوته . قال : فأخذت له عصا ، وضربته بها في عروق عنقه حتى كلت يداي من الضرب ، ، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب . ففي أثناء الضرب قالت : أنا أحبّه ، فقلت لها : هو لا يحبّك ، قالت : أنا أريد أن أحجَّ به ، فقلت لها : هو لا يريد أن يحج معك ، فقالت : أنا أدعه كرامة لك ، قال : قلت : لا ولكن طاعة لله ولرسوله ، قالت : فأنا أخرج منه ، قال : فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً ، وقال : ما جاء بي إلى حضرة الشيخ ، قالوا له : وهذا الضرب كله ؟ فقال : وعلى أي شئ يضربني الشيخ ولم أذنب ، ولم يشعر بأنه وقع به ضرب البتة[4].

وكان يعالج بآية الكرسي ، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها ، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملة فهذا النوع من الصرع ، وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة ، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم ، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر ، والتعاويذ ، والتحصنات النبوية والايمانية ، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه ، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا.

ولو كشف الغطاء ، لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة ، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ، ولا يمكنها الإمتناع عنها ولا مخالفتها ، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة ، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة ، وبالله المستعان.

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل ، وأن تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه ، ويستحضر أهل الدنيا ، وحلول المثلات والآفات بهم ، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر ، وهم صرعى لا يفيقون ، وما أشد داء هذا الصرع ، ولكن لما عمت البلية به بحيث لا يرى إلا مصروعاً ، لم يصر مستغرباً ولا مستنكراً ، بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافه.

فإذا أراد الله بعبد خيراً أفاق من هذه الصرعة ، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يميناً وشمالاً على اختلاف طبقاتهم ، فمنهم من أطبق به الجنون ، ومنهم من يفيق أحياناً قليلة ، ويعود إلى جنونه ، ومنهم من يفيق مرة ، ويجن أخرى ، فإذا أفاق عمل عمل أهل الإفاقة والعقل ، ثم يعاوده الصرع فيقع في التخبط .

ويستمر ابن القيم في استعراض هديه صلى الله عليه وسلم في علاج عرق النسا وعلاج الامساك ومداواة القمل واستعمال الحرير والذهب في المداواة .

<u>**وأما الجزء الثاني**</u> : فقد ذكر فيه هديه صلى الله عليه وسلم في مداواة الامراض التالية وفصل فيها تفصيلا .
هديه صلى الله عليه وسلم: في علاج ذات الجنب ، في علاج الصداع والشقيقة ، في الحمية
في علاج الرمد بالسكون ، والدعة ، وترك الحركة ، والحمية مما يهيج الرمد ، في علاج الخدران الكلي الذي يجمد معه البدن ، في إصلاح الطعام الذي يقع فيه الذباب ، وإرشاده إلى دفع مضرات السموم بأضدادها ، في علاج الأورام ، والخراجات التي تبرأ بالبطّ والبزل ، في علاج المرضى بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم ، في علاج الأبدان بما اعتادته من الأدوية والأغذية دون ما لم تعتده ، في تغذية المريض بألطف ما اعتاده من

---

[4] إن علاج المصروع بالضرب والخنق قد حدث منه مآسي ووفيات . وقد منعت السلطات ذلك . ومن فعل ذلك فقد اقترف جريمة قتل ، أشبهت العمد ، وعليه لا بدّ من اجتناب الضرب والخنق وكل أعمال العنف وتكفي قراءة القرآن والأدعية الواردة في ذلك .

الأغذية، في علاج السم الذي أصابه بخيبر من اليهود ، في علاج السحر الذي سحرته اليهود به ، في الإستفراغ بالقئ
في الإرشاد إلى معالجة أحذق الطبيبين.

<u>وفي الجزء الثالث :</u> ناقش هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج بالرقية والحالات النفسية والتداوي بالمحرمات مثل الخمر وغيرها ، ومثالها : هديه صلى الله عليه وسلم في علاج المصاب بالعين ، و هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج العام لكل شكوى بالرقية الإلهية وهديه صلى الله عليه وسلم في رقية اللديغ بالفاتحة. ،و هديه صلى الله عليه وسلم في علاج لدغة العقرب بالرقية، و هديه صلى الله عليه وسلم في رقية النملة ، و هديه صلى الله عليه وسلم في رقية الحية ،و هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الوجع بالرقية، و هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حرّ المصيبة وحزنها، وهديه صلى الله عليه وسلم في علاج الكرب والهمّ والغمّ والحزن، و بيان جهة تأثير هذه الأدوية في هذه الأمراض، و هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الفزع ، والأرق المانع من النوم ، و هديه صلى الله عليه وسلم في علاج داء الحريق وإطفائه ، في هديه صلى الله عليه وسلم في حفظ الصحة بالطيب، و هديه صلى الله عليه وسلم في حفظ صحة العين.

<u>وفي الجزء الرابع الى السادس</u> ذكر أسماء النباتات والادوية وفوائدها مرتبة بالترتيب الهجائي من الالف الى الياء.

الفصل الثاني والعشرون :

يوسف محمد مسعود السُرَّمري
(696 – 776 هـ)
وكتبه في الطب والطب النبوي

هو يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن إبراهيم السرمري، ثم الدمشقي العبادي العقيلي الحنبلي ، وكنيته أبو المظفر، ولقبه جمال الدين، ولد سنة 696 هـ، في مدينة سر من رأى، وهي سامراء حاليا من مدن العراق ما بين بغداد وتكريت ، وهو محدّث ولغوي وفقيه وذو فنون عدة ، حفظ القرآن في صباه ، وأخذ إجازاته العلمية وسماعه من علماء بغداد، ومنهم الصفي عبد المؤمن بن عبد الحق، وأبي الثناء محمود بن علي الدقوقي، وغيرهما، ثم رحل لبلاد الشام، وسمع من ابن عبد الدائم في دمشق، وتفقه على سراج الدين الحسين بن يوسف التبريزي، وآخرين. برع في اللغة العربية، والفرائض (علم المواريث)، ونظم وحدّث وأفاد ، وكان ينهج منهج ابن تيمية. وله مؤلفات كثيرة تجاوزت المائة كتاب ورسالة. وقد قرأ على الامام الذهبي سنة 746هـ وأخذ عن الشيخ حسان ومدحه كثيرا .

أخذ عنه ابن رافع السلامي مع تقدمه عليه، وحدَّث عنه، وذكره في معجمه، ولكنه مات قبله. تجاوز عمره الثمانين وأقعد بآخره، وتوفي في دمشق في 21 جمادي الأولى سنة 776 هـ، ودفن في مقبرة الصوفية.

ثناء العلماء عليه:

قال ابن ناصر الدين في الرد الوافر: الشيخ الإمام العلامة الحافظ البركة القدوة ذو الفنون البديعة والمصنفات النافعة ... وكان إماما ثقة عمدة زاهدا عابدا محسنا جهده، صنف في أنواع كثيرة نثرا ونظما وخرج وأفاد وأملى رواية وعلما... وكان عمدة في نقد رجال الحديث وضبطه.

وقال الذهبي: وله معرفة بالمذهب، ونظم جيد في علوم الحديث، وغيرها.

وقال ابن العماد في شذرات الذهب: الشيخ العالم المفنن الحافظ.

وقال أبو المحاسن الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ: الإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو المظفر ... وكان عمدة ثقة ذا فنون إماما علامة له مصنفات عدة في أنواع كثيرة نثراً، ونظماً خرج، وأفاد، وأملي رواية، وعلما.

وقال كحالة في معجم المؤلفين: محدث ، حافظ ، فقيه ، فرضي ، نحوي ، ناظم ، مشارك في غير ذلك.

وقال الزركلي في الأعلام: حافظ للحديث، من علماء الحنابلة .

مصنفاته : قال ابن حجي رأيت بخطه ما صورته: مؤلفاتي تزيد على مائة مصنف كبار، وصغار في بضعة، وعشرين علماً، ذكرتها على حرف المعجم في "الروضة المورقة في الترجمة المونقة".

من مؤلفاته

1. إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة.
2. الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة.
3. الأرجوزة الجلية في الفرائد الحنبلية.
4. الإفادات المنظومة في العبادات المختومة.
5. الثمانيات (في علم الحديث النبوي وتخريجه).
6. الجراد وما في شأنه من الصلاح والفساد.

7. الارجورة الجليّة في الفرائد الحنبلية .
8. الخصائص والمفاخر لمعرفة الأوائل والأواخر.
9. ذكر القلب الميت . بفضائل أهل البيت (وذكر باسم نشر قلب الميت بنشر فضائل أهل البيت)
10. عمدة الدين في فضل الخلفاء الراشدين.
11. صحاح الأحكام وسلاح الحكام.
12. عجائب الأتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق.
13. غيث السحابة في فضل الصحابة.
14. الروضة المورقة في الترجمة المونقة، (وفيه ترجمته وذكر مؤلفاته).
15. نهج الرشاد في نظم الاعتقاد (في ثلاثمائة بيت) وقد قام الاستاذ محمود بن محمد المنياوي بشرح هذه المنظومة ووضع مقدمة عن المؤلف وعقيدته السلفية وتأثره بابن تيمية ونشرت ذلك (دار التواصل بين المشرق والمغرب-الكويت).
16. الحمية الاسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيميه ، وقد قام بطبعه مجمع البحوث العلمية الاسلامية بالهند . وقدّم له وعلَّق عليه صلاح الدين مقبول أحمد مع رسالة : قصيدة في الرد على تقي الدين السبكي (الذي انتقد ابن تيميه) وناظمها هو عبد الله بن يوسف الشافعي .
17. شرح اللؤلؤة في علم العربية
18. غيث السحابة في فضل الصحابة .
19. نظم التقريب في علوم الحديث (ألف بيت)
20. الفوائد السرمرية .

كتب الطب النبوي :

21. ذكر الوباء والطاعون ، قدم له وعلق عليه شوكت بن رفقي بن شوكت ونشرته دار المحبة دمشق والدار الاثرية بعمان سنة 1424هـ/2004 . وهو لا يختلف عن كتاب "بذل الماعون في فضل الطاعون " لابن حجر العسقلاني المتوفي سنة 852هـ ، وكتاب السيوطي المتوفي سنة 911 هـ " مارواه الواعون في أخبار الطاعون " وكلاهما بعد السرمري .
22. **شفاء الآلام في طب أهل الاسلام :** موجود في مكتبة الاحقاف بتريم حضرموت ، مجموعة الكاف (5 – 6 طب) . ومنه صورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (ميكروفيلم) في 252 ورقة (كل ورقة صفحتين) بخط نسخ جميل بخط عبد الله بن صالح الزوبري سنة 1189هـ ، وعندي صورة منها .

وتوجد نسخة من الكتاب في مكتبة الفاتح بتركيا برقم 3584، وتوجد من الكتاب نسختان في شستربتي بايرلندة :

(الاولى) برقم (3150) الرف 11 ، الموضوع الطب العنوان شفاء الآلام في طب أهل الاسلام . الناسخ عبد الصمد بن عبد الرحمن الشيرازي ، تاريخ النسخ ، 846هـ بنسخ خط معتاد في 217 ورقة .

(الثانية) برقم (4586) وذكر ان رقم الميكروفيلم 1564 ، الرف 11 الموضوع الطب العنوان : شفاء الآلام في طب أهل الاسلام ، الناسخ عبد الله بن صالح بن حسن الزوبري الشهاوي ، تاريخ النسخ 1189 هـ ، عدد الاوراق 307 بخط نسخ عادي . أوله (الحمد لله الذي انزل الداء والدواء ودلّ من شاء على مافيه شفاء) ... وآخره : (ففي هذه الكلمات سعادة الدارين ... وقد حصل له خير الدارين والله الموفق) .

ويقول الاستاذ شوكت بن رفقي بن شوكت أنه يعمل على تخريج أحاديثه وتحقيقه ، وقد ذكر ذلك في مقدمته لكتاب : ذكر الوباء والطاعون لابي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود السُرّمري . ولكن حسب علمي لم يظهر هذا الكتاب بعد .

نبذة عن كتاب شفاء الآلام في طب أهل الاسلام

ذكر السرمري الاحاديث في التداوي من الامراض وانها تنفع باذن الله الا في الهرم والموت ، ويتميز السرمري بعلمه الواسع بالطب وبالعلامات (Signs and Symptoms) التي تدل على نوع المرض ، كما أنه متميز في ذكر البوادر والانذارات من العلامات التي يشتكي منها المريض والتي تدل على خطورة المرض ووجوب سرعة مداواته كما سيأتي من استفادته من كلام أبي بكر الرازي في علامات المرض واعراضه ، وما يمكن ان تدل عليه هذه الاعراض وسماها (المعني) فقال ان الصداع الدائم يخشى منه نزول الماء في العين (وهذا من اعراض الماء الازرق المعروف بالجلوكوما) . واذا زاد الصداع فيكون علامة على حدوث شلل (ربما بسبب ارتفاع ضغط الدم وجلطة في الدماغ) ويسمون الشلل النصفي الفالج . ووصف الشقيقة وأعراضها . وأن هذه الانواع الشديدة من الصداع تعالج بالفصد (Venesection) واخراج الدم ، والفصد أقوى انواع الحجامة في هذه الحالات واسرع في خفض ضغط الدم .

ولهذا كان على الطبيب ان يعرف العلامات المنذرة بوقوع مرض خطير فيبادر الى علاجه ، وهذا الفهم العميق لمعالجة العلامات المنذرة بوقوع مرض قبل وقوعه من الامور التي لا يدركها الا الحذّاق من الاطباء كأبي بكر الرازي ، واهتمام السرمري بهذه الامور يدل على عمق فهمه للطب وادراكه له رغم اني لم اجد في سيرته انه مارس الطب .

واستمر السرمري في ذكر العلامات المنذرة بالمرض ووجوب المبادرة بعلاجها . وكيفية علاج كل واحد منها .

وذكر من هذه العلامات لبداية النزول (الماء الابيض ويسمونه السادّ ويسمى في الطب الحديث الكاتراكت Cataract) ان يرى دخانا ... وذكر ان الخفقان الشديد (Palpatation) ينذر بالموت فجأة (قد يكون بسبب ذبذبات أذينية أو بطينية أو عدم انتظام في نظم القلب . وذلك كله قد يؤدي الى الموت فجأة كما قال) ولهذا يجب على الطبيب المبادرة بالادوية القلبية (طبعا تختلف الادوية القديمة عن الادوية الحديثة) كما ينبغي اقلال الطعام . والغريب فعلا ان ينصح السرمري المريض المصاب بالخفقان الشديد بالتوبة والوصية وابراء الذمة ، والذكر الكثير والاستعداد للموت وفي حالات الامتلاء المفرط (ربما بسبب ضغط الدم) الذي قد يؤدي الى السكتة (الدماغية Stroke) والموت فليبادر بالفصد ...

وهكذا يستمر السرمري في استقصاء العلامات الهامة المنذرة بوقوع مرض خطير وكيف يتوقاها الطبيب ويبادر الى مداواتها بما لديه من امكانات زمنه من فصد وأدوية ..

وذكر الحكة الشديدة في الدبر وأنها قد تكون من ديدان صغار . وكلامه حق وصدق ، وهي الدودة المعروفة بالدبوسية Pinworm (oxyuriasis) وتصيب الاطفال عادة ثم تنتقل الى الكبار في البيت الواحد ولذا يجب معالجة جميع أفراد البيت .

والسرمري هو الوحيد (حسب علمي) من الفقهاء والمحدثين الذين اهتموا اهتماما بالغا بالعلامات المنذرة للمرض مما يدل على علم واسع بالطب .

واستمر السرمري على ذلك المنوال . وذكر ان بدن الانسان اربعة اجزاء هامة هي: الرأس ، والصدر ، والبطن ، والمثانة . وذكر علامات مرض كل واحدة منها ووجوب المبادرة بمعالجة السبب (حسب معلومات زمنه) .

ثم قال ان الطبيب الحاذق هو الذي يراعي في علاجه عشرين أمرا :

1- النظر في نوع المرض .
2- النظر في سببه .
3- قوة المريض وهل هي مقاومة للمرض أو أضعف منه . فإن كانت مقاومة له متغلبة عليه ، فعليه ان يترك الأدوية ويساعد المقاومة الطبيعية . أما ان كانت مقاومة الجسم ضعيفة فعليه أن يساعد المقاومة بالادوية .
4- مزاج البدن الطبيعي ما هو ؟
5- المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي .
6- سن المريض ويجب مراعات السن فالطفل غير الشاب ، وغير الكهل والشيخ ، والرجل غير المرأة .
7- مراعاة عادة الشخص .
8- فصول السنة فإن للفصول تأثيرا في المرض و المقاومة .
9- بلد المريض وتربته فإن لها دورا في الامراض وفي الطبائع .
10- حال الهوا ء وقت المرض . وفساد الهواء يؤدي الى فساد الاجسام وكثرة الامراض . والاهتمام بالهواء والبيئة والفصول أمور لم يوفّها حقّها الطبُّ الحديث الى الان . ولا شك ان الاطباء القدماء قد اهتموا بهذه الامور بطريقة أفضل من الطب الحديث .
11- وقت المرض فلكل وقت من الاوقات تاثيره الخاص على المرض .
12- النظر في قوة الدواء والموازنة بينه وبين قوة المريض .
13- ان لا ينبغي ان يهتم الطبيب فقط بازالة تلك العلة ، لانه قد يزيلها ولكن ذلك يؤدي الى مرض أخطر منها وعلى سبيل المثال كان العلاج الافضل للبهارسيا في مصر بحقن مادة الطرطير (Tartar emetic) بالوريد . وكانت الحقن توضع في الماء الحار ثم يعطى المريض الاخر بنفس المحقنة (السرنجة Syring) مما أدى الى انتشار التهاب الكبد الفيروسي من نوع B ونوع C وكلاهما أخطر من البلهارسيا ... واعطي مثالا أخر وهو علاج العروق (دودة المدينة وتسمى ايضا دودة غينيا (Dracunculus medinensis) فقطعها وسحبها يؤدي الى تفاعلات خطيرة بالجسم تؤدي الى الصدمة Shock وربما وفاة المريض . ولهذا كان علاجها بلف العرق (الدودة) حول عود وسحبها بالتدريج على مدى أيام أو اسابيع .
14- أن يعالج بالاسهل ولا ينتقل الى الدواء اذا امكن العلاج بالغذاء . كذلك لا ينتقل الى الدواء المركب اذا امكن التداوي بالدواء البسيط المفرد .
15- ان ينظر في العلة هل يمكن علاجها أم لا (ومثالها اليوم سرطان منتشر في الجسم) فيتحول من العلاج للعلة الى علاج التلطيفي (Palliative Treatment) ولا يذهب الى العلاجات التي لا فائدة ترجى منها وتكون اضرارها الجانبية اكثر من فوائدها . ولا يذهب الى العلاجات الباهظة الثمن اذا عرف عدم جدواها . وأما اذا امكن ايقاف تقدم المرض مثلما حدث مع الصحابي معيقيب الذي اصيب بالجذام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فطلب له الاطباء فأخبره احدهم أنه يمكن ايقاف زيادة المرض ففرح بذلك عمر وشكر الطبيب على صدقه وامانته .
16- ان لا يتعرض للخلط (سبب المرض) قبل نضجه ، فإذا تمّ انضاجه استفرغه (هذه أمور من الطب القديم ولم تعد تستعمل في الطب الحديث) .

17- ان يكون لدى الطبيب خبرة باعتلال القلوب والارواح فإن البدن ينفعل عن النفس والقلب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب " .. وكل طبيب لا يداوي العليل بتفقد قلبه وصلاحه وتقوية روحه بالصدقة وفعل الخير والاحسان والاقبال على الله فليس بطبيب بل متطبب قاصر . وذكر أهمية الصلاة والصدقة والذكر وعمل الخير في تقوية نفس المريض وتغلبه بالتالي على المرض ، وهو باب مهم بدأ الطب الحديث يعرف قليلا قليلا منه .

18- التلطف بالمريض والترفق به .

19- استعمال العلاجات الطبيعية والالهية والعلاج بالتخييل وتقوية نفس المريض .

20- ان يجعل الطبيب غرضه وهدفه حفظ الصحة موجودة واستعادتها مفقودة بحسب الامكان وازالة العلة او تقليلها بحسب الطاقة ، واحتمال أدنى المفسدتين لازالة أعظمهما ... وهذه قواعد اصولية فقهية طبقّها حذاق الاطباء من المسلمين وغيرهم . وتميّزت بها الحضارة الاسلامية . ولا تزال البشرية تحتاج الى هذه التوجيهات الهامة جدا في مجال الطب واخلاقياته وأهدافه . وعلاج الابدان بما اعتادته من الاغذية والادوية أصل عظيم يجب مراعاته فأهل البادية والتخوم لا تنفعهم أغذية وأدوية المدن والمترفين . وعلى العكس من ذلك أهل الرفاهية والحضر .

وأكد على ان المعدة بيت الداء وما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وأتى في ذلك بالاحاديث الواردة وكلام الحارث بن كلده (طبيب العرب في الجاهلية وظهور الاسلام) ثم روى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم . وشرح ذلك شرحا موسعا .

ثم ذكر ان المريض اذا اشتهى طعاما معينا يجب اعطاءه ذلك واستدل بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما عاد مريضا فسأله ما تشتهي فقال كعك فقال : من عنده كعك فيبعث به الى اخيه ثم قال : اذا اشتهى مريض أحدكم شيئا فليطعمه ...

وهكذا استمر السرمري في موضوع التداوي يأتي بالحديث النبوي ويشرحه من الناحية الطبية . ومثال ذلك ما رواه ابن ماجه عن ابي سعيد الخدري يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " اذا دخلتم على المريض فنفسّوا له في الاجل فإن ذلك لا يرد شيئا وهو يطيّب نفس المريض " . وأوضح الاهتمام بنفسية المريض والتخفيف عنه بكل ما هو ممكن .

ثم ذكر السرمري الادوية الطبيعية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر بها والادوية الالهية والادوية المركبة منهما وشرح ذلك شرحا عجيبا مفصلا . وهكذا الكتاب بأكمله

الفصل الثالث والعشرون :

بذل الماعون في فضل الطاعون
تصنيف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
773 – 852 هـ

تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب ، دار العاصمة المملكة العربية السعودية ، الرياض ، النشرة الأولى 1411هـ

ابن حجر العسقلاني

هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني ، الكناني القبيلة العسقلاني الأصل الشافعي المذهب المصري المولد، (773 هـ - 852 هـ)، الملقب بـ أمير المؤمنين في الحديث.

المولد والنشأة

ولد المحدث ابن حجر العسقلاني في مدينة القاهرة في 23 شعبان سنة 773 هـ، وهو من عائلة من قبيلة كنانة بن خزيمة من مضر كانت تسكن مدينة عسقلان (فلسطين) وهاجرت إلى مصر قبل أن يولد هناك. وكان والده عالماً أديباً ثرياً، وأراد لابنه أن ينشأ نشأة علمية أدبية إلا أنه توفي ولم يزل أحمد طفلاً فكفله أحد أقارب والده زكي الدين الخروبي كبير تجار الكارم في مصر، فرعاه الرعاية الكاملة وأدخله الكُتّاب فظهر نبوغه المبكر فقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن اثنتي عشر سنة ووُصف بأنه كان لا يقرأ شيئاً إلا أنطبع في ذهنه.

رحلاته في طلب العلم

1. رحل إلى مكة سنة 785 هـ وأقام بها سنة ودرس خلالها الحديث على يد الشيخ عبد الله بن سليمان النشاوري، وقد قرأ عليه صحيح البخاري وسمع في مكةمن الشيخ جمال الدين بن ظهيرة.
2. ورحل من مكة إلى مصر عائداً فداوم على دراسة الحديث الشريف على يد الحافظ الزين عبد الرحيم العراقي، وتلقى الفقه الشافعي من الشيخ ابن الملقن، والعز ابن جماعة ، وعليه درس الأصول وباقي العلوم الآلية كالمنهاج وجمع الجوامع وشرح المختصر والمطول.
3. ثم رحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن ومكة وما بين هذه النواحي.
4. أقام في فلسطين وتنقل في مدنها يسمع من علمائها ويتعلم منهم، ففي غزة سمع من أحمد بن محمد الخليلي وفي بيت المقدس سمع من شمس الدين القلقشندي، وفي الرملة سمع من أحمد بن محمد الأيكي، وفي الخليل سمع من صالح بن خليل بن سالم، وبالجملة فقد تلقى ابن حجر مختلف العلوم عن جماعة من العلماء كل واحد كان رأساً في فنه كالقراءات والحديث واللغة والفقه والأصول، ويذكر عن شيخه العز بن جماعة أنه قال: أقرأ في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها.

5. رحل إلى اليمن والتقى بمجد الدين الشيرازي الفيروزبادي وأخذ عنه عنه أجزاء من القاموس ثم انتقل الى عدن (ميناء اليمن) ومكث بها سنتين يدرس ويدرّس وفي نفس الموضع أقاموا مسجد العسقلاني .

مكانته بين أهل عصره

تفرد ابن حجر من بين أهل عصره في علم الحديث مطالعة وقراءة وتصنيفاً وافتاءً حتى شهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد والعدو والصديق، حتى كان إطلاق لفظ "الحافظ" عليه كلمة إجماع بين العلماء، وقد رحل إليه الطلبة من الأقطار وطارت مؤلفاته في حياته وانتشرت في البلاد وتكاتب الملوك من قطر إلى قطر في شأنها وكانت له اليد الطولى في الشعر، وله ديوان شعر متوسط الحجم مطبوع. قال السخاوي: شهد له شيخه العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث. وقال السيوطي: إمام هذا الفن للمقتدين، ومقدم عساكر المحدثين، وعمدة الوجود في التوهين والتصحيح، وأعظم الشهود والحكام في بابي التعديل والتجريح. وقال عبد الحي العكبري: انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ومعرفة العالي والنازل وعلل الأحاديث وغير ذلك وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار.

الوظائف التي شغلها

شغل ابن حجر الكثير من الوظائف المهمة في الإدارة المملوكية المصرية، مما هيأ له الوقوف على مجريات السياسة المصرية ودخائلها آنذاك ومكّنه من الاتصال المباشر بالمصادر الأولى لأحداث عصره.

تولى ابن حجر الإفتاء واشتغل في دار العدل وكان قاضي قضاة الشافعية. وعني ابن حجر عناية فائقة بالتدريس واشتغل به ولم يكن يصرفه عنه شيء حتى أيام توليه القضاء والإفتاء وقد درّس في أشهر المدارس في العالم الإسلامي في عهده من مثل: المدرسة الشيخونية والمحمودية والحسنية والبيبرسية والفخرية والصلاحية والمؤيدية ومدرسة جمال الدين الاستادار في القاهرة (وجمال الدين هذا من أهالي البيرة قرب رام الله في فلسطين).

مؤلفاته

له مؤلفات وتصانيف كثيرة زادت على مئة وخمسين مصنفاً في مجموعة من العلوم المهمة، أشهرها وأهمها:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري (خمسة عشر مجلداً)، ومكث ابن حجر في تأليفه عشرين سنة، ولما أتم التأليف عمل مأدبة ودعا إليها أهل قلعة دمشق وكان يوماً عظيماً. ويعتبر هذا الكتاب أفضل شرح وأعمّه نفعاًلصحيح البخاري، وتأتي أهمية كتاب ابن حجر من كونه شرحاً لأصح ما ورد عن رسول الله محمد من حديث وقد تضمن ذلك الشرح ذكر أحاديث أخرى وعلق ابن حجر على أسانيدها وناقشها حتى كان بحق (ديوان السنة النبوية)، وكذلك لما تضمنه من فقه وأصول ولغة ومناقشة للمذاهب والآراء في شتى المعارف الإسلامية. وقد اشتهر هذا الكتاب في عهد صاحبه حتى قبل أن يتمه وبلغ شهرته أن الملك شاه رخ بن تيمور ملك الشرق بعث بكتاب إلى السلطان برسباي يطلب منه هدايا من جملتها (فتح الباري) فجهز له ابن حجر ثلاث مجلدات من أوائله.

- الإصابة في تمييز الصحابة، وهو كتاب تراجم ترجم فيه ابن حجر للصحابة فكان من أهم المصادر في معرفةالصحابة.
- تهذيب التهذيب، ومختصره كتاب تقريب التهذيب.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ذكر فيه أحاديث لم يخرجها أصحاب المسانيد الثمانية.
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية ويعتبر من كتب التخريج البديعة وقد خرج فيه الأحاديث الواردة في كتاب الهداية وهو مرجع فقهي وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة.
- إنباء الغمر بأنباء العمر، وهو مؤلف ضخم يقع في حوالي ألف صفحة كبيرة حيث يتبع نظام الحوليات والشهور والأيام في تدوين الحوادث. ثم يتبع حوادث كل سنة بأعيان الوفيات. وقد أفاض في ذكر ما يتعلق بمصر من هذه الحوادث، وهو يتناول الأحداث التي وقعت بين سنة (773 هـ - 850 هـ).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وهو معجم ضمنه تراجم أعيان القرن الثامن الهجري من علماء وملوك وسلاطين وشعراء وغيرهم من مصر ومختلف بلاد الإسلام، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ مصر الإسلامية في الفترة التي يتناولها.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، وهو معجم لقضاة مصر منذ الفتح الإسلامي حتى آخر القرن الثامن الهجري.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر وهو في علم مصطلح الحديث.
- تسديد القوس مختصر مسند الفردوس.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام.
- لسان الميزان.
- تغليق التعليق في وصل معلقات البخاري.
- ديوان ابن حجر، في الشعر.
- غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني .
- القول المسدد في الذب عن المسند
- ومن مؤلفاته " بذل الماعون في فضل الطاعون".

مخطوطة من كتاب " تسديد القوس مختصر مسند الفردوس " بخط مؤلفه ابن حجر العسقلاني

من نظمه

كان ابن حجر شاعراً مطبوعاً، ويغلب على شعره الوعظ .

وله في مطلع قصيدة طويلة في المديح النبوي، منها:

إن كنت تنكر حباً زادني كلفا	حسبي الذي قد جرى من مدمع وكفى
وإن تشككت فسئل عاذلي شجني	كم بتُّ أشكو الأسى والبثّ والأسفا
كدَّرت عيشاً تقضى في بعادكمو	وراق مني نسيب فيكمو وصفا
سرتم وخلفتمو في الحي ميت هوى	لولا رجاء تلاقيكم لقد تلفا

وفاته

توفي في أواخر ذي الحجة سنة 852 هـ وكان له مشهد لم ير مثله فيمن حضره من الشيوخ، وشهده أمير المؤمنين والسلطان وقدم الخليفة للصلاة عليه، وكان ممن حضر الجنازة الشاعر الشهاب المنصوري فلما وصلوا بالجنازة إلى المصلى أمطرت السماء على نعشه. وقد أفرد تلميذُه السخاوي ترجمته في كتاب ضخم، سماه (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر)، طُبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، ونشر في دار ابن حزم ببيروت سنة 1999. ويوجد قبره في مقابر الامام الشافعي ، مصر القديمة ، بالقرب من مقام الليث بن سعد.

قال المحقق أحمد عصام عبد القادر الكاتب :

" بذل الماعون في فضل الطاعون "

1- **عرض الكتاب :** رتب الحافظ كتابه على خمسة أبواب وخاتمة وفصل قصير . وألحق بالكتاب فهرسين في أوله : فهرس للأبواب عموما ، وآخر لما تتضمنه هذه الأبواب من فصول . والظاهر أن الحافظ قد ألحق بالكتاب هذا الفهرس بعد أن زاد عليه الزيادات التي ذكرها في آخر النسخة ، بدليل خلوّنسخة أيا صوفيا (ف) من الفهرس التفصيلي ، وسنرجع لهذا الامر قريبا .

عرض في الباب الأول مبدأ الطاعون ، وأنه رجز على الأمم السابقة ورحمة لهذه الأمة ، وجعله أربعة فصول.

ثم عرَّف بالطاعون في الباب الثاني ، وذكر اشتقاقه اللغوي ، وأقوال الأطباء فيه ، وقارنه بالوباء ، وذكر من الأحاديث ما يفيد أنه من وخز الجن ، والحكمة من ذلك ، ثم ألحق به الأحاديث التي تحرس قائلها من كيد الجن ، وجعله تسعة فصول .

وذكر في الباب الثالث الأدلة على كونه شهادة للمسلمين ، وتعرَّض لمعنى الشهيد ومراتب الشهداء وشروط الشهادة ، وكذلك تعرض لعدم دخول الطاعون المدينة النبوية ، وجعله عشرة فصول .

وضمن الباب الرابع ما يتعلق بالطاعون من أحكام ، كالخروج من البلد الذي يقع فيه ، أو دخوله ، وذكر قصة رجوع عمر من "سرغ" واختلاف الصحابة ، ومسألة العدوى ، وجعله أربعة فصول ، لكنها مطولة .

وذكر في الباب الخامس ما يُشرع للناس فعلُه عند وقوع الطاعون كالدعاء برفعه ، والاجتماع لذلك أو عدمه ، وما يتعلق منه بالإرث ، والأدب المتعلقة بمن أصيب به ، وآداب العيادة .

وختم الكتاب بخاتمة تكلم فيها باختصار على الطواعين الواقعة في الاسلام الى سنة 848هـ ، وألحق بها فصلا ذكر فيه بعض أقوال الأدباء في الطاعون ، فساق مقامة ابن الوردي والصفدي وغير ذلك .

وختم كل باب بفصل كشف فيه مشكل الألفاظ الواقعة في الباب ، فضبط بالحروف ما يحتاج الى ضبط ، وفسّر ما يحتاج الى تفسير ، وقيد ما يحتاج الى تقييد .

2- **عنوانه :** ورد اسم الكتاب بعدة عناوين ، نخلص منها إلى أن آخر عنوان رضيه الحافظ هو الذي اثبتناه . ففي نسخة أيا صوفيا (ف) : " بذل الماعون في فوائد الطاعون " كذا ورد على الغلاف ، وفي مقدمة المصنف .

وورد في نسخة الظاهرية (ظ) : " بذل الماعون في فوائد الطاعون " على الغلاف ، وفي المقدمة قبل عرض الفهرس التفصيلي . ثم لما ساق الفهرس أعاد الناسخ فقرة بتمامها أوردها الحافظ في المقدمة ، وهي قوله : " وسقت الأحاديث محذوفة الأسانيد ... الخ " ، وذكر فيها العنوان : " بذل الماعون في فضل الطاعون " .

أما النسخة العثمانية (ع) ، فقد ورد العنوان على الغلاف : " بذل الماعون في فضائل الطاعون " ، وفي مقدمة المصنف : " .. في فضل الطاعون " .

وورد العنوان كما أثبتناه في نسخة دار الأوقاف الشريفة بحلب (الأصل) على الغلاف ، وفي مقدمة المصنف .

فلو عرفنا أن نسخة أيا صوفيا لم تتضمن الفهرس التفصيلي ، وأنه سقط منها كثير من الفقرات التي أثبتت في نسخة الأصل ، وأنها خِلْو من الزيادات التي زادها الحافظ مرة ثانية على الكتاب ، كما يفهم من آخر النسخة ، عرفنا أنها منسوخة من مسودة المصنف ، وأن المصنف كان يسميه في البداية : " بذل الماعون في فوائد الطاعون " ، ثم عندما ألحق الزيادات بالكتاب ، عدل إلى التسمية الأخيرة لغاية في نفسه ، ويرشدنا الى هذا في نسخة الظاهرية من الخلاف ، لان هذه النسخة تعتبر وسطا بين الثنتين الآخريين ، ففيها زيادات ليست في الأولى ، وفيها نقص عن الآخرى .

3- **سبب تصنيفه :** يذكر الحافظ في المقدمة ، أنه قد تكرر سؤال الإخوان له في جميع أخبار الطاعون وأحاديثه ، مع شرح غريبها وتيسير معانيها على الأفهام ، فأجاب رغبتهم في ذلك .

ومثل هذا السبب كان يحمل الكثير من المصنفين على التصنيف ، كما نلاحظ من مقدمات الكتب ، لكن الحافظ بعد أن أجاب سؤال الإخوان ، توقف عن الكتاب فيما يظهر ، وكان هذا في عام 819هـ ، ثم استأنف تبييضه وزاد عليه زيادات في عام 833هـ.

يقول الحافظ بعد أن يعرض للبدعة التي حدثت عام 833هـ في خروج الناس الى الصحراء ، بعد أن نودي بصيام ثلاثة أيام ، كما في الاستسقاء ، واجتماعهم ودعائهم وعودتهم ، يقول : ... وهذا من الأسباب الحاملة لي على تبييض هذا الكتاب ، بعد أن كنت جمعت منه أكثر الأحاديث وبعض الكلام عليها ، في سنة تسع عشرة وثمان مائة . وكنت امتنعت من الخروج في هذه المرة الاخيرة ، ولا حضرت صحبة الملك المؤيد في تلك المرة ، مع اختصاصي به ، لهذا المعنى الذي أشرت إليه . وقد وقع ما تخيلته من الأمرين معا في المرة الأولى وفي المرة الثانية ، وقيل ما قيل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " (ق 96/ ب) .

لكن : لماذا توقف عنه بعد جمع أكثر أحاديثه والكلام عليها في سنة 819هـ ؟ .

ما أظن أننا نملك إجابة واضحة ، ولكن ثمة أحداث لها تأثير في ذلك لم يتعرض لها الحافظ إطلاقا ، وهي وفاة ابنته (عالية) و(فاطمة) في طاعون سنة 819هـ ووفاة ابنته الكبرى (زين خاتون) في طاعون سنة 833هـ ، كما ذكرنا في ترجمته .

فهل يمكن أن نقول : إن سؤال الإخوان ، مضافا إليه وفاة ابنتيه ، كان دافعا لتصنيف الكتاب ؟ وأنه توقف عنه لئلا يكون حزنه على ابنتيه سببا في تصنيفه ، فيكون عمله غير خالص لله ؟ وأن عودته لتبييض الكتاب بسبب البدعة التي حدثت في عصره سنة 833هـ ، مضافا اليها وفاة ابنته الكبرى ؟

لا نستطيع أن نقطع بشيء لئلا نطعن في إخلاص الحافظ ، الذي لا نجد أدل عليه من عدم تعرضه في جميع الكتاب – ولو بالاشارة – إلى مسألة وفاة بناته بالطاعون ، ولكننا نستطيع أن نجزم أنه تأثر بوفاة بناته الثلاث ، ونحتمل احتمالا أن يكون لذلك أثر في تصنيفه الكتاب من مرحلتيه الأولى والثانية ، والله أعلم بالسرائر .

4- **منهج الحافظ وموارده فيه :** إن أول عمل قام به عند شروعه في تصنيف هذا الكتاب ، هو جمع مادته العلمية ، وكان ذلك سنة 819هـ ، كما قدمنا :" ... وهذا من الاسباب الحاملة لي على تبييض هذا الكتاب ، بعد أن كنت جمعت منه أكثر الأحاديث وبعض الكلام عليها ، في سنة تسع عشرة وثمان مائة "(ق 96/ب).

والحافظ في جميع ذلك يرجع الى الأصول في كل فرع من الفروع ، إن في الأحاديث ، أو في اللغة ، أو في الطب ، ولا يكتفي بالكتب المتأخرة ، بل لا يرجع إليها إلا لفائدة ، أو لضرورة ملحة ، أو لزيادة خبر ، أو لغير ذلك ، بعد أن يكون قد استنفد الأصول .

ومن أمثلة ذلك ورود لفظه (إخوانكم) بدل (أعدائكم) في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث : " وخز أعدائكم من الجن " ، فهو يقول : " وقد راجعت كتاب أبي عبيد في (غريب الحديث) . ثم كتاب أبي محمد بن قتيبة في ذلك ، وهو كالدليل على كتاب أبي عبيد. ثم كتاب أبي سليمان الخطابي في ذلك ، وهو كالذيل على كتاب ابن قتيبة . ثم كتاب قاسم بن ثابت السرّقسطي في ذلك ، وهو كالذيل على كتاب ابن قتيبة أيضا ، فلم أره فيها أصلا ، ولا في (الفائق) للزمخشري، وكذلك (غريب الحديث) لابراهيم الحربي ، وهو أوسع هذه الكتب كلها ، ومع ذلك ما أكمله ، فلم أجده فيه " (ق28/ب).

وهو يتحرى في كل ذلك الدقة ، ويتحرى صحة النسخ التي يعتمدها ما أمكن ، ففي صدد بحثه عن لفظة (إخوانكم) المذكورة ، يرجع إلى أكثر من نسخة صحيحة من (مسند) الإمام أحمد ، لان بعضهم نسبها للمسند (ق 27/أ- وما بعدها) . ويعزو الخطأ في أحد الأسانيد الواردة في " المعجم الأوسط " للطبراني ، إلى عدم صحة النسخة المعتمدة منه ، فيقول : " وما أظن الوهم إلا من النسخة التي من (الأوسط) فإنها غير مقابلة " (ق 27/ ب) .

وباعتبار أن الغالب على الكتاب الصنعة الحديثة ، فقد استوعب الحافظ طرق أحاديث الطاعون والكلام عليها ، أمّا ما وقع من هذه الأحاديث استطرادا كالفصل الذي عقده في (الأذكار التي تحرس قائلها من كيد الجن) ، وهو الفصل الثامن من الباب الثاني ، فقد سكت على بعض الأحاديث ، وغالبها صحيح أو حسن ، ويندر أن يسكت على خبر فيه ضعف ظاهر .

وقد قال في المقدمة : " وسقت الأحاديث محذوفة الأسانيد غالبا ، لكن أنبه على من أخرجها من الأئمة ، وعلى حكمها من الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف ، ملخصا لبيان علته تارة ، ومستوعبا أخرى "

وقد ساعد الحافظ هذه الفترة الزمنية المتطاولة بين الشروع بالكتاب سنة 819هـ ، وتبييضه سنة 833هـ ، فاجتمع له كثير من الطرق التي لا يمكن الوقوف عليها في فترة قصيرة .

أما موارده في هذا الكتاب فكل كتاب من كتب السنة من موارده ، كالستة ، والمعاجم ، والمسانيد ، وكتب الغريب ، وقد ذكرنا بعضها ، وكتب الطب البارزة لأشهر الأطباء كابن سينا وابن النفيس . كما وقف على

أمهات الشروح ، كشروح البخاري ومسلم ، وهي شروح كثيرة ، وستجد هذه الكتب جميعا في الفهرس المعد للكتب .

ومن الكتب التي رجع اليها مراراً في هذا الكتاب ، مما هو غير مشهور ، كتاب (معاني الأخبار) للكَلاباذي (محمد بن اسحاق بن ابراهيم ، أبي بكر ت: 380هـ) ، (انظر مثلا الأوراق :15/ب ، 35/أ ، 48/ب ، 49/أ ، 65/أ ، 71/أ – ب ....) .

وأهم من هذا كله أنه وقف على كل ما صنّف قبله في الطاعون من الكتب والأجزاء ، وهي الكتب السبعة الأولى التي ذكرناها باستثناء رسالة السُّرَّمرّي وفي نسبتها إليه شك ، أو هي منتزعة من كتابه " شفاء الآلام .. " كما أشرنا هناك .

من أجل هذا كله تميز كتاب (البذل) بالشمولية ، وبالدقة العلمية ، مما عرف به الحافظ عموما ، بحيث يمكن اعتباره فعلا خير ما كتب في بابه من الكتب الاسلامية الحديثية ، ولهذا السبب أيضا ، أصبح كل من جاء بعده عالة في هذا الموضوع عليه ، فهم بين مختصر له ، ومستشهد به ، ومستفيد منه .

ولا بد لنا من الاشارة أيضا ، الى أن الحافظ كان يذكر الأحاديث أحيانا بأسانيده ، مما وصل اليه بعلوّ ، وقد بدأ أول أحاديث الكتاب بسنده ، وختم آخر أحاديثه بسنده كذلك .

وهذا الفعل من الحافظ يعتبر بحق وفاء العصر الرواية ، وتجديدا لذكرى أولئك الذين حملوا هذه الرواية من رجالات الرعيل الأول ، في عصر أدبر الناس فيه عن الأصول والأمهات ،وأقبلوا على الفروع والمختصرات".

5- وصف النسخ :

أ- نسخة مكتبة الأوقاف الشرفية بحلب (الأصل) :

رقمها (1257) ، وأوراقها (114) ورقة بمقاس (13x18) سم ، ومسطرتها (17) سطرا ، تتفاوت كلمات كل سطر بين (9الى 13) كلمة ، نسخت بخط نسخي مشكول أحيانا ، على نسق واحد ، إلا في أماكن يسيرة (كالورقة 16 ، 84) ، بخط محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري (ت: 902هـ) ، وقد أتم نسخها سنة (864هـ) ، في يوم الجمعة ، الثالث من ذي الحجة الحرام .

قال المحقق : وقد اعتبرت هذه النسخة أصلا لأسباب :

منها : أنها تضم آخر زيادات زادها الحافظ على الكتاب ، بدليل عدم وجود هذه الزيادات في باقي النسخ ، ومن هذه الزيادات التي تفردت بها هذه النسخة ما تجده في الأوراق : (63/ب ، 64/أ ، 65/أ ، 92/ب ، 96/ب ، 104/أ ، 107/أ ...) .

ومنها : أنها نسخة متقنة ، ويتضح ذلك من تأمل الخلافات بين النسخ ، حيث يكون الصواب ما فيها ، خصوصا في الثلثين الأولين من الكتاب ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهذا لم يمنع بالطبع أن يقع فيها أخطاء وتصحيفات .

ب- نسخة دار الكتب الظاهرية (ظ) :

رقمها (3158) [وفي المنتخب للألباني : طب 33] ، تقع في (107) ورقات ، مسطرتها (18-20) سطرا ، تتفاوت كلمات السطر بين (8 الى 14) كلمة : كتبت بخط نسخي مقروء غير مشكول على نسق واحد ، نسخها محمد بن محمد بن بهادر المؤمني الشافعي (ت : 877هـ) في رجب ، سنة (874هـ) .

ج - نسخة مكتبة أيا صوفيا بالسليمانية (ف)

رقمها (880) ، تقع في (154) ورقة ، مسطرتها (15) سطرا ، تتفاوت كلمات السطر بين (7 الى 11 كلمة . كتبت بخط نسخي جيد ، غير مشكول ، على نسق واحد ، نسخها الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن بدر الدين بن علي الحسني المصري الشافعي ، ولم يصرح الناسخ بأنه هوالذي نسخها ، لكن هذا يستفاد من قوله : " وافق الفراغ ... باسم العبد الفقير الى الله تعالى ..." ، وهذا لا يقوله أحد في الغالب إلا عن نفسه . وقد تم نسخها سنة (852) هـ " نهار الثلاثاء ،ثالث عشري شهر ربيع الآخر " ، أي قبل وفاة الحافظ بثمانية أشهر تقريبا ، ومع ذلك لا نجد عليها أي أثرللحافظ أو أحد تلاميذه المعروفين .

د - نسخة المكتبة العثمانية بحلب (ع)

رقمها (26/ملحق) تقع في (71) ورقة بمقاس (15/20) سم ، أسطرها متفاوتة بين (20 و 21) سطرا ، كذا كلمات السطر بين (8 الى 10) كلمات ، كتبت بخط نسخي معتاد ، غير مشكول ، على نسق واحد . نسخها محمد بن ناصر الدين الشفوني ، سنة (1066هـ) .

وهذه النسخة حافلة بالاخطاء الشنيعة ، والبتر المتعمّد الذي قد يبلغ أحيانا ثماني صفحات ، ولذلك أتت النسخة في إحدى وسبعين ورقة . ومن النقص والبتر الذي فيها ما يقابل من ترقيم نسخة الاصل الأوراق : 6/أ صفحة بتمامها ، 8/ب نصف صفحة ، 13/أ نصف صفحة ، 16/ب – 18/أ ثلاث صفحات ، 18/أ – 22/أ قريب من ثماني صفحات ... وهكذا) .

والمبتور من هذه النسخة هو غالب ما له صلة بالصنعة الحديثة عموما حتى أوشكت أن تكون هذه النسخة اختصارا للكتاب وليس الكتاب نفسه ، لكثرة النقص الذي فيها .

ومن نسخ الكتاب التي لم أقف عليها :

نسختان في التيمورية تحت الأرقام (198 و 213 مجاميع) ونسخ في كل من : أسعد أفندي ، عاشر أفندي ، كوبريلي (انظر ابن حجر 651) . وسمعت ان بالحرم المدني نسخة منه أيضا ، ونسخة في جامعة لندن (13998-1067 هـ) .

6- قال المحقق :عملي في الكتاب :

لقد اقتصر عملي في هذا الكتاب على الأمور التالية :

1- معارضة النسخ الثلاث على نسخة دار الأوقاف الشرفية (الأصل) ووضع الزيادات بين أقواس مضلعة [ ] .

2- ضبط ما يحتاج الى الضبط ، مما ضبط الحافظ في آخر كل باب أو مما لم يضبطه أصلا .

3- وضع الأحاديث المعروفة بين قُويسات : " " ، ووضع الآيات القرآنية بين أقواس مزهرة .

4- عزو الآيات الى أماكنها ، وتخريج الأحاديث التي سكت عليها الحافظ ، أما ما خرّجه هو وأصدر فيه حكما ، فقد تجاوزته ، وأردت بتخريج ما سكت عليه تحقيق الفائدة المرجوة من الكتاب .

5- تصحيح ما وقع فيه تصحيف من المفردات بالرجوع الى مظانها ، ومن الاسماء والتراجم بالرجوع الى مظانها كذلك .

6- وضعت عناوين الأبواب في صفحات مستقلة ، وعناوين الفصول في بدايات الصفحات . واضفت الى كل فصل رقمه كما هو في الفهرس، ووضعته بين أقواس مضلعة ، محافظة مني على نسق الكتاب . ومثله : [الفصل الأول] ، [الفصل الثاني] ... الخ ، ولم يكن الحافظ قد ذكر هذا في غير الفهرس الذي وضعه .

7- جريت ... في كتابة ألفاظ الكتاب على الطرائق الإملائية المعاصرة ، وكذا الآيات القرآنية .

8- جريت في كتابة عبارات التحمل في الأسانيد ، من مثل (ثنا ، أنا ، نا ، حدثنا) على ما هو في نسخة الأصل ، ولم أشر إلى الخلاف في ذلك لكثرته ، إلا عند ضرورة ، أو ما كان له فائدة في الحكم على السند ، كما لو ورد في نسخة (ثنا) وفي نسخة (عن) ، فهذا يترتب عليه حكم بالتدليس ، ولذلك تحريت فيه الدقة ما أمكن .

9- نقلت أحيانا ما فسّره الحافظ من الغريب في آخر كل باب ، لأستعين به في شرح هذا الغريب مكان وروده من الكتاب . أما ما ضبطه هو بالحرف فقد ضبطته في مكان وروده بالحركات كما ضبطه ، إلا إن خولف في ذلك.

10- عرّفت ببعض الكتب غير المشهورة ، وببعض التراجم مما وجدت أنه يحتاج الى تعريف .

11- شرحت من الغريب ما لم يشرحه الحافظ بالرجوع الى مظانه .

12- زودت الكتاب ببعض الفهارس ، للأيات ، وأطراف الأحاديث والكتب الواردة في متن الكتاب ، وأسماء الرواة المترجم لهم ، وغير ذلك .

13- لم أشر إلى الخلاف في عبارات الترضي والترحم وما شاكلها .

14- هذا ، عدا ما قدمته للكتاب ، مما ظننت فيه فائدة علمية للعاملين في هذه الميادين .

ومقدمه تحتوي على معلومات طبيّة عن الطاعون وسببه وأنواعه الاكلينيكية منقولة من دائرة المعارف البريطانية ، كما تحدث عن مسألة العدوى ، ثم ذكر المؤلفات في الطاعون في التراث الاسلامي من كتب الحديث والكتب التي أفردت الطاعون بمصنف فعدَّ منها 31 رسالة.

الفصل الرابع والعشرون :

ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الازرق
(وفاته بعد 890هـ/1485م)
وكتابه : تسهيل المنافع في الطب والحكمة

جاء في الاعلام لخير الدين الزركلي (ج46/1) عنه ما يلي : " عالم بالطب يماني .. اشتهر بكتابه " تسهيل المنافع في الطب والحكمة " وله ايضا كتاب "مغني اللبيب حيث لا يوجد الطبيب " ، وذكر من مراجعه كشف الظنون ص407 ، وهدية العارفين ج24/1 ، وطوبقبو (طوب كابي) في تركيا : وفيه الازرق أو الازرقي وفاته سنة 815هـ / 1412م ... ويبدو أن هذا التاريخ غير صحيح لان ابراهيم الازرق ذكر في مقدمة كتابه تسهيل المنافع أنه اعتمد على كتاب شفاء الاجسام لمحمد بن الغيث الكمراني (اليماني) المتوفي سنة 837هـ/1433م ، وبالتالي فلا بد ان تكون وفاة ابراهيم الازرق بعد هذا التاريخ ، وللأسف فإن رضا كحاله في كتابه معجم المؤلفين (ج44/1) ذكر ان ابراهيم الازرق كان حيا قبل 815هـ/1412م ، اما الاخ العزيز والزميل الطبيب البحاثة الدكتور نزار محمد عبده غانم في بحث له منشور في الشبكة العنكبوتية (جوجل) في 15يونيه 2008 بعنوان : " مخطوطات نادرة واكتشافات سبقت العلم الحديث " فيقول ان ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر الازرق من اهل اليمن من القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي .

ويعتمد في معلوماته على كتاب السيد عبد اللاه الحبشي :مصادر دراسة الفكر الاسلامي في اليمن (اصدار المركز الثقافي ابو ظبي) وبحث منشور في مجلة سبأ (جامعة عدن) العدد 13، ديسمير 2004(ص91-112) للأكاديمي الباحث العراقي الدكتور محمد كريم الشمري .

وقد ذكر ان لابراهيم بن عبد الرحمن الازرق كتابان (احدهما) تسهيل المنافع في الطب والحكمة وهو مطبوع عدة طبعات . وتوجد منه مخطوطة في مكتبة الاحقاف بتريم (حضر موت) ضمن كتب الطب مجموعة رقم 2459 (مجموعة الرباط أي رباط تريم) وقد نسخ عام 1703م .

و(الثاني) هو " مغني اللبيب حيث لا يوجد طبيب ... وهو مخطوط نسخ عام 1766 ، من كتب الخديويه (ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لا سماعيل باشا البغدادي ..) وقد اعتمد فيه كما يبدو على كتاب ابي بكر الرازي " من لا يحضره الطبيب " وكتاب أحمد بن الجزار القيرواني " زاد المسافر " فكلاهما يتحدث عن كيفية التداوي عند فقد الطبيب .

كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة

لقد لقي هذا الكتاب اهتماما كبيرا من الناشرين والقراء . وقد طبع لاول مرة في مصر سنة 1891م (طبعة بالحجر) . ثم طبع في مصر أيضا سنة 1917 . ثم قامت مؤسسة الحلبي وشركاه للتوزيع بالقاهرة بطبعه وعلى هامشه كتاب الامام الذهبي " الطب النبوي " وغير مذكور فيه سنة الطبع .

وفي آخره : تم بحمد الله وتوفيقه طبع كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الاجسام وكتاب الحكمة . وبهامشه الطب النبوي (للامام الذهبي) . وتوقيع مدير مؤسسة الحلبي وشركاه : عباس جمال الدين الحلبي .

وفي طبعة مصورة بالاوفست لنفس الكتاب قامت المكتبة الشعبية ببيروت بتصوير الكتاب . ومع هذا فقد تركت خاتمة الطبع القديمة . وأنه قد قامت بطبعه ادارة مطبعة المشهد الحسيني بشارع المشهد الحسيني رقم 18-القاهرة –مصر ادارة محمد عبد الحميد احمد حنفي .

وفي طبعة مصورة أخرى قامت بها دار الكتب العلمية –بيروت (1983) نجد في آخر الكتاب : بحمد الله تعالى – قد تم طبع – كتاب " تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الاجسام وكتاب الرحمة وبهامشه " الطب النبوي " وتوقيع رئيس التصحيح أحمد سعد علي – القاهرة 25 ربيع الاول 1367هـ/5فبراير 1948 وتوقيع ملاحظ المطبعة محمد أمين عمران ومدير المطبعة رستم الحلبي .

وقد قامت دور النشر المختلفة باعادة تصوير الكتاب وتغير الغلاف .. وهذه عيّنة لما هو موجود على الشبكة العنكبوتية .. مما يدل على هذا الاقبال الشديد على هذا الكتاب رغم انه فقط يعاد تصويره دون أي تحقيق أو اضافة مفيدة .

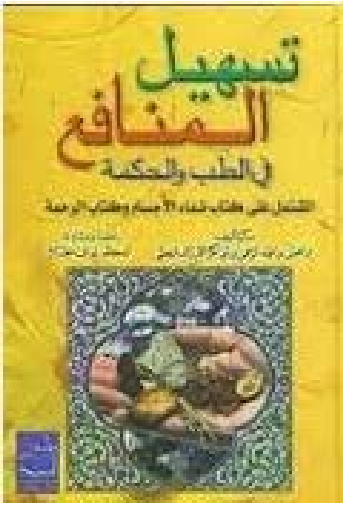

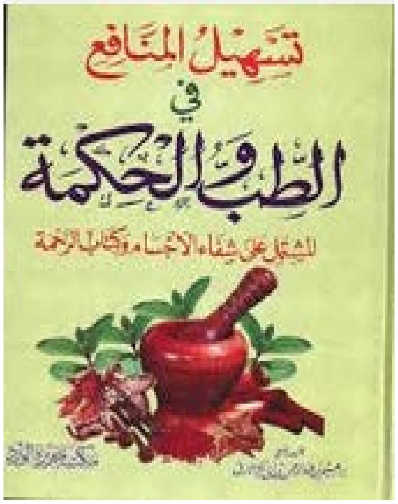

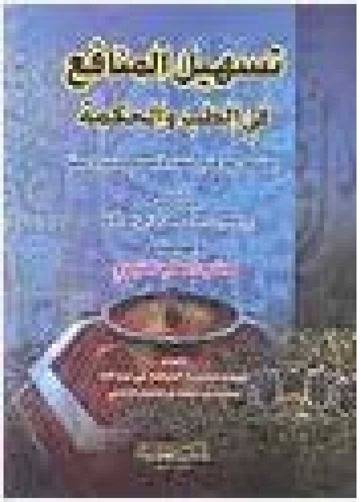

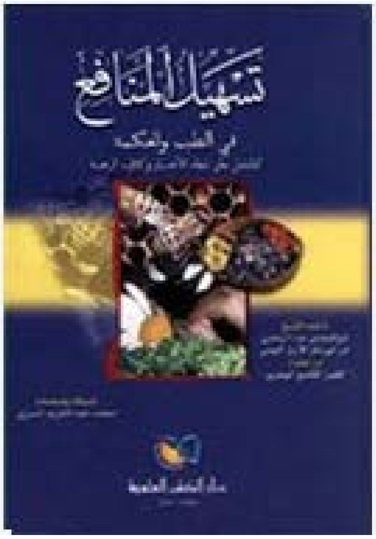

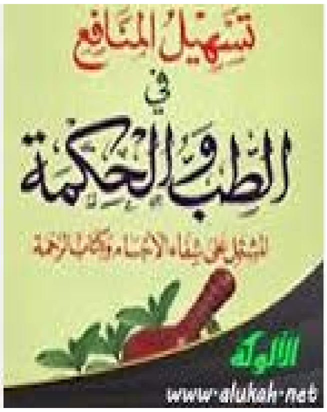

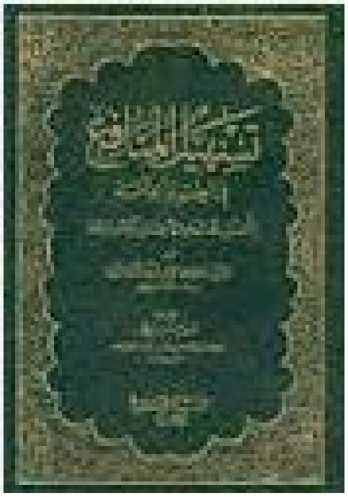

وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان باصدار كتاب من مجلدين بعنوان الازرق تأليف محمد بن ناصر سليمان وكتبه سيف بن حنظل احمد البو سعيدي وذلك سنة 1406هـ/1986 وتقديم محمد عبد المقصود شلبي مشرف الدراسات العربية وكتب عن نفسه المحقق .. وليس هناك اي تحقيق . والكتاب بكامله للطبيب ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر الازرق اليمني وهو كتاب " تسهيل المنافع في الطب والحكمة " وقام محمد بن ناصر سليمان باملاء الكتاب على سيف بن حنظل البوسعيدي . ولذا امتلأ الكتاب بالاخطاء الاملائية والعلمية ومما يدل على ان الكتاب هو نفسه كتاب ابراهيم الازرق " تسهيل المنافع في الطب والحكمة " وجود نفس المقدمة ونفس الابواب والكتاب بكامله لابراهيم الازرق . وتكفي هذه المقدمة للتدليل على ذلك : " أما بعد فإن الطب علم عظيم نفعه وقدره وشرفه ، وأثبت في الشرع أصله وشهد بصحته الكتاب والسنة ، وأجمع على ذلك كافة الامة.. فما شهد به الكتاب فهو قوله تعالى

({ كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين} " وأما في السنّة فقوله عليه الصلاة والسلام " العلم علمان : علم الابدان وعلم الاديان ") [وهذا من كلام الامام الشافعي وليس من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم] ... وقد كان لامامنا الشافعي فيه اليد الطولى والسابقة الاولى " ولو كان المصنف من الاباضيّة من عمان لما قال ذلك ...

ثم قال: " وكان كتاب شفاء الاجسام لشيخنا وقدوتنا الامام العلامة جمال الدين محمد بن ابي الغيث الكمراني رحمه الله من احسنها وأجمعها وأقربها . ويليه في ذلك كتاب الرحمة للحكيم المقري مهدي الصبيري (الصنبري) رحمه الله ... فحينئذ أحببت الجمع بين الكتابين ، وأن أنسخ من مقاصدهما وغيرهما ملخصا مشتملا على ما يسهل استعماله من الادوية السهلة ولا اذكر فيه شيئا من الادوية المعدومة في قطرنا (اليمن) ولا المجهولة التي لم تعرف عند اهل عصرنا ، لان المرء عدو لما جَهل ومن جهل شيئا عاداه وصرفه الى ما عداه ."

ومع هذا فقد استخدم مصادر اخرى مثل اللقط في الطب لابن الجوزي ورسالة الحكيم المارديني وكتاب برء الساعة للرازي ومجموع السويدي في الطب ، وكامل الصناعة الطبية لعلي بن المجوسي . والمنصوري للرازي وزاد المسافر في الطب لابن الجزار القيرواني ، وكتاب الاسباب والعلامات لنجيب الدين السمرقندي والجامع في الطب من الادوية المفردة لاحمد الغافقي ومفردات ابن البيطار مع تجارب المؤلف نفسه .. وكتاب " من لا يحضره الطبيب للرازي" .

وقد قسم الكتاب الى خمسة أقسام :
(الاول) في اشياء من علم الطبيعة والامر بالتداوي (وهو يجمع بين الطب اليوناني وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم)
(الثاني) في تفسير الحبوب (مثل الحنطة والارز والذرة) وطبائع الاغذية ومنافعها .
(الثالث) فيما يصلح للبدن في حال الصحة . وفي اثناء ذلك أحاديث تعظمّن الطب عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأشياء من وصايا الحكماء ... وهو جانب مهم لحفظ الصحة وذكر فيه كثيرا من الاحاديث النبوية وبعض الايات القرآنية .
(الرابع): في علاج العلل الخاصة بكل عضو مخصوصا بأعضاء الجسد .
(الخامس) : في علاج الامراض العامة المنتقلة في البدن وغير ذلك من الرقى والعزائم والمقافع .
وكل قسم منها يشتمل على ابواب وفصول

ويختلف كتاب ابراهيم الازرق تسهيل المنافع في الطب والحكمة عن كتاب مهدي بن علي الصبيري . كتاب الرحمة في الطب والحكمة " ، بتركيزه على حفظ الصحة موجودة واستعادتها مفقودة ، وابتعاده الى حد كبير عن كثير من الخزعبلات والادوية المتعلقة بالسحر والجن وام الصبيان . واستخدامه ما ورد في الاحاديث النبوية من الرقى . ولهذا واجه الصبيري حملات شديدة ضده وخاصة من الاتجاه السلفي وتمّ تكفيره وتحقيره ، بينما لم نجد اي هجوم مماثل على كتاب ابراهيم الازرق " تسهيل المنافع في الطب والحكمة" . وقد أحسن الازرق في الاقلال من هذه الرقى المرتبطة بالطلاسم ... وكان عليه تجنبها والاكتفاء بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم .

وسنتحدث بايجاز شديد عن كتاب الرحمة في الطب والحكمة " المنسوب لعدد كبير من المؤلفين . وسنتحدث عنه عند استعراض كتب الامام السيوطي ووصلنا الى انه في الغالب منحول عليه . أو أنه كتاب آخر غير كتاب مهدي بن علي بن ابراهيم المهجمي اليمني الصبيري (الصبنري) .

والصبنري المهجمي اليمني المقرئي (اي انه كان مقرئا للقرآن الكريم) المتوفى باليمن سنة 1414 ميلادي /815 هـ . وقد قرّض ابن الجزري (صاحب الحرزية في القراءات) في كتابه " النهاية في طبقات القراء " هذا الكتاب . وقال انه خمسة ابواب : الاول في علم الطبيعة وما أودع الله فيها من الحكمة ، والثاني : في طبائع الاغذية والادوية ، والثالث فيما يصلح للبدن في حال الصحة ، والرابع في علاج الامراض الخاصة ، والخامس في علاج الامراض العامة المتنقلة في البدن . وهذا هو ايضا أقسام كتاب ابراهيم بن عبد الرحمن الازرق " تسهيل المنافع في الطب والحكمة " . ولكن الكتاب المطبوع باسم الرحمة في الطب والحكمة المنسوب لجلال الدين السيوطي والذي طبعته مكتبة محمد علي صبيح بميدان الازهر بالقاهرة (غير مذكور سنة الطبع) والمنسوب ايضا لمهدي بن علي الصبيري يحتوي على 195 بابا وفيها أنواع من الرقى والطلاسم وانواع من الصناعات مثل صناعة الأدهان وأنواع الادوية والزنجار والاصباغ والحبر وأنواع الكحل وصنع الاقلام والنشادر ... الخ .

ويوجد من كتاب الصبيري المهجمي نسخ مخطوطة في اليمن منها نسختان بالمكتبة الغربية بصنعاء (طب 10 وطب 11) ونسخة بمكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم (حضر موت) برقم 2462، (مجموعة رباط تريم) نسخت في سنة 1931 بعنوان " الرحمة في علم الطب " .

والمصدر الاول لكتاب ابراهيم بن عبد الرحمن الازرق في كتابه " تسهيل المنافع في الطب والحكمة " هو كما يقول بنفسه في المقدمة كتاب شيخه محمد بن أبي الغيث بن علي القرشي المخزرمي الكمراني (نسبة الى جزيرة كمران في اليمن) ، وهو كتاب " شفاء الاجسام في الطب "

وقد ولد الكمراني في أبيات حسين بالقرب من مدينة زبيد وتوفي ودفن فيها سنة 1433م .

وكتاب الكمراني لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة في مكتبة الكاف بتريم برقم 2461 . وقد ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون أن الازرق صاحب كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة وقد نقل معظم كتاب شفاء الاجسام في الطب للكمراني . وقد ذكر ذلك الازرق بنفسه في مقدمة كتابه" تسهيل المنافع في الطب والحكمة "

الفصل الخامس والعشرون :

الإمام جلال الدين السيوطي
وكتبه في الطب النبوي
(849-911هـ /1445-1505م)

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (مولده 849 هـ/1445 م- وفاته 911 هـ/1505 م) من كبار علماء المسلمين ، أصله فارسي

مولده ونشأته

ولد السيوطي مساء يوم الأحد غرة شهر رجب من سنة849هـ، الموافق سبتمبر من عام 1445م، في القاهرة، من أم عربية وذكروا أن أباه كان في مكتبته وطلب زوجته فجاءها المخاض وولدت عبد الرحمن بين الكتب . وهكذا عاش بين الكتب من مولده الى وفاته رحمه الله ولهذا سموه " ابن الكتب " ، وكان سليل أسرة أشتهرت بالعلم والتدين، وكان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة العلمية الرفيعة التي جعلت بعض أبناء العلماء والوجهاء يتلقون العلم على يديه. وقد توفي والد السيوطي ولابنه من العمر ست سنوات، فنشأ الطفل يتيمًا، وأتجه إلى حفظ القرآن، فأتم حفظه وهو دون الثامنة، ثم حفظ بعض الكتب في تلك السن المبكرة مثل العمدة،ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، فاتسعت مداركه وزادت معارفه. وكان السيوطي محل العناية والرعاية من عدد من العلماء من رفاق أبيه، وتولى بعضهم أمر الوصاية عليه، ومنهم الكمال بن الهمام الحنفي أحد كبار فقهاء عصره، وتأثر به الفتى تأثرًا كبيرًا خاصة في ابتعاده عن السلاطين وأرباب الدولة. وقام برحلات علمية عديدة شملت بلاد الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب الإسلامي. ثم درَّس الحديث بالمدرسة الشيخونية. ثم تجرَّد للعبادة والتأليف عندما بلغ سن الأربعين.

أحداث زمانه

سقطت الخلافة العباسية في بغداد عام 656هـ ، الموافق عا م 1258م في أيدي المغول وتحطَّم معها كل شيء بدءًا من النظام السياسي الذي سقط، والخليفة الذي قُتل هو والعلماء والرعية –إلا القليل- وانتهاءً بالمكتبة العربية الضخمة التي أُلقيت في نهر دجلة. وفي أقصى الغرب زالت دولة الإسلام بالأندلس بعد سقوط غرناطة عام 897هـ، الموافق عام 1492م، ثم جاءت معها محاكم التفتيش لتقضي على البقية الباقية من المسلمين هناك، ويحرق رهبان هذه المحاكم مكتبة الإسلام العامرة هناك، وبدا المشهد
وكأن المغول والمسيحيين يطوون سجادة الإسلام من خريطة العالم، غير أن هذه الهزة السياسية العنيفة واكبها صعود ثقافي وعلمي للمسلمين حيث ظهر عصر الموسوعات الضخمة في العلوم والفنون والآداب، والذي أستمر أكثر من قرن ونصف. ومن أصحاب هذه الموسوعات الضخمة "ابن منظور" المتوفي 711 هـ، 1311م، صاحب كتاب "لسان العرب" و"النويري" المتوفي 732 هـ، 1331م، صاحب " نهاية الأرب"، و"ابن فضل الله العمري" المتوفي 748هـ، 1347م، صاحب "مسالك الأبصار" و"القلقشندي" المتوفي 821هـ، 1418م، صاحب "صبح الأعشى". وانتقلت العواصم الثقافية من بغداد وأصبهان والري وبخارى وسمرقند الى العواصم في مصر والشام والحجاز واليمن .

شيوخه

عاش السيوطي في عصر كثر فيه العلماء الأعلام الذين نبغوا في علوم الدين على تعدد ميادينها، وتوفروا على علوم اللغة بمختلف فروعها، وأسهموا في ميدان الإبداع الأدبي، فتأثر السيوطي بهذه النخبة الممتازة من كبار العلماء ، فابتدأ في طلب العلم سنة 864 هـ ، 1459م ، ودرس الفقه والنحو والفرائض، ولم يمض عامان حتى أجيز بتدريس اللغة العربية، وألف في تلك السنة أول كتبه وهو في سن السابعة عشرة، فألف "شرح الاستعاذة والبسملة" فأثنى عليه شيخه "علم الدين البلقيني". وكان منهج السيوطي في الجلوس إلى المشايخ هو أنه يختار شيخًا واحدًا يجلس إليه، فإذا ما توفي انتقل إلى غيره، وكان عمدة شيوخه "محيي الدين الكافيجي" الذي لازمه السيوطي أربعة عشر عامًا كاملة وأخذ منه أغلب علمه، وأطلق عليه لقب "أستاذ الوجود"، ومن شيوخه "شرف الدين المناوي" وأخذ عنه القرآن والفقه، و"تقي الدين الشبلي" وأخذ عنه الحديث أربع سنين فلما مات لزم "الكافيجي" أربعة عشر عامًا وأخذ عنه التفسير والأصول والعربية والمعاني، وأخذ العلم ـ أيضًا ـ عن شيخ الحنفية "الأقصرائي" و"العز الحنبلي"، و"المرزباني" "وجلال الدين المحلّي" و"تقي الدين الشمّني" وغيرهم كثير، وأخذ علم الحديث عن (150) شيخًا من النابهين في هذا العلم. ولم يقتصر تلقي السيوطي على الشيوخ من العلماء الرجال، بل كان له شيوخ من النساء اللاتي بلغن الغاية في العلم، منهن "آسية بنت جار الله بن صالح"، و"كمالية بنت محمد الهاشمية" و"أم هانئ بنت أبي الحسن الهرويني"، و"أم الفضل بنت محمد المقدسي" وغيرهن كثير.

رحلاته

كانت الرحلات وما تزال طريقًا للتعلم، إلا أنها كانت فيما مضى من ألزم الطرق للعالم الذي يريد أن يتبحر في علمه، وكان السيوطي ممن سافر في رحلات علمية ليلتقي بكبار العلماء، فسافر إلى عدد من الأقاليم في مصر كالفيوم ودمياط والمحلة وغيرها، وسافر إلى بلاد الشام واليمن والهند والمغرب وتشاد ورحل إلى الحجاز وجاور بها سنة كاملة، وشرب من ماء زمزم، ليصل في الفقه إلى رتبة سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

لما أكتملت أدوات السيوطي جلس للإفتاء عام 871 هـ/1466م، وأملى الحديث في العام التالي، وكان واسع العلم غزير المعرفة، يقول عن نفسه: "رُزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع"، بالإضافة إلى أصول الفقه والجدل، والقراءات التي تعلمها بنفسه، والطب، غير أنه لم يقترب من علمي الحساب والمنطق. وعُيّن في أول الأمر مدرسًا للفقه بالشيخونية، وهي المدرسة التي كان يلقي فيها أبوه دروسه من قبل، ثم جلس لإملاء الحديث والإفتاء بجامع ابن طولون، ثم تولى مشيخة الخانقاه البيبرسية ، وقرّر أن يعتزل الناس ومجتمعاتهم ويتفرغ للتأليف والعبادة عندما بلغ الأربعين .

تنبه بعض خصوم السيوطي إلى خطئهم فيما صوبوه إلى هذا العالم الجليل من سهام في النقد والتجريح وخصومات ظالمة، فأعلنوا عن خطئهم، وفي مقدمتهم الشيخ القسطلاني الذي أراد أن يسترضي هذا العالم الجليل الذي لزم بيته وعزف عن لقاء الناس، فتوجه إليه حافيًا معتذرًا، غير أن هذا الأمر لم يجعل السيوطي يقطع عزلته ويعود إلى الناس، ولكنه استمر في تفرغه للعبادة والتأليف.

اعتزال السلاطين

عاصر السيوطي (13) سلطانًا مملوكيًا، وكانت علاقته بهم متحفظة، وطابعها العام المقاطعة وإن كان ثمة لقاء بينه وبينهم، وضع نفسه في مكانته التي يستحقها، وسلك معهم سلوك العلماء الأتقياء، وفي سلطنة طومان باي الأول حاول هذا السلطان الفتك بالسيوطي، لكن هذا العالم هجر بيته في جزيرة الروضة واختفى فترة حتى عُزل هذا السلطان. وكان بعض الأمراء يأتون لزيارته، ويقدمون له الأموال والهدايا النفيسة، فيردها ولا يقبل من أحد شيئا، ورفض مرات عديدة دعوة السلطان لمقابلته، وألف في ذلك كتابًا أسماه "ما وراء الأساطين في عدم التردد على السلاطين".

ريادة ثقافية في عصر العلماء

كان السيوطي من أبرز معالم الحركة العلمية والدينية والأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، حيث ملأ نشاطه العلمي في التأليف مختلف الفروع في ذلك الزمان من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وطبقات ونحو ولغة وأدب وغيرها ، فقد كان موسوعي الثقافة والاطلاع . أعانه على كثرة تأليفه انقطاعه التام للعمل وهو في سن الأربعين حتى وفاته، وثراء مكتبته وغزارة علمه وكثرة شيوخه ورحلاته، وسرعة كتابته، فقد اتسع عمره التأليفي (45) سنة، حيث بدأ التأليف وهو في السابعة عشرة من عمره، وانقطع له (22) عامًا متواصلة، ولو وُزع عمره على الأوراق التي كتبها لأصاب اليوم الواحد (40) ورقة، على أن القسم الأكبر من تأليفه كان جمعًا وتلخيصًا وتذييلا على مؤلفات غيره.

زادت مؤلفات السيوطي على الألف رسالة وكتاب ، ذكر ذلك الاستاذ إياد خالد الطباع في كتابه : " الامام جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الاسلامية " الذي اصدرته دار القلم بدمشق وأوصلها الى 1194 مصنفا ، ما بين رسالة صغيرة في عدة ورقات وكتاب كبير في عدة مجلدات ، وعدّ له بروكلمان (415) مؤلفا، وأحصى له "حاجي خليفة" في كتابه "كشف الظنون" حوالي (576) مؤلفا، ووصل بها ابن إياس إلى (600) مؤلف. من مؤلفاته في علوم القرآن والتفسير: "الاتقان في علوم التفسير"، و"متشابه القرآن"، و" الإكليل في استنباط التنزيل"، و"مفاتح الغيب في التفسير"، و"طبقات المفسرين"، و"الألفية في القراءات العشر". والدر المنثور وتفسير الجلالين ... الخ

أما الحديث وعلومه، فكان السيوطي يحفظ مائتي ألف حديث كما روى عن نفسه، وكان مغرما بجمع الحديث واستقصائه لذلك ألف عشرات الكتب في هذا المجال، يشتمل الواحد منها على بضعة أجزاء، وفي أحيان أخرى لا يزيد عن بضع صفحات.. ومن كتبه: "إسعاف المبطأ في رجال الموطأ"، و" تنوير الحوالك في شرح موطأالإمام مالك"، و" جمع الجوامع"، و" الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة"، و" المنتقى من شعب الإيمان للبيهقي"، و"أسماء المدلسين"، و"آداب الفتيا"، و" طبقات الحفاظ".

وفي الفقه ألف "الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي"، و"الحاوي في الفتاوي"، و" الجامع في الفرائض" و" تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع" وفي اللغة وعلومها كان له فيها أكثر من مائة كتاب ورسالة منها: "المزهر في اللغة"، و"الأشباه والنظائر في اللغة"، و"الاقتراح في النحو"، و"التوشيح على التوضيح"، و"المهذب فيما ورد في القرآن من المعرب"، و"البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك". وفي ميدان البديع كان له: "عقود الجمان في علم المعاني والبيان"، و"الجمع والتفريق في شرح النظم البديع"، و"فتح الجليل للعبد الذليل".

وفي التاريخ والطبقات ألف أكثر من (55) كتابًا ورسالة يأتي في مقدمتها: "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة"، و"تاريخ الخلفاء"، و"الشماريخ في علم التاريخ"، و"تاريخ الملك الأشرف قايتباي"، و"عين الإصابة في معرفة الصحابة"، و"بغية الوعاة في طبقات النحاة"، و"نظم العقيان في أعيان الأعيان"، و"در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة"، و"طبقات الأصوليين". ومن مؤلفاته الأخرى الطريفة: "منهل اللطايف في الكنافة والقطايف"، و"الفارق بين المؤلف والسارق"، و"الفتاش على القشاش"، و"الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض". ومن كتبه المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي حققه حسن محمد مقبولي الأهدل، ومختصر الطب النبوي وما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، وأما كتاب الرحمة في الطب والحكمة فمنسوب اليه وليس له . وكثير من كتبه مطبوع وقد ذكر يوسف سركيس في كتابه معجم المطبوعات العربية أنها بلغت 92 كتابا لغاية سنة 1339هـ/1919،ولا شك أنها قد تضاعفت الآن .

تلاميذه

وتلاميذ السيوطي من الكثرة والنجابة بمكان، وأبرزهم "شمس الدين الداودي" صاحب كتاب "طبقات المفسرين"، و"شمس الدين بن طولون"، و"شمس الدين الشامي" محدث الديار المصرية، والمؤرخ الكبير "ابن إياس" صاحب كتاب "بدائع الزهور".

وفاته

توفي الإمام السيوطي في منزله بروضة المقياس على النيل في القاهرة في 19 جمادى الأولى 911 هـ، الموافق 20 أكتوبر 1505 م، ودفن خارج باب القرافة في القاهرة، ومنطقة مدفنه تعرف الآن بمقابر سيدي جلال نسبة إليه، وقبره معروف هناك.

المنهج السوي

والمنهل الروي في الطب النبوي

تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفي سنة 911هـ ، تحقيق وتخريج حسن محمد مقبولي الأهدل ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، مكتبة الجيل الجديد صنعاء 1406هـ/ 1986م .

كتابه " المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي " وهو كتاب جامع بين طريقة الأطباء والمحدثين ، وهو مشارك فيه وليس بمتخصص في الطب ، بل تغلب عليه الصناعة الحديثة ، فقد بيّن أن مهمته جمع الأحاديث الواردة في الطب مع ذكر أقوال الأطباء التي هي في معنى الشرح للأحاديث وليس له في هذا الكتاب رأي مستقل ، وانما ينقل الأقوال ويجمع المعلومات ويرتبها ، ولا يعرف عنه أنه زاول مهنة الطب بل كل ماله الجمع فقط .

صحة نسبة كتاب (المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي) إلى مؤلفه جلال الدين السيوطي

1- نسبه اليه صاحب كشف الظنون ، وصاحب عقود الجوهر وصاحب هدية العارفين .

2- تكرر ذكر هذاالكتاب في شتى الفهارس العالمية والمكتبات التي ذكرت كتب السيوطي .

3- وجود نسخ خطية متعددة في عدد من المكتبات ، منها : نسخة في دار الكتب المصرية برقم(3157 ل طب) ، وأخرى في الدار برقم (616 طب) خاص وبرقم عام (47153) ، وثالثة في مكتبة الأوقاف ببغداد رقم (948) ، ورابعة في مكتبة الظاهرية بدمشق برقم (طب 1) ، وخامسة في الأحمدية بتونس ، وسادسة في مكتبة طلعت بتركيا ، وسابعة في مكتبة برلين بألمانيا ، وثامنة بأكسفورد بلندن .

4- وجود تاريخ نسخ أول نسخة في زمن قريب من زمن المؤلف بستة وخمسين سنة ، ولعل هذه النسخة نسخة عن خط المؤلف نفسه .

وللمؤلف كتب أخرى في الطب غير هذا ، منها مختصر هذا الكتاب " الطب النبوي مختصر المنهج السوي وهو المذكور في حسن المحاضرة " ويوجد من هذا المختصر نسخة خطية بدار الكتب المصرية وأخرى في مكتبة الأزهر . وقد نشرته مكتبة القرآن بالقاهرة بتعليق ابراهيم محمد الجمل ونشأت المصري (غير مذكور سنة الطبع) .
ولتلميذ السيوطي محمد بن علي ابن طولون كتاب في الطب النبوي اغلبه منقول من كتاب السيوطي .

يقول المحقق الدكتور حسن بن محمد مقبولي الأهدل:

استطيع أن أقسم الكتاب بحسب المادة الموجودة فيه الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ذكر المصنف في كتابه هذا مقدمة بسيطة حول علم الطب ، وقيمته ، وأورد بعض الآثار فيه عن الشافعي – رحمه الله – ثم ساق الأحاديث الواردة في ابتداء الطب ، ونشأته ، ثم ساق الأدلة من الأحاديث النبوية في الحث على العلاج والتداوي .

وساق بعد ذلك كلام الأطباء شارحا مقصد الأحاديث ، ثم ساق نقولا موسعة عن القانون لابن سينا بين فيها جسم الانسان وأعضاءه وتكوينه ، ثم ذكر بعض النصوص عن ابن طرخان ، ثم ذكر تدبير الهواء والمسكن ، والفصول والحركات الرياضية ، والاستفراغات كالقيء والجماع والحجامة نقلا عن الموجز لابن النفيس بعد ان أورد جملة الأحاديث في هذه الأبواب ، وفي باب فوائد الأطعمة والأشربة ، وكل هذا جعله في قسم واحد هو القسم الأول ، وربما تناول بعض الكلمات بشرح بسيط في هذه الموضوعات .

لقسم الثاني : وقد ذكر فيه المفردات الطبية ومنافعها ، وذكر جملة من الاحاديث الواردة فيها مع شرح مقاصدها من كلام الأطباء ، وأكثر في النقل من كتاب الموفق عبد اللطيف البغدادي ، وكتاب ابن طرخان الحموي ، وكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، وكتاب الموجز لابن النفيس .

القسم الثالث : ذكر فيه بعض الأدوية المركبة وبعض الأمراض المختصة بالأعضاء كالصداع والحمى والماليخوليا ، والفالج ، وضعف البصر ، والطاعون ، والنسيان ، وأمراض الأطفال كالعذرة وغيرها ، ثم ذكر الاستسقاء وذات الجنب ، والقروح ، والبثور ، والاسهال ، وأوجاع البطن الكلى وعرق النسا ، والسموم ، وغيرها مما هو موجود في الكتاب ، وأكثر في هذا القسم من سرد الأحاديث ، وقليلا من كلام الأطباء نقلا عن الموجز (لابن النفيس)

ثم أنهى الكتاب بخاتمة – ضمنها – التطبيب وكيفية علم الطب واكتسابه ومعرفته ، وختمه بنصيحة عن الاصمعي فقال : " يقال من كتم السلطان نصحه ، والأطباء مرضه ، والأخوان بثّه ، فقد خان نفسه " .

قيمة الكتاب العلمية :

لقد حفظ المؤلف – رحمه الله – لنا في هذا الكتاب مادة خصبة جدا من الأحاديث النبوية الواردة في الطب النبوي من كتب فقدت أصولها ، ولولا ما بذله من جهد بهذا الجمع لما أمكن الوقوف على نصوص هذه الاحاديث .

وقد جمع في كتابه بين طريقة المحدثين والأطباء ، ورتبه ترتيبا عجيبا دمج فيه الأحاديث النبوية بالأقوال الطبية ، وأشار إلى أنه قد رتب كتابه ترتيب الموجز(لابن النفيس) . فهو يذكر أحاديث الباب ، ثم يسوق بعدها أقوال الأطباء شارحا للأحاديث ، وهو في نقله أمين فقد ذكر كل مصدر استمد منه مادته الأصلية ، ولم يخالف هذه الطريقة إلا في مواضع يسيرة في نقله عن كتب الطب .

وأهم مصادره في نقل كلام الأطباء (القانون لابن سينا) وكتاب (موجز القانون لابن النفيس) ورسالة الموفق البغدادي في (شرح أربعين حديثا من سنن ابن ماجه) وكتاب (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية لابن طرخان الحموي) وكتاب (زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم) .

منزلة الكتاب بين كتب الطب :

أما إذا أردنا أن نعرف قيمة هذا الكتاب من الكتب الطبية التي ألفت في نفس الموضوع ، فإنا نجده قد حوى مادة أوسع وأجمع لتأخره وما عرف به مؤلف الكتاب من جمع المعلومات إذ أن الكتب المتقدمة تعتبر من مراجعه ، فهو لا شك قد انتقى منها ما له قيمة علمية ، وعرض النتائج الجديدة فيها ، فوسع دائرة الكتاب فأصبح جامعا لها ، وإن فاته بعض الاشياء ، فإننا نجده عند عرض المعلومات وكلام الاطباء ، لم يكن ناقدا معترضا كما فعل من تقدمه كالموفق البغدادي ، وابن طرخان الحموي ، وابن القيم ، وانما مهمته حشد المعلومات ، فهو يكتفي بسرد أقوال المتقدمين ، ولعل هذا الكتاب من أوائل الكتب التي ألفها لأن المؤلف كان في أول ابتدائه بالتأليف جامعا لا ناقدا ، ثم بعد التنقيح والتهذيب والتحرير صار مع القوم وعدّه بعضهم في الذروة وأطلق عليه لقب الحافظ .

وهناك احتمال قوي آخر – وهو أن المصنّف قد بيّن أن حصيلته في الطب لم تكن كغيرها من باقي العلوم ، فعندما ذكر في كتابه حسن المحاضرة أنه رزق التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، وقال : ودون هذه العلوم : أصول الفقه ، والجدل ، والصرف ، ودونها الانشاء والترسّل ، والفرائض ، ودونها القراءات ، ودونها الطب ، فإنه كان آخر هذه العلوم .

ومع هذا فقد جمع هذا الكتاب نصوصا جيدة ، وحفظ مادة جمة قريبة المنال . وأما من ذكر من المتقدمين قبله فهم من أشهر الأطباء المسلمين وممن مارسوا مهنة الطب ، وكتبهم مشهورة متداولة عند المتقدمين والمتأخرين ، ولهم تحليل ونقد لكلام الاطباء كأمثال أبقراط وجالينوس ومن بعدهم كالرازي ، وابن سينا ، وقد شرحوا بعض كتب هؤلاء فهذا الموفق شرح بعض كتب أبقراط وبعض كتب ابن سينا ، ونقده في كثير من كتبه حتى وصف أنه كان مولعا بنقده . وكذلك ابن طرخان فإنه مارس الكحالة ، وزاول مهنة الطب . وكذلك ابن القيم شارك في الطب ، وإن لم يعرف عنه أنه مارس المهنة إلا أنه يعترض ويوجه نقده على أكابر الأطباء عندما تتعارض أقوالهم مع بعض الأحاديث ويظهر أن نقده كان سليما .

ولكن ابن القيم ربما استمد نقده من كلام الموفق وابن طرخان ولا يذكرهما ، وهما متقدمان عليه ، وهذا مما أخذ عليه ، وبهذا القدر تظهر ميزات كتابنا هذا .

النسخ الموجودة وأوصافها :

اعتمد المحقق على أربع نسخ من المخطوط هي :

النسخة الأولى :

نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية برقم (3157)ل طب ، وعدد أوراقها (50) ورقة فقط ، ومجموع أوراقها مع مختصرها (69) ورقة تحت رقم واحد وبخط واحد ، نسخت في تاسع عشر الحجة الحرام سنة سبع وستين وتسعمائة هجرية (967هـ) وهي قريبة من عهد المؤلف ، وهي التي اعتمدتها في الترجيح عند اختلاف النسخ ، وقد رمزت لها (د ا) وهي بخط أبي اللطيف بن صارم الدين الشافعي الصيداوي . (الكلام للمحقق الدكتور حسن مقبولي الأهدل) .

النسخة الثانية :

وهي تلي الأولى من حيث الجودة وهي نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم (948)وعدد أوراقها (80) ورقة ، كتبها صدر الدين الأزهري الشافعي ، فرغ من نسخها في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية (983هـ) بالقرافة بزاوية اليسع بجوار جامع محمود ، وقد رمزت لها ب (ع) .

النسخة الثالثة :

وهي نسخة مصورة عن نسخة الظاهرية ، وهي برقم (طب 1) وعدد أوراقها (99) ورقة ، وهي بخط نسخي جيد منظم ويوجد فيها مسح بعض العناوين لان أصل العناوين كتب بالحمرة وهو لا يظهر بالتصوير ، وهي تختلف عن التي قبلها في رسم الخط والتنظيم الذي يدل على ذوق الخطاط وتفننه مما يدل أنها لم تنقل من النسخ الأولى ، لأن فيها بعض الفوارق ، وهي بخط جيد وواضح كتبها أحمد بن عبد الحي بن علي الحسيني القدسي في أواسط شهر محرم الحرام افتتاح سنة خمس وتسعين وألف (1095هـ) وبلغ مقابلتها مع الاخوان بحسب الطاقة وقد رمزت لها ب (ظ) .

النسخة الرابعة :

وهي نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب الثانية برقم (616 طب خاص) ورقم (47153) عام ، وعدد أوراقها (148) ، وهي بخط واضح ، لكنها مليئة بالأخطاء الفاحشة ، وبها سقط بعض العبارات ، ولذلك لم أعتمد عليها في الفروق ولا في الترجيح ، وقد فرغ الكاتب من نسخها يوم الجمعة بعد العصر في اليوم الثاني من ذي القعدة سنة 1288هـ ، ولم يذكر الناسخ اسمه وهي في ملك الفقير إلى الله محمد نذير الحبشي ، وقد رمزت لها ب (د ب) .

عمل المحقق :

اعتمد المحقق النسخة الثانية مكتبة الأوقاف ببغداد سنة 983هـ نسخة (ع) أصلا لمقابلة الفروق لقلة أخطائها ، وجودة خطها ، وسلامتها من السقط ، ووضوح عناوينها ، وإن كانت النسخة (د ا) أقدم منها في النسخ :

1- رقّم الأحاديث والأثار الموجودة بأرقام متسلسة وبدون فصل للآثار عن الأحاديث خوف الاشتباه في الأرقام .

2- ضبط الآيات القرآنية .
3- خرّج الأحاديث من مظانها وقابلتها على أصولها ، وبيّنت درجة كل حديث مما كان في غير الصحيحين ، وما كان في السنن فأنقل كلام الحُفَّاظ على الحديث، لأن هذه الكتب قد خُدِمَتْ خدمة كاملة ، وما لم أجد فيه كلاما فأدرس السند وأبيّن العلّة التي قد توجد فيه من انقطاع أو ارسال أو ضعف الراوي ، أو جهالته وغير ذلك بحسب القواعد التي قررّها أهل العلم بهذا الفن ".
4- "أما الآثار فأكتفي بعزوها إلى مخرّجيها من الأئمة لما عُلِمَ من اختلاف الأئمة بالاحتجاج بها وقبولها ، وقد اذكر علة بعضها ".
5- حقّق متون الأحاديث والآثار على أصولها ودرس سند كل حديث وبيّن علته كما سبق .
6- أسهم في التعليق على بعض الاحاديث وما قيل عنها طبيا" ورددت على بعض الشبهات الواردة حولها إن وجدت ، وبذلت قصارى جهدي في ذلك ."
7- شرح العبارات الغامضة "وفسرت الكلمات الغريبة في الأحاديث والكلمات الطبية واللغوية وبيّن مفرداتها ".
8- حقّق نصوص الكتاب كلها "وتتبعت مصادر المصنف والأصول التي نقل منها".
9- ترجم للأعلام من المحدثين ، " وتركت منهم المشهورين كأصحاب الكتب الستة والأئمة الأربعة وغيرهم ممن فاضت شهرتهم ، وترجمت أيضا للأطباء المذكورين باختصار " .
10- وضع مقدمة للكتاب " بينت فيها أهمية الطب وتطوره " ، وترجم حياة المؤلف ترجمة استوعبت فيها جوانب حياته ، ثم قدم دراسة وافية وشاملة للكتاب وما تضمنه من موضوعات بالتفصيل .
11- وضع فهارس للآيات القرآنية ، وأخرى للأحاديث النبوية مرتبة على الحروف مفصلة . وفهارس للموضوعات ، وأخرى للكلمات الطبية الواردة في الكتاب ، وقائمة للمراجع التي اعتمد عليها المصنف ، وأخرى للمراجع التي استخدمها في التحقيق.

ميزات كتاب " المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي "

1- جمع المصنف الامام السيوطي رحمه الله ثروة هائلة من الأحاديث النبوية والآثار المتعلقة بموضوع الطب ، وهي 667 حديثا وأثرا . وهو أمر لم يتيسر لمن تصدى للتأليف قبله في هذا الموضوع . ويرجع ذلك إلى سعة علم الامام السيوطي في علم الحديث ، والى تأخر زمنه . ولذا فقد جمع معظم ما كتبه سلفه ، وأضاف إليه نتيجة سعة اطلاعه في علم الحديث .
2- يذكر الامام السيوطي من خرَّج الحديث ويحذف السند وينتقل مباشرة الى الصحابي راوي الحديث ، ولهذه الطريقة ميزة الاختصار وعدم الحاجة لذكر السند لأنه موجود في مصادره – البخاري ، مسلم ، اصحاب السن ، والمسانيد ... الخ – التي يذكرها في أول الحديث ، ومثاله الحديث التالي الذي رقم له المحقق برقم 49 :

(أخرج البخاري ومسلم وابن السنّي وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) .

وطريقة السيوطي أن يحذف الاسناد ما عدا في الأثر الأول الذي ذكره عن الشافعي ، فأورد فيه سنده إلى الإمام الشافعي .

والثاني حديث المستغفري عن الكمأة ، فأورده السيوطي بسنده إلى المستغفري . وقد تعّمد السيوطي ذكر السند في هذين الموضوعين لعدم وجودهما في كتب الحديث المشهورة ، والأول ليس حديثا بل أثراً منقولاً عن الشافعي ، فأورد سنده متصلا الى الشافعي وليوضح ان هذا القول من كلام الشافعي رحمه الله وليس حديثا كما توهم بعض الناس ، والثاني ذكر سنده من المستغفري الى الامام أحمد ، ومنه إلى أبي هريرة رضي الله عنه .

والثالث الحديث رقم 99: (المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدّة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم) .

وذكر السيوطي سنده نقلا عن البيهقي في شعب الايمان ، قال البيهقي : وقد رُوي في ذلك حديث مرفوع باسناد ضعيف أخبرنا أبو اسحاق علي بن أحمد بن داود الرزاز ببغداد ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله عن الشافعي ، حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني ، حدثنا يحيى بن عبد الله ، حدثنا ابراهيم بن جريج الرهاوي ، عن زيد بن أبي أنيسة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .... ثم ساق الحديث .

وهذا الحديث موجود أيضا في مجمع الزوائد ، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه يحيى بن عبد الله الباتلي وهو ضعيف . وأخرجه أبو نعيم في الطبّ النبوي ، وفيه يحيى بن عبد الله المذكور في الاسناد – أي ضعيف – وفي " التقريب "لابن حجر (ص 377) قال عنه : : ضعيف . وفي " الميزان " (ج25/1) جاء ترجمة ابراهيم بن جريج قال : كان طبيبا فجعل لهذا الحديث إسنادا . وابراهيم بن جريج هذا متروك . قال المحقق الدكتور حسن مقبولي الأهدل : والحديث موضوع ، وهو من وضع ابراهيم بن جريج .

ولم ينص الامام السيوطي على درجة الاحاديث من الصحة ، ولم يعقب عليهما إلا في مواضع يسيرة محصورة أشار اليها المحقق حسن المقبولي الأهدل .

وقد أحسن الدكتور حسن الأهدل عندما أوضح درجة هذه الاحاديث من الصحة ، وقد نبّه على بعض الأحاديث والآثار المتروكة والموضوعة ، وهي قليلة على أي حال .

3- رتّب المصنف السيوطي – رحمه الله – الكتاب ترتيبا جيدا سار فيه على نهج كتاب موجز القانون لابن النفيس ، وهو يذكر أحاديث الباب ، ثم يسوق بعدها أقوال الأطباء شارحا للأحاديث .
4- كان السيوطي أمينا ودقيقا في نقله من كتب السنّة – ما عدا مواضع قليلة جدا نبّه إليها المحقق الفاضل - ، كما كان أمينا ودقيقا في نقله من كتب الطب النبوي أو كتب الطب ، فهو يعزو كل قول إلى صاحبه ومن أين استقاه . وقد استوعب السيوطي في الاستفادة لموضوعه ، كتب الحديث مثل الأمهات الست والمسانيد والمعاجم الحديثية وكتب الغريب . كما رجع الى كتاب القانون لابن سينا ، والموجز لابن النفيس ، ورسالة الموفق البغدادي – شرح أربعين حديثا في الطب - ،وكتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية لابن طرخان ، وكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الذي أُفرِدَ منه كتاب الطب النبوي في العصور المتأخرة ، وغيرها من الكتب .

5- ترك المصنف لنا ثروة كاملة من الاحاديث والآثار في موضوع الطب وشروحها باختصار من كلام الاطباء .

بعض الهَنات والمآخذ :

1- لم يكن السيوطي ناقداولم تظهر شخصيته في هذا الكتاب بصورة واضحة ، فهو جامع للاحاديث مرتب لها ترتيبا حسنا . وأما الشرح فينقله باختصار وأمانة ودقة من كتب من سبقه من الاطباء ، أو ممّن كتبوا في الطبّ النبوي .

وعذر السيوطي في ذلك واضح جليّ ، فهو لم يكن طبيبا ولم يمارس الطبّ، وإن كان قد درسه على يد محمد بن ابراهيم الدواني الذي قدم الى القاهرة من الروم (الاناضول وهي في تركيا اليوم) ثم ان السيوطي قدذكر بنفسه في " حُسن المحاضرة " أنه غير متمكن من الطب ، بل جعله آخر قائمة العلوم التي درسها وبحثها ، كما قد مرّ معنا .

لذا كان من الأمانة والدقة بمكان أن لا يتعرض في الطب لآرائه الشخصية ، بل يكتفي بالنقل عن اساطين الاطباء في عصره والعصور التي سبقته .

2- لم يبيّن السيوطي درجة هذه الاحاديث من الصحة ، ولكنه اكتفى بتخريجها وأين توجد واعتبر الاشارة الى مصادرها كافيا لمن أراد التحقيق والتدقيق . وقد قام المحقق جزاه الله خيرا بهذه المهمّة ، وبذلك اكتمل الكتاب من هذه الناحية .

3- يذكر المحقق الدكتور حسن الأهدل أن السيوطي لم يلتزم بشرطه بعدم ذكر أي حديث موضوع أو متروك ، فقد ذكر بعض الأحاديث الموضوعة والمتروكة التي نبّه إليها المحقق جزاه الله خيرا ، وهي على أية حال قليلة جدا .

2- كتاب الطب النبوي (مختصر) :

ذكره الامام السيوطي نفسه في كتابه " حسن المحاضرة " . ويوجد هذا المختصر في دار الكتب المصرية ، نسخها أبو اللطيف بن صارم الدين الشافعي الصيداوي (وهو نفسه ناسخ كتاب المنهج السوي والمنهل الروي الموجود في دار الكتب المصرية برقم (3157 ل طب)، والنسخة الثانية موجودة في مكتبة الازهر ، وطالعها أحمد بن عبد الحي الحسيني الشافعي ، وهو نفسه الذي نسخ " المنهج السوي " الموجود في المكتبة الظاهرية بدمشق .

وقد طبعته دار القرآن بالقاهرة (غير مذكور سنة الطبع) باعداد وتعليق وتحقيق ابراهيم محمد الجمل ونشأت المصري . وقال المعلّقان أنهما وجدا الكتاب في مجموع كبير مصور في مكتبة القاهرة رقم 979 مجاميع ، ورسالة السيوطي تحت رقم 62-26 طب . وزعم المعلقان أن الكتاب مخطوط بخّط المؤلف .

وفي المقدمة وضعا ترجمة مختصرة للامام السيوطي .

ويبدأ الباب الأول بعنوان : هديه صلى الله عليه وسلم في تشخيص الداء ووصف الدواء والعنوان لا علاقة له أبدا بالفصل . وقد بدأ الفصل باحاديث مكذوبة أو ضعيفة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل سيكون في أمتي رجل يقال له وهب (والمقصود وهب بن منبه أحد أحبار اليهود الذين أسلموا) يهب الله له الحكمة ، ورجل يقال له غيلان ، هو أضرّ على أمتي من ابليس ، والمقصود غيلان الدمشقي الذي أنكر القدر وتم إعدامه .

وحديث " اتركوا الترك ما تركوكم "
وحديث : " دعوني من السودان . انما الأسود لبطنه وفرجه "
وحديث : " في الحبشة ، إن جاعوا سرقوا ، وإن شبعوا زنوا "
ومثلها كثير وكلها أحاديث منكرة أو ضعيفة جدا كما يقول المصنف نفسه ، فهل فعلا بدأ السيوطي كتابه بهذه الأحاديث المنكرة في كتاب باسم الطب النبوي – في فصل عنوانه : هديه صلى الله عليه وسلم في تشخيص الداء ؟!. هذا امر مشكوك فيه جدا . ويبدو ان هذا الكتاب ايضا منحول باسم السيوطي .
ثم بعد ذلك فصل منقول مباشرة من كتاب ابن القيم " الطب النبوي " .
المرض نوعان : مرض القلوب ومرض الابدان ، وهما مذكوران في القرآن ... الخ " .

ثم أتى بعنوان : فصل لكل داء دواء ، وفيه أحاديث التداوي الصحيحة والحسنة التي ذكرها ابن القيم ... والمؤلف هنا لا يشير اليها بينما نجد السيوطي عندما ينقل في المنهج السوي والمنهل الروي يذكر مصادره مباشرة .

وتحت عنوان التخم ذكر أحاديث " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ... والأحاديث التي تنهي عن كثرة الأكل . وهي أيضا منقوله من ابن القيم ثم انتقل الى الحمى ونقل الأحاديث المذكورة فيها من ابن القيم وكذلك استطلاق البطن . وعرّج على الطاعون وعلاجه . وقد وضع السيوطي كتابا في الطاعون سيأتي ذكره .

ثم حديث الرهط من عرينه وعكل الذين اجتووا المدينة وأصابهم الاستسقاء فنصحهم الرسول صلى الله عليه وأله وسلم بشرب ألبان الابل وأبوالها وأعطاهم الابل مع الراعي ، فلما صحّوا قتلوا الراعي وسرقوا الابل ، فأدركهم بعث رسول الله فقتلهم شرّ قتله جزاء لما فعلوه.

ثم ذكر حديثا في علاج الجرح وحديثا في شرب العسل والحجامة والكي ، وحديثا في الصرع ، وحديثا في عرق النسا . وحديثا في علاج الخراجات وحديثا في تطييب نفس المريض ، وبضعة أحاديث في كيفية الشرب .

وأحاديث في النوم واليقظة . وأحاديث في الرياضة (المصارعة والمسابقة) ثم أحاديث في الجلوس أو المكث في الشمس ، وأحاديث في الجماع ، وأحاديث في دهن الرأس وتسريح الشعر . وتدبير الصيف والشتاء .

وباب في ذكر أعضاء البدن وأهمية القلب ، ثم الاعضاء مثل الاذن والعين والانف ... الخ ، وفي الباب الثالث مفردات الأغذية والأدوية على حرف المعجم ابتداء من الآس وانتهاء بالورد ولكن المعلقين أضافا حرف الياء اليقطين .

والكتاب محدود الفائدة وليس فيه تحقيق وابتدأه المعلقان والمحققان بأحاديث مكذوبة أو ملفقّة . وزعما أن الكتاب بخط السيوطي نفسه .

3 – رسالة في علم التشريح (وهي قسم علم التشريح من نقاية العلوم):

ذكر ذلك فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا إعداد رمضان ششن ، وذكره تحت بند مصنفات الامام السيوطي ، وقال : انه موجود في مكتبة رئيس الكتاب برقم 73/1149 في مجموع من ص411 الى 414 ، بخط نسخ وبمقياس 37x16 سم ، كتبت في القرن الحادي عشر .

وقد ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ص1970 ، بقوله : " النقاية " : مختصر في أربعة عشر علما لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفي سنة 911هـ ، ثم شرحه وسماه : إتمام الدراية . فرغ من تأليفه ثالث ربيع الأول سنة 873هـ "

وقد نظم الشيخ عبد الرؤوف الزمزمي المكي فن التفسير ، ونظمه كاملا شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطي المصري المتوفي سنة 990هـ ، وزاد عليه أربعة علوم فصار ثمانية عشر علما وسماه " روضة الفهوم بنقاية العلوم " ، ثم شرحه وسماه " فتح الحيّ القيوم بشروح روضة الفهوم " . والزيادات التي أضافها السنباطي هي علوم الحساب والعروض والقوافي والمنطق . وقد فرغ من بياض الشرح في رجب سنة 982هـ . ونظمه السنباطي في 1500 بيت تقريبا .

وقد ذكره أيضا بروكلمان في تاريخ الأدب العربي .

<u>شرح كليات الطب والتشريح من نقابة العلوم</u> لشرف الدين بن أبي الرجاء الحلبي الحنفي القاضي بأبيار ، وهو شرح لما ورد في كتاب الطب من نقاية العلوم للسيوطي المتقدّم ذكره .

موجود في مكتبة يكي جامع برقم 8/1178 من صفحة 353 أ إلى 414 ب ، بخط نسخ وبمقياس 13.9x7.7 سم ، سوّده الشارح بخط يده في القرن الحادي عشر الهجري .

<u>4 – الرحمة في الطب والحكمة :</u>

منسوب إلى الامام السيوطي ، وأنكر ذلك الدكتور حسن المقبولي الأهدل في مقدمته لكتاب المنهج السويّ والمنهل الرويّ أنه للسيوطي ، وذلك لانه يحتوي على سحر وخزعبلات كثيرة وأنكر الشيخ محمد بن عبد السلام الشقيري أيضا نسبة هذا الكتاب للامام السيوطي لما فيه من الطلاسم والجهالات والخزعبلات .

وذكر الزركلي في الاعلام ان كتاب الصبيري هو غير كتاب السيوطي المسمى بهذا الاسم والكتاب المطبوع في مكتبة صبيح في القاهرة غير مذكور سنة الطبع في 223صفحة من القطع الصغير وفيه 195بابا وبدأ الباب الاول :

" في علم الطبيعة وما اعدّ الله فيها من الحكمة " " وتحدث فيه عن الاخلاط الاربعة والامزجة وجعل الباب الثاني عن الفصول وطبائع الاغذية . والباب الثالث فيما يصلح للبدن حال الصحة والرابع في تدبير الاسنان .. الخ

ثم انتقل الى المراهم للقروح والدمامل ثم الادوية لعلاج الامراض من الراس الى القدم وعلاج اليرقان (الصفراء) وعلاج الكلف والنمش وامراض الانف والاذن والفم وانتقل بعد ذلك الى الاطراف والمفاصل واليدين والرجلين وعلاج الاورام ثم الحمى ثم علاج العشق وعلاج المربوط ومداواة السحر ومواضيع الجماع ثم امراض البول المقعدة والبواسير ثم امراض النساء والولادة والاجنة ثم علاج السموم ونهش الافاعي وغيرها والحشرات مثل البق والخنافس والعناكب . ثم انطلق الى معرفة السارق والسرقة وعلاج المصروع وعلاج أنواع الجن وعهد سليمان عليه السلام ووضع حجاب ضد الجن والسحر وعلاج امراض الاطفال وحفظهم من الجن والسحر ثم انتقل الى صناعة الكحل وصناعة الحبر والاصباغ والادهان والصابون والمعاجين والزنجار ودبغ الجلود وأنواع الاشربة المباحة ومجموع ابوابها 195 بابا .

والكتاب مطبوع طبعات عديدة ، وقد ذكر فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا هذا الكتاب تحت رقم 239 : السيوطي جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر ص256 ، وأنه موجود في مكتبة يوسف أغا

مترجما الى اللغة التركية ، ترجمة ابراهيم عجزي قنوي ، ورقم 1/10439 في 61 ورقة ، مقاس 16x11سم ، بخط المترجم كما ذكره الفهرس تحت رقم 267 : الصبيري : مهدي بن علي بن ابراهيم اليمني المهمجي وهو موجود في العديد من مكتبات تركيا في أكثر من عشرين مكتبة ذكر منها 25 نسخة بكامل أوصافها .... وذكره فهرس مخطوطات المكتبة الغربيةبالجامع الكبير بصنعاء إعداد محمد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوي ، إصدار منشأة المعارف ، الاسكندرية برقم طب 10 ، وطب 11 ، ونسبه إلى مهدي بن علي الصبيري اليمني المهمجي . وذكره سامي حمارنة في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، ونسبه للسيوطي ص 512.

وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص836 ، وجاء فيه : " الرحمة في الطب والحكمة " للشيخ مهدي بن علي بن ابراهيم الصبيري اليمني المهمجي المقري المتوفي سنة 815هـ ، وهو مختصر لطيف مفيد ذكره ابن الجزري في " طبقات القرّاء " وهو على خمسة ابواب ، الأول : في علم الطبيعة ، الثاني : في طبائع الأغذية ، الثالث فيما يصلح للبدن في حال الصحة ، الرابع : في علاج الأمراض الخاصة ، الخامس : في علاج الأمراض العامّة .

ويبدو من هذه المراجع ومن غيرها ومن أسلوب الكتاب أن كتاب الرّحمة في الطب والحكمة منحول للسيوطي ، وهو في الواقع للشيخ مهدي بن علي الصبيري اليمني المتوفي سنة 815هـ ، والسابق على عصر السيوطي بنحو قرن من الزمان (السيوطي توفي سنة 911هـ).

وقد جاء في فهرس المخطوطات الطبية المصورة ، بقسم التراث العربي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب ، الكويت ، تصنيف هيا الدوسري تحت رقم 90 : الرحمة في الطب والحكمة ، المؤلف : محمد مهدي بن علي بن ابراهيم الصبيري اليمني .

أوله : " الحمد لله الذي اخترع جميع الموجودات وأنهى إلى الوجود الكائنات ... وبعد هذا كتاب مختصر صنعته في علم الطب وهذّبت أعراضه وقرّبت أغراضه ، وجعلته جامعا في الاختصار ليروق بايجازه القلوب والابصار " .

وآخره : " وإن كانت العلّة عظيمة مزمنة مثل الجذام ، فليعاود المسهل كل اسبوع مرة أو في الشهر مرتين على قدر قوة الشخص وضعفه ، فإنه نافع جيّد مجرّب ، والله أعلم وأحكم . فهذا ما أوردنا إليه قصدنا في كتابنا هذا الموسوم بكتاب الرحمة في الطب والحكمة ، فأسأل الله تعالى أن ينفع من كتبه أو قرأه أو حفظه أو نظر فيه أو عمل في شيئ منه ولجميع المسلمين ، فإنه حسبنا ونعم الله الوكيل ، والحمد لله رب العالمين " .

والكتاب المطبوع والمنسوب الى الامام السيوطي ، أوله : الحمد لله الذي اخترع من العدم الموجودات وأظهر الموجودات الكائنات ... أما بعد ، فهذا كتاب مختصر وضعته في علم الطب وهذبت أعراضه ، وجعلته جامعا في حال الاختصار ليروق بايجازه القلوب والابصار .

ومن الواضح أن أول المخطوط وأول المطبوع واحد مع اختلاف طفيف أما آخر الكتاب فمختلف تماما . وآخر المطبوع : صفة معجون البرون ينفع من أوجاع الكبد والطحال والمعدة والرياح المتولد في البطن . ويحتاج الأمر الى مزيد تحقيق لأن القدماء قد يكتبون نفس العنوان ويكون كل كتاب مستقلا عن الأخر ، وإن كان يبدو أن الكتاب المنسوب إلى الامام السيوطي ليس له ، وانما هو كتاب الصبيري اليمني ، والله أعلم .

وكتاب الرحمة في الطب والحكمة منسوب لعدد من المؤلفين موجود منه نسخ عدّة في دار الكتب المصرية ، فقد جاء في قائمة بالمخطوطات الطبية ، إعداد أبي نهلة أحمد بن عبد المجيد ونشرتها مجلة المورد (المجلد 9 ، العدد 3 ، خريف 1980م) ما يلي :

أ. الرحمة في الطب والحكمة : تأليف أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي الفاسي الشهير بزورق شهاب الدين ، أبي الفضل (846-899هـ) ، 71 ورقة كتبت النسخة سنة 1242هـ ، موجود في طب طلعت رقم 486 .

ب. الرحمة في الطب والحكمة : تأليف القليوبي ، في 99 ورقة برقم ل 21105 .

ج. الرحمة في الطب والحكمة : تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين (849-911هـ) في 375 ورقة ، كتب سنة 1277هـ ، موجود برقم طب 679.

د. الرحمة في الطبّ والحكمة : تأليف عبد العزيز بن علي بن داود الهواري المغربي المتوفي سنة 745هـ ، برقم الحسيني 203 في 37 ورقة ، نُسِخَ سنة 1262هـ .

ه. الرحمة في الطب والحكمة : تأليف مهدي بن علي بن ابراهيم الصبيري اليمني المهمجي المتوفي سنة 815هـ ، موجود منه سبع نسخ بالأرقام التالية : طب 50 و 51 و 1428 ، وطب تيمور 11 و ل 5061 ، وطب خليل أغا 6 ، ونسخة أخرى لم يعلم لها مؤلف برقم طب تيمور 345 .

5- مقامات السيوطي الأدبية والطبية :

جمعها وحققها وعلق عليها محمد ابراهيم سليم ونشرتها مكتبة الساعي ، الرياض (كتبت المقدمة 1988/1409 ولم يذكر سنة النشر) ، وهي في الواقع مقالات للسيوطي . وهذه المقامات أو المقالات قد نشرت في استانبول وطبعت عام 1298هـ ، كما طبعت ست مقامات منها في استانبول عام 1408هـ/1988م ، وهي موجودة ضمن مجموعة بدار الكتب الوطنية بتونس برقم 18082 .

وهذه المقامات هي :

المقامة الوردية أو مقامة الرّياحين : أجرى فيها السيوطي حوارا بين الورد والنرجس ، والياسمين ، والبان ، والنسرين ، والنيلوفر ، والآس والريحان . وذكر فوائد كل واحدة منها ، فيقول السيوطي عن **فوائد الورد الطبية :** والعادل في المزاج ، والصالح في العلاج . أسكن حرارة الصفراء ، وأقوي الباطن من الأعضاء ، وأطيّب رائحة البدن ، ومن شم مائي وبه غشي (فقدان الوعي) ، أو صراع حار (صرع) سكن . وأقوي المعدَ (أي المعدة والجهاز الهضمي) ، وأفتح من الكبد السداد ، وأُبَرِّدُ أنواع اللهب الكائنة في الرأس ، وربما استخرجها منه بالعطاس ، وأنبتُ اللحم في القروح العميقة ، وأقطع الثآليل كلها إذا استعملت أزراري سحيقة (الزّر هو برعم النبات ، وقوله سحيقة أي مسحوقة) وأنفع الأحشاء وأقوي الأعضاء أنا ومائي ودهني كيف شاء . وأنفع من القلاع (مرض يصيب الفم والحلق بنقاط بيض وسببه في الغالب فطر المبيّضة كانديدا) والقروح ، وانا بعطريّتي ملائم لجوهر الروح ، وشمّي نافع من البخار ، مسكن للصداع الحار ، وبزري نافع للثة الفم ، وأقماعي (قمع هو الاصل الاخضر الذي يبقى على الغصن بعد ذهاب الزهرة Calyx) تنفع الإسهال ونفث الدم . ومائي يسكن عن المعدة حرّاً ، وينفع من التهاب المرَّةِ الصفراء ، وشرابي يطلق الطبيعة القوية ، وينفع من الحميّات الصفراوية . وإذا شرب مائي بالسكر الطبرذد (السكر الابيض الصلب وهو لفظ فارسي) قطع العطس من المادة ، ونفع أصحاب الحمى الحادّة . وإذا ضُمدت العين بورقي الطري نفع من انصباب المواد ، ومطبوخي طريا ويابسا ينفع من الرمد بالضماد . ومطبوخ يابسي صالح لغلظ الجفون ، ومسحوقه إذا ذرَّ في فراش المجدور (المصاب بالجدري) ، والمحصوب (المصاب بالحصبة) نفع من العفون . ومن تجرّع من مائي يسيرا نفعه من الغشي والخفقان كثيرا . ودهني شديد النفع للخُرَّاجات ، وفيه مآرب كثيرة لذوي الحاجات .

ويمضي السيوطي في هذه الطريقة الطريفة يعدد فوائد الورد ، وانه ذكر في القرآن في قوله تعالى **{ فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ }** (سورة الرحمن 37) .

ويتحدث عن فوائده الاجتماعية ... الخ ، ويأتي بالشواهد من الاشعار والآثار .

ويستمر السيوطي على هذا المنوال ، فيقوم النرجس ويتصدى للورد ويذكر عيوب الورد وأولها الحمرة ، ويستدل على ذلك بحديث : " إن الشيطان يحب الحمرة ، فإياكم والحُمرة وكل ثوب ذي شهرة " ثم يذكر النرجس فوائده العامة وفوائده الطبية ، ومن تلك الفوائد قوله : أنفع غاية النفع من داء الثعلب والصرع ، وقد روي في حديث رواية غير مُقلّ ولا مفلس : " شمّوا النرجس ، فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس " . وفي أصلي قوة تلحم الجراحات العظيمة ، وتنفع ذكر العنيّن وتجنيد تقويمه . وشمّي ينفع من وجع الرأس والزكام البارد ، وفيّ تحليل قويّ لمن هو له قاصد . ودهني نافع لأوجاع العصب والأرحام ، وأوجاع المثانة والأذن والصُّلب من الأورام .

ثم قام الياسمين وتحدّث عن فضائله وفوائده وبعده البان ، ثم النسرين والنيلوفر والآس والريحان ... كلهم على هذا المنوال الفذّ العجيب يأتي فيه بالأدب والشعر والطب والأحاديث ، ويجمعها بطريقة لبقة ذكية في اسلوب مناظرة وحوار .

وجعل المقامة (أو المقالة) الثانية في أنواع الطيب وسمّاها **المقامة المسكية** ، وسلك فيها مسلك المقامة الوردية واستعمل اسلوب الحوار والمناظرة في تبيين خصائص كل نوع من أنواع الطيب وفوائده الطبيّة وما ورد فيه من أحاديث نبوية وآثار أدبية وبلاغية ... ولا ينسى في ذلك ما ورد في الكتاب العزيز من آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر نوع من انواع الطيب . ثم ذكر المنافع الطبية للمسك وأنه : ينفع من الرياح الغليظة المتولدة في الأمعاء ويقوي القلب ويشجع أصحاب المِرَّة السوداء ، وفيه من التوحّش تفريح ، ومن السدد تفتيح ، ويقوي الاعضاء الظاهرة وضعا ، والباطنة شربا ، وناهيك بذلك نفعا ... ويعين على الباه وينفع من بارد الصداع ، وإذا طلي به مع دهن الخيري رأس الاحليل أعانه على سرعة الانزال وكثرة الجماع .. ويقوي الدماغ وينفع من علله الباردة ، ويبطل عمل السموم ونهش الأفاعي ، فيا لها من فائدة ا.هـ. ثم ذكر العنبر وما ورد فيه من أحاديث وما قيل فيه ومنافعه الطبية ، ومنها : أنه يفيد القلب والحواس والدماغ قوة . وينفع شمّه من أمراض البلغم الغليظ والفالج واللقوة (شلل عصب الوجه Facial Paralysis) . وطلاوؤه من الأوجاع الباردة في المعد (أي المعدة) ، ومن الرياح الغليظة العارضة في المعي (الأمعاء) والمفاصل والدماغ من السدد . وينفع من الشقيقة ، والنزلات الباردة والصداع الكائن عن الأخلاط بخورا (أي يستخدم على هيئة بخور) . ومن جميع أنواع العصب والخدر إذا حُلّ في دهن البان ، ودهن به فقار الظهر كثيرا . ويقوي فم المعدة إذا غمست فيه قطنة ووضع عليها يسيرا (من الخارج) .

ثم تحدّث عن الزعفران وما ورد فيه من أحاديث وآثار ومنع استخدامه للرجال ، (أي الثياب المصبوغة بالزعفران) أما استخدامه في اصلاح الطعام وفي الأدوية فمباح بشرط ان يكون المقدار المستخدم قليلا لا يؤثرعلى الادراك ،لأن الزعفران إذا زاد كان له مثل تأثير المخدرات . ثم ذكر من فوائده الطبية أنه يحسّن اللون ويكسبه نضارة ، ويصلح العفونة ، ويقوي الأحشاء ، ويهيج الباه ، ويقوي الأعضاء ، ويجلو البصر ويمنع النوازل إليه ، ويحلل الأورام ، وينفع الطحال وأوجاع المقعدة والأرحام . ويسكّن الحُمرة ، ويدّر البول ، ويهضم الطعام ، وله خاصية عجيبة شديدة في تقوية القلب وجوهر الروح . وفيه بسط وتفريح إذا زاد لا يحتمل ، بحيث إنه إذا شرب منه ثلاثة مثاقيل قتل .

ثم تحدث عن الزباد وأنه لم يرد فيه ذكر في القرآن ولا في الحديث ، وأن من الفقهاء من قرر نجاسة الزباد !! وذكر من منافعه الطبية أنه إذا شمّه المزكوم شفي من الزكام . وإذا ضُمِّخَ به الدماميل خفّت الآلام . وأنه يسهل ولادة المرأة المتعسّرة إذا سقيت منه المرأة مقدار درهم مع مثله من الزعفران في مرقة دجاجة سمينة .

وجعل **<u>المقامة الثالثة للفواكة</u>** والمقارنة بينها وسمّاها المقامة التفاحية وبدأ بالرمان وما جاء فيه من القرآن والحديث والآثار ، ومنها ما رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : " كلوا الرمان بشحمه ، فإنه دباغ المعدة " ثم ذكر فوائده الطبية وأنه يدبغ المعدة ويحدر منها الرطوبات العفنة وينفع من حميّات الغبّ المتطاولة وألمها ، ومن الجرب والحكة والخفقان وأنه يخصّب الأبدان ويقوّي الصدر ويجلو الفؤاد ، وأنه صالح للمحرورين دافع للأذى ، وانه ينعظ لما يحدثه من قليل الرياح (الانعاظ تحرّك الشهوة والانتصاب) .

ويستمر على هذا المنوال العجيب في ذكر فوائده الطبية والغذائية ، ، وما قاله الشعراء فيه .

ثم انتقل إلى **<u>الأترج (النارنج ، اللارنج)</u>** وما ورد فيه من أحاديث . وفي الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترُجَة طعمها طيب وريحها طيب " ، وتسميه العامة الترنج ، وهو يشبه فاكهة الجريب فروت . وذكر فوائده وخواصه ، وأنه يقوي القلب وينفع الماليخوليا المتولدة من اختراق الصفراء . وينفع شربا وطلاء من لسعة العقربان ، واكتحالا من الرمد واليرقان ، وطلاء من القوباء والكلف ويجلو الألوان ... ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء وبزره يقوي اللثة ويحلل الأورام وورقه مقوّ للمعدة والاحشاء ، هاضم من الاكل ما شاء ....

ثم ذكر **<u>السفرجل</u>** وما ورد فيه من أحاديث نبوية ، ثم خواصه ومنافعه . وأنه ينفع من الدوسنتاريا ويحبس النزف والعرق وعصاراته نافعة من الربو وانتصاب النّفَس ، وإذا قطرت في الاحليل نفعت من حرقة البول الذي انحبس ... الخ .

ثم ينتقل إلى **<u>التفاح</u>** ولم يرد فيه حديث أو قرآن ، وذكر منافعه وخواصّه وأنه يقوّي الدماغ وينفع من قلة الشهوة والدود والدوسنطاريا ، وأنه يصلح للغشي والقيئ الكائنين من المِرَّة الصفراء.

ثم انتقل الى **<u>الكمثري</u>** التي لم يرد فيها قرآن ولا حديث نبوي وذكر خصائصه وفوائده وأنه يقوي القلب والمعدة من الاعتلال ويقطع العطش والقيء والاسهال . والحامض من الكمثري دابغ للمعدة ، زائد في الشدّة ، مُشَهَّ للاكل مُدِر للبول .

وتحدّث بعد ذلك عن **<u>النبق</u>** وما ورد فيه من قول الحق سبحانه وتعالى : { فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ } ، وما ورد من حديث عن سدرة المنتهى . ثم ذكر خواصه ومنافعه وأنه : نافع للمعدة ويسهل المرَّة الصفراء . وينفع من الاسهال الذريع ، وينفع من قروح الأمعاء والنزف .

وانتقل بعد ذلك الى **<u>الخوخ</u>** وخواصه ومنافعه ، وأنه : ينفع الأبدان اليابسة الحارة ، وأنه جيد للمعدة الحارّة ، يقطع اللهب ، والعطش ، ويشهّي الطعام ، ويزيد في الباه والاغتلام ، ويطفئ الحرارة المطلقة ، وينفع المحموم وقت صعود الحمّى الحارّة ، إذا كانت غبّا خالصة أو محرقة . وورقة إذا دُقّ وعُصِرَ وشُرِبَ مرات متوالية أسهل حبّ القرع (نوع من الديدان يصيب الأطفال هي Hemonolpis) والحبات . وإذا ضُمّدَ به السرةقتل مافي البطن من الديدان ، وإذا ذلك به بعد الطلاء بالنورة طيّبَ الأبدان ، ودهنه ينفع من الشقيقة وأوجاع الآذان .

وانتقل السيوطي بعد ذلك الى **<u>المقالة الزُمُرّدية</u>** ، وهي في سبعة أنواع من الخضروات ، وهي : القرع والهندباء والخس والرجله والبامية والملوخية والخبازي . وذكر ما جاء من آيات أو أحاديث في هذه الخضار وفوائدها الطبية ومنافعها الغذائية .

ثم أفرد **المكسرات بمقامة سماها المقامة الفستقية** : واللوز والجوز والبندق ، والشاهبلوط (أبو فروة) ، وحب الزلم (حب العزيز ، وحب الصنوبر) ، وتكلم عن خصائص ومنافع كل واحدة منها وما قيل فيها من أشعار .

وتحدث بعد ذلك عن **الياقوت واللؤلؤ والزمرّد والمرجان والفيروزج والزبرجد والعقيق** ، فيما سماه المقامة الياقوتية. وكعادته أورد ما جاء في ذكر كل واحدة منها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية - إن وجدت - ، وخصائص كل واحدة منها ومنافعها في الزينة والاقتصاد والتجارة والطب وما ورد فيها من أشعار .

وانتقل بعد ذلك الى **المقامة الذهبية في الحمى** ، فذكر ما ورد فيها من أحاديث نبويّة . وتحدّث عن أسبابها وفوائدها البدنيّة ، وكيفية معالجتها ومداواتها .

وجعل **المقامة الثامنة باسم المقامة البحرية أو النيلية** ، وهي تتحدث عن نقصان النيل بعد زيادته وفياضانه . وهو في ذلك يذكر الآيات والأحاديث والأشعار ، وتحدّث بلغة صاحب كل علم من العلوم التي في زمنه لتوضح علوّ كعبه وتفنّنه بما فيهم الطبيب الذي يقول : هذه أيام بحران (مدة زيادة الحمّى) ، يخشى منها الهلاك ان لم يلتق البحران ، وان لم تنضج مادة الزيادة لم يحصل الشفا ، وما لم يبلغ الماء القانون المعتاد فالناس على شفا (أي الهلاك) .

ثم جعل **مقامة كاملة** عن منطقة الروضة المعروفة بروضة المنيل في القاهرة التي سكن فيها واعتزل الناس في بيته هناك حتى مات ، ووصف جمالها وتاريخها وما ذكره الشعراء فيها وفي وفاء النيل .

وجعل **مقامة كاملة للطاعون سماها المقامة الدّرية في الطاعون والوباء** ، وقد أنشأها بسبب حدوث الطاعون في مصر عام 879هـ ، وأن الطاعون إنما قدم مصر من بلاد الروم ... وقد حدث الطاعون في أوربا وقتل عشرات الملايين . وانتقل الى الشام ومصر وغيرها من البلاد ... وكان الطاعون دوما أشد انتشارا في أوربا عنه في الشرق الاسلامي بسبب الالتزام بالأحاديث النبوية الواردة في الطاعون ... وعدم الدخول أو الخروج من البلدة المصابة بالطاعون .

ثم انتقل الى **المقامة اللازوردية** في التعزية عن فقد الذرية ، وجعل المقامة الأخيرة بعنوان مقامة الروضة في والديّ خير البرية .

وهكذا نجد السيوطي في هذه الرسائل أو المقامات يتحدّث بأسلوب أدبي عن الفوائد الطبية للورد والرياحين والأزهار وأنواع الطيب وأنواع الفواكة والخضروات والبقول (المكسرات) ، ويتحدث عن الحمّى والطاعون والوباء .

وهو في ذلك كله لغوي بارع ومحدّث وفقيه وأديب وطبيب ... ولا شك أن هذه المقامات الأدبية الطبية ثروة أدبية طبية ... وأنها تدخل ضمن التراث الطبي الأدبي وتراث الطب النبوي .

الفصل السادس والعشرون :

6- ما رواه الواعون في أخبار الطاعون
للإمام جلال الدين السيوطي المتوفي سنة911هـ
ويليه مكتبة الامام السيوطي في الطب النبوي
شرح وتحقيق ودراسة
د. محمد علي البار

الطبعة الأولى 1418هـ -1997 م ، دار القلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت

يعتبر كتاب " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " للإمام جلال الدين السيوطي من الكتب الهامة في تاريخ الطاعون ، والاحاديث الواردة فيه ، في التراث العربي الاسلامي . وقد اختصره الامام السيوطي من كتاب " بذل الماعون في فضل الطاعون " للامام ابن حجر العسقلاني – صاحب " فتح الباري " شرح صحيح البخاري - . ولم يكتف السيوطي بالاختصار وحذف الأسانيد ، بل يعتبر الكتاب في بعض مناحيه تأليفا حيث آراءه الخاصة ، ويحذف ما لا يراه مناسبا ، كما أضاف إليه ذكر الطواعين التي حدثت بعد زمان ابن حجر العسقلاني ، ومقامة وضعها في طاعون عام 897هـ ، وسمّاها " المقامة الدرية " .

أين يوجد المخطوط ؟

يوجد الكتاب في العديد من المكتبات :

1- **دار الكتب المصرية بالقاهرة :** برقم 165 حديث تيمور ، وهي في مجموع من 62 صفحة تضم كتابين للسيوطي ، هما: (أ) ما رواه الواعون في أخبار الطاعون من صفحة 2 الى ص34. (ب) تلخيص بشرى الكثيب بلقاء الحبيب الذي لخّصه الشيخ عبد المجيد بن أبي العباس الحريثي الشافعي ، وهو من ص 35الى ص 61 .

المخطوط بخط نسخ مقروء الصفحة 17.5سم x 10.5 سم ، في كل صفحة 21 سطرا ، في كل سطر 12 كلمة وأوله : (بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مقدّر الأرزاق والآجال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب والآل . هذا جزء انتخبت فيه ما ورد في أخبار الطاعون ، اختصرته من " بذل الماعون " لشيخ الاسلام ابن حجر فأتيت بالمقصود وحذفت الأسانيد ، وما وقع على سبيل الاستطراد ، والله الموفق) . وأخرها مجموعة من الأبيات التي قيلت في الطاعون .

وقد جعلت هذه النسخة مرجعا لتصويب نسخة ليدن ، ورمزت لها بحرف (ب) . وبما أن نسخة ليدن فيها اضافات غير موجودة في نسخة دار الكتب المصرية ، فقد اعتمدتها . وكنت أقارن بين النسختين وما هو ناقص في واحدة أكمله من الأخرى ، ورمزت لنسخة ليدن بحرف (أ) .

2- **مكتبة جامعة ليدن بهولندة :** ضمن مجموع برقم " مخطوطات شرقية455" ويضم المجموع : (أ) " مختصر آكام المرجان في أحكان الجان " للشبلي:من ورقة 1 ب إلى ورقة 77ب . (ب) من

ورقة 78 أ – 80 أ فراغ . (ج) من ورقة 81 ب – 106 ب : " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " للسيوطي ، بخط نسخ واضح إلا كلمات مبهمة ، استعنت على فهمها بالمخطوط (ب) ، وبقيت كلمات معدودة تركت موضوعها فراغا وأشرت إليه في الهامش .

وأوله : (كتاب : ما رواه الواعون في أخبار الطاعون للشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله ، فهرسة أبوابه : مبدأ الطاعون ، حقيقة الطاعون ، الفرق بينه وبين الوباء ، سبب وقوعه ، اختصاص المدينة بأنه لا يدخلها ، هل تشاركها مكة في ذلك ، النهي عن الفرار منه والقدوم عليه ، هل يشرع الدعاء برفعه . فوائد منثورة ، سرد الطواعين الواقعة في الاسلام . مقامة ابن الوردي ، مقامة الصلاح الصفدي ، مقامة المؤلف المشار إليه) .

وأوله : (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله مقدر الأرزاق والآجال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب والآل . هذا جزء انتخبت فيه ما ورد في أخبار الطاعون ، اختصرته من " بذل الماعون " لشيخ الاسلام ابن حجر ، فأتيتُ بالمقصود وحذفت الأسانيد ، وما وقع على سبيل الإطّراد ،والله أعلم بالمراد).

وآخره : (فالحمد لله على حسن الاختتام واتقوا الله يا أولي الألباب إن كنتم تسمعون ، ولا تعقلون عن طاعة الله ، إن كنتم في مثوبته تسمعون ولا تغرنكم المهلة ، فإنما هي فسحة لعلكم تذكرون وتنتفعون ، وسيلحق آخركم بأولكم فطوبى لقوم بفقهون ويعون ، ولأمر الله ورسوله متبعون . كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون . تمّ الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد تسليما كثيرا إلى يوم الدين) .

وغير مذكور اسم الناسخ ولا سنة النسخ ، ولكن قد ذكر في الغلاف (الورقة أ) تملك علي بن أمر الله بن محمد بالقاهرة في شوال سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، ولا شك أنه قد تمّ نسخه قبل ذلك ، وهو غير بعيد عن زمن المصنف المتوفي 911هـ .

وتتميز نسخة ليدن بالاضافة الى قدمها ووضوح خطها بأنها تحتوي على إضافات غير موجودة في مخطوطة دار الكتب المصرية ، وهي المقامة الدرّية للسيوطي في طاعون 897هـ ، ومقامة الصلاح الصفدي ورسالة السبكي . ولهذه الأسباب جعلت هذه النسخة المعتمدة واستعنت بنسخة دار الكتب وأشرت الى الفرق بينهما ، وما هو ناقص من واحدة أكملته من الأخرى واشرت اليه في الهامش .

3- **قام المستشرق الألماني فون كريمر بترجمة كتاب السيوطي :** " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " إلى اللغة الألمانية وعلق عليه ، كما نشر الفصل الأخير من كتاب السيوطي بعنوان : " سر الطواعين الواقعة في الاسلام " ، وفيه سرد الطواعين التي وقعت منذ بداية العهد النبوي وأولها طاعون شيرويه بالمدائن في فارس ، ولم يصب فيه أحد من المسلمين ولا دخل جزيرة العرب . والثاني طاعون عمواس بالشام ، وقتل فيه من جند المسلمين خمسة وعشرين ألفا بينهم ثلّة من خيرة الصحابة من أمثال أبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل وابنيه وزوجته ، وضرار بن الأزور والفضل بن العباس ... الخ . وذكر الطواعين الى زمنه وأخرها طاعون سنة 897هـ ، وقد اعتمدت نسخة كريمر لأنها محقّقة وقارنتها بالمخطوطتين عندي وأشرت الى مواضع الخلاف . كما استعنت بكتاب الامام ابن حجر العسقلاني " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، الذي حققه الاستاذ أحمد عصام الكاتب تحقيقا

جيدا ونشرته دار العاصمة بالرياض سنة 1411هـ - 1991م ، وذلك في سرد الطواعين الواقعة في الاسلام .

وهناك مجموعة من **النسخ المخطوطة التي لم أطلع إليها** ، والتي وجدتها في فهرس مخطوطات الطبّ الاسلامي في مكتبات تركيا ، إعدادا الدكتور رمضان ششن وإشراف الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي وإصدار مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول والتابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي . وهذه النسخ هي :

1- **مكتبة قسطموني بتركيا** برقم 2/1144 ، في مجموع من صفحة 103 ب الى 115 ب.
2- **مكتبة أيا صوفيا باستانبول** (تركيا) برقم 7/4396 في مجموع من صفحة 75 أ الى 131 ب .
3- **مكتبة رئيس الكتاب بتركيا** ، برقم 6/1150 في مجموع من صفحة52 أ الى 82 أ . وهناك نسح أخرى موزعة في مكتبات العالم ، نذكر منها :
4- **المكتبة الظاهرية بدمشق برقم** عام 5896 ، ق 90 -100 .
5- **المكتبة الصديقية بحلب** ، رقم 138 .
6- **مكتبة يحيى باشا بالموصل** ، برقم 256سير ، ق 70 – 103.
7- **جامعة برنستون بالولايات المتحدة** ضمن مخطوطات الشرق الأوسط ، مكتبة فايرستون .

فهارس الكتب التي ذكرت هذا المخطوط :

وكتاب الامام السيوطي هذا مذكور في العديد من المراجع وفهارس كتب المصنّفين مثل كشف الظنون لحاجي خليفة حيث جاء فيه (ص 1574) : " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة911هـ " ، وقد ذكره كثير ممن ترجموا للامام السيوطي وذكروا كتبه مثل الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل في تحقيقه لكتاب " المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي " للسيوطي ، وكتاب الدكتور علي صافي حسين ترجمة حياة " الامام جلال الدين السيوطي " ، وندوة المجلس الأعلى لرعاية الفنون بالاشتراك مع الجمعية المصرية : جلال الدين السيوطي ، و " مكتبة جلال الدين السيوطي " ، للاستاذ أحمد شرقاوي إقبال . لهذا فإن نسبة كتاب " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " إلى الامام السيوطي ثابتة بهذا الفيض من النسخ المخطوطة ، وبما أشارت إليه المراجع وفهارس الكتب .

ميزة كتاب " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " للسيوطي :

يعتبر هذا الكتاب أحد الكتب العديدة التي حفلت بها المكتبة العربية حول الطاعون والوباء . والغريب حقا أن الفقهاء والمحدثين هم أكثر الناس اهتماما بالطاعون ، وتدوين أخباره وتفاصيل أعراضه ، وذلك لارتباط الطاعون والوباء والعدوى بالأحاديث النبوية العديدة ، ولمعالجة قضايا هامة بالنسبة الى ملايين المسلمين حيث كان الطاعون يقضي على سكان مدن بكاملها أو تفقد البلدة نصف سكانها ... كما أن الموضوع يعالج قضايا عقدية دينية هامة .

لهذا كان اهتمام الفقهاء والمحدّثين أكثر بكثير من اهتمام الأطباء ، وقد أوضحنا ذلك بعدد مصنفاتهم وما كتبه أساطين الطب من أمثال الرازي وابن سينا وابن النفيس في الطاعون ، حيث لا يتجاوز ما كتبه أحدهم صفحة واحدة من ضمن كتبهم المحتوية على مئات بل آلاف الصفحات .

وبما أن السيوطي أحد أعلام علم الحديث والفقه ، كما يعتبر من المؤرخين والأدباء أيضا ، فقد شارك في هذه الفنون جميعا ، فإن السيوطي لم يهمل موضوع الطاعون بل قام باختصار كتاب شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، وحذف الأسانيد والاستطراد وأضاف إليه آراءه الخاصة ، وشيئا من معلوماته، وما حدث من طواعين بعد وفاة ابن حجر ... وانتهى الى طاعون عام 897هـ و 898 هـ الذي وضع فيه مقامته " الدُّرّية " ، وهي مقامة في وصف ذلك الطاعون ضمنها قدرته النحوية والبلاغية ومعرفته لعلم الحديث والفقه وأصولهما ... الخ .

لهذا نجد في كتاب السيوطي عرضا شاملا للطواعين حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، وهذا يعطينا معرفة جيدة لتأثير هذه الطواعين على الحياة العامة في البلاد الاسلامية على مدى تسعة قرون ، كما يعطينا بعدا في تصوّر القضايا العقدية والدينية المتعلقة بالطاعون وإصابته للمسلم وكيف هو شهادة له بينما هو رجز وعذاب للكافر والمنافق ، كما تعطينا تصورا لأسباب الطاعون وارتباطه بوخز الجن – والجن كل ما اختفى واستتر - ، وكونه أيضا عقوبة لانتشار الزنا ، كما أنه في الوقت نفسه رحمة وشهادة لكل مسلم ... وفيه أيضا وصف لكثير من أعراض الطاعون وعلاماته نستشفّ منها معرفة جيدة بأنواعه : الدبلى (الغددي) وهو أكثر أنواعه ، والرئوي ، والدموي ، والجلدي ، وكيفية حدوث الوفاة منه ، وسرعة حدوثها ، وحدوث الاصابة بالطاعون لمن طُعن من قبل ، وذلك في الطاعون عام 897هـ .

عملي في الكتاب :

1- اعتمدت مخطوطة " ليدن " لأنها أقدم ، مع وضوح خطها في بعض الكلمات ، كما أنها تحتوي على اضافات غير موجودة في مخطوطة دارالكتب المصرية ، وهي المقامة الدرّية للسيوطي نفسه ، ومقامة الصلاح الصفدي ورسالة السبكي . ومع هذا فقد كنت أقارنها بمخطوطة دار الكتب المصرية ، وأضع ما يوجد من نقص أحيانا في مخطوطة ليدن وأكمله بما هو موجود في مخطوطة دار الكتب المصرية .
كما استعنت أيضا بفصل " سرد الطواعين الحادثة في الاسلام " ، بما كتبه فون كريمر حيث أنه مطبوع ومحقق من عدة نسخ من كتاب " مار رواه الواعون في أخبار الطاعون " واستعنت أيضا بكتاب الحافظ ابن حجر في مراجعة هذا الفصل ومقامة الصفدي وابن الوردي وغيرهما من الفصول ... وكتاب ابن حجر " بذل الماعون في فضل الطاعون " قد حققه ونشره الاستاذ أحمد عصام الكاتب .
2- عزو الآيات الى أماكنها ووضع الآيات بين أقواس مزهرة .
3- وضع الأحاديث بين قوسين مزدوجين ، وتخريج بعض الاحاديث المسكوت عنها .
4- شرح الألفاظ المبهمة ومواقع الأماكن وخاصة المذكورة في مقامات ابن الوردي والسبكي والصفدي والسيوطي .
5- شرح ما ذكره السيوطي من مختلف العلوم بطريقة موجزة في مقامته الدُّرّية .
6- شرح ما ذكر من قصص الطاعون في بني اسرائيل وإيراد النصوص الموجودة في التوراة الموجودة بين أيدينا اليوم .

7- وضع عناوين وفصول للكتاب .

8- وضع مقدمة طويلة وضافية عن الطاعون بدأتها بتاريخ الطواعين العالمية في الفصل الأول ، ثم جعلت الفصل الثاني للطاعون بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وسببه . والثالث : أعراض الطاعون وعلاماته في التراث الاسلامي والطب الحديث . والرابع : للحجر الصحي والطاعون . والخامس : للرسائل والمصنفات في الطاعون والوباء في التراث الاسلامي . والسادس : وهو هذا الفصل في نسخ كتاب " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ، وأين توجد وخصائص هذا الكتاب وعملي فيه . والسابع : ترجمة الامام السيوطي .

سبب الطاعون بين الطب
وحديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

سبب الطاعون في الطب الحديث :

لم يعرف الاطباء سبب الطاعون إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي عندما حصل الوباء الرابع والأخير للطاعون في العالم . وظهر الطاعون في مقاطعة يونان في الصين عام 1860 ، وظل محصورا بها حتى عام (1894م) عندما وصل هونج كونج وبقية الصين والهند ، ومن ثم انتقل الى كافة أرجاء العالم . وقتل حتى بداية الحرب العالمية الأولى (1914) اكثر من عشرة ملايين شخص ... وكان أكثر الضحايا في الهند .

وفي عام 1894 استطاع العالم الياباني شيبا سابور كيتاسو أن يعرف سبب الطاعون وأنه نوع من البكتريا العصوية العنقودية Cocco bacilli التي تصطبغ سلبا بصبغة جرام Gram Negative .

وتوجد البكتريا في الغدد اللمفاوية وخاصة في المنطقة الأربية (المراق) والإبط وفي العنق (خلف الأذن) . كما يوجد كذلك في أمعاء المصاب ورئتيه وكبده وطحاله وكلاه وفي دمه . وفي الطاعون الرئوي توجد بكميات كبيرة في بصاقه . أما الطاعون المنتن Septicaemic Plague ، فتكثر الميكروبات في الدم وفي الأحشاء الداخلية .

وقد أطلق العلماء اسم يرسين الطبيب السويدي الذي اكتشف الميكروب ، وذلك بعد أشهر قليلة من اكتشاف العالم الياباني كيتاسو ، وكان ينبغي أن ينسب الفضل لصاحبه وهو العالم الياباني كيتاسو ، ولكن الغرب كعادته من الادعاء ونسبة كل فضل لأبنائه ، تناسى صاحب الفضل في اكتشاف الطاعون ونسبه لأحد أبنائه.

ثم اطلق اسم باستوريلا بِستِس Pasturella Pestis (البستورية الوبائية أو الطاعونية) ، وبقي هذا الاسم حتى عام 1972عندما استبدل وصار يرسينيا بِستِس Yersinia Pestis (وبائية أو طاعون يرسن).

صفة البكتريا المسبّبة للطاعون :

إنها بكتريا عصوية عنقودية تصطبغ سلبا بصبغة جرام فتبدو حمراء قانية تحت المجهر (0.5x1.5 ميكرومتر) ، كما أنها تقبل صبغات الأنيلين Aniline dyes(النيلة) وبالذات صبغة رومانوسكي (Romanosky).

وللبكتريا غلاف يظهر بصورة خاصة في الأنواع الشديدة السمّية (Virulent Strains) وتبدو البكتريا وهي مصطبغة وكأنها ثنائية القطبية حيث تصطبغ الأطراف أكثر من الوسط . ولا تتحرك البكتريا non motile، وهي إيجابية للاندول ، وعند تفاعلها بحامض السلفانيليك تعطي النيترايت .

ويمكن زرعها وخاصة في مستنبتات الجلسرين أجار Glycerin-agar وتبدو المستعمرات دائرية ذات زرقة خفيفة . أما إذا اضيف الى المزرعة مادة الصفراء وأملاحها ، فإن المستعمرات تبدو حمراء قانية . وتنمو بكثافة وبسرعة في درجة حرارة 28 مئوية . ولهذا فإن ميكروب الطاعون يظهر بصورة وبائية في الخريف . أما الصيف الشديد الحرارة فيقتل الميكروب . وفي البلاد الباردة يظهر في الصيف حيث درجات الحرارة تكون عادة معتدلة في الصيف ، ولا تزيد عن الثلاثين إلا نادرا .

ظهور الطواعين في الخريف :

ولهذا كانت معظم الطواعين في العالم الاسلامي تظهر في الخريف ، وهو أكثر أوقات حدوثها . بينما نجدها تحدث في الصيف في أوربا والبلاد الباردة . والغريب أن ابن القيّم تنبه الى ذلك ، فقال سبب الطاعون ووقته :

" والمقصود أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون ، وأن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء ، وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة : لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه ، كالعفونة والنتن والسمّية ، في أي وقت كان من أوقات السنة ، وإن أكثر حدوثه في أواخر الصيف ، وفي الخريف غالبا ، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة في آخر الصيف ، وعدم تحللها في آخره ، وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف ، فتنحصر فتسخن وتعفن ، فتحدث الأمراض العفنة ، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعدا قابلا ، رهلا ، قليل الحركة ، كثير المواد ، فهذا لا يكاد يفلت من العطب " .

كيفية انتقال الطاعون :

في عام 1897م وضع العالم الياباني مسانوري أوجاتا نظريته بأن الطاعون ينتقل بواسطة البراغيث ، وكالمعتاد سرق عالم فرنسي يدعى بول لويس سيمون هذه الفكرة وادّعاها لنفسه ...وقامت الدوائر العلمية في الغرب كعادتها في نسبة كل اكتشاف لابنائها ، فادّعت زورا وبهتانا أن مكتشف هذه النظرية هو العالم الفرنسي ، وتجاهلت تماما العالم الياباني صاحب الفضل ... وهي شنشنة نعرفها من أخزم !!

في عام 1908 تأكّد بما لا يقبل الشك أن براغيث الفئران هي الناقلة لمرض الطاعون ، بواسطة التجارب التالية :

1- وضعت فئران مصابة بالطاعون (بعد قتل البراغيث) ، إلى جانب فئران سليمة فلم تعدها رغم الملامسة ، بل وحتى الرضاعة .
2- وضعت فئران سليمة وأضيفت إليها براغيث تحمل الميكروب ، فأصيب جميعها بالطاعون .
3- وضعت فئران سليمة على رتفاع أكثر من أربع بوصات فوق فئران مصابة بالطاعون ، وبما أن البراغيث لا تستطيع القفز أكثر من أربع بوصات فإن الفئران السليمة لم تصب بالطاعون . ولما وضعت في مستوى أقل من أربع بوصات أصيبت جميعها بالطاعون .

ينتقل الطاعون عادة بين الفئران ثم بعد ذلك ينتقل إلى الانسان فإذا أصيب الانسان وأصيب بعض الأفراد بالطاعون الرئوي تَمَّ انتقال الطاعون من الانسان الى الانسان بواسطة استنشاق الهواء الملوث بميكروب الطاعون ، وذلك أن بصاق المصاب بالطاعون الرئوي يحتوي على بلايين البكتريا المسبّبة للطاعون . كذلك يمكن أن ينتقل الطاعون لمن يتعاملون مع القوارض سواء بالصيد أو في المختبرات نتيجة افرازاتها الملوثة ، وبالتالي يصابون بالطاعون الغددي أو الرئوي . كما أن احتمال الاصابة بالطاعون واردة عن طريق حرب الجراثيم ، إذ تقوم كثير من الدول بزراعة أشد أنواع بكتريا الطاعون فتكاً ، ويمكن ببساطة أن ترميها بصورة قنابل أو غيرها فتفتك بالأعداء وتنشر بينهم الوباء .

دور البراغيث في نقل الطاعون :

تعتبر براغيث الفئران الاساسي لميكروب الطاعون ، وبالذات نوع Xenopyslla Cheapis ، (وهي البراغيث التي تعيش على الفئران في المناطق الحارة) . ويشترك معها براغيث الكلاب (Ctenocephalus Canis) ، وبراغيث القطط ، وهي لا تصاب عادة إلا بعد إصابة براغيث الفئران . ويمكن لبراغيث الكلاب والقطط أن تنقل المرض إلى هذه الحيوانات وإلى الانسان . أما برغوث الإنسان (Pulex irritans) ، فقد لعب دورا في نشر الطاعون في القرون الوسطى ، أما الآن فلم تعد له تلك الأهمية ، وإن كان لا يزال يشكل خطرا في بعض مناطق منشوريا .

تتغذى البراغيث على الدم ، فينتقل الميكروب الى معدة البرغوث من الفأر المصاب ، وتنمو البكتريا في معدته حتى تسدّها . وتخرج الميكروبات مع براز البرغوث ، كما أن البرغوث يزداد نهمه وجوعه ، فيحاول أن يجد وجبته بوخز الفأر وتنساب البكتريا من معدة البرغوث ومريئه وافرازات فمه ، فتصيب الفأر الجديد ... وهكذا .

وتنتقل العدوى من فأر الى أخر بسبب هذه الوخزات كما تنتقل أيضا بواسطة براز البرغوث المليئ بالبكتريا . وعندما يهرش ويحك الفأر جلده تنتقل الى الأوعية اللمفاوية .

ويكون من علامة الوباء كثرة وفيات الفئران . وتنتقل العدوى أصلا من الجرذان أو القوارض البرية Sylvatic rats and rodents الى الفئران المنزلية وتلك الموجودة في المخازن والمراكب ... ثم تنتقل من الفئران المنزلية الى الانسان .

تعتبر دورة حياة البراغيث قصيرة حيث تتمّ تناسلها ، ويتكاثر البيض ويتحول الى يرقات ثم حشرات خلال اسبوعين أو ثلاثة . وفي الأماكن الرطبة والدافئة تتم الدورة خلال عشر ايام فقط . وبما أن البراغيث لا تتحمل الحرارة العالية ولا البرودة الشديدة ، لذا نجد ذروة تكاثرها في الخريف في البلاد الحارّة (درجة الحرارة ما بين 10 و 30 مئوية) ، بينما في البلاد الباردة تكون ذروة تكاثرها في الصيف . وهذا ايضا يفسر حدوث الطواعين في الخريف في البلاد الحارة ، وفي الصيف في البلاد الباردة .

طاعون الآجام (الغابات) والبراري Sylvatic plague

يوجد الطاعون في الطبيعة في الآجام والبراري في كثير من القوارض . وينتقل بواسطة براغيث هذه القوارض من مجموعة الى أخرى من القوارض ، دون أن يسبب وباء ظاهرا . وقد تمكن العلماء من اثبات أن ميكروب الطاعون يمكن ان يعيش في أكثر من مائتي نوع من أنواع القوارض الموجودة في الآجام والبراري ،

ومنها مارموت سيبيريا ومنشوريا ، والجرابيع الصحراوية ، والسنجاب ، وأنواع مختلفة وشتّى من القوارض . بل يوجد أيضا في بعض الخفافيش ، والأرانب البرية ، بالاضافة الى انواع الجرذان والفئران البرية .

ويصيب الطاعون جرذ المجاري Sewer rat ، وهو جرذ كبير بني اللون واسمه العلمي Rattus norvegicus بعد ان تنتقل اليه العدوى من أحد القوارض . وهذا الجرذ كثير الانتقال ويستطيع السير الى مسافات بعيدة . وتنتقل العدوى بواسطة البراغيث من هذا الجرذ إلى الفأر المنزلي Rattus rattus ، وهو أصغر حجما ولونه يضرب إلى السواد .

وعند ظهور الطاعون تموت الفئران بكثرة وتظهر وتفرّ من مكان لآخر ، وهذه أول علامات ظهور الوباء ، وقد تنبّه القدماء الى ذلك ووصفوا هروب الفئران والحشرات وغيرها من الحيوانات قبيل ظهور الوباء ، (انظر الفقرات التالية من كلام ابن النفيس) .

ما ورد عن سبب الطاعون في التراث الطبي الاسلامي :

قال ابن النفيس في " الموجز في الطب " : " الوباء " فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية كالماء الآسن والجيف الكثير كما في الملاحم (المعارك الطاحنة الكبيرة) ، إذا لم تدفن القتلى ، ولم تحرق ، والتربة الكثيرة النّزّ (اي الرطبة) فإذا كثُرت الشهب والرجوم في آخر الصيف وفي الخريف أنذر بالوباء . وكذلك إذا كثرت الجنوب والصبا في الكانونين . وإذا كثرت علامات المطر ، ولم تمطر ، وتكرّر ذلك فمزاج الشتاء فاسد ، وإذا كان الربيع قليل المطر باردا ، ثم رأيت الجنوب تكثر وتكدّر الهواء أياما ، ثم صفى أسبوعا ثم حدث وقدة وغمة وكدورة ، وبرد ليل فقد جاء الوباء ...وإذا كان الصيف قليل الحرارة وبدأ تغيّر الاشجار ، وجاءت في الخريف نيازك وشهب ، فتوقّع الوباء ، هذا اذا كان لأسباب سماوية .

وأما الارضية فأن ترى الحشرات والضفادع قد كثرت ، وهربت الحيوانات الذكية كاللقلق ، وهربت الفأرة من جحرها سدرة ملقاة ، فالوباء قريب ".

وقال ابن سينا في القانون تحت عنوان فصل الطواعين :

" كان أقدم القدماء يسمّون ما ترجمته بالعربية الطاعون ورم يكون في الأعضاء الغددية اللحم والخالية . وإما الحساسة مثل اللحم الغددي الذي في البيض (المبايض) والثدي وأصل اللسان ، وإما التي لا حس لها مثل اللحم الغددي الذي في الإبط والأربية ونحوها . ثم قيل من بعد ذلك لما كان مع ذلك ورما حارّا . ثم قيل لما كان مع ذلك ورما حارا قتالا . ثم قيل لكل ورم قتّال لاستحالة مادته الى جوهر سُمي يفسد العضو ويتغير لون ما يليه . وربما رشح دما وصديدا ونحوه . ويؤدي كيفية رديئة الى القلب من طريق الشرايين ، فيحدث القيئ والخفقان والغشي . واذا اشتدت اعراضه قتل . وهذا الأخير يشبه أن تكون الأوائل كانوا يسمّونه قوماطا. ومن الواجب أن يكون مثل هذا الورم القتال يعرض في أكثر الامر في الأعضاء الضعيفة مثل الآباط والأربية وخلف الأذن . ويكون أردؤها ما يعرض في الآباط وخلف الأذن ، لقربها من الأعضاء التي هي أشد رياسة (أي قربها من القلب والدماغ) . وأسلم الطواعين ما هو أحمر ثم الاصفر ، والذي الى السواد لا يفلت منه أحد . والطواعين تكثر في الوباء وفي البلاد الوبئية " .

ابن القيّم يصف سبب الطاعون في الطب النبوي :

وهذا وصف من ابن سينا للطاعون وأنواعه وسببه ... وكلها غير دقيقة بل ولا صحيحة ... بل ان ابن القيّم الفقيه المحدث استطاع ان يعرض كلام الأطباء بصورة أفضل من ابن سينا وابن النفيس ، ثم رد على هؤلاء الأطباء وإليك ما قاله في الطب النبوي .

" قال الأطباء : اذا وقع الخراج في اللحوم الرخوة والمغابن وخلف الاذن والأربية ، وكان من جنس فاسد يسمى طاعونا . وسببه دم رديء مائل الى العفونة والفساد ، مستحيل الى جوهر سُمّي يفسد العضو ، ويغير ما يليه ، وربما رشح دما وصديدا ويؤدي الى القلب كيفية رديئة ، فيحدث القيئ والخفقان والغشي " .

" وهذا لاسم – أي الطاعون - ، وان كان يعم كل ورم يؤدي الى القلب كيفية رديئة حتى يصير لذلك قتالا ، فإنه يختص به الحادث في اللحم الغددي ،لأنه لرداءته لا يقبله من الاعضاء الا ما كان أضعف الطبع ، وأردؤه : ما حدث في الابط وخلف الاذن لقربهما من الاعضاء التي هي أرأس . وأسلمه الأحمر ثم الأصفر ، والذي الى السواد فلا يفلت منه أحد "

ولما كان الطاعون يكثر في الوباء والبلاد الوبئية عبر عنه بالوباء ، كما قال الخليل : الوباء : الطاعون . وقيل : هو كل مرض يعمّ.

وأنت ترى ان ابن القيم عرض آراء الأطباء في الطاعون بصورة أفضل من عرض ابن سينا وعرض ابن النفيس ، وبعبارة أسلس وأوضح .

ثم أوضح ابن القيم أن هناك فرقاً بين الطاعون والوباء وهو أمر لم ينتبه له ابن سينا والأطباء عامة ، قال : " والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عموما وخصوصا مطلقا ، فكل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعونا . وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون ، فإنه واحد منها " ، ثم ذكر ما يقول الأطباء من أن الطواعين هي خراجات ، وقروح وأورام رديئة حادثة في المواضع الرخوة ، وردّ عليهم بقوله : " هذه القروح والاورام والخراجات هي آثار الطاعون ، وليست نفسه . ولكن الأطباء لما لم تدرك منه الا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون " .

" والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور (أحدها) : هذا الاثر الظاهر ، وهو الذي ذكره الأطباء . (والثاني) : الموت الحادث عنه ، وهو المراد بالحديث الصحيح في قوله :
" الطاعون شهادة لكل مسلم " . و(الثالث) : السبب الفاعل لهذا الداء " .

وقد ورد في الحديث الصحيح" أنه بقية رجز أرسل على بني اسرائيل " وورد فيه " أنه من وخز الجن " ، وجاء " أنه دعوة نبي ". وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها ، كما ليس عندهم ما يدل عليها .

" والرسل تخبر بالامور الغائبة ، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ، ليس معهم ما ينفي أن يكون بتوسط الأرواح ، فإن الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها ..."

" والمقصود أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون ، وأن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده يكون لاستحالة جوهره الى الرداءة ، لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة ، والنتن والسُّمِّية ، في أي وقت كان في السنة ، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف ، وفي الخريف غالبا ، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف ، وعدم تحللها في آخره . وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف ، فتنحصر فتسخن وتعفن ، فتحدث الأمراض العفنة ، ولا سيّما إذا صادفت البدن مستعدا قابلا ، رهلا ، قليل الحركة ، كثير المواد ، فهذا لا يكاد يفلت من العطب " .

وقد تنبّه الفقهاء والمحدّثون الى الفرق بين الطاعون والوباء ، وأن كل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعونا . قال ذلك القاضي عياض ، والامام النووي ، وابن القيم ، وابن حجر العسقلاني ، وغيرهم كثير . وقد سبق أن نقلنا بعض ما قالوه فلا داعي لاعادته .

أحاديث وخز الجن وكلام ابن حجر فيها :

وذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، ومثله السيوطي في " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ، الأحاديث الواردة في سبب الطاعون وأنها من وخز الجن ، فقد أخرج الامام أحمد عن ابي موسى الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " فناء أمتي بالطعن والطاعون " ، فقيل : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : " وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة " . الحديث ضعيف إذ رواه زياد عن علاقة عن رجل – ولم يسمّ هذا الرجل فهو مجهول - ، عن أبي موسى الأشعري . وفي رواية أخرى لأحمد عن زياد بن علاقة قال : (حدثني رجل من قومي) ، فالجهالة لا تزال باقية ... وفي كل الروايات التي ذكرها الامام ابن حجر بقيت جهالة هذا الرجل الذي روى عنه زياد بن علاقة .

أما رواية الطبراني في الأوسط ، فقد ذكر اسم الرجل حيث قال : (عن زياد بن علاقة عن يزيد بن الحارث عن أبي موسى الأشعري) ، فرفعت الجهالة والإبهام . قال ابن حجر العسقلاني : (فالحديث حسن) .

وهناك روايات أخرى ضعيفة من رواية أبي مريم عبد الغفار بن قاسم و (ابو مريم) كما قال ابن حجر : (ضعيف جدا) . وفي رواية لأحمد (عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك عن أبي موسى الأشعري) فذكر الحديث . وأسامة بن شريك صحابي . ويحتمل أن زياد بن علاقة سمع الحديث من (يزيد بن الحارث) وهو رجل من قومه ، ثم سمعه من (سيد الحي) أسامة بن شريك ، هكذا قال ابن حجر . ورواه أيضا عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك الطبراني .

والخلاصة أن هذا الحديث مروي عند أهل الحديث بطرق مختلفة فيها الضعيف المتروك ، وفيها الحسن .

ما المقصود بالجن في الأحاديث الواردة عن الطاعون ؟

ينبغي أن نؤكد أولا أن الاحاديث الواردة في سبب الطاعون ، وأنه من وخز الجن أحاديث ضعيفة ، وفيها ما يصل الى درجة الحسن ، كما قال الامام ابن حجر العسقلاني . ولما كان من المستحيل ان يحدثهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الميكروبات والبكتريا إذ إنها لم تعرف إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، كان لا بد من الاشارة الى ذلك بما تحتمله اللغة العربية ، وتحتمله عقولهم أيضا . فلفظ الجن كما جاء في قواميس اللغة العربيّة – انظر الصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروزآبادي - ، كلها تدور حول معنى من معاني الستر والخفاء . جَنَّهُ الليل أي ستره ، قال تعالى :**{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا}** [الأنعام : 76] ، وكل ما ستر عنك فقد جن عليك وجن الليل (بالكسر) ، وجُنونه (بالضم) وجَنانَه (بالفتح) : ظلمته واختلاط ظلامه . والجَنَن (محرّكة) : القبر ، والميت ، والكفن ، لانه يستر الميت .

والجّنان (بالفتح) : القلب أو روعه والروح لاختفائه واستتاره عن الانظار وهو أيضا الثوب الذي يستر ، والليل وإدلهمامه – حتى تختفي فيه الاشياء - ، وكل جوف لا يُرى .

استجنَّ : استتر . والجنين : الولد في البطن ، والجمع : أجنَّة ، وكل مستور . وجن في الرحم ، يَجِنّ جَنّا : استتر . وأجَنّته الحامل : سترته في بطنها . قال تعالى : { **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** } [النجم : 32].

وقال تعالى : {**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً }** [المجادلة :16 ، المنافقون :2] ، أي اتخذوه سترا ووقاية .

والجُنة (بالضم) : كل ما استترت به من السلاح ، وكل سترة . والمِجنّ : الترس . والمِجنّة والجنان والجنانة (بالضم) : ايضا الترس . والجُنّة : كل ما وقى ، وخِرقَه تلبسها المرأة تغطي رأسها ووجهها ما عدا العينين كالبرقع .

الجنّة : طائفة من الجنّ ، قال تعالى : **{ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }** . والمَجنّة : الارض كثيرة الجن ، وقال تعالى : **{ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ}** [المؤمنون : 25] ، أي جنون من مس الجن . وقال : { **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا** } [الصافات :158].

والجن : خلقهم الله من نار ، وقال عنهم : إنهم يرونكم من حيث لا ترونهم ، وسمّوا بالجن لاختفائهم واستتارهم وعدم ظهورهم . والجَانّ : اسم جامع للجن ، وحيّة تستتر في البيوت ولا تؤذي (من النوع غير السام) ، قال تعالى :{ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**} [الحجر : 27] .

والجنون : فقدان العقل واستتاره ، والجنّة أيضا الجنون ، قال تعالى : { أم به جِنَّة } .

الجَنّة : أرض كثيرة الشجر ، وسمّيت بالجنّة لاستتار أرضها لكثرة الشجر .

وجنَنْت الميت : واريته ، ومنه المَجَنّة : للمقبرة (لا تزال تستعمل في عدن الى اليوم) .

وهكذا تدور معاني لفظ الجن حول الستر والاستتار والاختفاء .

والوخز : طعن غير نافذ .

البراغيث المستترة ووخزها هي المقصودة بلفظ الجن :

والواقع أن هذه البراغيث التي تطعن في جلد الانسان أو الحيوان بفكيها الحادين تطعن طعنا غير نافذ ، ويسيل دم قليل لا يلاحظه المرء ، ويتغذى عليه البرغوث وفي أثناء ذلك يقيئ ما في معدته المسدودة بميكروبات الطاعون التي تنساب من فيه الى مكان الوخزة . ثم تنتقل عبر الأوعية اللمفاوية الى الغدد اللمفاوية في المراق (المنطقة الأربية) ، أو الإبط أو العنق حسب مكان الوخزة ، فإن كانت الوخزة في اليد أو الذراع انتقلت الميكروبات إلى غدد الابط ، وان كانت في القدم أو الساق انتقلت الى المراق (اسفل البطن عند التقائها بالفخذ وهي المنطقة الأربيّة) ، وإن كانت الوخزة في الوجه انتقلت الميكروبات الى غدد العنق خلف الاذن ... وهي أماكن ظهور الطاعون الغددي التي سنوضحها بجلاء أكثر فيما يأتي .

ولا شك أن هذه البراغيث التي تسبب الطاعون ، هي مما لا يلاحظه الانسان بل تستتر عنه وتختفي بين الملابس ولا يكاد يراها إلا بعد مشقة البحث عنها ، ويمكن أن نطلق عليها لفظ الجن ، لان الجن كل مختفي ومستتر .

لا ننكر وجود الجن المخلوقات النارية :

وليس معنى هذا أننا ننكر وجود المخلوقات النارية المعروفة باسم الجن ، فهذه ثابتة بالقرآن الكريم ولا ريب في وجودها . قال تعالى : { **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**} [الحجر : 27] ، وقال تعالى : {**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ**} [الرحمن : 15] .

ونزلت سورة كاملة عن الجن ، وهي سورة الجن ، وكيف استمعوا الى القرآن الكريم والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتلوه في صلاته فآمنوا به ، قال تعالى : { **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** } إلى آخر السورة الكريمة . كما

جاء ذكر الجن أيضا في سورة الاحقاف الذين اجتمع بهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بطن نخلة عند منصرفة من الطائف .

قال تعالى : { **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**}[الاحقاف:29-32]

والخلاصة أن لفظ الجن الوارد في الطاعون والمعبر عنه بلفظ وخز الجن ، ينبغي أن ينصرف الى هذه المخلوقات الصغيرة المختفية التي لا تكاد ترى إلا بالبحث عنها ، وهي البراغيث . فهي التي تخز ، وهي التي تسبب الطاعون وتنقله ... ولا علاقة للجن ، - المخلوقات النارية – بموضوع الطاعون مطلقا ، وهو الذي ينبغي أن يصار اليه ، وإلا فإن العلم يناقض القول بأن سبب الطاعون مخلوقات نارية تسمى الجن . فالعلم والطب واللغة كلها تؤيد ما ذهبنا اليه ، وهو أن لفظ الجن في أحاديث الطاعون المرتبط بالوخز يشير الى البراغث المختفية المتوارية والتي تخز الجلد وخزا ، وتنقل ميكروبات الطاعون في افرازاتها وبرازها ورجيعها .

أعراض الطاعون في التراث الاسلامي والطب الحديث

أعراض الطاعون وعلاماته (الصورة الاكلينيكية) في التراث الاسلامي :

أخرج البخاري في كتاب الطب عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : " الطعن عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : غدّة كغُدّة البعير يخرج في المراق والإبط " .

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله فما الطاعون ؟ قال : غُدّة كغُدّة الإبل ، المقيم فيها كالشهيد ، والفارّ منها كالفارّ من الزحف " .

وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم عن عائشة أيضا قالت : الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : غُدّة كغُدّة البعير يخرج في المراق والإبط " .

<u>شرح الألفاظ :</u>

<u>المرَاق :</u> بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف : هو ما رق من أسفل البطن ، واحدها مرق : وهو ما سفل من البطن من المواضع التي يرق جلودها ... قلت : وهي منطقة التقاء البطن بالفخذ ، وتسمى أيضا المنطقة الأربية Inguinal region ، كما يقال لها المغابن ، والصفة منه أربي ومغبني .

<u>والمغابن:</u> جمع مغبن وهي بواطن الأفخاد والآباط وشبهها . ويقال أيضا لمعاطف الجلد .

<u>والأربية :</u> هي المنطقة التي يلتقي فيها الفخذ بالبطن ، وقد يطلق على الورم الغددي أينما كان ، فإذا أصيبت اليد بقرحة أو خراج كانت الأربية في الابط ، وإذا أصيبت الرقبة أو الوجه كانت الأربية في العنق وخلف الاذن غالبا ... وإذا كانت الاصابة في الطرف السفلي كانت الأربية في المراق وهكذا ....

<u>البثرة :</u> هي انتفاخ جلدي عادة ما يكون مليئا بالصديد . يقال بثرة الجدري ، وبثرة الطاعون (Pustule) وجمعه (بُثَر) ، وهي كالدمّل الصغير .

<u>الذّبحة :</u> وجع أو ورم يعرض في الحلق بسبب التهاب شديد فيه من الداخل فيفسد معها ، وقد ينقطع معه النفس Angina ، وهي غير الذبحة الصدرية . وهذه الذبحة كانت تكثر مع وجود الدفتريا (الخناق) .

<u>الغدد اللمفاوية :</u> مجموعة من الغدد الصغيرة منتشرة في الجسم ، ويمكن أن يحسّها الانسان حتى في الجسم السليم في المغابن والآباط والمنطقة الأربية وخلف الاذن في العنق ، ولكنها تكبر بسبب العديد من الأمراض الميكروبية والفيروسية والطفيليات ، بالاضافة الى الأورام الخبيثة بمختلف أنواعها . وبسبب الطاعون تضخّم الغدد اللمفاوية في المنطقة الأربية وفي الابط وخلف الاذن في أعلى العنق .

أهم أعراض الطاعون الغددي والحديث النبوي :

مما تقدم نرى وصفا دقيقا لأهم أعراض الطاعون الغددي (الدبلي) Bubonic Plague، (غدّة كغدة البعير تخرج في المراق والإبط) .

لقد قالت هذه الكلمات القليلات للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، أهم ما يحتاج إلى معرفته الشخص العادي الذي يسأل عن الطاعون ... كلمات قليلة تلخص أهم الاعراض وتشخص الداء .

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشاهد مريضا بالطاعون ، ولا عرف الطاعون في جزيرة العرب ... وانما حدث في فارس والروم وبلاد الشام .

وبنتقل الميكروب أولا من موضع الوخزة البرغوثية الى الغدد اللمفاوية فإن كانت القرصة أو الوخزة في الطرف السفلي (الساق ، القدم ... الخ) تورّمت الغدد اللمفاوية الموجودة في المراق ، وإن كانت القرصة في

اليد أو الاصبع تورمت الغدد الموجودة في الابط . وان كانت في الوجه انتفخت وتورمت غدد العنق ، وخاصة تلك الموجودة خلف الاذن .

ومن الغدد اللمفاوية ينتقل الميكروب ليصل الى الدم ويسير في مجراه الى جميع أعضاء الجسم ، فلا يكاد يفلت منه عضو . وترتفع درجة الحرارة الى الأربعين أو ما فوقها بسرعة ، وتبدو على المريض علامات الارهاق الشديد مع صداع يكاد يفلق الرأس ، وسرعان ما يصاب القلب بالهبوط .

وفترة الحضانة (وهي الزمن ما بين دخول الميكروب وظهور أول الأعراض) قصيرة في الطاعون ، ولا تكاد تتجاوز خمسة أيام في الطاعون الغددي ، وأقل من ذلك في الطاعون الرئوي . ويظهر المرض بصورة فجائية بالحمى والصداع ، وتظهر الغدد اللمفاوية المتضخمة مباشرة ، وسرعان ما تتقرح . ويمكن رؤية ميكروب الطاعون بغرز إبرة في الغدد المتضخمة ثم سحب شيء من السائل الموجود بها ، وعند فحصها بالميكروسكوب تتضح البكتريا العصوية العنقودية المصطبغة سلبا بصبغة جرام ، فتبدو حمراء قانية ، ويمكن أيضا زرعها بالمزارع الخاصة .

وإذا لم يعالج المريض بسرعة فائقة بالتتراسيكلين أو غيره من المضادات الحيوية مثل الاستراپتومايسين ، فإن ما بين 60 الى 90 بالمئة من المصابين قد يلاقون حتفهم خلال اسبوع منذ بدء الأعراض .

الطاعون الرئوي :

تحدث القدماء أيضا عن الطاعون الرئوي . قال الامام الغزالي كما ينقله عنه الامام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري :

(ان الهواء – في البلدة المصابة بالطاعون – لا يضرّ من حيث ملاقاته ظاهر البدن ، بل من حيث دوام استنشاقه ، فيصل الى القلب والرئة ، فيؤثر في الباطن ، ولا يؤثر في الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن) .

وهو كلام دقيق جدا ، حيث إن العدوى في الطاعون الرئوي تنتج من استنشاق الهواء الملوث بميكروب الطاعون . وذلك أن المصاب بالطاعون الغددي إذا اصيبت رئتيه نفث دما وبصق بصاقا مليئا بميكروبات الطاعون ، فتعدي مباشرة بالاستنشاق وتذهب الى الرئة ، ولا تُحدث ما هو معروف من الطاعون الغددي (الدبلي) من تورم في الغدد اللمفاوية في المراق والابط ...

والطاعون الرئوي أشدّ فتكا من الغددي ، ولا يكاد ينجو منه أحد الا إذا عولج بسرعة فائقة بالمضادات الحيوية والأوكسجين وأدوية هبوط القلب عند حدوثه .

وهكذا تفطّن الامام الغزالي الى كيفية حدوث العدوى في الطاعون الرئوي ، ووصفه بدقة بارعة ، وهو ما لم يذكره أساطين الاطباء في زمنه والأزمنة التي تلته وسبقته .

وقد أشار الى الطاعون الرئوي ابن الوردي في مقامته عن طاعون سنة 749هـ ، حيث قال (ومن الأقدار أن تتبع أهل الدار فمتى بصق واحد منهم دما تحقّق كل منهم عَدَما . ثم يسكن الباصق الأجداث – أي القبور – بعد ليلتين أو ثلاث) ، وهو وصف دقيق وصحيح ، إذ إن المصاب بالطاعون الرئوي لا يعيش أكثر من يومين أو ثلاثة بعد نفث الدم وبصقه . قال ابن الوردي :

سألتُ بارئَ النّسم　　في دفع طاعونٍ صدمْ
فمن أحسّ بَلعِ دمْ　　فقد أحسّ بالعَدَمْ

وقال الامام ابن حجر في كتابه " بذل الماعون في فضل الطاعون " وقرأت في كتاب القاضي تاج الدين السبكي (في طاعون سنة 764هـ يصف ذلك الطاعون) : إن طلعت حبّة لابن آدم هبطت به الى الرّمس ، وإن بصق دما قال : يا حسرتا على ما فرّطت بالامس .

وكذلك أشار الصفدي في صفة طاعون 749هـ : (وكان يقتل بالرائحة ، وبقدر الحبّة تظهر في المغابن : كالإبط ونحوه ، وببثره خلف الاذن ، وبقدر الخيارة في الورك . وبعضهم يبصق دما فيخرّ ميّتا) .

وهذا وصف كامل وجيد لأنواع الطاعون الغددي والرئوي والجلدي ، وقد أضاف القدماء في وصفهم للطاعون بعض الخصائص التي كانت لبعض الطواعين ، فقد ذكر السيوطي في مقامته الدرية عن الطاعون الذي حدث عام 897 و 898 هـ : (أنه خالف الطواعين بأمرين : أحدهما : أنه تأخر طروقه عن ميعاده قريبا من شهرين . والثاني : أنه هجم في مصر – أي القاهرة – قبل حلول قرى البحرين – أي الوجه البجري -) .

(وذكر أنه خالف العوائد في أمر آخر زايد ، وهو أنه مات به من تقدم له طعنه قديما ، وجرت العادة أنه لا يموت به ، وإن طعن كان سليما ". والمعروف أن من أصيب بالطاعون أو الجدري أو الحصبة تتكون لديه مناعة دائمة ، فلا يصاب بها مرة أخرى . ولكن يبدو أن الطاعون عام 897 قد غيّر الميكروب فيه من المواد المناعية (الانتيجينات Antigens : المستضدات) ، فأدى ذلك الى هجوم ميكروب لا عهد للجسم به فقتل .

وذكر القدماء أيضا أن بعض الطواعين يكثر فيها موت الفجأة ، ذكر ذلك ابن أبي حجلة ، ونقل عن التنوخي . وكذلك ذكره ابن حجر العسقلاني في " بذل الماعون "والسيوطي في " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ، وأن الشخص يموت وهو يصلي أو يأكل أو في الحمام أو حتى وهو بجامع ... وذلك بسبب انتشار الطاعون الدموي الأنتاني (Septicaemic) .

والعجيب حقا أن كل هؤلاء الذين كتبوا في الطاعون وأفاضوا في ذكره ، وذكر خصائصه بتفصيل ليسوا من الاطباء ، بل من القضاة والفقهاء والمحدثين مع براعتهم الادبية .

وذكروا حدوث البثرة في اليد وزيادتها كما ذكروا التقرّحات بل والأَكَلِة (الغرغرينا) التي تحدث في بعض حالات الطاعون ، كما حدث لزياد بن أبيه (زياد بن سميّة ، ويقال له أحيانا زياد بن أبي سفيان ، وهو ابنه من الزنّا بسمية ، وقد ألحقه به معاوية ليستميله فكان حاكمه على العراقين وفارس)

الحجر الصحي والطاعون

الأحاديث الواردة في الحجر الصحي :

وردت أحاديث عدة في موضوع الطاعون والحجر الصحي ، وهو منع الدخول الى منطقة الوباء ، ومنع الخروج من البلدة التي فيها الوباء . واليك ما جاء فيه :

1- عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " الطاعون رجس (رجز) أرسل على طائفة من بني اسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " . أخرجه الشيخان ، وابن خزيمة ، ومالك في الموطأ ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو نعيم بألفاظ متقاربة ، من طرق متعددة ، أفاض في ذكرها الامام ابن حجر العسقلاني في كتابه " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، باب " في حكم الخروج من البلد الذي يقع بها الطاعون والدخول اليها " .

2- وأخرجه أيضا مسلم عن سعد بن أبي وقاص (وهو سعد بن مالك) رضي الله عنه ، كما أخرجه الامام أحمد في مسنده ، وابن خزيمة في صحيحه عن سعد رضي الله عنه بطرق متعددة ، ولفظه : ذكر الطاعون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : " رجز أصيب به من كان قبلكم ، فإذا كان بأرض فلا تدخلوها ، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا عنها " .

3- وأخرجه عن عكرمة بن خالد ابن خزيمة وأحمد والطبراني والطحاوي بمثله .

4- وأخرجه مسلم عن زيد بن ثابت مقتصرا على قوله : " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " .

5- وذكره ابن حجر في " بذل الماعون " عن شرحبيل بن حسنة قال : (انظروا ما أقول ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إذا وقع – يعني الطاعون – بأرض وانتم بها فلا تخرجوا ، فإن الموت في أعقابكم ، وإذا وقع بأرض فلا تدخلوها فإنه يحرق القلوب) .

6- عن عائشة رض الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ما من عبد يكون (الطاعون) في بلدة ، يكون فيها ، فيمكث فلا يخرج من البلدة صابرا محتسبا إلا كان له مثل أجر شهيد " ، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر .

7- عن ام ايمن رضي الله عنها أنها سمعت الرسول يوصي بعض أهله فقال : " وإن أصاب الناس موتان وانت فيهم فأثبت " ، قال ابن حجر في " بذل الماعون " : فيه انقطاع بين مكحول وأم أيمن .

8- أخرج الشيخان ومالك في الموطأ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد : أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فقال عمر : " ادع لي المهاجرين الأولين " فدعوتهم ، فاستشارهم وأخبرهم ان الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم: (قد خرجت لأمر ، ولا نرى أن ترجع عنه) . وقال بعضهم (معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء) ، فقال عمر : (ارتفعوا عني) . ثم قال : ادع لي الانصار ، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال (ارتفعوا عني) . ثم قال : ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان ، فقالوا : (نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء) ... فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه (أي اني

مسافر غدا فاستعدوا للسفر) فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة !! نعم نفرٌّ من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان ، احداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟! . قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته ، فقال : ان عندي من هذا علما . سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " ، قال : فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف .

9- وأخرج عبد الرزاق في تفسيره وابن جرير الطبري كذلك في التفسير في قوله تعالى : {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**} [البقرة :243] ، عن الحسن قال : " فرّوا من الطاعون " . وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال : (مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم الله عقوبة لهم ، ثم بعثهم الى بقية آجالهم ليستوفوها) . وأخرج الفريابي وابن راهويه وابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال (كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون) . واختلفوا في العدد على أقوال كثيرة ، ومنها أن العدد يفيد الكثير لا نفس العدد . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يعني بالألوف كثيرة العدد [أخرجه الطبري في تفسيره] . ورجح الطبري : أكثر من عشرة آلاف ، لان " الألوف " جمع كثرة ، لا يقال للعشرة فما دونها ، وإنما يقال آلاف .

10- عن جابر رضي الله عنه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : " الفار من الطاعون كالفار من الزحف " ، أخرجه أحمد في مسنده .

إعجاز الأحاديث الشريفة في الحجر الصحي :

توضح هذه الاحاديث الشريفة مبادئ الحجر الصحي قبل أن تعرفها البشرية بقرون متطاولة ، وكان أول من طبق الحجر الصحي مدينة البندقية في ايطاليا في القرن السادس عشر ميلادي ، ثم طبقته أوربا بعد ذلك بدرجات متفاوتة من الالتزام ... وكل ذلك بعد قرابة ألف عام من الهدي النبوي في الحجر الصحي . وإليك ما كتبته في هذا الموضوع نقلا عن كتابي " العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

منع السليم من الدخول الى ارض الوباء ، والمنع من الخروج منها :

ومنع السليم من الدخول الى أرض الوباء قد يكون مفهوما بدون الحاجة الى معرفة دقيقة بالطب ... ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج وخاصة منع الاصحاء منهم يبدوا عسيرا على الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبية الحديثة ... فالمنطق والعقل يفرض على السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفرَّ منها الى بلدة سليمة حتى لا يصاب هو بالوباء !!.

هكذا يقول العقل والمنطق ... لماذا تبقى في بلاد الوباء وتنتظر حتى يأتيك الوباء والموت؟.. والفرار من الوباء والهلاك تفرضه غريزة حب البقاء كما يفرضه المنطق والعقل .. وقد يقول لك قائل : " ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة " ... والبقاء في أرض الوباء تهلكة أي تهلكة .

الحامل للمرض وفترة الحضانة :

ولكن الطب الحديث يقول لك : إن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملا للميكروب . وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس ، ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضا ... فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أي أثر من آثار المرض ... فالحمى الشوكية ، وحمى التيفود

والزحار الأميبي والباسلي والسل ، بل وحتى الكوليرا والطاعون قد تصيب أشخاصا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض ، بل ويبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم ... ومع ذلك فهو ينقل المرض الى غيره من الاصحاء ...

وهناك أيضا فترة الحضانة ... وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب الى الجسم ... وفي هذه الفترة يكون انقسام الميكروب وتكاثره على أشده ، ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذه أنه يعاني من أي مرض... ولكنه بعد فترة قد تطول وقد تقصر على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه .

ومن المعلوم أن فترة حضانة الانفلونزا مثلا هي يوم أو يومان ... بينما فترة حضانة التهاب الكبد الفيروسي قد تطول الى ستة أشهر ... كما أن ميكروب السل قد يبقى كامنا في الجسم عدة سنوات طوال دون أن يحرّك ساكنا ... ولكنه لا يلبث بعد تلك الحقبة من الزمن أن يستشري في الجسم ...

والشخص السليم الحامل للميكروب أو الشخص المريض الذي لا يزال في فترة الحضانة يعرض الآخرين للخطر دون أن يشعر هو أو يشعر الأخرون ...

الوعد لمن يصبر ، والوعيد الشديد لمن يفرّ من الطاعون :

ولذا جاء منع الرسول صلوات الله عليه أهل البلدة المصابة بالوباء من أن ينتقلوا منها تشريعا رائعا ... ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان ...

فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة قد يكون حاملا للميكروب كما قد يكون في فترة الحضانة ، فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث ان يظهر عليه الوباء ... فيعدي غيره وينقل بذلك المرض الى آلاف بل الى ملايين البشر ....

لذا جاء المنع الشديد ... وجاء الوعيد مرعبا مخيفا ... " والفار من الطاعون كالفارّ من الزحف " ... كما جاء الوعد مُرغّبا وحاثا أشد الحث على الإقامة والصبر ... " المقيم فيه كالشهيد " ... " والصابر فيه كالصابر في الزحف " ... " والمطعون شهيد " ...

إن الوعد والوعيد للمؤمنين أهم من كل الاجراءات القانونية التي تتخذها الامم اليوم ... فالقانون يسهل التحايل عليه مهما كانت الاجراءات مشدّدة في تطبيقه ... أما عذاب الاخرة فأمر لا يستهين به المؤمن مطلقا ... وأمام هذا الوعيد المرعب تذوب نفس المؤمن ، فيصبر وينفتح أمامه باب الرجاء وباب الأمل في الدنيا والآخرة.. فهو كالمجاهد في سبيل الله ينتظر إحدى الحسنيين إن أفلت من الوباء وقد صبر فله أجر المجاهد .. وان اخترمته المنية فلن يفوته أجر الشهادة ... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" المطعون شهيد والمبطون شهيد " ، والمطعون هو الذي يموت في الطاعون ... والمبطون هو الذي يموت نتيجة إصابته بالاسهال الشديد ... وهو أغلب ما يكون في الكوليرا ...

تحريم الخروج من أرض الوباء :

والطاعون والكوليرا هما أخطر الأمراض الوبائية وأسرعها انتشارا ... والحجر الصحي أوجب ما يكون فيها وقد أشار اليهما الحديث النبوي لأهميتهما الخاصة .. وأغلب فقهاء المسلمين يحرمون الخروج من البلاد المصابة بالطاعون .... وقد رأى بعض الفقهاء ان النهي للتنزيه فيكره ولا يحرم ... ولكن رأي الجمهور يذهب الى التحريم لا الكراهة .

لذا كانت الأوامر النبوية بالعزل والحجر الصحي سبقا لكل التصورات والاجراءات الطبية والوقائية طوال هذه العهود والأماد ... فكيف يتأتى لمن عاش في القرن السابع الميلادي أن يتحدث عن مبادئ الحجر الصحي

التي لم تعرف إلا بعد معرفة الميكروبات وطريقة انتقالها وفترة حضانتها . ومن هو حامل الميكروب وكيف يمكن ان يكون صحيحا معافى ، من ينقل المرض الى غيره ؟ كل هذه معلومات حديثة لم نتوصل اليها الا في القرن العشرين . فكيف يتأتى لمن عاش في القرن السادس والسابع الميلادي أن يعرف هذه الأبعاد فيصدر أوامره وتعليماته بأن لا يدخل أرض الوباء أحد ، وأن لا يخرج من أرض الوباء أحد .

لا يمكن أن يتأتى ذلك لبشر إلا ان يكون رسولا نبيا .. فإن حديث الطاعون معجزة كاملة من معجزات الرسول صلوات الله عليه ... ودليل قاطع على صدق رسالته ... إذ لا يمكن لبشر عاش في ذلك الزمان ان يعلم ما في الغيب إلا أن يوحى اليه . وكل ما يتعلق بالحجر الصحي كان غيبا من الغيوب التي أظهرها الله الى عالم الشهادة في القرن العشرين ... وإخبار النبي صلوات الله عليه بذلك معجزة لا ريب فيها .

الامام الغزالي يتحدث عن حامل الميكروب ويسبق عصره :

وقد حاول علماء الاسلام الأجلاء ان يشرحوا هذه الحقائق البعيدة التي لا تزال في طي الغيب وأن يصلوا الى هذه القمة السامقة التي وصلتها التوجيهات النبوية التي لم يكشف عنها الا اليوم ... فاحسنوا الجهد ولكن أنى لهم أن يصلوا الى كل هذه الاسرار ... ونحن لم نعرف الميكروبات وخصائصها وفترة الحضانة وحامل المرض إلا اليوم في القرن العشرين ... ومع ذلك انظر الى الامام الغزالي وكأنه يستشف من وراء الغيب حقيقة حامل الميكروب وفترة الحضانة ، فتعلم أنه يرى بنور النبوة لا بنور الحقائق العلمية الطبية المعلومة له آنذاك .

يقول الامام الغزالي : إن الهواء – في بلدة المصابة بالوباء – لا يضرّ من حيث ملاقاته ظاهر البدن ، بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التأثير في الباطن .. فالخارج من البلد الذي يقع به الوباء لا يخلص غالبا مما استحكم به ...(ولذا فهو ينطلق حاملا معه الميكروب الى بلاد أخرى فينقل بذلك العدوى الى غيره من البشر بسبب خروجه من بلدته المصابة بالوباء) .

أجر الشهادة لمن يصبر في الطاعون :

ومن هذه الحكم أن هذه الاحاديث النبوية الشريفة تنزل بردا وسلاما على المؤمنين الذين أوقعتهم الأقدار في بلدة أصيبت بالوباء ، " إذا وقع بأرض فلا تخرجوا فرارا منه " .. " والفار من الطاعون كالفار من الزحف " ... وإلى أين تفرّون ؟ أمن الموت تفرون ... فإنه ملاقيكم ولو كنتم في بروج مشيدة .... فالآجال مضروبة محدودة ، والوباء والمرض لن يصيب إلا من كتب عليه ذلك ... ولو لم يكتب عليه لما أصابه ... فليطمئن نفسا وليهدأ بالا ... ولا تذهب نفسه حسرات ، وليعلم بعد ذلك أنه لو مات مات شهيد ا، ... " فالمطعون شهيد والمبطون شهيد " ، وهو في ذلك كالمجاهد ينتظر إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة ... وهو كذلك إما الانتصار على الوباء أو الشهادة ... وفي الحديث الآخر : " الطاعون شهادة لكل مسلم " ، وكما أن القتال والجهاد تنال به الشهادة ، فإن الطاعون كذلك ... ولا بد من استيفاء شروط الشهادة في كلا الحالتين ... فلا بد للحصول على درجة الشهادة من القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله مقبلا غير مدبر ... وكذلك شهادة المطعون لا تنال إلا بالصبر والرضى بقضاء الله ... وفي الحديث الذي أخرجه البخاري : "فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد " . وفي رواية أحمد :" فيمكث في بيته " ، بدل : " فيمكث في بلده " . ويقول ابن حجر العسقلاني : قوله (صابرا) أي غير

منزعج ولا قلق بل مسلما لامر الله راضيا بقضائه ، وهذا قيد في حصول أجر الشهادة لمن يموت بالطاعون ، وهو أن يمكث بالمكان الذي يقع به فلا يخرج فرارا منه كما تقدم النهي في الباب صريحا ... وقوله : (يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له) قيد أخر ... فلو مكث وهو قلق أو متندم على عدم الخروج ظانا أنه لو خرج لما وقع به أصلا ورأسا وأنه بإقامته يقع به ، فهذا لا يحصل له أجر الشهيد ولو مات بالطاعون . هذا الذي يقتضيه مفهوم هذا الحديث كما اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد ، وإن لم يمت بالطاعون . ا هـ . من فتح الباري .

وليتخذ من الاسباب ما شاء ، فإنها لن تنجيه إلا بقدر الله ... وعليه أن لا يعتمد على الاسباب ، وانما يكون اعتماده وتوكله وثقته بالله وحده ... وليتخذ الاسباب وسيلة ، فإنه مأمور باتخاذها وسيلة فحسب .

وبهذا تستقيم نفس المؤمن وتطمئن ... وتستقيم الحياة فلا تكون قلقا كلها ... ولا ضراما كلها ... وإنما تكون نفس المؤمن هادئة مطمئنة ، فهي تعلم أن ما أصابها لم يكن ليخطئها ، وما أخطأها لم يكن ليصيبها ... وأن الامر لله من قبل ومن بعد ، فعليه تعتمد وتتوكل وتثق ... وتتخذ الأسباب وهي تعلم أن ليست الاسباب مانعة قدر الله ولكنها تتخذها لأنها من قدر الله . كما قال عمر بن الخطاب لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما عندما قال أبو عبيدة : افرارا من قدر الله ؟ قال عمر : لو غيرك قالها يا ابا عبيدة .... نعم نفرّ من قدر الله الى قدر الله ...

وذلك هو كمال الايمان وكمال التوحيد ... التوكل على الله وحده والأخذ بالاسباب لأنها من قدر الله ... وهو مأمور باتخاذها .

تلك هي القمة السامقة التي تجتمع في قلب المؤمن ولا تجتمع لأحد غيره ... والفرق بين القمة والسفح هو الفرق بين النور والظلام ... والفرق بين الكفر والإيمان .

الرسائل والمصنفات في الطاعون والوباء
في التراث الاسلامي باللغة العربية

كتب الحديث والطاعون :

الغريب حقا أن أكثر من صنف في الطاعون والوباء الفقهاء والمحدّثون لا الأطباء ، وقد اهتم أهل الحديث بصورة خاصة بالطاعون نتيجة لما ورد فيه من أحاديث نبوية عديدة ، ولما يثيره الطاعون من قضايا عقدية دينية هامة : من أين جاء الوباء ؟ وكيف جاء الوباء ؟ ولماذا يصاب المؤمنون ؟ وهل جزاء المؤمن والكافر والمنافق ، وكلهم يصاب بالطاعون واحدا ؟ وكيف يمكن أن يكون الطاعون رجزا وعذابا لفئة من البشر ، ثم يكون رحمة وشهادة لفئة أخرى هم المؤمنون ؟ لهذا كله اهتم أهل الحديث خاصة بالطاعون .

وقد خصّص الامام البخاري في صحيحه في كتاب " الطب " بابين للطاعون ، هما : "باب ما يذكر في الطاعون " ، وباب " أجر الصابر في الطاعون " وفي كتاب " الحيل " من صحيحه " باب ما يكره من الاحتيال من الفرار من الطاعون " . وبوّب للطاعون أيضا في كتاب الفتن ، وكتاب التوحيد وكتاب القدر ، وكتاب الأذان ، وكتاب الجهاد ، وكتاب فضائل المدينة ، وكتاب المرضى ، وكتاب الدعوات ... وكلها من كتابه العظيم الجامع الصحيح ... وعادة البخاري رحمه الله أن يوزع الموضوع الواحد تحت أبواب أو كتب كثيرة حسب موقعها ، وقد يكرّر الحديث الواحد في أكثر من موضع للاستدلال به على موضوعين أو أكثر .

أما الامام مسلم ، فإنه عادة ما يجمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد ويبوّب لها ولا يوزعها مثل الامام البخاري ، ولذا يسهل العثور عليها ، ولكنه عند الحاجة يوزعها على أبوب مختلفة من كتابه " الجامع الصحيح " ، فقد ذكر الطاعون في كتاب السلام " باب الطاعون والطيرة " ، وفي كتاب الحج " باب بيان الشهداء " وفي كتاب الامارة ، وهكذا .

وقد ذكر أبو داود في سننه أحاديث الطاعون في بابين من كتابه المشهور باسم " سنن أبي داود " ، وهما باب " فضل من مات في الطاعون " وباب " الخروج في الطاعون " ، وكلاهما من كتاب الجنائز من سننه .

أما الترمذي ، فقد ذكر الطاعون في كتاب الجنائز باب " في كراهية الفرار من الطاعون " وكتاب الفتن باب " ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة " .

وذكر النسائي في سننه أحاديث الطاعون مفرّقة في كتاب الجنائز ، وكتاب الجهاد ، وكذلك فعل ابن ماجه حيث ذكره في كتاب الجهاد ، باب " ما يرجى فيه الشهادة " وفي كتاب الفتن باب " العقوبات ".

وبوّب الامام مالك في كتابه " الموطأ " للطاعون مرتين : " باب ما جاء في وباء المدينة " و " باب ما جاء في الطاعون " .

وذكر الحاكم في المستدرك طاعون عمواس بالشام عام 18هـ ، ووفاة الحارث بن هشام في طاعون عمواس (ج278/3،282) .

وذكر الهيثمي في " مجمع الزوائد " الطاعون تحت عنوان : باب "في الطاعون وما تحصل به الشهادة " (ج310/2) . وفي جامع الاصول لابن الأثير باب " الطاعون والوباء والفرار منه " ج579/7 وما بعدها) .. وفي كتاب " المطالب العالية " للحافظ ابن حجر ، باب " الزجر عن الدخول الى أرض وقع بها الطاعون ، والنهي عن الفرار منها " .

أما الامام النووي ، فقد ذكر الطاعون في كتابه الأذكار " فصل في الاشارة الى بعض ما جرى من الطاعون في الاسلام " بالاضافة الى ما ذكره في شرحه لصحيح مسلم ، وفي تهذيب الاسماء والصفات وفي كتابه " الروضة " .

الرسائل المستقلة في الطاعون :

وأول من أفرد الطاعون بمصنف مستقل هو الحافظ ابن أبي الدنيا المتوفي سنة 281هـ .

ثم انتشرت الكتب والرسائل عن الطاعون والوباء ، وقد استعرض بعضها الاستاذ أحمد عصام عبد القادر الكاتب في تحقيقه لكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني " بذل الماعون في فضل الطاعون " (اصدار دار العاصمة ، الرياض 1411هـ/1991م) . وقد ذكر قائمة بثلاثة وثلاثين رسالة ، كما ذكر السيد عبد اللاه الحبشي في كتابه معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الاسلامي . وبيان ما ألف فيها (الدار اليمنية 1405هـ/1985م) ثلاثة وعشرين رسالة . ووجدت رسائل أخرى في فهارس المكتبات ، وسأحاول هنا ترتيبها زمنيا (حسب المستطاع ، لان بعضها غير مذكور فيها سنة التأليف ، وأخرى مجهولة المصنف) ، ومن أهمها فهرس مخطوطات الطب الاسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا ، اصدار مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول سنة 1404هـ/1984م ، اعداد الدكتور رمضان ششن واشراف الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي .... وسأذكر ها هنا الرسائل والمصنفات باللغة العربية . أما ما عداها من اللغات مثل الفارسية والتركية فلن أعرّج عليها .

الأطباء والطاعون :

وقد تحدّث الأطباء أيضا عن الوباء والطاعون ، ولكنّنا لم نجد من الاطباء من يفرد الطاعون بكتاب أو رسالة إلا في مراحل متأخرة ، على عكس أهل الحديث والفقه من علماء الاسلام ما عدا رسالة إلياس اليهودي بن ابراهيم الأسباني ، له " مجنّة الطاعون والوباء " (غير معروف سنة التأليف أو وفاة المؤلف) .

وأكثر كتابات الأطباء كانت حول الجدري والحصبة ، فقد كتبوا فيهما الرسائل المتعدّدة ، وأول من فعل ذلك ثابت بن قرة الصابيء المتوفي سنة 288هـ ، ثم تبعه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفي سنة 303هـ - وقيل سنة 313هـ .. وتعتبر رسالة الرازي من أفضل الرسائل في التفريق بين الجدري والحصبة ، وكان هو أول من وصف الفروق بينهما بدقّة . ولذا تمّت ترجمة رسالته الى اللغات الأوربية وخاصة اللاتينية ، ومنها ترجمت الى اللغات الأوربية الحيّة . وقد فقد النصّ العربي للرسالة . وقام الاستاذ الدكتور محمود الحاج قاسم من الموصل بالعراق بترجمة الرسالة الى العربية من النص الانجليزي ، وعلق عليها .

وذكر الرازي أنواع الحميات بتفصيل وافٍ في كتابه الممتع " المنصوري في الطب "، الذي حققه الدكتور حازم البكري الصديقي ونشره معهد المخطوطات العربية ، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في طبعة جميلة مجلدة ومحقّقة تحقيقا جيدا (الكويت 1987) ولكنه لم يذكر الطاعون في الحميات ، وانما ذكره – كما يفعل الاطباء – في فصل الأورام والبثور .

وقد عنون الرازي " للجدري والحصبة والطواعين " ، في كتابه الموسوعي " الحاوي في الطب " في المجلد السابع عشر (صفحة 1-34) ، ولكنه لم يذكر الطواعين في هذا الباب ، وإنما اكتفى بذكر الجدري والحصبة والتفريق بينهما ... وطريقة الرازي في الحاوي أن ينقل كلام من سبقه من الاطباء في الموضوع ، ثم يعقّب عليه بقوله : (ولي) فيشرح آراءه وما يريد أن يضيفه ... وقد قامت دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكّن ، في الهند بطبع الحاوي في 24 مجلدا بتحقيق موجز ، ونشرته عام 1955 . ثم نشرته دار

إحياء التراث العربي بيروت سنة 2002 ويبدو أنه منقول من طبعة في ايران كما يدل على ذلك بداية الكتاب بذكر الأئمة الأطهار وفيه مقدمة عن الرازي وكتبه وبعض التعليقات وقد ذكرت طبعة دار احياء التراث أنه اعتنى به هيثم خليفة طعيمي .

ونرى ابن سينا في القانون يتحدث عن الحميّات في الكتاب الرابع ويتحدث عن الجدري والحصبة . ولكنه لا يتحدث عن الطواعين إلا في باب " الأورام الحارة والفاسدة من الأورام والبثور " ... ولم يزد ما كتبه عن الطاعون عن نصف صفحة ، وعلاجه نصف صفحة أخرى (ج1922/3، 1923) بتحقيق إدوار القش ونشر المؤسسة عز الدين ، بيروت ، 1987.

ووضع الطبيب أحمد بن أبي الأشعث المتوفي سنة 365هـ ، رسالةعن " الجدري والحصبة والحميقاء " . والحميقاء هي الجديري (Chicken Pox) وتسمى في السعودية " العنجز " وفي اليمن " الجديعة " .

وقام الطبيب القيرواني – (القيروان في تونس) – أحمد بن ابراهيم الجزار المتوفى سنة 395هـ ، بوضع رسالة بعنوان " نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر " ، كما قام أبو عيسى الجرجاني المتوفي سنة 401هـ ، بوضع رسالة في الوباء " .

وتحدث ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي ، المتوفي سنة 687هـ ، عن الوباء في كتابه " الموجز في الطب " ضمن الباب الثالث الذي جعله في "الأورام والبثور والجذام والوباء والتحرز منه " . وكان ما كتبه عن الوباء لا يزيد عن صفحة (304-305) ، تحدث فيه عن فساد جوهر الهواء ، وذلك ناتج عن اسباب سماوية وأسباب أرضية ، مع حدوثه غالبا في آخر الصيف وبداية الخريف . ومن علامات الوباء كثرة الحشرات والفئران وهروب الفأرة من جُحرها . وأما معالجته والاحتراز منه ، فبتنقية البدن والاقلال من الفاكهة والشراب ، والاكتفاء بالمجففات والحوامض ، والتبخير بما يصلح الهواء ، وخاصة الكافور والسعد والصندل والمسك والعود والعنبر ، ورش البيت بماء الورد ، وتقريب الفواكة العطرة مثل التفاح والأترج والكمثري ، واستخدام الزهور الباردة .

ومعظم كلام الاطباء قد أوجزه ابن النفيس ، وهو كلام قليل الفائدة ولا يقارن بما كتبه أهل الحديث والفقه من تتبع حالات الطاعون والوباء ، ودقة التفريق بينهما .. وكل ذلك عائد الى كثرة الأحاديث النبوية الواردة في الطاعون والوباء . واستنباط العلماء – الفقهاء والمحدثون – منها مواضيع شتى تشمل الطب كما تشمل العقيدة ... ومتابعتهم للطواعين الحادثة في الاسلام ودقتهم في تسجيلها ، ومتابعة تفاصيلها وأخبارها .

التفريق بين الوباء والطاعون :

لهذا نجد ان كتب الحديث وشروحها تفيض في ذكر الطاعون والوباء وتفرق بينهما تفريقا جيدا ، في الوقت الذي نجد فيه أساطين الطب مثل ابن سينا لا يستطيعون أن يبلغوا مستواهم .

يقول الامام النووي في " شرح صحيح مسلم "

(وأما الوباء ، فقال الخليل وغيره : هو الطاعون ، وقال : هو كل مرض عام . والصحيح الذي قاله المحققون : أنه مرض الكثير من الناس ، في جهة من الارض دون سائر الجهات ، ويكون مخالفا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها ، ويكون مرضهم واحداً بخلاف سائر الاوقات ، فان امراضهم فيها مختلفة .. وقالوا : وكل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعونا . والوباء الذي في الشام في زمن عمر كان طاعونا ، وهو طاعون عمواس ، وهي قرية معروفة بالشام) .

ولن تجد تعريفا أدق من هذا التعريف للوباء الى اليوم .

ويقول الامام ابن القيم رحمه الله في " الطب النبوي " :

(والتحقيق ان بين الوباء والطاعون عموما وخصوصا ، فكل طاعون وباء . وليس كل وباء طاعونا .. وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون فإنه واحد منها) .

ويقول الامام ابن حجر في " فتح الباري شرح صحيح البخاري ":

(والدليل على ان الطاعون يغاير الوباء ما سيأتي في رابع أحاديث الباب ، " ان الطاعون لا يدخل المدينة " ، وقد سبق في حديث عائشة رضي الله عنها : " قدمنا الى المدينة وهي أوبأ أرض الله " ... وفيه قول بلال (أخرجونا الى أرض الوباء) ، فكل ذلك يدل على أن الوباء كان موجودا بالمدينة ... وقد صرّح الحديث الاول ان الطاعون لا يدخلها ، فدل على ان الوباء غير الطاعون، وان من أطلق على كل وباء طاعونا فبطريق المجاز).

ابن سينا لم يحسن التفريق بين الوباء والطاعون :

أما شيخ الأطباء وأعظمهم قاطبة في تاريخ الاسلام ، وهو الشيخ الرئيس ابن سينا ، فلم يستطع أن يفهم ما فهمه الفقهاء والمحدّثون من أمثال النووي ، وابن القيم وابن حجر العسقلاني ، بل اضطرب مفهومه اضطرابا شديدا ، ولم يستطع التمييز بين الوباء والطاعون ، فقال في "القانون" : (والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئية ، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس) ، وهو كلام غير دقيق ، بل خطأ فاضح من شيخ الأطباء بحيث لم يصل الى ما وصل اليه علماء الحديث .

وقد تتبّعت في كتابي " العدوى بين الطب وحديث المصطفى " ، نقاط الخلاف بين علماء الدين وعلماء الطب ، وكيف أن علماء الدين بلغوا من الدقة العلمية الفائقة ما يعتبر إعجازا الى اليوم ، عندما نظروا الى سبب الطاعون والى الطاعون الغددي ، والرئوي ، وكيف ينتقل الرئوي بالنفث وملاقاة الهواء ، كما أوضحه الغزالي في الاحياء ، بينما كان الأطباء لا يفرّقون بين مختلف الطواعين ، كما أنهم أرجعوا سببها وسبب جميع الأوبئة الى فساد الهواء !!! وفساد الهواء يرجع الى النجوم والفصول وتغيّر في البيئة الأرضية .

الرسائل المستقلة في الطاعون والوباء :

وإليك ذكر الرسائل والمصنفات المستقلة في الطاعون والوباء مرتّبة قدر الأمكان حسب وفاة مصنفيها ، وقد كتب أغلبها علماء الحديث والفقه ... ولم نأتِ على ذكر ما كتبوه في كتب شرح الحديث أو الفقه أو الفقه أو كتب الطب النبوي ، لانها فصول من كتبهم ، وان كان بعضها في غاية الأهمية . إلا أننا قد نذكرها عند الحديث عن أسباب الطاعون وأعراضه وأنواعه .

1- **الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ...** وفاته سنة 281هـ له كتاب " الطواعين " ، وذكره ابن النديم في الفهرست (ص262) ، والبغدادي في الهداية (ج442/1) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (ج402/13) ... وهو من مصادر كتاب الامام ابن حجر العسقلاني " بذل الماعون في فضل الطاعون " .. ويبدو أن الكتاب مفقود إذ لم أجده في فهارس المخطوطات التي لديّ.

2- **أحمد بن ابراهيم الجزار القيرواني الطبيب التونسي المشهور المتوفي سنة 395هـ**: له رسالة " نعت الاسباب المولدة للوباء في مصر" . ذكر ذلك الدكتور عادل البكري في بحثه المقدم الى ندوة " الطب والصيدلة في المغرب العربي " ، مركز إحياء التراث ، بغداد 1990/5/6 ، ولكنه لم يذكر أين يوجد المخطوط ؟ وما هي الفهارس والمعاجم التي ذكرته ووثقته ؟ وعنوان بحث البكري هو " حمدان بن عثمان وكتابه اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء " .

3- **أبو عيسى الجرجاني ، المتوفي سنة 401هـ :** له رسالة " الوباء " ذكره أيضا الدكتور عادل البكري في البحث اعلاه ، ولم يذكر مصادره ولا أين يوجد المخطوط ؟

4- **أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ، المتوفي سنة 771هـ** : له رسالة " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد " تحدث فيه عن الطاعون الذي اجتاح الاندلس والمغرب عام 749هـ ذكره الدكتور عادل البكري في بحثه المقدم الى ندوة " الطب والصيدلة في المغرب العربي " مركز إحياء التراث بغداد في 1990/5/6، بعنوان:"حمدان بن عثمان وكتابه اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء" .

5- **الامام السبكي :** تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ابو نصر) ، قاضي القضاة المتوفي سنة 771هـ ، وقد ذكر أحمد عصام الكاتب في مقدّمته ، لكتاب الحافظ ابن حجر " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، أنه من مراجع كتاب ابن حجر وذكره في الكشف عرضا فقال : (وصنّف الشيخ تاج الدين السبكي جزءاً – اي في الطاعون) ، وقد مات الامام السبكي بالطاعون حيث ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته انه مات في سابع ذي الحجة سنة 771هـ ... خطب يوم الجمعة ، فطعن ليلة السبت ، رابعه ، ومات ليلة الثلاثاء . وقد نقلت ما كتبه السبكي في الطاعون سنة 749هـ ، وطاعون سنة 760 كما جاءت في مخطوطة ليدن " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " للسيوطي ، وشرحت غوامض ألفاظها ولم أجد في الفهارس أي ذكر مستقل لهذا المخطوط ، بل إن معجم المؤلفين والهدية والدرر الكامنة وغيرها لم تذكره .

6- **الديباجي :** ولي الدين محمد بن أحمد بن عثمان الديباجي الملوي (أبو عبد الله) ، المتوفي سنة 774هـ ، له كتاب " حل الحباء لارتفاع الوباء " والحبوة ما يحتبي بها الانسان حيث يلفها من الظهر الى الركبتين أثناء الجلوس - ، ذكره البغدادي في الهدية (ج166/2، والايضاح ج416/1) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج289/8) ، وهو من مصادر ابن حجر العسقلاني . وذكره الحبشي في معجم الموضوعات المطروقة ، ولم أجد في الفهارس الأخرى اي ذكر لهذا المخطوط أيضا .

7- **ابن أبي حجلة :** شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني (ابو العباس) ، المتوفي سنة 776هـ .. له كتاب " الطب المسنون في دفع الطاعون " . ذكره البغدادي في الهداية (ج113/1) والايضاح (ج78/2) وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه " بذل الماعون في فضل الطاعون " ... وكان ابن ابي حجلة ممن توفي بالطاعون (الأعلام للزركلي ج268/1 ، 269) وذكره أيضا صاحب ذيل كشف الظنون . وقد نقل عنه الامام ابن حجر العسقلاني نقولات كثيرة في كتابه " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، كما نقل عنه الامام السيوطي في كتابه " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " . وقد أثبت ما كتبه ابن أبي حجلة نقلا عن كتاب ابن حجر العسقلاني " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، ولم يثبتها السيوطي في كتابه " ما رواه الواعون"،وجعلتها في نهاية كتاب السيوطي . وهي في طاعون عام 749هـ .

8- **السُّرَّمري :** أبوالمظفر يوسف بن محمد بن مسعود العبادي العقيلي ، جمال الدين صاحب كتاب " شفاء الآلام في طب الاسلام " المتوفى سنة 776هـ ، له رسالة بعنوان " ذكر الوباء والطاعون " . ذكر أحمد عصام الكاتب في مقدمته لكتاب ابن حجر " بذل الماعون في فضل الطاعون " ان الكتاب موجود في مكتبة شستربتي (في ايرلنده) تحت رقم 4307 في 15 ورقة ، وقد كتب المخطوط في

القرن العاشر ... وقد قام الاستاذ شوكت رفقي بن شوكت الأثري بالتعليق على كتاب" ذكر الوباء والطاعون " للسرّمري وأصدرته الدار الاثرية بعمان ودار المحبة بدمشق ، الطبعة الاولى 1424هـ / 2004م .

وأما كتاب " شفاء الآلام في طب الاسلام " ، فموجود في مكتبات عدة منها نسخة في مكتبة الاحقاف بتريم في 307 ورقة ، نسخت سنة 1189هـ . وعنها صورة في معهد المخطوطات بالكويت ، وعندي منها صورة أيضا . وأخرى في سزكين برقم 3150.

وذكر فهرس مخطوطات الطب الاسلامي إعداد د. رمضان ششن واشراف الدكتور أكمل الدين أوغلي أنه توجد منه ثلاث نسخ بمكتبات تركيا .

أ. مكتبة سمسون برقم 493(2777) في 371 ورقة بخط نسخ كتبه ابراهيم بن عمر التستري في 10 صفر 781هـ وهي أقدم النسخ .

ب. مكتبة الفاتح رقم 3584في 505 ورقة بخط نسخ ، تمّ الفراغ من كتابته في 28 شوال سنة 847هـ

ج. مكتبة داماد ابراهيم باشا رقم 934 في 485 ورقة بخط نسخ . ويوجد المخطوط ايضا في مكتبة شستربتي (ايرلنده) برقم 4586.

9- **أبو عبد الله محمد بن علي اللحمي الشقوي (الاندلسي) :** له رسالة في الطاعون عام 749هـ سماها " تحقيق النبأ عن أمر الوباء " قال عنها محمد العربي الخطابي في كتابه الطب والأطباء في الاندلس الاسلامية : لعلها من الآثار المفقودة ، ولم يبق منها الا خمس ورقات مخطوطة في مكتبة الاسكوريال ، تحدث فيها عن سبب هذا الوباء ، وهو فساد الهواء ، ثم وصف بعض أعراضه وكيفية توقّيه وجعلها بعنوان النصيحة .

10-**الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي ، صاحب " المقامة الوردية " :** كتب مقامة أدبية مطولة عن الطاعون العام ، وهو طاعون عام 749هـ ، الذي طبق الارض من مشرقها الى مغربها ، ووصل الى الصين شرقا وأوربا غربا ... وهو ثاني وباء عالمي للطاعون . وقد ابتدأ عام 747هـ 1347م، في فرنسا ومنها انتقل الى دول اوربية والاندلس وبلاد المغرب ، ثم زحف على مصر والامبراطورية البيزنطية وسوريا والعراق واجتاح الارض المعمورة ... ومات فيه نصف سكان المعمورة . وقد نقلت هذه المقامة بكاملها كما جاءت في كتاب الامام السيوطي " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ، وقمت بشرح غوامض ألفاظها والأماكن التي ذكرها .

11-**صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي :** له رسالة في الطاعون سنة 749هـ وهي رد على رسالة السبكي اليه في هذا الطاعون . وكان السبكي قد وصف له الطاعون وما فعله بمصر فرد عليه الصفدي بما فعله الطاعون في فلسطين وأرض الشام ... واعتمد الاسلوب الادبي القديم مع السجع والنظم السقيم .. ورسالة الصفدي أيضا ملحقة بمخطوطة ليدن ، من كتاب " ما رواه الواعون في اخبار الطاعون " للسيوطي .. وقد حاولت عبثا فك بعض رموزها ، ولهذا لم أثبتها بالاضافة الى وجود كلمات غير مقروءة .

12-**لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني :** المعروف بابن الخطيب ، ذو الوزارتين الاندلسي سنة 776هـ ، له كتاب " مقنعة السائل عن المرض الهائل " وهو طاعون عام 749هـ المهول الذي طبق الارض بأكملها . وتوجد من المخطوط نسخة في مكتبة الاسكوريال بمدريد برقم 1785.

13-**المنبجي :** شمس الدين محمد بن محمد بن محمود المنبجي (أبو عبد الله) الحنبلي المتوفي سنة 785هـ له كتاب " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (ص876،1574) ، وقال : (ألفه لما رأى في طاعون سنة 764حدوث بدعة ، وهي أدعية مروية عن النبي عليه الصلاة والسلام في الرؤيا) ، وذكره رضا كحالة في معجم المؤلفين (ج295/11) . وقال الزركلي في الاعلام (42،41/7) : (له كتاب " تسلية أهل المصايب في موت الأولاد والاقارب) .. وقال: لعله الذي اشار اليه ابن قاضي شهبة بقوله : (وله مصنف في الطاعون الواقع سنة أربع وستين وسبعمائة) .. قال : وهو يدل على حفظ وفضل وفيه فوائد كثيرة). وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة حليم بالقاهرة برقم 16 . وهو من مصادر كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني في " بذل الماعون في فضل الطاعون " .

14-**الزركشي :** بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي ، الشافعي ، ابو عبد الله المتوفي سنة 794هـ له جزء في الطاعون ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (876) ، وهو من مصادر كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني بذل الماعون في فضل الطاعون .

15-**الحافظ ابن حجر العسقلاني :** أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفي سنة 852هـ ، له كتاب " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، حققه وعلق عليه ووضع له مقدمة ضافية الاستاذ احمد عصام عبد القادر الكاتب ، ونشرته دار العاصمة ، الرياض 1411هـ / 1991م ، ويوجد من الكتاب نسخ عديدة مخطوطة ذكر المحقق اربع نسخ حصل عليها ، هي :

أ. نسخة مكتبة الاوقاف الشرقية بحلب برقم 1258 ، وهي 114 ورقة بخط نسخ ، بخط محمد بن ابراهيم الانصاري ، تم نسخها سنة 864هـ في الثالث من ذي الحجة . وهي أفضل النسخ التي حصل عليها المحقق وجعلها أصلا .

ب. نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم 3158في 107 ورقة بخط نسخ ، فرغ منها ناسخها محمد بن محمد بن بهادر المؤمني الشافعي في رجب سنة 874هـ.

ج. نسخة المكتبة العثمانية بحلب برقم (26/ملحق) في 71ورقة بخط نسخ ، بقلم محمد بن ناصر الدين الشفوني ، سنة 1066.

د. نسخة مكتبة أيا صوفيا بالسليمانية برقم 880 في 154ورقة بخط نسخ جيد ، نسخها الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن بدر الدين بن علي الحسني المصري الشافعي ، وفرغ من نسخها في 13 ربيع الأخر سنة 852هـ . وهي أقدم النسخ وتم نسخها قبل وفاة الحافظ ابن حجر بثمانية أشهر تقريبا .

وذكر المحقق نسخا أخرى لم يقف عليها : نسختان في التيمورية (دار الكتب المصرية) برقم 198 ورقم 213 مجاميع .ونسخة في مكتبة أسعد أفندي /8 ، وأخرى في عاشر أفندي /180 ، وأخرى في كتبخانة أيا صوفيا وغيرها في كوبريللي /16 وكلها في تركيا . ونسخة بمكتبة الحرم المدني وأخرى في جامعة لندن برقم 13998، ونسخة في مكتبة ليدن بهولنده .

العلماء الذين اختصروا كتاب ابن حجر الطاعون :

وقد اختصر كتاب الامام ابن حجر العسقلاني مجموعة من العلماء . وأضافوا اليه ما حدث في الطواعين بعد زمان ابن حجر ، وبعض تعليقاتهم ، وما يروونه من آراء خاصة ، نذكر منهم الامام زكريا الانصاري المتوفي 926 وسماه : " تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين " ومحمد عبد الرؤوف المناوي المتوفي سنة 1031هـ ، والسيوطي المتوفي 911هـ ، وسماه " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده . كما توجد نسخة في المكتبة البلدية بالاسكندرية بعنوان " خلاصة ما رواه الواعون من الاخبار الواردة في الطاعون " ، سرد فيه حوادث الطاعون الى سنة 848هـ ، ثم أكمله بعض العلماء الى سنة 1053هـ .ذكر ذلك الدكتور شاكر عبد المنعم في رسالته للدكتوراه : ابن حجر العسقلاني : "مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب الاصابة " ، طبع دار الرسالة بغداد سنة 1978م .

وقد وضع الامام ابن حجر كتابه على فترتين الأولى عام 819هـ ، عندما توفت ابنتاه فاطمة وعالية في الطاعون الذي حدث ذلك العام . وترك ابن حجر الرسالة ولم يتمها الا بعد وفاة ابنته الكبرى زين خاتون بالطاعون سنة 833هـ وهي حامل ، فحَمَله ذلك على اتمام رسالته ، مع ما توجّب عليه للرد على بدعة الخروج الى الصحراء بعد صيام ثلاثة ايام كما في الاستسقاء ، بالاضافة الى طلب بعض الاخوان .

وقد قسّم ابن حجر كتابه الى خمسة أبواب ، هي : (1) مبدأ الطاعون ، (2) التعريف بالطاعون ، (3) في كونه شهادة ، (4) في حكم الخروج من البلد الذي يقع بها الطاعون والدخول اليها ، (5) فيما يشرع فعله بعد وقوعه .

ولكل باب مجموعة من الفصول ، ويعتبر الكتاب ثروة في الاحاديث النبوية الواردة في الطاعون ، وقد أفاض الحافظ في شرحها وتبيينها . ثم ختم الكتاب بذكر الطواعين التي وقعت في الاسلام ، ونبذة مما قيل فيها الى زمنه .

16-الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود الدمشقي الصالحي الحنبلي ، أبو الفرج المتوفي سنة 856هـ ، له كتاب " تسلية الواجم في الطاعون الهاجم ". ذكره البغدادي في هدية العارفين (ج531/1) ، وفي الايضاح (ج287/1) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج128/5) .

17-**عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد الأنطاكي:** الحنفي المتوفي سنة 858هـ ، نزيل بروسه في تركيا ، له كتاب " وصف الدواء في كشف أفات الوباء " ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (ص2013) ، والبغدادي في الهدية (ج531/1،532) .

18-**الحدادي (المناوي) :** شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد الحدادي المناوي المصري الشافعي (أبو زكريا) من تلاميذ الحافظ ابن حجر ، وكانت وفاته سنة 871هـ قام باختصار كتاب شيخه وسماه " مختصر بذل الماعون " .

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (237) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج227/13).

19-**عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن التونسي :** المتوفي سنة 899هـ ، له كتاب : الطب في تدبير المسافرين ومرضى الطاعون " ، ويوجد من المخطوط نسخة في مكتبة أيا صوفيا برقم 4/4814 بخط نسخ بخط المؤلف فرغ من كتابته في 27 محرم 899هـ .

20-**ابن المِبْرد :** جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي ، الحنبلي المتوفي سنة 909هـ ، له كتاب : " فنون المنون في الوباء والطاعون " . يوجد مخطوط في مكتبة الفاتح بتركيا برقم 3591في 113ورقة . وقد ذكره المصنف أيضا في فهرست مؤلفاته ، (دراسة عن ابن المبرد أعدها صلاح الخيمي ، مجلة معهد المخطوطات مجلد 784/26) ، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، والبغدادي في الهداية .

21-**وله أيضا " كتاب الطواعين ":** ذكره في فهرست مؤلفاته وذكره البغدادي في الهداية (ج/561)،والظاهر أنه كتاب مستقل عن"فنون المنون في الوباء والطاعون " .

22-**الامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي :** المتوفي سنة 911هـ ، له " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون " ، وهو اختصار لكتاب الامام ابن حجر " بذل الماعون في فضل الطاعون " مع اضافات كثيرة ، واضافة مقامة ابن الوردي ومقامة السيوطي ، وهي المقامة الدرية التي وضعها السيوطي في طاعون عام 897هـ ، وفيها تتجلى مقدرته اللغوية والفقهية والنحوية والاصولية والحديثية ، فقد تحدث بلسان هؤلاء جميعا عن الطاعون وما يفعله كما سرد الطواعين الحادثة في الاسلام الى زمنه. ويوجد الكتاب في العديد من المكتبات مخطوطا ، نذكر منها :

1) دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم 165حديث تيمور.
2) مكتبة قسطموني بتركيا برقم 2/1144، في مجموع من صفحة 103الى 115 بخط نسخ كتبه حسن الاجهوري في شهر ذي الحجة سنة 982هـ .
3) مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 7/4396 في مجموع من صفحة85أ الى 131ب ، بخط نسخ كتبت المخطوط في القرن الحادي عشر الهجري .
4) مكتبة رئيس الكتاب بتركيا برقم 6/1150 في مجموع من صفحة 52أ الى 82أ بخط نسخ ، كتبت المخطوط في القرآن الحادي عشر الهجري .
5) مكتبة جامعة ليدن بهولنده ضمن مجموع 455 مخطوطات شرقية من ورقة 80ب الى 160ب.
6) قام المستشرق الألماني فون كريمر بترجمة كتاب السيوطي الى الألمانية وخاصة " سرد الطواعين الواقعة في الاسلام " وفيه ذكر الطواعين في الاسلام منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى طاعون عام 897 زمن المؤلف .
7) المكتبة الظاهرية بدمشق برقم 5896.
8) المكتبة الصديقية بحلب برقم 138.
9) مكتبة يحيى باشا بالموصل برقم 256سير ، ق70- 103 .
10)جامعة برنستون بالولايات المتحدة ، مخطوطات الشرق الأوسط ، مكتبة فايرستون .

وقد أضاف السيوطي الى كتاب ابن حجر بعد اختصاره تعليقات كثيرة وما حدث من طواعين وقعت بعد زمن ابن حجر . وأضاف الى الكتاب : مقامة ابن الوردي في الطاعون ، ورسالة السبكي الى الصفدي ، ورسالة الصفدي الى السبكي في الطاعون 749هـ . والمقامة الدرية للسيوطي في طاعون 897هـ ، وتعتبر المقامة الدرية رسالة مستقلة في الطاعون .

23-**مصلح الدين مصطفى بن أوحد الدين اليار حصاري :** القاضي الحنفي المتوفي سنة 911 هـ ، له " رسالة الوباء وجواز الفرار منه " . ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (897) ، والبغدادي في هدية العارفين (ج433/2) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج243/2) .

24-**شيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصاري :** المتوفي سنة 926هـ ، " تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين " .

ويوجد المخطوط في مكتبة أسعد أفندي بتركيا برقم 5/3567 بخط نسخ ، بقياس 20.2x14.7 سم . كتبت المخطوطة سنة 989هـ .

وهو مختصر لكتاب " بذل الماعون في فضل الطاعون " ، مع اضافات ما حدث من طواعين بعد وفاة الامام ابن حجر الى عهد شيخ الاسلام زكريا الانصاري .

وقد ذكر الاستاذ أحمد عصام عبد القادر الكاتب في مقدمته لكتاب " بذل الماعون في فضل الطاعون " لابن حجر العسقلاني أن الدكتور شاكر في كتابه عن ابن حجر العسقلاني ذكر ان هناك نسخا من كتاب شيخ الاسلام زكريا الانصاري " تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين " في دار الكتب المصرية (تيمور رقم 141 ورقم 570 ورقم 34) .

25-**ادريس بن حسام الدين علي البدليسي :** المتوفي سنة 930هـ ، وقيل سنة 927هـ ، له رسالة الاباء عن مواقع الوباء ، ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون (840، 841) ، وقال : ذكر فيها انه توجه من القسطنطينية الى نحو الاسكندرية في 917هـ من البحر . وحجّ ثم عاد امتثالا لامر السلطان سليم ، ولما دخل الشام سمع أن بمصر نازلة الوباء ، فامتنع من الدخول اليها ، وركب الى اسلامبول (القسطنطينية) من البحر ، فأنكر عليه جميع العلماء بدمشق وحلب ، فكتبها .

26-**وذكرها في كشف الظنون** ثانية بعنوان " رسالة في الطاعون وجواز الفرار عنه " (الكشف ص876) . والظاهر أنها نفس رسالة الاباء عن مواقع الوباء ، حيث يبدو أن موضوعها واحد وهو الفرار من الطاعون وعدم الدخول اليه في البلد التي يكون فيها ، وربما كانت رسالة ثانية .

وذكر البغدادي في هدية العارفين (ج196/1) اسم الرسالة بعنوان : " رسالة الأدباء عن مواقع الوباء وجواز الفرار عنه " . أما رضا كحالة فقد أوردها في معجم المؤلفين (ج217/2) بعنوان : " الاباء عن مواقع الوباء " ، مثل كشف الظنون .

27-**شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي :** المتوفي سنة 940هـ ، له رسالة "راحة الأرواح في دفع عاهة الاشباح " ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون (ص829)، وقال عنها : (رسالة مختصرة في أمر الطاعون ... رتّبها على مقدمة وأبواب) . وذكرها البغدادي في هدية العارفين (ج141/1) ، وذكرها عبد اللاه الحبشي تحت باب الطاعون والوباء في كتابه " معجم الموضوعات المطروقة " .

وجاء في فهرس مخطوطات الطب الاسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا ، اصدار مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة الاسلامية باستانبول 1984، واعداد د.رمضان ششن : له عدة مؤلفات منها رسالة في طبيعة الأفيون ، وتوجد منها عدة نسخ في مكتبات تركيا ، و" فوائد طبية "باللغات التركية ، وطب رسالة سي باللغة التركية ، ورسالة في الطاعون ، وتوجد منه نسختان ، الأولى : في مكتبة عاطف أفندي رقم 19/2802 بخط تعليق وبمقاس 12.5سمx17.5سم . والثانية : في مكتبة المالي برقم

3/72بخط نسخ ومقياس 21x15.5سم ، ويبدو ان رسالة " راحة الأرواح في دفع عاهة الاشباح " و " رسالة في الطاعون " ، شي واحد لان موضوعها واحد ، وربما كانتا رسالتين مستقلتين .

28-**شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي :** أبو عبد الله المتوفي سنة 953هـ ، له تحفة النجباء بأحكام الطاعون والوباء .

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (376) ، والبغدادي في هدية العارفين (ج240/2) وهو مذكور أيضا في مقدمة كتاب " المنهل الروي في الطب النبوي " لابن طولون ، طبع حيدر أباد الهند 1987، وتعليق عزيز بك . وكتاب المنهل الروي منقول عن كتاب " المنهج السوي والمنهل الروي " للسيوطي مع اضافات بسيطة جدا .

وقد ذكر رسالة " تحفة النجباء بأحكام الطاعون والوباء " أيضا السيد عبد اللاه الحبشي في في كتابه " معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الاسلامي وبيان ما ألف منها " ، اصدار الدار اليمنية للنشر 1405هـ/1985م .

29-**الطرابلسي :**شمس الدين محمد بن عبد الراحمن الحسيني الطرابلسي ، المالكي ، أبو عبد الله المعروف بحطاب الرعيني ، المتوفي سنة 954هـ . له " البشارة الهيّنة بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة " ، ذكره البغدادي في هدية العارفين (ج242/2) والايضاح (ج183/1) . وذكر البغدادي ان له كتابا آخر بعنوان :

30-**" القول المبين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين " :** الايضاح (252/2) والهدية (242/2) .. ويحتاج الامر الى مقارنة النسختين ان وجدتا ، فلعلهما كتاب واحد لان موضوعهما واحد ، وقد ذكره أيضا الحبشي في " معجم الموضوعات المطروقة " .

31-**وله ايضا " عمدة الراوين في أحكام الطواعين " :** ذكره البغدادي في الايضاح (ج121/2) ، والهدية (ج242/2) ، وذكره أيضا عبد اللاه الحبشي في " معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الاسلامي " .

32-**طاشكبري زاده :** عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي ، المعروف بطاشكبري زاده ، أبو الخير ، المتوفي سنة 968هـ ، له رسالة" الشفاء في أدوية الوباء " ، وذكر بعنوان : " رسالة الشفاء لأدواء الوباء " .

ذكرها في كشف الظنون الحاجي خليفة (ص874) ، وبين أبوابها وفصولها ، والبغدادي في هدية العارفين (ج143/1،144) ، والزركلي في الاعلام (ج257/1) ، وذكر انها قد طبعت كما ذكرها عبد اللاّه الحبشي في " معجم الموضوعات المطروقة " .

وفي كتاب " فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا " (ص280-282) أن المخطوط موجود في مكتبات تركيا ، وقد ذكر منها 15 نسخة باللغة العربية وأربع نسخ مترجمة الى اللغة التركية ، وقد ذكرها بالعنوان التالي : " رسالة الشفاء لأدواء الوباء المسمّى ببذل الماعون في جواز الخروج عن الطاعون " ، وهو موجود في المكتبات التالية :

- مكتبة قسطموني برقم 2033في 108 ورقة كتبت سنة 961هـ ،في حياة المصنف.
- مكتبة لاله لي برقم 1/1626، نسخت سنة 972هـ ، (بعد أربع سنوات من وفاة المصنف) .
- مكتبة حميدية برقم 3/533، نسخت منه 1124هـ .

- مكتبة عاشر أفندي برقم 1/275 ، كتبه مسعود بن ابراهيم سنة 1184هـ .
- مكتبة شهيد علي 2799.

33-**وللمصنف أيضا :** " رسالة في بيان الطاعون " ، ويوجد منها ثلاث نسخ في مكتبة ولي الدين أفندي بتركيا ، وهي بالارقام التالية 2/2514، 2/2515 ، 2/2516 .

34-**ابن نجيم :** الشيخ زين الدين بن ابراهيم بن محمد بن محمد المصري ، الحنفي المشهور بابن نجيم المتوفي سنة 970هـ . قال أحمد عصام عبد القادر الكاتب في مقدمة كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون أنه وقف على نسخة منها في مكتبة الأحمدية ، بحلب في مجموع برقم 361، بعنوان :"رسالة في الطاعون ووصفه " لابن نجيم .

35-**زين العابدين بن ابراهيم المصري :** المتوفي سنة 970هـ ، له رسالة " الطعن والطاعون وبيانهما " ، توجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

36-**المقدسي الكرمي :** الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي المتوفي سنة 1033هـ ، له رسالة : " ما يفعله الاطباء والداعون لدفع شر الطاعون " ، وذكره البغدادي في هدية العارفين (ج427/2) ، والايضاح (ج421/2)، وذكره الحبشي في " معجم الموضوعات المطروقة " بعنوان : "ما يفعله الواعون لدفع شر الطاعون ". ونقل ذلك عن ذيل كشف الظنون ، وذكر الحبشي أيضا رسالة " السر المصون في أخبار الطاعون " ، وقال أنها للمقدسي . وهل الشيخ مرعي الكرمي المقدسي هو المقصود ام غيره ؟ لم يوضح ذلك الحبشي ، إذ إنه يذكر اللقب فقط دون ذكر الاسم كاملا ، ودون ذكر سنة الوفاة . ونقل ذلك عن ذيل كشف الظنون .

وذكر أحمد عصام الكاتب في مقدمته لبذل الماعون لابن حجر رسالة أخرى للمقدسي بعنوان : " تحقيق الظنون بأخبار الطاعون " ، ويبدو أنها المذكورة آنفا من الحبشي ، بل أكّد ذلك حيث قال : ووجدت في الايضاح (للبغدادي ج11/2) ، كتابا بعنوان " السر المصون في أخبار الطاعون " ، قال : واكتفى – أي البغدادي – بقوله : للشيخ المقدسي . فلعل العنوانين لكتاب واحد .

37-**البيلوني :** محمد بن فتح الله بن محمود الحلبي ، البيلوني الانصاري ، المتوفي سنة 1042هـ ، - ذكر في الاعلام للزركلي أن وفاته كانت سنة 1085-له : " خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون " ، ذكره حاجي خليفة في كشف الطنون (719) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج117/11) ، ويوجد المخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق بعنوان " رسالة في أحوال الطاعون " ، برقم 6099 ، وتوجد منها صورة في جامعة الكويت برقم 700م ك5 في 51 ورقة ، كتبت سنة 1205هـ . وتوجد من المخطوط ثلاث نسخ في مكتبات تركيا هي : (أ) مكتبة لاله لي برقم 2/1646بخط نسخ ، كتبت سنة 1028. (ب)مكتبة قسطموني برقم 43/1848 بخط تعليق نسخة محمد بن مقصود القسطموني سنة 1047هـ , (جـ) مكتبة كوبريللي ، القسم الثاني ، برقم 1/186 بخط نسخ ، كتبت في 17 محرم 1053م .

38-**أحمد الحموي :** المتوفي سنة 1068هـ ، له رسالة " الجوهر المكنون في الكلام عن الطاعون " في سبع ورقات . توجد نسخة من المخطوطة في مكتبة أوقاف بغداد برقم 3796 ، وأخرى نسخت سنة 1245هـ ، برقم طب 592، وهي في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

39-**الشريف أحمد بن محمد الحسيني الحنفي :** المتوفي سنة1097هـ ، له رسالة : السر المكنون في الكلام عن الطاعون " ، ذكره الدكتور عادل البكري في بحثه المقدم الى " ندوة الطب والصيدلة في المغرب " المقامةفي جامعة بغداد في 1990/5/6، والتي نشرها مركز احياء التراث العلمي ببغداد (جامعة بغداد) 1990.

40-**نعمة الله بن عبد الله الجزائري، البصري ، الشيعي ، نزيل أصبهان :** المتوفي سنة 1112هـ ، له رسالة : مسك الشجون في الفرار من الطاعون " ، ذكرها البغدادي في الايضاح (ج479/2) ، وهدية العارفين (ج497/2) . وفيه " مسكن الشجون " بدلا من مسك . أما السيد عبد االآه الحبشي فقد ذكره في معجم الموضوعات المطروقة بعنوان : " مبكى الشجون في الفرار من الطاعون " .

41-**زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زيد العابدين ، الحدادي المناوي القاهري ، الشافعي :** المتوفي سنة 1131هـ ، له " منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين " .

42-**هـ عبد الوهاب بن أحمد أدراق :** المتوفي سنة 1159هـ ، له رسالة " هز السمهري فيمن نفى العيب عن الجدري " .

43-**مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي الحنفي الخلوتي :** المتوفي سنة 1162هـ ، له " سر الساعون في دفع الطاعون " ! هكذا ورد عنوانه في الايضاح (ج10/2) ، وهدية العارفين (ج448/2) ، والحبشي في معجم الموضوعات المطروقة . وكان ينبغي ان يكون " سر الساعين " او " الساعون في دفع الطاعون " . وأهل اللغة والنحو يقولون أن ذلك جائز في بعض لغات (لهجات) العرب .

44-**صبغة الله الحيدري :** المتوفي سنة 1187هـ ، له " رسالة في الطاعون " ، توجد نسخة من المخطوط في مكتبة أوقاف الموصل برقم 22811.

45-**عثمان بن موسى الاسكي شهري :** عاش في القرن الثاني عشر الهجري ، وكان مدرسا في جامع السلطان محمد الفاتح ، له كتاب " الماعون في مسألة الطاعون " ، ويوجد المخطوط في مكتبة بغدادلي وهبة في تركيا برقم 1370، في 24 ورقة ، كتبت سنة 1210هـ ذكر ذلك فهرس مخطوطات الطب الاسلامي ، اعداد رمضان شنن . وقال : وله أيضا رسالة في الحجامة باللغة التركية ، بعنوان (حجامت رسالة سي) ، وهي في مكتبة مُلّى خانة برقم 12/47148.

46-**مستقيم زاده :** سعد الدين سليمان بن عبد الرحمن أمن الله بن محمد الرومي الحنفي المشهور بمستقيم زاده ، المتوفي سنة 1202هـ ، له " جهاز المعجون في الخلاص من الطاعون " ، ذكره البغدادي في الايضاح (ج387/1) وهدية العارفين (ج405/1) ، وعبد اللآه الحبشي في الموضوعات المطروقة .

47-**كورك زاده حافظ حسين أفندي :** المتوفي سنة 1216هـ ، له رسالة " مجنّة الطاعون والوباء " ، وتوجد من المخطوط نسخة في جامعة استانبول ، القسم التركي برقم 1299 في 30 ورقة . وقد كتبت هذه النسخة سنة 1299 هـ ، وللمصنف أيضا رسالة في الأسقربوط (نقص فيتامين ج) ، وذكر ذلك فهرس مخطوطات الطب الاسلامي .

48-**السيد عقيل بن عمر السقاف العلوي المكي الشافعي :** المتوفي سنة 1240هـ ، له " رسالة في الطاعون " ، المخطوط في مكتبة عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – بالطائف برقم 170/3

بخط نسخي متقن في 17ورقة ، 21سطرا في الورقة مقاس 16سمx21.5 سم عليه تملك عثمان محمد القارئ – وكان معاصرا للمصنف ، وأول الرسالة : (الحمد لله .... أما بعد ، فإن الذي تسأله من المخرج من هذا الطاعون بحيلة التوبة هل هو مكروه أو حرام يوجب الضلال ، فأبيّن لك من أحاديث نبيّك ، وانت أبصر بنفسك فيها) ، وآخره : (فإني لا أسألكم عليه أجرا ، إن أجري الا على رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين ، تمت وبالخير عمّت) .

49-**ابن بيرم :** محمد بن محمد الأول بن حسين التونسي الشهير بابن بيرم ، المتوفي سنة 1246هـ ، وقيل سنة 1247هـ ، له كتاب " حُسن النبا في جواز التحفّظ من الوباء " ، ذكره البغدادي في ايضاح المكنون (ج405/1) ، وهدية العارفين (ج363/2) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج209/11) ، والزركلي في الاعلام (ج72/7) ، وذكر أنه قد طبع . وذكره ايضا عبد اللاّه الحبشي في معجم الموضوعات المطروقة عن ايضاح المكنون .

50-**أحمد بن رشيد بن محمد صدقي الرومي :** المتوفي سنة 1250 هـ ، له كتاب " تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين " ، وهو نفس عنوان كتاب الشيخ زكريا الأنصاري . ذكره إيضاح المكنون (ذيل كضف الظنون) للبغدادي (ج248/1) ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج222/1) .

51-**علي بن عبد الله الأصفهاني :** غير معروف سنة وفاته ، عاش في القرن الثالث عشر الهجري ، له رسالة تبحث في الطاعون عام 1247هـ ذكره الدكتور عادل البكري في بحثه المقدّم لندوة " الطب والصيدلة في المغرب " . التي عقدت في جامعة بغداد في 1990/5/6، ونشرتها جامعة بغداد عام 1990.

52-**حمدان بن عثمان خواجه الجزائري الحنفي :** المتوفي سنة 1261هـ ، له " اتحاف المنصفين والادباء بمباحث الاحتراز عن الوباء " ذكره البغدادي في ايضاح المكنون (ج20/1) وهدية العارفين (ج335/1) ، ورضا كحالة في معجم المؤلفين (ج75/4) وعبد اللاه الحبشي في " معجم الموضوعات المطروقة " نقلا عن ايضاح المكنون . وقال البغدادي : وفرغ منه سنة 1252 وذكر المصنف الحجر الصحي ووجوب الالتزام به ، وذلك بعد أن طبقته أوربا ، وأدى ذلك الى تخفيف الأوبئة فيها ، ووضع فيه بحثا جيدا د. عادل البكري في ندوة الطب والصيدلة في المغرب العربي ، جامعة بغداد 1990.

53-**كلوت بك رئيس أطباء الجيش المصري :** ومؤسس مدرسة الطب في القصر العيني ، له " رسالة في الطاعون " طبعت بمصر سنة 1250هـ " .

54-**ابراهيم النجار :** المتوفي سنة 1281 ، له رسالة في الهواء الأصفر ، يتحدّث فيها عن الوباء .

55-**حسن محمد باشا :** له كتاب " تحفة السامع والقاري في داء الطاعون البقري الساري" ، طبع الكتاب بمصر سنة 1300هـ -1883م .

56-**محمد بن أحمد الاسكندراني :** المتوفي سنة 1306هـ ، له " رسالة الهيضة " ، وقد طبعت بمصر سنة 1292هـ 1875م .

57-**حسن محمود الطبيب :** المتوفي سنة 1323هـ ، له رسالة " وباء الهيضة " .

58-**عبد الحميد بن نعمر نعيمي بن أحمد الخربوتي ، الرومي ، الحنفي المدرّس :** المتوفي سنة 1320هـ ، له كتاب " جواب الوزير في حرمة امتناع الحاج عن دخول مكة عند الوباء الكبير " ،

ذكره البغدادي في ايضاح المكنون (ج373/1) ، وفي هدية العارفين (ج507/1) . وأما الرسائل التي لم يعرف سنة تأليفها ولا سنة وفاة كاتبها ، فهي كالتالي :

59-**الطبري :** الفوائد الخبرية في أحكام الطاعون " : ذكره عبد اللآه الحبشي في معجم الموضوعات المطروقة ، واشار الى أن البغدادي ذكره في الذيل (أي ذيل كشف الظنون وهو ايضاح المكنون) .

60-**المولي إياس :** وله " طلسم العون في الدواء والصون عن الطاعون والوباء " ذكره الحبشي في معجم الموضوعات المطروقة من كشف الظنون لحاجي خليفة .

61-**مصلح الدين :** " رسالة الوباء وجواز الفرار منه " ، ذكره الحبشي عن كشف الظنون في كتابه " معجم الموضوعات المطروقة " .

62-**المؤلف مجهول :** ترجمة رسالة " دفع طاعون " ، الناسخ عبد اللطيف زين العابدين سنة 986هـ ، وتوجد نسخة من المخطوط في مكتبة جار الله بتركيا برقم 1539في 48صفحة ، ذكره " فهرس مخطوطات الطب الاسلامي " .

63-**ابراهيم النشو الجمال :** " الرسالة الجمالية في تدبير الحمّيات الوبائية " ، توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم 16طب .

64-**عبد الرحمن بن محمد البسطامي :** له رسالة " وصف الدواء في كشف الوباء " ، توجد منه نسخة في المكتبة الأحمدية بتونس برقم 5408 .

65-**عزريا كثير :** رئيس أطباء السلطان عبد المجيد خان ، له رسالة " الهواء الأصفر" ومعالجته .

66-**شبلي شميل :** له كتاب " الهواء الاصفر " ، طبع في مصر سنة 1306هـ 1889م .

67-**يعقوب بن ساحاق الكندي :** له كتاب " الأبخرة المصلحة للجو من الوباء" ، ذكره الدكتور عادي البكري في بحثه المقدم الى ندوة الطب والصيدلة في المغرب العربي المنعقدة ببغداد في 1990/5/6، (نشر مركز احياء التراث جامعة بغداد) .

68-**مصطفى الدهنة الازهري :** له " رسالة في الطاعون " في 14 ورقة تحت رقم 492 طب طلعت بدار الكتب المصرية .

69-**المؤلف المجهول :** " رسالة فيما ينفع من الوباء والطاعون "، برقم طب 591 ، دار الكتب المصرية بالقاهرة .

70-**إلياس اليهودي بن ابراهيم الأسباني :** " مجنة الطاعون والوباء " غير معروف سنة الوفاة للمؤلف ولا سنة التأليف ولا سنة النسخ ، مخطوط ضمن مجموع معهد المخطوطات العربية ميكروفيلم رقم MS3676في 32 ورقة .

71-**عبد الله المقدسي :** " السر المصون في أخبار الطاعون " : توجد منه نسخة خطية في المكتبة الأحمدية بتونس برقم 5446، ذكر ذلك الدكتور عادل البكري في بحثه المقدم الى " ندوة الطب والصيدلة في المغرب " بجامعة بغداد في 1990/5/6، وهل المقدسي هذا هو نفس الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي المتوفي سنة 1033هـ ، وصاحب كتاب " ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون " ، أم هما مقدسيان أحدهما الشيخ مرعي الكرمي والثاني عبد الله المقدسي . ورسالة " السر المصون في أخبار الطاعون " ذكرها ايضاح كشف الظنون للبغدادي ، وقال

: للشيخ المقدسي ، وذكرها كذلك عبد اللآه الحبشي في " معجم الموضوعات المطروقة " ، وكذلك لم يوضح عن المنصف أي شيء سوى قوله للشيخ المقدسي : " السر المصون في أخبار الطاعون .

هذا ما تيسّر جمعه عن الرسائل المستقلة عن الطاعون والوباء ، وأما ما كتب عن الطاعون ضمن الكتب فكثير لا يمكن حصره ، وقد حوت كتب الحديث المختلفة وشروحها وكتب الطب النبوي على فصل أو باب في الطاعون . كذلك حوت كتب التاريخ وكتب الأدب الكثير الكثير عن أخبار الطاعون ، ولكننا أعرضنا عنها لأنها لم تكن رسائل مستقلة ، كما أن كتب الطب كلها قد حوت فصولا عن الوباء ، وأغلبها لم يذكر الطاعون في الوباء ، وانما ذكره في الأورام والبثور ، لان الطاعون الغددي يظهر كغدة في المراق (المنطقة الأربية) والابط وفي العنق خلف الاذن . كما يظهر مثل البثرة في اليد أو الساق أو القدم .

وهكذا يبدو أن التراث الاسلامي غني بصورة غير متخيلة بالكتب والرسائل عن الطاعون والوباء .

الفصل السابع والعشرون :

الامام القسطلاني
(851-923هـ)
وكتابه المواهب اللدنية ومختصر الانوار المحمدية للشيخ النبهاني

سنبدأ بمسيرة مختصرة للامام القسطلاني صاحب كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية وهو كتاب مطبوع في اربعة مجلدات بتحقيق صالح احمد الشامي ، الناشر : المكتب الاسلامي بيروت 2004م/1425هـ .

وقد خصص المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وآله وسلم لذوي الامراض والعاهات وهو جزء كبير من المجلد الثالث .

ثم سنترجم للشيخ النبهاني الذي اختصر كتاب القسطلاني الى اقل من النصف في جزئين ، وجعل المقصد الثامن في حوالي اربعين صفحة من الجزء الثاني . وسنستعرض باختصار ما كتبه الشيخ النبهاني لانه لم يضف لكتاب القسطلاني شيئا ، بل اختصره اختصارا جيدا وحافظ على عبارات المؤلف الا فيما ندر .

وقد نشر كتاب القسطلاني بعدة طبعات كما نشر كتاب النبهاني بعدة طبعات كلها بالاوفست (تصويرا) ما عدا الطبعة الاولى في القاهرة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

ترجمة شهاب الدين القسطلاني (851-923هـ (1448-1517م)

هو أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن عبد الملك بن أحمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري الشافعي , العلامة الحافظ المحدّث ، الفقيه اللغوي ، المؤرخ والعالم بالقراءات ، مولده ووفاته بالقاهرة .

أخذ عن مجموعة من الشيوخ منهم :

خالد الأزهري النحوي و محمد بن عبدالدائم البذالي و الجلال البكري و النجم بن فهد و عبد الغني الهيثمي و البرهان العجلوني .

من مؤلفاته

1. إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ، مطبوع في عشرة اجزاء .
2. الأسعد في تلخيص الإرشاد من فروع الشافعية.
3. المواهب اللدنيّة في المنح المحمدية طبع عدة مرات بتحقيق وبدون تحقيق في أربعة أجزاء . وخصص فيه المقصد الثامن للطب النبوي . وهو ما سنستعرضه بعد قليل .
4. الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر (الجيلاني) .
5. العقود السنية في شرح حرز الأماني للشاطبي .
6. مدارك المرام في مسالك الصيام .
7. مراصد الصلات في مقاصد الصلاة .
8. مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية (شرح البردة) .
9. منهاج الابتهاج لشرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج .
10. يقظة ذوي الاعتبار في موعظة أهل الاعتبار.

11. لطائف الإشارات لفنون القراءات.

وفاته

كانت وفاته ليلة الجمعة ثامن المحرم سنة 923 هـ الموافق 1517م .

سيرة مختصرة للشيخ النبهاني

هو **يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني**، القاضي الفقيه الصوفي، والشاعر الأديب، المكثر من مدائح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم تأليفاً ونقلاً وروايةً وإنشاءً وتدويناً ، 1350 -1265)هـ = 1849- 1932م). ونسبته إلى بنى نبهان من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية إجزِم -وولد فيها- التابعة لحيفا في شمالي فلسطين .تعلم بالأزهر الشريف بمصر (سنة 1283- 1289هـ)، وتلقى فيها على أكابر علماء الأزهر. تولى نيابة القضاء في قضاء جنين من أعمال نابلس، ثم سافر إلى الآستانة، واشتغل بالتحرير في جريدة الجوائب، وتصحيح الكتب العربية، ثم عين قاضياً في كوى، ثم رئيساً لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثم محكمة الجزاء بالقدس، ثم رقى إلى رئاسة محكمة الحقوق ببيروت، ولما أحيل للتقاعد سافر إلى المدينة المنورة، فجاور بها مدة، ثم عاد إلى بلاده وبقى فيها حتى توفي سنة 1932 م/ 1350هـ .

حياته وطلب للعلم

ذكر النبهانى عن نفسه أنه قرأ القرآن على والده ثم ذهب الى الازهر الشريف فتلقى العلم من اكابر الشيوخ منهم الشيخ ابراهيم السقا الشافعي شيخ المشايخ ، والشيخ المعمر العلامة السيد محمد الدمنهوري الشافعي ، والعلامة الشيخ ابراهيم الزرو الخليلي الشافعي ، والعلامة الشيخ أحمد الاجهوري الضرير الشافعي ، والعلامة الشيخ حسن العدوي المالكي ، و العلامة الشيخ السيد عبد الهادى نجا الأبيارى ، و العلامة الشيخ شمس الدين محمد الإنبابى الشافعى شيخ الجامع الأزهر، و العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى الشافعى، والعلامة الشيخ عبد القادر الرافعى الحنفى الطرابلسى شيخ رواق الشوام، والعلامة الشيخ يوسف البرقاوى الحنبلى شيخ رواق الحنابلة ، وغيرهم كثير .

وقد أثنى عليه مجموعة من أكابر علماء عصره ، منهم الشيخ على محمد الببلاوي المالكي شيخ الجامع الأزهر (توفي 1323 هـ) .والشيخ عبد القادر الرافعي شيخ السادة الحنفية المشهور بأبى حنيفة الصغير، مفتى الديار المصرية الأسبق (توفي 1323 هـ). والشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي شيخ الجامع الأزهر (توفي 1326 هـ) . والشيخ بكرى محمد عاشور الصدفي شيخ السادة الحنفية، ومفتى الديار المصرية الأسبق. و الحافظ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني المغربي (توفي 1382 هـ) . وغيرهم كثير .

مؤلفاته

مصنفاته كثيرة جدا، وجلها أو كلها في الحديث ومتعلقاته: كالسيرة النبوية والمديح، وعلم الأسانيد، وتراجم أعيان علماء الأمة، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، وتدوين المدائح .

ومن كتبه :

- إتحاف المسلم بإتحاف الترهيب والترغيب من البخارى ومسلم.
- الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين.
- الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين.

- أحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين.
- أحسن الوسائل في نظم أسماء النبى الكامل.
- إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى.
- الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة.
- الأسمى فيما لمحمد من الاسما.
- أفضل الصلوات على سيد السادات.
- الأنوار المحمدية، اختصر به المواهب اللدنية للقسطلانى.
- الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى.
- البرهان المسدد في إثبات نبوة محمد.
- تهذيب النفوس في ترتيب الدروس، وهو مختصر رياض الصالحين للنووى.
- توضيح دين الإسلام.
- جواهر البحار في فضائل النبى المختار، أربعة أجزاء.
- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين.
- سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله.
- سعادة الأنام في اتباع دين الإسلام، وتوضيح الفرق بينه وبين دين النصارى في العقائد والأحكام.
- العقود اللؤلؤية في المدائح المحمدية.
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ثلاثة مجلدات، في الحديث.
- قرة العين من البيضاوى والجلالين، منتخب من تفسيرهما.
- منتخب الصحيحين.
- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول.

وفاته

توفي يوسف النبهاني في شهر رمضان لسنة 1350هـ - 1932م في قرية إجزم بفلسطين .

الأنوار المحمدية من المواهب اللدنير للقسطلاني

اختصار الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني

المقصد الثامن : الفصل الأول

فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الأمراض والعاهات

عيادة الرسول (ص) للمرضى : اعلم أنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من أصحابه حتى إنه لقد عاد غلاما كان يخدمه من أهل الكتاب فأسلم قبل وفاته وسُرّ بذلك الرسول (ص) سرورا كبيرا . وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأل عن حاله ويقول كيف تجدك ، وعن جابر رضى الله عنه قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمي على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فأفقت فإذا النبى صلى الله عليه وسلم... رواه البخارى وغيره، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الأيام بعبادة المريض ولا وقتا من

الأوقات... فترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودى طبيب وينبغى اجتناب التطبيب بأعداء الدين من يهودى أو نحوه لاسيما إن كان المريض كبيرا فى دينه أو علمه .

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطبيب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففى حديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلتم على المريض فنفسّوا فى أجله فإن ذلك يطيّب نفسه.. وفى هذا الحديث نوع شريف من أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى ما يطيّب قلبه ، وإدخال السرور عليه تأثيرعجيب فى شفاء علّته وخفّتها.. قال فى الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسأل المريض عن شكواه وكيف يجد وعمّا يشتهيه فأن اشتهى وعلم أنه لايضرّه أمر له به ... ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له، ويصف له ما ينفعه فى علّته ، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، وربما كان يقول للمريض لا بأس عليك طهور إن شاء الله، وربما كان يقول كفارة وطهور . وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذى يألم ثم يقول بسم الله . وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو أخرجه الترمذى وفى رواية كيف أصبحت وكيف أمسيت.

أحكام التداوي

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء إلا وأنزل له شفاء رواه البخارى ومسلم وروى أصحاب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحداً وهو الهرم وفى لفظ إلا السأم وهو الموت يعنى إلا داء الموت أى المرض الذى قدر على صاحبه الموت فيه. وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام رواه أبو داود. وفى البخارى إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوى بالحرام .

التداوي لا ينافي التوكل

وروى مسلم عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى، وفى هذه الأحاديث الإشارة إلى إثبات الأسباب وأن ذلك لاينافى التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك . وورد فى خبر إسرائيلى أن الخليل (وفي رواية عن موسى) عليه الصلاة والسلام قال يا رب ممن الداء قال منى قال فممن الدواء قال منى قال فما بال الطبيب قال رجل أرسل الدواء على يديه .

الطب النبوي الالهي

وأين يقع طب حذاق الأطباء الذى غايته أن يكون مأخوذا من قياس وحدس وتجربة من الوحى الذى يوحيه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفع ويضر فنسبة ما عند حذاق الأطباء من الطب إلى هذا الوحى كنسبه ما عندهم من العلوم إلى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الأدوية التى تشفى من الأمراض مالم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليه علومهم وتجربتهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان إلى الخلق والتفريج عن المكروب فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير فى الشفاء ما لم يصل إليه علم أعلم الأطباء . وكان علاجه صلى الله عليه

وسلم للمرضى على ثلاثة انواع: أحدها: بالأدوية الإلهية الروحانية والثانى: بالأدوية الطبيعية والثالث: بالمركب من الأمرين .

النوع الأول
فى طبه صلى الله عليه وسلم بالأدوية الإلهية

اعلم أن الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى إزالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء كما قال تعالى: **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)** [الإسراء:82] ومن للجنس لا للتبعيض فالقرآن شفاء من الأمراض الروحانية كالاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة وشفاء من الأمراض الجسمانية لأن التبرك بقراءته ينفع كثيرا من الأمراض قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله .

وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام فى بعض أدعيته وأن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى وجلاء حزنى وشفاء صدرى، وروى على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم خير الدوا القرآن، وههنا أمر ينبغى أن يتفطن له ، نبّه عليه ابن القيم وهو أن الآيات والأذكار والأدعية التى يستشفى بها ويرقى بها هى فى نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعى قبول المحل ، وقوة همّه الفاعل وتأثيره ، فمتى تخلّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك فى الأدوية والأدواء الحسّية.

ومن أنفع الأدوية الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخفّفه إذا نزل وهو سلاح المؤمن وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتا من أوقات الإجابة كثلث الليل الأخير مع الخضوع والانكسار والذل واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثناء على الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد التوبة والاستغفار والصدقة وألحّ فى المسألة وأكثر التملق والدعاء والتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوجه إليه بنبيه صلى الله عليه وسلم فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا لاسيما إن دعا بالأدعية التى أخبر صلى الله عليه وسلم أنها مظنة الإجابة أو أنها متضمنة للاسم الأعظم .

الرقى : وأما الرقى فاعلم أن الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى ففى البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات وهى الفلق والناس والإخلاص، ومن الطب الروحانى كل ما ورد من التعويذ فى القرآن كقوله تعالى: **(وقل رب أعوذ بكل من همزات الشياطين)** [المؤمنون:97] ... وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط أن تكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربى ، أو بما يعرف معناه من غيره وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى .

وفى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك فقال اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى إذا لم يكن فيه شرك.

العين والحمّة (المقصود لدغة العقرب أو الأفعى) والنملة (قروح تظهر على الجلد وهي الهربس زوستر) .

وروى مسلم أيضا من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزن فقالوا يا رسول اله إنه كانت عندنا رقية نزقى بها من العقرب قال اعرضوا على قال فعرضوا عليه قال ما أرى باسا من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه . وروى مسلم من حديث أنس رخّص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقى من العين والحمّة والنملة . وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين.. أي الإصابة بالعين شئ ثابت موجود والتأثير إنما هو بإرادة الله تعالى وخلقه.

والعلاج النبوى لهذه العلة الإكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسى والتعوذات النبوية نحو أعوذ بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ومن كل عين لأمة أى مصيبة بسوء ، ونحو أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ و برأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن . وإذا كان يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه ومما يدفع به إصابة العين قول ما شاء الله لاقوة إلا بالله . ومنها رقية جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل ذى نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك .

وروى الإمام أحمد والنسائى : اغتسل سهل بن حنيف وكان أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل أى صرع وسقط إلى الأرض فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من أحد قالوا عامر بن ربيعة فدعا عامر فتغيّظ عليه فقال علام يقتل أحدكم أخاه هلا إذا رأيت ما يعجبك برّكت ثم قال اغتسلْ له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره ثم كفئ القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس ، وعن أنس بن مالك قال : أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قل : اللهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافى لا شافى إلا أنت شفاء لايغادر سقما رواه البخارى .

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر .

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والأرق المانع من النوم) عن بريدة قال شكا خالد بن الوليد إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال صلى الله عليه وسلم إذا أويت إلى فراشك فقل اللهمّ ربّ السموات السبع وما أظلّت وربّ الأرضين السبع وما أقلّت وربَّ الشياطين وما أضلّت كن لى جارا من شرّ خلقك كلهم جميعا أن يفرط عليّ أحد منهم أو يبغى عليّ عزّ جارك وجلّ ثناؤك ولا إله غيرك رواه الترمذى.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حرّ المصيبة ببرد الرجوع إلى الله تعالى) روى مسلم ومالك وأحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها .

(ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من داء الهمّ والكرب بدواء التوجه إلى الرب) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول اله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرضين ورب العرش الكريم رواه البخارى ومسلم .

وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمه أمر رفع طرفه إلى السماء فقال سبحان الله العظيم وإذا اجتهد فى الدعاء قال يا حى يا قيوم وعن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أى غلبه أمر قال يا حى يا قيوم بك أستغيث. وروى أبو داود عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لي شأنى كله لا إله إلا أنت . وفى مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أصاب عبدا همٌّ ولا حزن فقال اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ، ماض فىّ حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا

وفى سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامه فقال يا أبا أمامة ما لى أراك فى المسجد فى غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتنى وديون يا رسول الله فقال أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى عنى دينى

وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فيكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله وثبت فى الصحيحين أنها كنز من كنوز الجنة وفى الترمذى أنها باب من أبواب الجنة. وروى الطبرانى من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل فقال لى يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا . وفى كتاب ابن السنى من حديث أبى قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل . وفيه من حديث سعد بن أبى وقاص قال قال صلى الله عليه وسلم إنى لأعلم كلمة لايقولها مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخى يونس **(فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين)** [الأنبياء:87].

وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن جعفر بن محمد يعنى الصادق قال حدثنى أبى عن جدى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بركنك الذى لايرام وارحمنى بقدرتك على فلا أهلك وأنت رجائى فكم من نعمة أنعمت بها علىّ ، قلَّ لك بها شكرى وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك بها صبرى فيا من قلَّ عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويا من قلّ عند بليته صبرى فلم يخذلنى، ويا من رآنى على الخطايا فلم يفضحنى يا ذا المعروف الذى لاينقضى أبدا ويا ذا النعمة التى لا تحصى عددا أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وبك أدرأ فى نحور الأعداء والجبارين اللهم أعنى على دينى بالدنيا وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى إلى نفسى فيما حضرته يا من لا

تضره الذنوب ولا ينقضه العفو هب لى ما لاينقصك واغفر لى ما لايضرك إنك أنت الوهاب أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا والعافية من البلايا وأسألك تمام العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

(ذكر طبه صلى الله عليه وسله من داء الفقر) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله إن الدنيا أدبرت عنى وتولت قال له فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تأتيك الدنيا صاغرة قولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد أقبلت على الدنيا فما أدرى أين أضعها رواه الخطيب .

وعن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة فى كل يوم لم يصبه فقر أبدا رواه ابن أبى الدنيا . وعن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال كل يوم وليلة لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر واستفتح به باب الغنى واستقرع به باب الجنة ذكره عبد الحق فى كتاب الطب النبوى.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه .

عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا... أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ بإذن الله رواه أبو داود . والحوب الذنب العظيم . وقد وصف هذه الرقية أبو الدرداء لعسر البول كما رواه النسائى . وهناك أدعية كثيرة للصداع ووجع الضرس والحمى وغيرها وفيما سبق غُنيه.

النوع الثانى
فى طبه صلى الله عليه وسلم بالأدوية الطبيعية
(ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة)

أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم كان ربما أخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج . والشقيقة وجع احد جانبى الرأس . وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته وارأساه وأنه خطب وقد عصب رأسه فعصب الرأس ينفع فى الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس . وفى البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم فى رأسه من شقيقة كانت به وفى رواية فى وسط رأسه وقد قال الأطباء إنها نافعة جداً .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم احتجم أيضا فى الأخدعين والكاهل أخرجه الترمذى وغيره وصححه الحاكم . والاخدعان عرقان فى سالفتى العنق والكاهل ما بين الكتفين وقد قال الأطباء الحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين والأسنان والأنف. وروى ابن ماجه فى سننه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول إنه نافع بإذن الله من الصداع . وفى تاريخ البخارى وسنن أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا إليه أحد وجعا فى رأسه إلا قال له احتجم ولا شكا

وجعا فى رجليه إلا قال له اختضب بالحناء. وفى الترمذى عن على بن عبد الله عن جدته سلمى زوجة أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكته إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد) وفى سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل ، فأخذت تمرا فأكلت فقال تأكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم منع عليا من الرطب لما أصابه الرمد . وفى البخارى من حديث سعيد بن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين . والكمأة نبات لا ورق له ولا ساق يوجد فى الأرض من غير تكلف ببذر ولا سقى وهي نوع من الفطر يعرف في دول الخليج باسم الفقع (Mushroom) .

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة) وهى وجع فى الحلق يعترى الصبيان غالبا. عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها صبى يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة أو وجع فى رأسه فقال ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما أمرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع فى رأسه فلتاخذ قسطا هنديا فلتحله بماء ثم تسعطه إياه فأمرت عائشة فصنع ذلك للصبى فبرأ أخرجه الأمام أحمد وغيره.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق البطن) فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أخى يشتكى بطنه وفى رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فقال إنى سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن أخيك . وفى رواية أحمد عن يزيد بن هارون فقال فى الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه فسقاه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك وحديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالشفاءين العسل والقرآن.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه) روى الترمذى وغيره عن أسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان فى السنا .

وعنه صلى الله عليه وسلم عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السأم قيل يا رسول الله وما السأم قال الموت.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود) وهو الذى أصيب فؤاده أي قلبه بمرض روى أبو دواد عن سعد قال مرضت مرضا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فوضع يده بين ثديى حتى وجدت بردها على فؤادى وقال لى إنك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلد بهن الفؤاد. ومعنى فليجأهن أى فليدقهن واللدود ما يسقاه الإنسان من أحد جانبى الفم أو أدخل من هناك بإصبع.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء ذات الجنب) فى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا العود الهندى فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب.

وفى الترمذى من حديث زيد بن أرقم قال قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت والمراد بذات الجنب هنا ما يعرض فى نواحى الجنب من رياح غليظة تحدث وجعا والقسط البحرى هو العود الهندى وذلك بأن يلد به المريض أى يصبّ الدواء فى أحد شقى فمه.

(ذكر طبه صلى الله وسلم لداء الاستسقاء) عن أنس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبى صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة أي أصابهم الجوى وهو داء الجوف وفى رواية مسلم فعظمت بطونهم فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من ألبانها وأبوالها رواه الشيخان.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلكم من داء عرق النسا) وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهى إلى آخر القدم وراء الكعب .. عن انس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النسا أليه شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزء رواه ابن ماجه. وهذا الدواء خاص بالعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الأورام) ذكر عن علي رضى الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده ، بظهره ورم ، فقالوا يا رسول الله بهذه مدة فقال بطّوا عنه قال علي فما برحت حتى بطـّت والنبى صلى الله عليه وسلم شاهد. والمدّة قيح غليظ.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلك بقطع العروق والكى) فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبى بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه أى فصده وكواه.

وفى مسلم عن جابر لما رمى سعد بن معاذ فى أكحله حسمه النبى صلى الله عليه وسلم أى قطع دمه بالكى. وعند الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة من الشوكة وهى حمرة تعلو الوجه.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة) أخرج البخارى فى تاريخه عن شرحبيل الجعفى قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وبكفى سلعة فقلت يا رسول الله قد آذتنى تحول بينى وبين قائم السيف أن أقبض عليه وعنان الدابة فنفث فى كفى على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما أرى أثرها.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى) روى البخارى من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فأطفؤوها بالماء وفى رواية ابن ماجه بالماء البارد أراد صلى الله عليه وسلم الاغتسال على كيفية مخصوصة وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى بالماء ما صنعته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها. وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث خاصا لأهل الحجاز وما والاه.

وقد تكرر فى الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد فى علته كما فى الحديث صبوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن. وكان صلى الله عليه وسلم إذا حُمَّ دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل. وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم إذا حُمَّ أحدكم فليشنَّ عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال أخرجه الطحاوى وغيره.

والأوكية جمع وكاء وهو الخيط الذى يربط به فم القربة والشنّ الصبّ المتقطع. وأخرج الطبرانى عنه صلى الله عليه وسلم الحمى رائد الموت وهى سجن الله فى الأرض فبردوا لها الماء فى الشنان وصبّوه عليكم فيما بين الأذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب عنهم.

وأخرج الترمذى من حديث ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا اصاب أحدكم الحمى وهى قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء يستنقع فى نهر جار ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصديق رسولك بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فإن لم يبرأ فخمس وإلا فسبع وإلا فتسع فإنها لا تكاد تجاوز تسعا بإذن الله تعالى.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحكة وما يولد القمل) رخّص صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكّة كانت بهما رواه البخارى.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم الذى اصابه بخيبر) قد احتجم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله لما أكل من الشاة المسمومة بخيبر والقصة تقدمت فى غزوتها.

النـوع الثالــث

فى طبه صلى الله عليه وسلم بالأدوية المركبة من الإلـهية الطبيعية

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من القرحة والجرح وكل شكوى)

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى الرقية بسم الله ترية أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا وفى رواية لمسلم كان إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بإصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض الحديث قال النووى معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق بها شئ منه ثم مسح به الموضع العليل أو الجرح قائلا الكلام المذكور فى حال المسح. وهناك ابحاث حديثة أنهم وجدوا في التراب والطين مجموعة من المضادات الحيوية الهامة .

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من لدغة العقرب) عن عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إذ سجد فلدغته عقرب فى إصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن أبى شيبة.

(ذكر الطب من النملة وهى قروح تخرج فى الجنب يحس صاحبها كأن نملة تدب عليه وتعضه) روى مسلم عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم رخص فى الرقية من الحمة والعين والنملة والحمة تكون لذوات السموم.
وروى الخلال أن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقى فى الجاهلية من النملة فلما هاجرت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله إنى كنت أرقى فى الجاهلية من النملة وأريد أن أعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال أى الراوى ترقى بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من البثرة) روى النسائى عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لها عندك ذريرة ، قالت : نعم ، فدعا فوضعها على بثرة بين إصبعين من أصابع رجله ثم قال اللهم مطفئ الكبير ومكبر الصغير أطفئها فطفئت. والذريرة نوع من الطيب.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حرق النار) روى النسائى عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فأصاب كفى من مائها فاحترق ظهر كفى فانطلقت بى أمى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أذهب الباس رب الناس وأحسبه قال واشف انت الشافى وتفل.

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية) عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على وهو ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يأكلان منها فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعلى إنك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيراً وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلى من هذا أصب فإنه أنفع لك رواه ابن ماجه.

(ذكر الحمية من النوم فى الشمس فإنه يورث داء الكسل ويثير الداء الدفين) روى أو داود فى المراسيل عن يونس عن ربيعة بى أبى عبد الرحمن أنه رآه مضطجعا فى الشمس قال يونس فنهانى وقال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها تورث الكسل وتثير الداء الدفين. (والداء الدفين هو السرطان ومعلوم أن المكث في الشمس فترات طويلة يؤدي الى عدة انواع من سرطان الجلد)

وفيما تقدّم غنية : وما ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية واختصره النبهاني في الأنوار المحمدية ثروة كبيرة من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في التداوي بأنواع التداوي الثلاثة : الالهية والطبيعية والجمع بينهما .

الفصل الثامن والعشرون :

الشيخ محمد عمر بحرق (869 -930 هـ)
وارجوزته في الطب مع شرحها

ولد بسينون بحضر موت سنة 869 هـ ، وحفظ القرآن وأخذ عن كبار المشايخ في عصره مثل الفقيه محمد بن احمد باجر فيل ، وفي عدن لازم الشيخ عبد الله بامخرمة والفقيه محمد بن أحمد بافضل ، ثم صحب الشيخ ابا بكر العدني لسنوات طويلة وكتب عنه كتابا حافلا سمّاه " مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس " . وأخذ بحرق عن الامام السخاوي وعن السيد الحسين بن عبد الرحمن الاهدل وعن عدد كبير من العلماء .منهم العلامة محمد بن ابي بكر الصايغ الذي اخذ منه الحديث والتفسير والنحو .

وتولى قضاء الشحر في عهد السلطان بدر بوطويرق الكثيري ، ثم عزل نفسه ورجع الى عدن وتولى التدريس والافتاء والتأليف ، ولقي بها قبولا ، وخاصة عند اميرها مرجان الظاهري . فلما مات مرجان الظاهري ، ذهب بحرق الى الهند فظهرت علومه وأكرمه السلطان مظفر بن محمود بايقرا(الكجراتي) ، فقرّبه السلطان وصار من خاصته ، فحسدته الحاشية فسمّوه كما قال صاحب : النور السافر " ، وللشيخ محمد

بن بحرق عشرات المؤلفات في الفقه والسيرة والطب والفلك وفي الرياضيات . وله شعر رائق . ومدح شيخه أبا بكر العدني بقصائد عدة منها قصيدة بالعامية (الحميني) يتغنى بها المغنون ويقول فيها :

شأبيح بالغرام   كم ذا تستّر بعشقي

وارفع ذا اللثام   أو خذ نصيبي ورزقي

وأهل اليمن يستعملون الشين بدلا من السين . وقد بدأها كما هو معتاد بالغزل ثم دلف الى مدح العيدروس .

وله قصيدة بالفصحى سمّاها " العروة الوثيقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة " . وشرحها بنفسه في كتاب سماه " الحديقة الانيقة في شرح العروة الوثيقة " . وله قصائد في مدح السلطان عامر بن عبد الوهاب وقصائد في مدح شيخه ابي بكر العيدروس ورثاء ابن العيدروس احمد المساوى .

وتوفي الشيخ محمد بن عمر بحرق في أحمد أباد في شهر شعبان سنة 930هـ ، وكتبه كثيرة منها :

1- حدائق الانوار ومطالع الاسرار في سيرة النبي المختار ، المسمّى " تبصرة الشاهية الاحمدية بسيرة الحضرة الاحمدية " وقد طبع مؤخرا من دار المنهاج ، وقدّم له السيد عبد الله بن محمد الحبشي (جدة 1988م) .
2- أرجوزة في علم الحساب .
3- أرجوزة في علم الطب مع شرح لها ، وهي التي سنقدمها للقراء لاحتوائها على كثير من اسس الطب النبوي واسس الطب في عصره .
4- كتاب مختصر في الطب .
5- البهجة في تقويم اللهجة .
6- الاسرار النبوية في اختصار الاذكار النبوية .
7- ترتيب السلوك الى ملك الملوك .
8- الحديقة الانيقة في شرح العروة الوثيقة .
9- الحسام المسلول على منتقصي اصحاب الرسول .
10- تحفة الاحباب في شرح ملحة الاعراب .
11- رسالة في علم الميقات .
12- رسالة في الفلك .
13- مختصر نهاية الناشري في علم القراءات .

وله في كل علم وفن كتاب او رسالة ، ومجموع كتبه ثلاثون كتابا . قال عنه السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في " النور السافر عن أخبار القرن العاشر " : " ما رأيت أحداً من علماء حضر موت أحسن ولا أوجز عبارة منه ، وله نظم حسن ، وهو أحد من جمع بين ديباجتي النظم والنثر " .

وكانت وفاته في كجرات في الهند سنة 930هـ ، وشيّعه خلق كثير ، ودفن في مدينة أحمد أباد ، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه ، فقد كان آية في العلم واللغة والعلوم الاخرى مثل الفلك والهيئة والحساب والطب ، ولم يترك من العلوم المعروفة في عصره الا وشارك فيها . وله شعر جميل ونظم رائق بالفصحى وباللغة الحضرمية الدارجة (الحميني) وهو الى الفصيح أقرب .

<u>ارجوزة في الطب مع شرحها للشيخ محمد بن عمر بحرق</u>

قام الدكتور أحمد صالح رابضة بتحقيق هذه الارجوزة والتي شرحها الناظم الشيخ محمد بن عمر بحرق .

وحصل الدكتور رابضة على ثلاث نسخ من مكتبة الاحقاف بتريم وهي :

1- "رسالة في الطب " مجموعة آل بن يحيى برقم 2649 وعدد اوراقها 15 وفرغ منها المؤلف سنة 917 هـ ونسخها محمد بن صالح بن دوغان عام 1083هـ .
2- " الكافية وشرحها في علم الطب " ورقمها 3035 مجموعة عينات وقد نسخت عام 1268 هـ .
3- الكافية في أصول علم الطب ورقمها 2083 ، مجموعة آل بن سهل برقم 293 نسخها محمد بن عمر بن وبر عام 1301 هـ .

وتبدأ الارجوزة وشرحها بحمد الله تعالى وأن الله تعالى خلق الدنيا وما فيها من اربعة عناصر هي الريح (الهواء) والنار والتراب والماء ، فالريح باردة والنار حارة والماء رطب والتراب يابس ، وركبّ جسد ابن آدم من أربعة أمزجة وتسمى الطبائع الأربعة وهي الصفراء (حارة يابسة) وهي متولدة من النار ومسكنها المرارة (الحويصلة المرارية Gall Bladder) .. ونظيرها من الفصول هو فصل الصيف فإنه حار يابس . والمرّة السوداء (سماها المصنف خلط السوداء) باردة يابسة متولدة من عنصر الارض ومسكنها الطحال ، ونظيرها فصل الخريف عند الحكماء .

و(البلغم) بارد رطب متولد من عنصر الماء ومسكنه الرئة .(وقد خالف في ذلك القدماء الذين قالوا أن مسكنه الدماغ والرئة) . ونظيره فصل الشتاء .

وخلط الدم حار رطب يتولد من الهواء ومسكنه الكبد ونظيره فصل الصيف .. وهذا هو اساس النظرية اليونانية في تكوين الأمزجة والاخلاط ومصادرها وما يوافقها من فصول السنة وفصول أعمار الانسان . وقد أفضنا في شروحها في أول فصول هذا الكتاب بناء على شرح الطبيب الفيلسوف ابي بكر الرازي وعند الحديث عن كتاب عبد الملك بن حبيب الاندلسي الالبيري في الطب حيث جعل لها فصلا كاملا .

قال الناظم :

الحمد لله الحكيم القادر	**النافع الضار ، العزيز القاهر**
مدبر العالم بل مدير	**أفلاكه بالامر والتقدير**
سبحانه من خالق قد اتقنا	**من كل شيء خلقه واحسنا**
وصور الانسان بالتكريم	**معتدلا في احسن التقويم**
مركبا من أربع أصول	**تمده كالاربع الفصول**
صفراء كالصيف والسوداء	**خريفه والبلغم الشتاء**
وكالدم الربيع أي في الطبع	**بقدرة الله البديع الصنع**

ثم قال :

" اعلم ان الله سبحانه وتعالى ، خلق الدنيا وما فيها لعباده ، لينتفعوا بما فيها ، وجعل فيها انواعا لا تحصى من حيوان ونبات وجمادات ، وأودع في كل شيء من ذلك أسراراً ولا يحيط بها الا علمه (سبحانه) وهدى عباده الى ما لا بد لهم منه في المعاش من النفع والضر ، ليتناولوا ما ينفعهم ، ويتجنبوا ما يضرهم ، قال تعالى : { **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** } [طه / 50] . وقال تعالى : { **كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** } [الاعراف / 31] ، فيلزم الانسان ان يتناول الغذاء أو الدواء بمقدار ولا يسرف فيه فيهلك ، وأن يحذر ما يضره من الداء ليسلم ، ولكن معرفة هذا متوقف على ما لا بد منه من علم أصول الطب ، ولهذا قلت :

وحاجة الناس لعلم الطب لا يمتري في أمرها ذولب

لكنه قد عزمن يباشر　　　احكامه اذ لا طبيب ماهر
ولا غنى عن علم ما لابد　　　من اصله اذ لا لفرع حد
وهو لحفظ الصحة الموجودة　　　وجلب الصحة المفقودة
والعلم بالغذاء والدواء　　　اصل عليه اس ذا البناء
فخذ اذا ثلاثة ابوابا　　　في هذه ، تهدى بها الصوابا

وقد وردت نصوص السنة بشهادة علماء الأمة بشرف علم الطب ، وشدة حاجة الناس اليه ، فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : صنفان لا غنى للناس عنهما ، العلماء لأديانهم ، والاطباء لأبدانهم ، وصح انه صلى الله عليه وآله وسلم تداوى وأمرنا بالتداوي ، ولم تزل الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم على ذلك ، وقد كان لامامنا الشافعي رحمه الله تعالى ، اليد الطولى ، وحاجة الناس اليه داعية ، وتعلقهم به شديد ، فهو من فروض الكفاية المهمة باتفاق الامة ثم علم الطب قسمان : أحدهما ، حفظ الصحة الموجودة بالتدبير ، الثاني : جلب الصحة المفقودة بالعلاج ، فالاول أهم لان الاحتماء في حال الصحة خير من شرب الدواء في المرض ، والعاقل طبيب نفسه ، يدبر الاشياء قبل وقوعها ، ليفوز بسلامة العاقبة ، ومعرفة الاول متوقفة على معرفة أسرار الأغذية ليعلم ما يوافق المزاج ، وكذلك معرفة الثاني متوقفة على معرفة الامراض واسبابها ، ومعرفة خواص الاغذية والادوية ، ليعالج الداء بما يضاده ، ويحمي المريض عما يزيد في علته ، فلهذا جعلت هذه المنظومة في ثلاثة أبواب :

1- باب في تدبير الصحة .
2- باب في العلل الحادثة بزيادة الطبائع وأسبابها وعلاماتها وعلاجها .
3- وباب في طبائع بعض الاغذية والادوية .

الباب الاول : في تدبير الصحة

هذا الباب مهم لانه اعتنى بحفظ الصحة موجودة واستخدم في ذلك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

شعر :

فدبر الجسم باقتصاد　　　في الوطيء والتحريك والرقاد
والاكل والشرب والهواء　　　ونحوها تغنى عن الدواء

أي الأصل في حفظ الصحة الموجودة ، هي تدبير الاشياء الضرورية ، التي لا بد للجسم منها من ملاقاتها ، فيستعمل القدر الصالح منها على الاقتصاد ، ويتجنب الافراط والتفريط ، وقد ذكرت منها عشرة أشياء لانها المهمة ، وهي تدبير الوطئ ، والحركة ، والسكون ، والرقاد وغيره ، الاكل ، والشرب والهواء وسائر الاعضاء والعوارض النفسية ، وتدبير البول والغائط ، وحفظ صحة المعدة .

أما تدبير الوطئ ، فاعلم ان الجماع لا يصلح الا عند هيجان الشهوة مع استعداد المني كالأكل لا ينبغي الا عند شهوة الطعام ، فحينئذ ينبغي ان يخرج المني في الحال كما تخرج الفضلة من الطعام بالبول ، والغائط عند مدافعة الحدث لان في حبس المني حينئذ ضرراً عظيماً كما يضر احتباس ، البول والغائط ، وليس للجماع في الحقيقة وقت الا هذا ، ولو كان في شهر أو اسبوع مرة .

وأفضل كيفيات الجماع :

ان تكون المرأة له أرضا ، ويكون لها سماء ، ولا خير فيما عدا ذلك من الهيئات ، وتمام الحكمة استعمال السنة بالاقتداء بحكيم الحكماء ، وامام العلماء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن السنة أنه يستحب للرجل ان لا يهجم على الوطئ الا بعد الأنس بملاعبة امرأته ومباشرته لها بلطف ، وأن يقول عند الجماع : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا وأن يقول عند الانزال : اللهم اجعلها نطفة مباركة ، ميمونة غير مشاركة ، وصورها أحسن صورة .

الرياضة البدنية :

وحرك الجسم ارتياضا قدرما ترى به فضل الغذاء منهضما
وقت خلو معدة وليجتنب مع الامتلاء المؤدي للتعب

أي وأما تدبير الحركة فاعلم ان الانسان لا بد ان تبقى على معدته من كل طعام فضلة رديئة ، فإذا لم يتحرك في وقت من الاوقات بقدر ما يهضمها اجتمع من ذلك ضرر عظيم ، فينبغي ان يتحرك كل يوم حركة معتدلة ، والاصلح ان تكون وقت خلو المعدة من الطعام ، وتسمى الرياضة ، وذلك في كل شخص بحسب حاله ، أما بركوب دابة ، أو مشي ، أو علاج ببعض الاشغال أو صلاة أو تلاوة ، او نحو ذلك ، ولا يفرط في ذلك ، فللرياضة قدر معلوم ، وهو قدر ما تحمر البشرة ، ويبدو العرق ، ولا خير في الحركة العنيفة خصوصا مع الشبع والمؤدية الى التعب .

وأما تدبير الرقاد ، وفيه فائدتان احدهما استراحة الجسم ، والنفس ، مما يلاقيه الجسم من التعب ، والحركات في اليقظة وتلاقيه النفس من الهموم والافكار ، والعوارض النفسية "
والثانية الاعانة على هضم الطعام ، ولكن في الافراط منه ومجاوزة المقدار الصالح هدم للعمر ، لان النوم آخو الموت ، فبالافراط فيه تتعطل مصالح الدين والدنيا ، فأكثر ما ينبغي من النوم قدر ثمان ساعات في الليل والنهار ، وساعة القيلولة في النهار ولو لحظة ، ويستحب ان ينام على جنبه الايمن ، قالت الحكماء : ثم يتحول الى الايسر ويكون مستقبلا فيهما ، واعلم ان النوم نوع من الوفاة ، فحق على العاقل أن يفتش عن قلبه عند نومه ، فإن رأى خيرا شكر الله والا تاب واستغفر ، لئلا يختم له بسوء . وليعلم أنه يموت على ما هو الغالب عليه ، ويبعث على ما يموت عليه .

فلا ينام الا طاهر الظاهر والباطن ، أما الظاهر فبالوصف ، ففي الحديث النبوي : ان من بات على طهارة ذاكرا الله تعالى كتب مصليا حتي يستيقظ ، واما طهارة الباطن فهي أولى بالمراعاة ، وهي ان ينام تائبا من كل ذنب ، سليم القلب من كل غش لاحد من المسلمين ، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " ان من مات وفي قلبه غش لاحد من المسلمين لم يرح رائحة الجنة " ، وينبغي ان يعد عند رأسه سواكه وطهوره ، وينوي قيام الليل ، ولو لحظة قبل الفجر وان لا ينام الا ووصيته مكتوبة ، ان كان مما يحتاج الى الايصاء ، خوفا من موت الفجأة ويجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه ذكر الله ، وأول ما يفتتح عند انتباهه ، ذكر الله تعالى ، فهو علامة السعادة والموت على الشهادة ، وحسن الخاتمة ان شاء الله تعالى ، والسنة ان يقول اذا أوى الى فراشه ، قبل ان يضع جنبه : " باسمك اللهم أحيا وأموت ، ويكبر الله تعالى ثلاثا وثلاثين ، ويحمده ثلاثا وثلاثين ، وبحمده ثلاثا وثلاثين ، ويسبحه ثلاث وثلاثين، ويقول تمام المائة ، لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ويقول : الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي ويقرأ : قل هو الله أحد ، والمعوذتين ، وينفث في كفيه ، ويمسح بهما رأسه ووجهه وما استطاع من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ثم يضع جنبه ويقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فاغفر لي ذنبي ان

امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين . ويضطجع على شقه الايمن ، ويضع يده اليمنى تحت خده الايمن ويقول : اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت امري اليك ، والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك . آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويقول : استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات وليحرص ان يكون اول ما يجري على لسانه ، ذكر الله تعالى والسنة ان يقول حينا لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي ذنبي وأسئلك رحمتك ربي زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديته أو هب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب ، الحمد لله الذي احيانا بعد اذ اماتنا واليه النشور أصبحنا واصبح الملك لله والحمد لله والعظمة لله والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين ، اصبحنا على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، ربنا أمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ويقرأ ان في خلق السموات والارض الى آخر السورة أعني آل عمران .

وكل من المطاعم المعتدلا والبطن لا تملأ طعاما اصلا

وأكلة واحد أولى ولا باس بما اعتيد دون الامتلاء

وجود المضغ وبالملح ابتد واختموما لا تشتهي او الردي

فاحذر ولا تدخل على الطعام طعاما الا بعد الانهضام

والجمع بين مفرطين كاللبن والسمك فاحذر فهو داء للبدن

وما يليك باليمين فكلِ وسّمِ واجمع وادع واشكر واغسلِ

وأما تدبير الاكل فالاصلح من الغذاء هو المعتدل من المطاعم لا ثقيل ولا خفيف لكن اهل الكد لا تضرهم المطاعم الثقيلة وتضرّ بالمترفين ، وليحذر من امتلاء البطن بل يأكل دون الشبع لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " البطنة أصل كل داء ، والحمية أصل الدواء "

(وعودو كل جسم ما اعتاد) والقدر الصالح من الاكل أكلة واحدة في اليوم والليلة والاولى ان تكون وقت افطار الصائم ولا بأس ايضا بما اعتاده الناس من الغذاء والعشاء ، مع ترك الشبع فيها ، وليجود المضغ ليسهل على المعدة هضمه . وليحذر من اكل الطعام الذي تعافه نفسه ، فقد قالت الحكماء : لا تأكل طعاما الا وانت تشتهيه ، فمتى أكلت ما لا تشتهيه أكلك ، وليحذر أيضا من أكل الاشياء الرديئة كأكل الطعام النيء والصلب والغليظ على الاضراس ، فإنه يكون على المعدة أغلظ ، وليحذر من ادخال طعام على طعام قبل هضمه فهو مما يسرع بالاسقام وانتقاض الاجسام . ومن السنة ، في الاكل سبعة آداب ، أولها ان يأكل مما يليه ، الثاني ان يأكل بيمينه ، الثالث ان يسمي الله تعالى اول الاكل أن يقول : بسم الله ، وينبغي ان يسمي كل واحد من الآكلين فإن سمي واحد منهم أجزى عن الباقين الحاضرين دون من جاء بعد التسمية ، فإن نسي التسمية في أوله سمي في أثنائه ، ويقول بسم الله في أوله وآخره ، ويجهر بالتسمية ليذكر غيره ، ورابعها ان يجمع اهله على الطعام لا سيما اذا كانوا يأكلون ولا يشبعون ، فليجتمعوا على طعام ، ويذكروا اسم الله عليه ، يبارك لهم فيه ، خامسها ، الدعاء فيقول اللهم بارك لنا في مارزقنا ، وقنا عذاب النار ، بسم الله ويدعو آخره فيقول : اللهم اطعمت وسقيت وأغنيت واقتنيت وهديت فلك الحمد على ما اعطيت ، وان كان ضيفا قال لأهل الطعام : اللهم بارك لهم فيما رزقتهم وأغفر لهم وارحمهم ، افطر عندكم الصائمون ، واكل طعامكم الابرار ، وصلت عليكم الملائكة ،

وذكركم الله فيمن عنده ، اللهم أطعم من اطعمنا ، واسق من أسقانا ، سادسها الشكر ، فيقول اذا افرغ من الطعام : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مكفور ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا ، الحمد لله الذي أطعمنا هذا الطعام ، ورزقنا إياه من غير لا حول ولا قوة ، سابعها الغسل قبل الطعام وبعده ، ففي الحديث أنه أمان من الفقر .

أما الشرب : فأفضل المياه ، الماء البارد العذب الصافي المأخوذ من بئر غزيرة الماء ، أو نهر شرقي ، ولا يحول بينه وبين طلوع الشمس حائل من جبل ونحوه ، وأن لا يشرب الا دون الري وما سوى ذلك وهو الماء الحار او الملح او الكدر " أو الشراب من بئر قليلة الماء او نهر غير شرقي أو الشرب "ومع الري المفرط ، فهو مضرّ لا ينبغي ان يستعمل الا لضرورة ، والسنة ان يتنفس ثلاثة أنفاس خارج الاناء ويبدأ بسم الله ويختم بحمد الله تعالى .

وأما تدبير الهواء : فاعلم أن الروح لا بد لها من ملاقاة الأهوية إذ لا قيام لها إلا بانتشاقها الهواء ، والذي قدر الله تعالى حياتها ، وجعله لها كالغذاء كما ان الطعام والشراب غذاء الاجسام . والأصلح من الهواء ، ما كان لينا شرقيا ، وهو الصبا خصوصا مع الروائح الطيبة ، فقيه راحة عظيمة ونفاعة قوية للروح ، وأما الدبور وهي الغربية ، والجنوب وهي اليمانية ، والشمال وهي الشمالية فلا بأس بما كان معتدلا منها ، ولا خير في الريح العظيمة والعواصف والدخان المعتكر والروائح النتنة وما خرج عن حد الاعتدال بحرّ أو برد ، ففي ذلك كله مضرّة للروح ينبغي التوقي منه بالكنان ، وشم الروائح الطيبة ، فهذا في تدبير الجسم على الجملة .

وسائر الاعضاء بالتعهد　　بالدهن والغسل ونحو الاثمد
كالنتف والقص وقلم الظفر　　والحلق والسواك ومشط الشعر
مراعيا آدابها السنيّة　　وقاصد اتباعها في النيّة

ودبّر سائر الاعضاء بتعهدها بالآداب التي ندب الشرع إليها ، كتعاهد الرأس بالدهن والبدن كله بالغسل ، والعين بالكحل الاثمد ، ونتف الابط ، وقصّ الشارب ، وقلم الظفر ، وحلق العانة ، وسواك الاسنان ، ومشط شعر اللحية والرأس ، فتلك سنن مؤكدة ، ولها آداب مبينة في مواضعها ، وينبغي أن يقصد اتباع السنة لا مجرد التزين بشهوة النفس .

وعارض النفس كهمّ وغضب　　وجزع فادفعه كي تُكفى العطب

أي ، وأما العوارض النفسية كالهم والغضب والجزع ونحوها ، فهي أمور عظيمة الضرر على المرء وضررها بالدين أعظم إذا كانت في غير رضا الله تعالى ، ومع ذلك فلا فائدة فيها ، إذ لا ترد ماضيا ولا تجلب مستقبلا ، ولها شرح طويل مستوفي لا سيما في كتب الامام حجة الاسلام الغزالي ، قدس الله روحه ، فلينظرها ليعرف آفاتها ، ويستفيد أضدادها المحمودة من الرضا والحلم والصبر وغيرها .

والبول والغائط مهما حضرا　　فالحذر ، الامساك بعد انحدرا

ونكتفي بهذا الباب لاهتمامه بحفظ الصحة واعتماده على ما ورد من كتاب وسنة .

الفصل التاسع والعشرون :

ترجمة ابن طولون وكتابه
المنهل الروي في الطب النبوي
(880 – 953)

اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه:

هو الإمام شمسُ الدين أبو الفضل، وأبو عبد الله، محمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمد، المدعو: محمدُ بن عليِّ بن خمارويه بنِ طولون، الدمشقيُّ الصالحيُّ الحنفيُّ، العلامةُ المحدّثُ المؤرّخُ النَّحْويُّ الفقيهُ المتفنِّنُ.

مولده ونشأته:

ولد بصالحية دمشق في ربيع الأول عام 880هـ، ونشأ في أسرة علمية تتكسب بالتجارة.

طلبُهُ العلمَ، وشيوخُهُ:

تَعلَّمَ أولَ أمرِهِ في المدرسة الحاجبية مبادئ الخط، ثم في مسجد العساكرة، فحفظ القرآن قبل أن يُتم السابعةَ من عمره.

ثم حفظ عدداً من المتون؛ في الفقه، والأصول، والنحو، والتجويد، والحديث.

وتلا القرآنَ بالسبع القراءات من طريق 'الشاطبية'، و'التيسير'، ثم بالقراءات الثلاث؛ تتمة العشر من طريق 'الدرّة'.

كما قرأ في العلوم الأخرى؛ كالتاريخ، والتصوف، وعلم الكلام، والمنطق، والطب، وعلم الحساب، وعلم الميقات، وعلم الهندسة والهيئة، وعلم الفلك، وغير ذلك.

وقد اعتنى برواية الحديث، فلازَمَ شيخَهُ ناصرَ الدين بنَ زريق نحواً من عشر سنين، قرأ عليه أثناءها نحوَ سبع مئة جزء من كتب الحديث؛ كالكتب الستة، و'الموطأ' و'مسند الإمام أحمد .

وقرأ على كثير من علماء الحديث في عصره ومنهن نساء مثل خديجة الأرموية وفاطمة بنت خليل الحرستاني وأم أحمد ست القضاة بنت العماد .

وتفقّه على عمِّه العلامة جمالِ الدين يوسفَ بنِ طولون، وغيره.

وأجازه علماء كثيرون، منهم: السيوطيُّ ـ مكاتبةً ـ في جماعة من المصريين والحجازيين والدمشقيين.

تلاميـذه:

كـان لابن طولـون مشــاركةٌ في ســائر العـلوم النقليـة والعقلية، مما حدا بالطلاب إلى قصده والرحلـة إليه طلباً للعلم، والتلقي والسَّماع، وقد أخذ منه كثيرون، منهم: شهاب الدين أحمدُ بنُ أحمدَ الطيبيُّ الشافعي خطيبُ الجامع الأموي، وعلاءُ الدين عليُّ بن عماد الدين إسماعيل ونجمُ الدين محمدُ بنُ محمد البهنسي، والشيخُ إسماعيل النابلسي مفتي الشافعية والعلامة زين الدين بن سلطان مفتي الحنفية وشهاب الدين الوفائي مفتي الحنابلة ، وغيرُهم كثير من أصحاب المذاهب الأربعة، أخذوا عنه الحـديث، والفقـه، واللغـة، والعـروض، والتاريخ، وغير ذلك.

أقوال العلماء فيه، وثناؤهم عليه:

قال فيه شيخُه ابنُ زريق: إنه مع صغرِ سنِّه، وقُربِ أَخْذِهِ، فاقَ مَنْ تَقدَّمَ عليه باجتهاده ، وتحرِّيه وانتقاده، حتى رجوتُ له، وانشرحَ الصّدرُ، أنْ يكونَ هو القائمَ بأعباء هذا الأمر.

وقال النجم الغزي في ‘الكواكب السائرة’: الشيخ، الإمام، العلامة، المسند، المفنِّن، الفهامة.

وقال: كان ماهراً في النحـو، علامـةً في الفقـه، مشهوراً بالحديث.

آثاره، ومصنفاته:

كان العلامة ابن طولون واسعَ الاطلاع، متفنناً في العلوم، له في أغلب العلوم تصنيف، أو تلخيص ، أو تعليق ؛ مما جعله من أكثر المصنفين غزارةً في التأليف . وقد بلغت مؤلفاته (753) مؤلَّفاً على ما أحصاه الأستاذ محمد خير رمضان يوسف، منها الرسالة الصغيرة التي تقع في أوراق معدودة ، ومنها ما يقع في عدة مجلدات ، وقد ذكر ابن طولون نفسُهُ (726) كتاباً من مصنفاته في كتابه ‘الفلك المشحون’ الذي ضمَّنه سيرتَهُ ومؤلفاتِهِ. وقد طُبع عدة مرات، كان آخرها بتحقيق محمد خير رمضان يوسف.

ومما طُبع من مؤلفاته:

-"الأحاديث المئة المشتملة على مئة نسبة إلى الصنائع" تحقيق : مسعد عبد الحميد السعدني.

- "الأربعين في فضل الرحمة والراحمين" تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

- "إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين" تحقيق: محمود الأرناؤوط.

- "إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى" تحقيق: محمد أحمد دهمان.

- "إنباء الأمراء بأنباء الوزراء" تحقيق: مهنا حمد المهنا.

- "الثغر البسَّام في ذكر من وليَ قضاء الشام" تحقيق:د. صلاح الدين المنجد.

- "ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر" تحقيق: صلاح الدين الموصلي.

- "الشذرة في الأحاديث المشتهرة" تحقيق: كمال بن بسيوني زغلول.

- "العقود الدرية في الأمراء المصرية".

- "عنوان الرسائل الى معرفة الأوائل" تحقيق: العمروي.

- "الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون" تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

- " قرة العيون في أخبار باب جيرون" تحقيق: صلاح الدين المنجد.

- "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية " تحقيق: محمد أحمد دهمان.

- "المسائل الملقبات في علم النحو" تحقيق: د. عبد الفتاح السيد سليم.

- "مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" وضع حواشيه:خليل عمران المنصور.

المنهل الروي في الطب النبوي :

تحقيق عزيزبك طبع في حيدر أباد الدكن في الهند سنة 1987م ، ثم قام زهير عثمان الجعيد باعادة التحقيق ونشرته دار ابن زيدون ، بيروت 1996م .

والكتاب عبارة عن نقل كامل لكتاب الامام السيوطي المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي الذي حققه الدكتور حسن محمد مقبولي الاهدل ، والذي سبق ان ذكرناه بالتفصيل وما فعله ابن طولون هو اختصار في بعض المواضع ، واضافة يسيرة في مواضع أخرى .

وفـاتــه:

توفي يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة، ودفن بتربتهم عند قبر عمه جمال الدين يوسف بن طولون، في سفح جبل قاسيون، قبليَّ الكهف والخوارزمية، عن عمر يناهز 73 عاماً ـ رحمه الله تعالى .

الفصل الثلاثون :

راشد بن عمير بن ثاني بن هاشم الأزدي العماني
وكتابه فاكهة ابن السبيل
وفاته بعد الألف هجريه (1000هـ عاش مائة عام)

اصدرت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان كتاب " فاكهة ابن السبيل " للفقيه والطبيب والاديب العماني الأزدي راشد بن عمير بن ثاني بن خلف بن هاشم والمشهور بابن هاشم في مجلدين وطبع مرتين الاولى سنة 1403هـ / 1982 م ، والثانية سنة 1405هـ / 1984 م. وقد ترجم للمؤلف مهنا بن خلفان الخروصي اليحمدي الأزدي في تقديمه للكتاب.

وللأسف لم اجد لراشد بن عمير ... ابن هاشم الأزدي ترجمة في معجم المؤلفين لعمر رضا كحال ولا في الاعلام للزركلي .. وبما ان التقديم كان وافيا بالغرض فسنكتفي به .

ذكر مهنا الخروصي اليحمدي في تقديمه أن الشيخ راشد بن عمير ... ابن هاشم الأزدي ولد في أوائل القرن العاشر الهجري وأن ابن هاشم عُمَّرِ حتى جاوز المائة ومات بعد سنة ألف للهجرة مباشرة . واستدل على ذلك بارجوزة في معرفة طبائع الانسان (علم الفسيولوجيا مع التشريح) انتهى منها ابن هاشم سنة الالف هجرية ومطلع الارجوزة :

الحمد لله مجيب الداعي   مؤيدا ليس بذي انقطاع

الى قوله

وهذه ارجوزة ابن هاشم   منظومة من قول كل عالم

وقال في تاريخها :

جاءت على البداء يوم الاحد   في سنة الألف ولما تزد

أي انه بدأها يوم الأحد في بداية سنة الألف هجرية .

ومما يدل على ابن هاشم قد عُمَّرَ انه له قصيدة لامية طويلة في الطب ثم شرحها بنفسه وقال انه نظمها في بلد الرستاق (من عمان) وفي خدمة السلطان محمد من آل يعرب ، وذلك سنة 934 هـ في شهر جمادى ومطلعها :

أقول مقالا محكما مفصلا   لاهل النهي في الطب علما مكملا

وفي نهايتها قال

ففي بلد الرستاق عيني نظمتها   فلا عدمت غيثا ولا الربع أمحلا

وفي خدمة السلطان من آل يعرب   محمد ذي المجد الشريف وذي العلا

لعشرين عاما ثم أربع عشرة   وتسعمئن من جمادى تسهلا

(900 + 14 + 20 = 934 هـ)

وهو يقول عن الرستاق أنها عينه لانها بلدته التي ولد فيها (ولد بقرية عيني من الرستاق) ولذا يدعو لها بدوام الغيث عليها وأن يكون ربعها مخضرا مليئا بالزروع والبشر . ومؤلفاته التي عرفت واشتهرت ، كما يقول صاحب التقديم مهنا بن خلفان الخروصي هي :

1- فاكهة ابن السبيل في تشريح الهيكل الانساني وارتباطه بالعوالم الاخرى وأمراضه وعلاجاته وأخطاره . وسنستعرض هذا الكتاب بعد قليل لأهميته .
2- مقاصد الدليل وبرهان السبيل في معالجات العليل .. لا يزال مخطوطا .
3- زاد الفقير : وهو نظم لقصيدته اللامية التي أشرنا اليها آنفا ، والتي وضعها في شهر جمادى من سنة 934هـ . وهذا الاتجاه الى طب الفقراء نلحظه لدى كثير من أطباء المسلمين أولهم وشيخهم : أبي بكر الرازي المتوفي سنة 303هـ في كتابه " من لا يحضره الطبيب" وابن الجزار القيرواني في كتابه " زاد المسافر" ويتجه المصنف الى وصف ميّسر للامراض ووصفات طبية رخيصة يسهل تداولها . وقد قام ابن هاشم الأزدي بشرحها شرحا وافيا من جميع النواحي العلمية ، لغة وأدبا وصرفا وفقها شرعيا للجائز والمحرّم من أنواع التداوي.
4- ارجوزة ابن هاشم في الطب: والتي وضعها سنة الألف هجرية وعمره قد جاوز المائة .. وفيها ذكر أنواع النبض ومسبباتها وألوان البول وطعم الفم واخراج الدم الزائد بالحجامة والفصد وأوقاتهما ومتى يتعين ذلك وما هو المقدار ... الخ . وذكر مجموعة من الاعشاب العمانية واستعمالات كل عشب منها .
5- كتاب أعضاء الانسان المصابة بالامراض البلغمية التي سببها الرطوبة فقط: (حسب النظرية الطبية اليونانية السائدة عند المسلمين حتى ذلك الوقت) وقد خصّص مواضع الكي وحدّد مقداره بتصوير (رسم) حديدة الكي في كتابه وشرح الامراض التي تستحقّ الكي ، وما يؤكل معه من الغذاء المضاد للمرض (الامراض البلغمية الرطبة تعالج عندهم بالاغذية الحارة والجافة حسب تعريفاتهم في ذلك الزمان)

ويقول مهنا بن خلفان الخروصي في تقديمه ان لابن هاشم مؤلفات أخرى ورسائل في الطب كما تدل على ذلك عباراته في مؤلفاته (ولكنه لم يسمَّ أيّاً منها) وأما مراجع كتبه وقصائده فهي كثيرة منها كتاب تقويم الأبدان ، وكتاب " منهاج البيان " وكتاب " نيل الأغراض في مداواة الامراض " وكلها للشيخ العماني أحمد ابراهيم الكندي (نسبة الى قبيلة كنده اليمنية المعروفة) وأغلب أهل عمان يرجعون الى الأزد وهي قبيلة يمنية هاجرت بعد تخريب سدّ مأرب . ومنها من ذهب الى عمان واستقرّ فيها . ومنها من ذهب الى يثرب (المدينة) وهم الأوس والخزرج .. ومنهم من ذهب الى الشام ومنهم الغساسنة ومنهم من استقرّ فيما يعرف بصور وصيدا (في جنوب لبنان) وكونوا الدولة الفينيقية ، ثم القرطاجنيّة فيما بعد (في تونس)
ولهم حضاره وتعتبر دولة بحرية رائدة . والجدير بالذكر أن هناك مدينة تسمى صور أيضا في عمان وهم أيضا ملاحون وخبراء البحار .. ومنهم فيما بعد ابن ماجد البحار العربي المشهور.. ومدينة قانا (موجودة في لبنان وفي جنوب شرق حضر موت) . وهذا كله يدل على ترابط هذه المنطقة ترابطا وثيقا .. وهجرات القبائل اليمنية أمر قديم ومعروف ، ولها كتبها الخاصة بها .. ولا مجال هنا لذكرها .

كتاب فاكهة ابن السبيل :

ابتدأ ابن هاشم كتاب بفصل عن التشريح وشيئ من وظائف الاعضاء وجعل عنوانه خلق آدم وعجائب تركيبه وذكر باختصار تكون الجنين الانساني ناقلا بذلك عن الاطباء القدماء مثل الطبيب احمد بن محمد البلدي (العراقي الذي تماشى في القرن الرابع الهجري) والذي وضع كتابا كاملا بعنوان : تدبير الحبالى والاطفال والصبيان الذي حققه الدكتور محمود الحاج قاسم وصدر من وزارة الثقافة والاعلام بغداد،سلسلة كتب التراث .
ورغم ان ابن هاشم لم يحدد مصدره الا ان كتب التراث الطبي التي سبقته قد شرحت هذا الموضوع كما شرحه علماء الاسلام الاجلاء وخاصة الامام ابن القيم في كتبه مثل كتاب تحفة المودود بأحكام المولود ،

وكتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين ، وكتاب مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ، وكتاب التبيان في اقسام القرآن ، وكتاب الامام النووي شرح صحيح مسلم عندما تعرض لاحاديث خلق الانسان ، وكذلك الامام ابن حجر العسقلاني في كتابه الموسوعي " فتح الباري " شرح صحيح البخاري ، وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم .

ولا شك ان ابن هاشم استفاد أيضا من كتاب الكليات لابن رشد (وهو كتاب أساسي في علم التشريح ووظائف الاعضاء) . كما استفاد من كتب الرازي وغيره من الاطباء .

قال ابن هاشم في باب " ذكر خلق ابن آدم وعجائب تركيبه " انه لما اشتمل الرحم على المني ، فأول الاحوال الحادثة هناك زبدية (اي تحصل له رغوة كما جاء في كلام ابن القيم وابن حجر العسقلاني) المني ، ثم يؤخذ النفخ كله مندفعا الى وسط الرطوبة ، اعداد مكان القلب ، ثم يظهر نفخان كالمنشعبين منه ، ثم يتميزان عنه ، ويصير الاول علقة القلب والكبد والدماغ بتقديم خلق السرّة . وأول الاعضاء يكون القلب .. ويحّكى عن بقراط الحكيم أنه قال الدماغ ... ثم يستحيل المني الى علقة (بظهور الاوعية الدموية فيه) وبعدها الى المضغة .

" وهناك تكون الاعضاء الرئيسية قد ظهر لها انحصار ، وبينها الوشائح المعلومة ، وتكون الاطراف قد تخطّطت ... ومدة الرغوة الى ستة أيام أو سبعة . وفي هذه الايام تصور (تكون) النطفة من غير استمداد من الرحم ثم بعد ذلك بثلاثة أيام يبدأ الاستمداد ، على ان يتقدّم ذلك يوما أو يتأخر يوما . ثم بعد خمسة أيام ، وهو اليوم الخامس عشر من العلوق تتميز الاعضاء تميزّا ظاهرا ، وينحني بعضها عن مماسة بعض . وتمتد رطوبة النخاع ، ثم بعد تسعة ايام ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الاضلاع والبطن يتميزّ تميزّا يبين في بعضهم ويخفي في بعض ، ويشبه أن يكون أقل مدّة تصور الذكر ثلاثين يوما . فأول ما تعمل القوة المصورة من مجتمع الحمل الغريزي ثم المخارج والمنافذ ، ثم تأخذ العادية في العمل ... والزمان المعتدل في تصور الجنين خمسة وثلاثين يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين وعشرة أيام ،وذلك سبعة أشهر . وربما تقدّم أياما وتأخر في التصوير والولادة .. فإذا كان الأكثر خمسة وأربعين يوما (تحرك في تسعين يوما ثم ولد) في مائتين وسبعين ، وذلك تسعة أشهر .

" وقالوا ولم يوجد في الاسقاط ذكر تمَّ قبل ثلاثين ، والانثى تمت قبل الاربعين .. قيل والمولود لسبعة أشهر ، والمولود لتسعة أشهر تدخله قوة بعد أن يأتي على مولده سبعة أشهر . والمولود لتسعة أشهر وكذلك العشرة ... هذا الذي ذكرته منقول عن رؤوساء المتطببين "

قال ابن القيم كما ينقله عنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح والبخاري كتاب القدر (ج481/11) : " ان داخل الرحم خشن كالاسفنج (وهو ما يعرف في الطب الحديث بالطبقة الاسفنجية Spongy Layer) ، وجعل فيه قبولا للمني كطلب الارض العطشى للماء فجعله طالبا مشتاقا اليه بالطبع ... فلذلك يمسكه ولا يزلقه ، بل ينضّم عليه لئلا يفسده الهواء ، فيأذن الله لملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوما . وفي تلك الاربعين يجمع خلقه .

" قالوا : ان المنّي اذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار (مرحلة الكرة الجرثومية Blastula في الطب الحديث) الى تمام ستة أيام ... فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ والكبد . ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة الى تمام ثلاثة أيام (6+3=9 أيام) ثم تنفذ الدموية فيه الى تمام خمسة عشر يوما (9 + 15 = 24 يوما) . فتتميزّ الاعضاء الثلاثة ، ثم تمتد رطوبة النخاع الى اثنى عشر يوما (24 + 12 = 36 يوما) ثم ينفصل الرأس عن المنكبين بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوما " .

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ، كتاب القدر (ج481/11) .

" ومال بعض الشراح المتأخرين الى الأخذ بما دلَّ عليه حديث حذيفة بن أسيد من أن التصوير والتخليق يقع في آخر الاربعين حقيقه وليس في حديث ابن مسعود ما يدفعه . واستند الى قول بعض الاطباء ان المني اذا حصل في الرحم حصل له زبدة ورغوة من غير استمداد من الرحم . ثم يستمدّ من الرحم ، ويبتدئ فيه الخطوط بعد ثلاثة أيام أو نحوها ... ثم في الخامس عشر ينفذ الدم الى جميع فيصير علقة . ثم تتميز الاعضاء وتمتد رطوبة الدماغ ، وينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع تمييزا يظهر في بعض ويخفى في بعض . وينتهي ذلك الى ثلاثين يوما في الاقل وخمسة وأربعين في الاكثر ، لكن لا يوجد سقط ذكر قبل ثلاثين ولا انثى قبل خمسة وأربعين . وهذا معنى قوله يجمع خلقه في اربعين يوما ، وفيه تفصيل ما أجمل فيه " .

قلت : والعجيب حقا ان ينتبهوا الى ان الخصية تتكون قبل المبيض وهو ما اكتشف في النصف الاخير من القرن العشرين . ولكن الفرق بين تكون الخصية والمبيض هو بضعة أيام لا غير . واما من ناحية الاعضاء التناسلية الظاهرة التي يستطيع الانسان بها تمييز السقط الذكر من الانثى فلا تظهر الا في آخر الشهر الثالث من الحمل ، وربما في بداية الشهر الرابع .

ونعود الى ابن هاشم حيث يربط معلوماته الطبية بالاحاديث النبوية فيقول : " وقد روي عن نبينا عليه السلام انه قال : يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك " . وكأنه اشار الى الغالب من الأحوال فإن الجنين في الاربعين الاولى يغلب (عليه) وصف المني (المقصود النطفة) ، وفي الاربعين الثانية يغلب عليه وصف العلقة ، وفي الثالثة يغلب عليه وصف المضغة ، وان كانت خلقته قد تمت " ثم روى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم .

وقال ابن حجر في فتح الباري كتاب القدر : " وقال بعضهم معنى حديث ابن مسعود ان النطفة يغلب عليها وصف المني في الاربعين الاولى ، ووصف العلقة في الاربعين الثانية ، ووصف المضغة في الاربعين الثالثة . ولا ينافي ذلك ان يتقدّم التصوير " .

وقد ناقشت بتفصيل روايات الامام البخاري في هذا الموضوع وروايات الامام مسلم وشروح ابن حجر العسقلاني (فتح الباري) وشروح الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم وكلام ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم وغيرهم ، من آجلة العلماء في كتابي : "خلق الانسان بين الطب والقرآن" ، وكتابي " الجنين المشوه والامراض الوراثية" . وكتابي "الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها " ،وكتابي "الخلايا الجذعيه لارتباطها بموضوع نفخ الروح ". والخلاصة ان علماء الاسلام ناقشوا بدقة هذه المواضيع وربطوها بالعلوم الطبية لانها تنبني عليها أحكام الاجهاض وغيرها من الاحكام المتعلقة بها .

وقد استعرض راشد بن عمير المشهور بابن هاشم في كتابه فاكهة السبيل هذا الموضوع باختصار وتعرّض للاحاديث النبوية الواردة في تكوين الجنين ومم يتكون . ومن ذلك الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده ان يهوديا مرّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحدّث اصحابه فقالت قريش : يا يهودي ان هذا يزعم انه نبي . فقال : سأسأله عن شيئ لا يعلمه الا نبي . قال فجاء فجلس ثم قال : يا محمد مم يخلق الانسان ؟ قال : يا يهودي من كلٍّ يخلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة . فأما نطفة الرجل غليظة يكون منها العظم والعصب ، واما نطفة المرأة فرقيقة يكون منها اللحم والدم . فقام اليهودي فقال : هكذا يقول من قبلك " (اي من الانبياء) .

وذكر ابن هاشم أغشية الجنين الثلاثة وأن الجنين يبول في الغشاء الرقيق (السلى) المحيط بالجنين . وان هذا السائل (الامنيوسي) له فائدة لئلا يثقل على نفسه وعلى الرحم ولكي يبعد الجنين أثناء نموه من الرحم

(ونحن نعرف الآن ان قلة السائل الامنيوسي (Oligohydramnios) تؤدي الى التصاقات وتشوهات في الجنين) .

وذكر بعد ذلك وضع الجنين ، وخاصة قبل الولادة . وماذا على القابلة أن تفعله عند ولادة الطفل ، وقطع سرته لفوق أربع أنامل وربطه بصوفة نقيّة مفتولة فتلا لطيفا لكي لا تؤلم . وتوضع عليه خرقة مغموسة في الزيت وتملّح جسده بماء الملح الرقيق لتصلب سرته ويقوى جلده – ولا يملح انفه ولا فمه ... ويكرر تنظيف المولود وغسله .. واذا سقطت سرّته بعد ثلاثة ايام ذرَّ عليها رماد الصدف وتمزج أعضاؤه القابلة برفق . وتغمز مثانته ليسهل انفصال البول عنها ، ويكون في البيت الى الظل والظلمة ليس فيها شعاع غالب ، وتدخل القابلة اصبعها النظيفة (الخنصر) بلطف في دبره لينفتح ... ويقطر في عينيه وتنظف أنفه (منخراه) .... الخ . وهي رعاية لا تختلف كثيرا عما يتم في الولادات اليوم .

والاولى ان يرضع لبن أمه فإنه أشبه الاغذية بجوهر ما سلف من غذائه ، فإن حال دون ذلك حائل فتختار له المرضعة المناسبة (في مثل سن امه) وقد اهتم الاطباء المسلمون اهتماما شديدا باختيار المرضع وأخلاقها وطباعها وصحتها وغذاءها . وكتب في ذلك الرازي وابن سينا ومن آتى بعدهما .

والسنّة كما يقول ابن هاشم التسمية يوم السابع وحلق شعر الصبي وختانه يوم السابع لان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سمّى الحسن والحسين وختنهما يوم السابع وحلق شعرهما وتصدق بوزنه فضة .

ثم يتحدث ابن هاشم عن مرحلة الفطام وكيفية تغذيته بالاحساء (الشوربة) ... وإذا طلب الثدي يشغل ببلايط متخذه من خبز وسكّر ، فإن الحَّ على الثدي طلي الثدي بالمرّ . ثم يتحدث عن ظهور الاسنان في الطفل ومراحل نموه ... واذا جاوز خمس سنين يخلىّ بينه وبين اللعب ساعة ثم في ست سنين يذهب الى المؤدب فإن بلغ سبع بدأ التعليم والرياضة ويعوّد الاخلاق الجميلة .

وإذا احتاج الى اسهال (بسبب الامساك) ، أسهل بماء الفاكهة ، ولا يعالجون باسهال قوي (ملاحظة هامة) ، ولا يقصدون له بأكل الحلوى الكثيرة لئلا تكثر أمراضهم . وقد صدق ... وللأسف يتعرض معظم الاطفال لاكل الحلوى والمشروبات الغازية (وهي اشد من الحلوى ضررا) . والحلويات المصنعة اليوم فيها من السموم والمواد الكيماوية مالا يعلمه الا الله .. واضرارها بالغة على صحة الاطفال .

ونبّه على اخلاق الطفل وتربيته على الحياء والرهبة من اتيان المفاسد . ويقال ابن سبع سنين ريحانتك ، وتسع سنين خادمك ، واربع عشرة سنة إما ان يكون شريكك او عدوك ، فإن أحسنت اليه فهو شريكك ، وان أسأت اليه فهو عدوك .

ثم تعرّض لتشريح الاعضاء ابتداء من الرأس الى القدم وذكر العظام في جسم الانسان ووظيفة كل واحد منها .. وذكر ان عظام البدن 248 عظما سوى العظام السمسمانية ... ومجموع العظام الصغيرة والكبيرة والسمسمانية هي 360 عظما كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الامام مسلم : عن عائشة رضي الله عنها : خلق الله تعالى كل انسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبحّ الله ، واستغفر الله عزّ وجلّ ، وعزل حجرا من طريق الناس وشوكة وعظما أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى ، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار " وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : " في الانسان ستون وثلاثمائة مفصل " . وفي حديث ابي هريرة عن النبي عليه السلام أن على ابن آدم ثلاثمائة وستين عظما فعليه في كل عظم منها صدقة " .

وهكذا نراه يروى الاحاديث أغلبها بالمعنى . وربط بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم . هذا منهجه في كتابه . ونكتفي بهذا القدر ففيه غُنية .

الفهرس

المقدمة ....
الفصل الاول ....
المدخل الى فهم كتب الطب القديم
الفصل الثاني ....
الامام جعفر بن محمد الصادق (80 -148 هـ)
الفصل الثالث ....
الامام علي الرضا (153 – 203 هـ)
الفصل الرابع ....
عبد الملك بن حبيب الاندلسي(180-238 هـ)
الفصل الخامس ....
أحمد بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (206 – 287 هـ)
الفصل السادس ....
ابن السني (284 – 364 هـ)
الفصل السابع ....
الحافظ ابو نعيم الاصبهاني (336 – 430 هـ)
الفصل الثامن ....
أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري النسفي السمرقندي الحنفي (ت 432 هـ)
الفصل التاسع ....
علي بن حزم الاندلسي (384 – 456 هـ)
الفصل العاشر ....
الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزية (510 – 537 هـ)
الفصل الحادي عشر ....
ابن صاحب الصلاة المالقي شهيد موثعة العقاب (ت 609 هـ)
الفصل الثاني عشر ....
الامام عبد اللطيف البغدادي (557 – 629 هـ)
الفصل الثالث عشر ....
كتاب الاربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها للعلامة الحكيم عبد اللطيف البغدادي
وجمع محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي (571-636هـ)
الفصل الرابع عشر ....
ضياء الدين المقدسي وكتابه في الطب النبوي (569 – 643 هـ)
الفصل الخامس عشر ....
الامام العالم أحمد بن يوسف التيفاشي (580 – 651 هـ)
الفصل السادس عشر ....
الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن أبي علي البعلي الحنبلي الدمشقي (645–709هـ)

الفصل السابع عشر ....
الكحال علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي (650 – 720 هـ)
الفصل الثامن عشر ....
تذكرة في الطب النبوي لابن جماعة الكناني (639 -733 هـ)
الفصل التاسع عشر ....
الامام شمس الدين الذهبي (673- 748هـ)
الفصل العشرون ....
ابن الأكفاني (749هـ)
الفصل الواحد وعشرون ....
محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية (691 – 751هـ)
الفصل الثاني والعشرون ....
يوسف محمد مسعود السُرَّمري (696 – 776 هـ)
الفصل الثالث والعشرون ....
الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 – 852 هـ)
الفصل الرابع والعشرون ....
ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الازرق (وفاته بعد 890هـ)
الفصل الخامس والعشرون ....
الإمام جلال الدين السيوطي (849-911هـ)
الفصل السادس والعشرون ....
ما رواه الواعون في أخبار الطاعون للإمام جلال الدين السيوطي المتوفي (سنة911هـ)
الفصل السابع والعشرون ....
الامام القسطلاني (851-923هـ)
الفصل الثامن والعشرون ....
الشيخ محمد عمر بحرق (869 -930 هـ)
الفصل التاسع والعشرون ....
ترجمة ابن طولون وكتابه المنهل الروي في الطب النبوي (880 – 953 هـ)
الفصل الثلاثون ....
راشد بن عمير بن ثاني بن هاشم الأزدي العماني وكتابه فاكهة ابن السبيل
وفاته بعد الألف هجريه (1000هـ عاش مائة عام)